

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة والأديان
الدراسات العليا

أثر عقيدة اليهود في موقفهم من الأمم الأخرى

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير

إعداد الطالبة

هند بنت دخيل الله بن وصل القثامي

إشراف الأستاذ الدكتور

أحمد بن عبدالرحيم السايح

١٤٢٠-١٤٢١هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

إن الحمد لله نحمده ونستغفره ونتوب إليه ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، ونشهد أن محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم .

هذا البحث بعنوان : (أثر عقيدة اليهود في موقفهم من الأمم الأخرى) وهو مقسم إلى ثلاثة أبواب ومقدمه وخاتمة ، أما الباب الأول فقد بحث نشأة اليهود واستقرارهم على أرض مصر ، وخروجهم منها ، والأسماء التي أطلقت عليهم قديما وحديثاً ، وبين أيضا المقصود من لفظ الأمميين عندهم ، وتناول أيضا بالتفصيل لأهم القبائل التي سكنت فلسطين قديما وعلاقتها ببني إسرائيل في ذلك الوقت ، وفي الباب الثاني : تناول البحث الأمم في مصادر اليهود (العهد القديم والتلمود- والبروتوكولات) ، وقد بين البحث العلاقة التي وضحتها نصوص هذه المصادر ، فقد بين علاقة اليهود بغيرهم من خلال نظرتهم لأنفسهم باعتبارهم الشعب المختار الذي يتميز عن سائر الأجناس ، ثم نظرتهم إلى أرض فلسطين باعتبارها أرض الموعد ، وقد ناقش هذا البحث هاتين القضيتين من وجهة النظر الصحيحة ، وعرض البحث أيضا للقواعد المفصلة في التلمود والبروتوكولات والتي تبناها اليهود بعد ذلك ، وأقاموا علاقتهم بغيرهم من الأمم على أساسها .

أما الباب الثالث : فقد وضح أثر هذه النصوص على اليهود في موقفهم من غيرهم وذلك من خلال فصلين هما : موقف اليهود من الإسلام في الصدر الأول ، وموقفهم من الإسلام والمسلمين في العصر الحاضر ، ثم أخيراً خاتمة عرضت فيها لأهم ما توصلت إليه من نتائج خلال البحث والتي من أهمها :

١- أن تفضيل بني إسرائيل على العالمين كان عندما كانوا على الإسلام والإيمان أما عندما حادوا عن الطريق القويم فيصبح تعلقهم بنصوص التفضيل تعلقاً لا يصح .

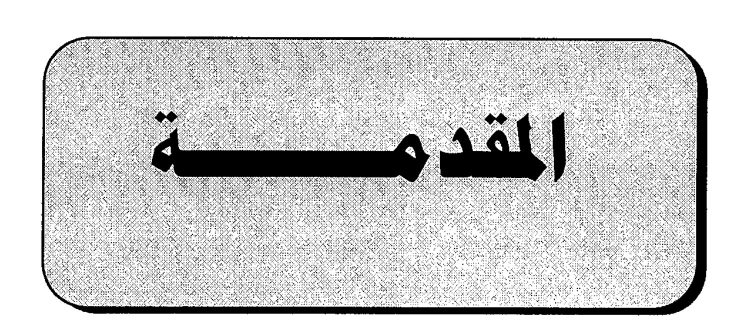
٢- أن أرض فلسطين ليست لليهود ، إنما للأمة المؤمنة المسلمة .

٣- ضرورة البحث الجاد في كتب اليهود التي تبين عقائدهم ، وأخلاقهم ، وذلك بترجمة كتبهم ما أمكن ، وتقديم الشروح والتعليقات عليها .

٤- إن أي معاملة ليهودي مع غيره من الناس ، إنما تتم وفق تصور تعاليمه وبالتالي فإن أي معاملة من غير اليهود يجب أن تأخذ في الحسبان ما يعتقده اليهود عن غيرهم من الناس .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .. والحمد لله رب العالمين

الطالبة	المشرف	عميد كلية الدعوة وأصول الدين
هند دخيل الله وصل القثامي	أ.د/أحمد عبد الرحيم السايح	أ.د/عبد الله عمر الدميجي


المقدمــــة

بسم ا لله الرحمن الرحيم

المقدمة :

إن الحمد لله، نحمده ونستغفره، ونعوذ با لله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده ا لله فلامضل له، ومن يضلل فلاهادى له، وأشهد أن لاإله إلا ا لله وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله – صلى ا لله عليه وعلى آله وصحبه وسلم–.

أما بعد :

فقد أرسل ا لله – تعالى – رسله الكرام – عليهم السلام – إلى الناس بالهدى ودين الحق، داعين إلى عبادته – سبحانه – وتوحيده، حاثين في الوقت نفسه أقوامهم على الإلتزام بمبادئ السلوك القويم، وحسن التعامل مع الناس جميعاً، فكانت رسالات الأنبياء السابقين تشتمل إلى جانب تحقيق التوحيد،إرساء مبادئ الخير والحق والعدل بين الناس.

ومن هؤلاء الأنبياء، نبي ا لله الكريم موسى – عليه الصلاة والسلام – الذي أرسله ا لله – تعالى – إلى بني إسرائيل داعياً إلى عبادته، ومخلصاً لهم من بغي فرعون وظلمه، فأنزل ا لله – تعالى – عليه التوراة فيها هدى ونور.

يقول تعالى : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾[1]. ولكن التوراة لم تبق على حالها، فقد امتدت إليها يد التحريف، فزادت فيها وأنقصت، وغيرت وبدلت، مما ذكره ا لله – تعالى – في القرآن الكريم، ومالم يستطع أولئك تغييره وتبديله، تعدوا عليه بتأويله، كما فعلوا في الوصايا العشر مثلاً، ثم إنهم تعلقوا ببعض النصوص التي تعطيهم امتيازاً خاصاً على غيرهم، وتضعهم في منزلة أعلى ومكانة أسمى

---

(١) سورة المائدة، الآية ٤٤.

من غيرهم، حتى أصبح بنو إسرائيل ينظرون إلى أنفسهم أنهم فوق مستوى الناس، فهم وحدهم البشر، وماسواهم مخلوقات أعدت للخدمة والعبودية فقط، ومن خلال تطبيق هذا المبدأ العنصري، انطلق بنو إسرائيل في الأرض إفساداً وتخريباً وتضليلاً.

ولقد وصفهم القرآن الكريم بالمفسدين وذلك بعد ذكره لمقالتهم في حق ا لله –تعالى–، يقول ا لله – عز وجل–: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لاَيُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[1].

يقول ابن كثير عند تفسيره لهذه الاية: " وقوله ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ أى كلما عقدوا أسباباً يكيدونك بها، وكلما أبرموا أموراً يحاربونك بها، أبطلها ا لله، ورد كيدهم عليهم، وحاق مكرهم السيء بهم، ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لاَيُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ أي من سجيتهم أنهم دائماً يسعون في الإفساد في الأرض، وا لله لايحب من هذه صفته"[2].

وهذا الإفساد اليهودي المتعمد، نبع لايجف، ومعين لاينضب، وكيف ينضب وهو الذي تغذيه النصوص المقدسة عندهم خاصة في التلمود،وتفصله وتوضحه البروتوكولات، وهو أبلغ دليل على إخلاص اليهودي لمعتقداته المقدسة، وتعاليمه الموروثة، فنصوص التلمود – المقدسة عندهم– تقول له أن الأصل في التعامل مع الأمم الأخرى هو القتل وإن اضطر اليهودي لإبقائهم على قيد الحياة، فلايخلص لهم الود، ثم إنه ليس عليه أى التزام أخلاقي من جهتهم، فيباح له الكذب أو الغش أو النفاق، مع التأكيد عليه بألايساهم ولو عن طريق غير مباشر في خدمة الأغيار وإيصال النفع إليهم. وغاية اليهود وهدفهم من ذلك إقامة الدولة القوية المسيطرة التي يحكمها ملك من نسل داود، فتخضع لها جميع الأمم والشعوب، أَمَّا وسيلتهم لبلوغ الهدف فهي الإفساد، وظل تحقيق الوعود

(١) سورة المائدة، الآية ٦٤.

(٢) تفسير ابن كثير، ١٠٦/٢.

بإقامة المملكة اليهودية أماني يتناقلها القوم جيلاً بعد ىخر، حتى أتى الوقت الذي فصل فيه كبراؤهم خطة الإفساد وشرحوها فيما سمي بالبروتوكولات، وبدأ أولئك العمل المتواصل المستمر سعياً لبلوغ الغاية وتحقيق المراد .

وقد كانت جوانب الإفساد اليهودي المستوحى من النصوص الشرعية –عندهم– تتعلق في كثير منها بالإسلام والمسلمين، منذ أن بعث الله – تعالى – رسوله ونبيه محمداً –ﷺ– للناس كافة، وبدأت بوادر هذا الإفساد والتضليل منذ اللحظة الأولى، فحاولوا ماستطاعوا ردّ الناس عن اتباع هذا الدين، بالتشكيك في مصادر العقيدة، ومحاولة تفريق جماعة المسلمين، وكان هذا دأبهم منذ ذلك الوقت حتى اليوم، وزاد هذا الأمر أيضاً احتلالهم الأرض المباركة فوقع المسجد الأقصى تحت نير استعمارهم، وهم الآن يحاولون هدمه وإزالته لإقامة الهيكل الثالث على أنقاضه.

ولعلاقة هذا الإفساد بما جرى للإسلام والمسلمين قديماً وحديثاً، اخترت هذا الموضوع بعنوان :

[أثر عقيدة اليهود في موقفهم من الأمم الأخرى]

وقد تم تقسيمه إلى : ثلاثة أبواب مع مقدمة وخاتمة .

أما الباب الأول : فهو بعنوان : تحديد المفاهيم .

وهذا الباب مكون من فصلين :

الأول بعنوان : اليهود . ويقسم إلى مبحثين :

المبحث الأول: نشأتهم ، مسمياتهم .

المبحث الثاني:مصادرهم وهي:العهد القديم – التلمود – البروتوكولات.

والفصل الثاني: بعنوان: الأمميون، ويقسم إلى مبحث بعنوان :

التعريف بالأمميين، والشعوب التي كانت تجاور بني إسرائيل في ذلك الوقت، ولها ذكر في أسفارهم.

أما الباب الثاني فهو بعنوان: الأمم في مصادر اليهود :

وهو يتكون من ثلاثة فصول هي :

الفصل الأول : موقف العهد القديم من الأمميين .

الفصل الثاني : موقف التلمود من الأمميين .

الفصل الثالث: موقف البروتوكولات من الأمميين .

أما الباب الثالث فهو بعنوان : بين النظرية والتطبيق .

وهو يتكون من فصلين :

الأول : موقف اليهود من الإسلام في الصدر الأول.

الثاني: موقف اليهود من الإسلام والمسلمين اليوم .

ثم أخيراً : خاتمة .

وإني أدعو ا لله العظيم أن يجزي بالخير كل من ساعدني أو كان لـه بعـد ا لله فضـل علـيّ: وأخص منهم: والدايّ الكريمين، ثم جامعة أم القرى، ممثلة في كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة، وسعادة الأستاذ الدكتور: أحمد عبدالرحيم السايح المشرف على الرسـالة، وسعادة الأستاذ الدكتور: عبدا لله حسن بركات، فجزى ا لله الجميع عني خير الجزاء.

والحمد لله رب العالمين، وصلى ا لله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الباب الأول

تحديد المفاهيم

وتحته فصول :

الفصل الأول : اليهـــود .

الفصل الثاني : الأمميون .

الفصل الأول

اليهــود

المبحث الأول : نشأتهم – مسمياتهم .

المبحث الثاني : مصادرهم المقدسة .

- العهد القديم .
- التلمود .
- البروتوكولات .

المبحث الأول

نشأتهم - أسماؤهم

نشأتهم :

تعود بداية اليهود كأمة ذات تاريخ وعقيدة إلى تلك الفترة التي أرسل الله تعالى فيها نبيه موسى – عليه السلام – إليهم بالتوراة لهدايتهم وتخليصهم من عبادة ماسواه.

واليهود هم تلك الأمة التي نشأت في مصر إثر استقرار أبناء يعقوب بن إسحق ابن إبراهيم فيها .

فقد عاشوا فيها حياة مستقرةً منذ عهد يوسف بن يعقوب وتكاثروا بدرجة كبيرة، جاء في التوراة (ونمى بنو إسرائيل وتوالدوا وكثروا وعظموا جداً جداً وامتلأت الأرض منهم)[١].

" ثم إن فرعون رأى في منامه، كأن ناراً قد أقبلت من نحو بيت المقدس فأحرقت دور مصر وجميع القبط ولم تضر بني إسرائيل، فلما استيقظ هاله ذلك، فجمع الكهنة والحذقة والسحرة، وسألهم عن ذلك، فقالوا: هذا غلام يولد من هؤلاء، يكون سبب هلاك أهل مصر على يديه، فلهذا أمر بقتل الغلمان وترك النسوان"[٢]، وقد أوردت التوراة هذا الأمر حيث جاء في سفر الخروج: (فأمر فرعون جميع شعبه قائلاً: كل ذكر يولد لهم فاطرحوه في النهر وكل أنثى فاستبقوها)[٣].

وقد ورد أيضاً في القرآن الكريم ذكر العذاب الذي حصل لهم، يقول:﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾[٤].

واستمر الحال على هذا إلى أن "شكا القبط إلى فرعون قلة بني إسرائيل، بسبب قتل ولدانهم الذكور، وخشوا أن تتفانى الكبار مع قتل الصغار، فيصيرون هم الذين يلون ماكان بنو إسرائيل يعالجون، فأمر فرعون بقتل الأبناء عاماً وأن يتركوا عاماً"[٥].

---

(١) خر ١ : ٨ .
(٢) ابن كثير، قصص الأنبياء، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ، المكتبة التجارية، مكة، ص٢٦٧.
(٣) خر ١ : ٢٢ .
(٤) سورة الأعراف، آية ١٤١ .
(٥) قصص الأنبياء، ص ٢٦٨ .

وفي عام المسامحة ولد هارون، وفي عـام القتـل ولـد موسـى – عليهمـا السـلام – وأراد الله تعالى لموسى أن يعيش في بيت فرعون نفسه، يقول عز وجل: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ، فَالْتَقَطَهُ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾(١).

وقد صدق الله وعده لأم موسى حينما بعثه إلى فرعـون وبنـى إسـرائيل يدعوهـم لعبادته، جاء في التوراة (فالآن تعال أبعثك إلى فرعـون وأخـرج شـعبي بنـى إسـرائيل مـن مصر)(٢).

ومنذ اللحظة التى بعث فيها موسى لبني إسرائيل بـدأ مايسـمى بالديانـة اليهوديـة فهي: "الدين السماوي الذي بعث الله به سيدنا موسى –عليه السلام– وفُصلت أحكامه في التوراة شريعته المقدسة"(٣).

وهم كما قال الشهرستاني: "أمة موسى –عليه السلام–، وكتابهم التوراة"(٤).

حيـث آمنـوا بـه وخرجـوا معـه من مصـر على إثـر الاضطهاد الذي لحق بهم من فرعون مصر، ثم لم يلبثوا أن ارتدوا إلى عبادة العجل، يقول تعالى: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾(٥).

وبسبب قسوة قلوبهم وعصيانهم فرض الله تعالى عليهم التيه، قال تعـالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلاتَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾(٦).

---

(١) سورة القصص، آية ٧–٨.
(٢) خر ٣ : ١٠ .
(٣) عبدالسـميع الهـراوي، الصهيونيـة بين الديـن والسياسـة، الهيئـة المصريـة العامـة للكتـاب ١٩٧٧م، ص١٠.
(٤) الشهرستاني، الملل والنحل، دار المعرفـة، بـيروت، تحقيـق عبدالأمـير مهنـا، علـى فـاعور، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ–١٩٩٠م، ج١/٢٥٠.
(٥) سورة البقرة، آية ٩٣ .
(٦) سورة المائدة، آية ٢٦ .

وفي هذه الفترة توفي موسى – عليه السلام– ولم يدخل الأرض المقدسة، ودخلها بنو إسرائيل بعد ذلك بقيادة يوشع بن نون[١].

أسماؤهم :

أُطلق على اليهود من خلال تاريخهم الطويل عدة أسماء مشهورة، مثل العبريين أو العبرانيين، وأيضاً ورد في القرآن الكريم بعضاً من أسمائهم مثل: بنو إسرائيل، اليهود، وأهل الكتاب الذي يطلق عليهم بالاشتراك مع النصارى .

وأما في العصر الحديث فقد ظهر لهم اسم آخر هو : بنو صهيون أو أحباء صهيون، ومنه الصهيونيون .

ولكلٍ من هذه الأسماء معنى وسبب من أجله سموا به –على ماسيجيء توضيحه– ولكنها في النهاية تدل في الأغلب على أتباع الدين الذي جاء به موسى–عليه السلام–.

أولاً : العبريون :

عرف اليهود في تاريخهم القديم باسم العبريين، حيث لم تكن لفظتي اليهود أو بني إسرائيل قد شاعتا بعد، واختلفت آراء الباحثين حول أصل التسمية إلى آراء عدة، وقد كان لهم في تفسير ذلك أقوال هي :

أولاً : قيل إنه منسوب إلي اسم ، وقد أختُلِفَ فيه على أقوال :

١– قيل " نسبة إلى (أبرا)[٢] وهو إبراهيم – عليه السلام – مع قلب الألف عيناً في

(١) يوشع بن نون: إسم عبري معناه "يهوه خلاص"، وإسمه في الأصل هوشع، ثم دعاه موسى يوشع، وهو خليفة موسى، وابن نون من سبط أفرايم، ولد في مصر، وعينه موسى قائداً لبني إسرائيل وكان عمره ٤٤ سنه، وفي آخر حياته دعا كل بنى إسرائيل وألقى كل خطابه الوداعي.
انظر عنه: القاموس، ص١٠٦٨ حتى ص ١٠٧٠، وانظر أيضاً سفر يوشع .

(٢) هو (أبرام) لا (أبرا)، وقد ذكر هذا الإسم في سفر التكوين (ولايكون اسمك أبرام بعد بل يكون إسمك إبراهيم لأني جعلتك أبا جمهور أمم) ١٧ : ٥ .

المنسوب"[١]. ولايمكن التسليم بصحة نسبة العبريين إلى أبرا.

يقول الدكتور فاروق جودي: "وهذا الرأي ضعيف من الناحية اللغوية، يقول لاكين وليامز: إن هذا الإشتقاق اللغوي لايتمشى مع طبيعة اللغة العبرية وقوانينها الصوتية للأسباب الآتية :

أ – العين والألف لاتتبادلان في هذه اللغة .

ب – لايمكن أن نفسر على ضوء القوانين الصوتية العبرية سقوط ميم أبرام النهائية نتيجة لإلحاق ياء النسب بهذا الإسم"[٢].

٢– وقيل نسبة إلى (عابر أو عبر) أحد أجداد إبراهيم، وهذا الرأي لايصح أيضاً لأن "الذي يمعن النظر في جدول أبناء عبر إلى عهد إبراهيم الخليل يجد أن أغلب الأمم السامية منسوبٌ إليه"[٣]. ولم يطلق عليها كلها اسم العبريين.

٣– وقيل: إن كلمة عبري نسبةً للغة العبرية، وهذا الرأي يرد عليه ولفنسون فيقول: " ليس يوجد في صحف العهد القديم مايدل على أنهم كانوا يسمون لغة بني إسرائيل باللغة العبرية، بل كانت تارة تعرف باسم اللغة اليهودية وطوراً باسم لغة كنعان ولم تعرف باسم العبرية أو اللغة المقدسة إلا بعد السبي البابلي في كتاب حكم ابن سيرا وفي مصنفات المؤرخ اليهودي يوصف[٤] وفي المشنا والتلمود"[٥].

---

(١) د. رفقى زاهر، قصة الأديان، دراسة تاريخية مقارنة، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، دار المطبوعات الدولية، ص ٣٣ .

(٢) فاروق جودي، الصهيونية واللغة، دار الثقافة للطباعة والنشر بالقاهرة، ١٩٧٧م، ص٤٩–٥٠.

(٣) إسرائيل ولفنسون، تاريخ اللغات السامية،الطبعة الأولى،دارالقلم١٩٨٠م،بيروت،ص ٧٧.

(٤) لعله يقصد المؤرخ اليهودي يوسيفوس .

(٥) تاريخ اللغات السامية، ص ٧٨ .

ثم إن هناك أمماً عبرية أخرى لاتتحدث اللغة العبريــة، يقـول الدكتـور علـى وافي: "... وذلك أن الأمم العبرية تتألف من بني إسـرائيل وشعوب أخـرى كـآل آدوم وآل مؤاب وآل عمون، ولكن لايطلق اسم اللغة العبرية إلا على لغة بني إسرائيل وحدهم"[١].

فلو كانت كلمة عبري نسبة للغة العبرية لوجب عدم تسمية تلك الأمــم بالقبـائل العبرية، لأن العبرية ليست لغتها، وعلى أي حال تبقـى اللغـة العبريـة أو العبرانيـة -كما كانت في القديم- هي لغة بني إسرائيل وحدهم .

ثانياً : قيل إنه منسوب إلي فعل العبور والاجتياز والتنقل، وفيه آراء أيضاً :

١- قيل نسبة لعبور إبراهيم النهر، جاء في قاموس الكتاب المقدس أن الكنعانيين "سموا إبراهيم (أبرام الكنعاني) بعد أن عبر نهر الفرات إلى فلسطين"[٢].

ويؤخذ على هذه التسمية أن إبراهيم – عليه السلام – لم يكن أبـاً لبـني إسـرائيل فقط بل كان أباً كذلك للعرب أبناء إسماعيل – عليه السلام – ومع ذلك لم يطلق عليهم العبريون.

٢- ماقيل إنه نسبة لعبور بني إسرائيل البحر الأحمر يوم خروجهـم مـن مصـر، يقـول الدكتور: فاروق جودي: "وقد ورد في الخروج رباه تفسيراً لقول موسى لفرعون: الرب إله موسى اجتمع بنا، قال المفسر اليهودي في تفسيره لذلـك: لأنهـم عـبروا البحرالأحمر"[٣].. ثم رد على هذا بأنه "أضعف الآراء التي قيلـت"[٤]. وذلـك لأن بني إسرائيل عرفوا بهذا الاسم قبل خروجهم من مصر وعبورهم البحر الأحمر.

---

(١) د. علي وافي، الأسفار المقدسة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ص ١٠.

(٢) قاموس الكتاب المقدس، تأليف نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين، صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، الطبعة الثانية، ص ٥٩٦ .

(٣) الصهيونية واللغة، ص ٤٧ .

(٤) المرجع السابق، نفس الصفحة .

٣- رأي ولفنسون في كتابه: تاريخ اللغات السامية حيث قال: "كلمة عبري في الأصل مشتقة من الفعل الثلاثي عبر، بمعنى قطع مرحلة من الطريق، أو عبر الوادي أو النهر من عِبْرِه إلى عِبْرِه، أو عبر السبيل: شقها وكل هذه المعاني نجدها في هذا الفعل سواءً في العربية والعبرية وهي في مجملها تدل على التحول والتنقل الذي هو من أخص مايتصف به سكان الصحراء وأهل البادية فكلمة عبري مثل كلمة بدوي: أي ساكن الصحراء والبادية، وقد كان الكنعانيون والمصريون يسمون بني إسرائيل بالعبريين لعلاقتهم بالصحراء وليميزوهم عن أهل العمران ولما استوطن بنو إسرائيل أرض كنعان وعرفوا المدنية والحضارة صاروا ينفرون من كلمة عبري التي كانت تذكرهم بحياتهم الأولى حياة البداوة والخشونة وأصبحوا يؤثرون أن يعرفوا باسم بني إسرائيل فقط"(١).

ومن خلال عرض الآراء السابقة يتضح أن نسبة العبريين إلى فعل العبور والتنقل في الصحراء أولى، وذلك للمآخذ التي وردت على الأقوال الأخرى، وأيضاً لشمول هذا اللفظ لكثير من القبائل الأخرى المتنقلة من مكان لآخر والتي يغلب عليها طابع البداوة والارتحال، ويؤيد ذلك عدم تفضيل اليهود تسميتهم بالعبرانيين لئلا تذكرهم بحياة البداوة والتنقل التي كانوا عليها. يقول الدكتور: أحمد سوسه: "وقد ظلت هذه التسمية، أي تسمية عبري وعبراني، تطلق على الجماعات من القبائل النازحة من البادية ومن جهة فلسطين إلى مصر، وعلى هذا الأساس صار المصريون يسمون الإسرائيليين بالعبرانيين باعتبارهم من تلك الجماعات البدوية"(٢).

---

(١) تاريخ اللغات السامية، ص ٧٨ .

(٢) د.أحمد سوسه، مفصل العرب واليهود في التاريخ، الطبعة الخامسة، ١٩٨١م، دار الحرية للطباعة، ص ٥٠٥.

ثانياً : بنو إسرائيل :

هذا الإسم من الأسماء المشهورة جداً، وإسرائيل هو: يعقوب بن إسحق بن إبراهيم – عليهم السلام – وقد ذُكِرَ هذا الاسم في القرآن كثيراً، يقول القرطبي في تفسيره: "وإسرائيل هو: يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليهم السلام، قال أبوالفرج الجوزي: وليس في الأنبياء من له اسمان غيره، إلا نبينا محمد ﷺ فإن له أسماء كثيرة، ثم قال... وإسرائيل اسم أعجمي ولذلك لم ينصرف، ومعناه: عبدا لله، قال ابن عباس: إسرا بالعبرانية هو: عبد، وإيل هو ا لله، وقيل: إسرا هو صفوة ا لله وإيل هو: ا لله"[١].

جاء في تاج العروس: "وإسرال: هو مخفف عن إسرائيل، ومعناه: صفوة ا لله، وقيل عبدا لله، وهو يعقوب عليه السلام، وقال الهيلي في الروض معناه: سري ا لله"[٢].

وقد ورد في قاموس الكتاب المقدس أن: "معنى هذا الاسم العبري: يجاهد مع ا لله" أو "ا لله يصارع، وقد أطلق هذا الإسم في الكتاب المقدس على مايأتي :

١- يعقوب إذ أطلق عليه الملاك الذي صارعه حتى مطلع الفجر في فنوئيل في مخاضة يبوق[٣].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، الطبعة الثالثة، دار الكتب المصرية، ٣٣٠/١.

(٢) الزبيدي، تاج العروس، تحقيق: إبراهيم الترزي ١٣٩٣هـ-١٩٧٢، ٥٢/١٠.

(٣) يلاحظ على ماورد في قاموس الكتاب المقدس أنهم نسبوا المصارعة إلى ملك – والنص كما سيأتي بعد ذلك – لايشفع لهم هذا، وقد علق ابن حزم رحمه ا لله على ذلك فقال: "... ولقد ضربت بهذا الفصل وجوه المعترضين منهم للجدال في كل محفل، فثبتوا على أن نص التوراة أن يعقوب صارع "ألوهيم" وقال: إن لفظ "ألوهيم" يعبر بها عن الملك فإنما صارع ملكاً من الملائكة. فقلت لهم: سياق الكلام يبطل ماتقولون ضرورة أن فيه "كنت قوياً على ا لله فكيف على الناس" وفيه أن يعقوب قال : "رأيت ا لله مواجهة =

٢- نسل يعقوب جميعاً، فاستعمل كمرادف لبني إسرائيل ...

٣- يطلق هذا الإسم على الأسباط العشرة الذين انشقوا عن يهوذا وبنيامين وأصبحوا مملكة إسرائيل"[١].

وقد جاءت تسمية يعقوب – عليه السلام – بإسرائيل في التوراة: (وبقي يعقوب وحده فصارعه رجل إلى مطلع الفجر ورأى أنه لايقدر عليه فلمس حق وركه فانخلع حق ورك يعقوب في مصارعته له وقال: أطلقني لأنه قد طلع الفجر فقال: لا أطلقك أو تباركني فقال له: مااسمك؟ قال يعقوب، قال لايكون اسمك فيما بعد بل إسرائيل لأنك إذ رؤست عند ا لله فعلى الناس أيضاً تستظهر وسأله يعقوب وقال عرفني اسمك فقال لم سؤالك عن اسمي وباركه هناك، وسمَّى يعقوب الموضع فنوئيل قائلاً إني رأيت ا لله وجهاً إلى وجه ونجت نفسي)[٢]. أما بنو إسرائيل فهم: رأوبين – شمعون – لاوي – يهوذا – يساكر – زبولون – يوسف – بنيامين – جاد – أشير – دان – نفتالي .

وقد كون هؤلاء ونسلهم ماعرف فيما بعد بالأسباط الاثني عشر، وفي عهد رحبعام بن سليمان انقسمت مملكة اليهود إلى قسمين: أحدهما: مملكة بني إسرائيل في الشمال وعاصمتها شكيم وتتكون من جميع قبائل بني إسرائيل ماعدا قبيلتي يهوذا وبنيامين اللتين كونتا المملكة الجنوبية – مملكة يهوذا – وعاصمتها أورشليم.

= وسلّمت نفسي: ولايمكن ألبته أن يعجب من سلامة نفسه إذا رأى الملك؟! ولايبلغ من مسّ الملك – كما نص يعقوب – أن يحرم على بني إسرائيل أكل عروق الفخذ في الأبد من أجل ذلك، وفيه: أنه سمَّى الموضع بذلك " فينيئل" لأنه قابل فيه "إيل" وهو ا لله عز وجل بلا احتمال عندكم، ثم لو كان ملكاً لكان أيضاً من الخطأ تصارع نبي وملك لغير معنى فهذه صفة المتحدين في العنصر لاصفة الملائكة والأنبياء". انظر الفصل، ٢٣٣/١.

(١) قاموس الكتاب المقدس، ص ٦٩-٧٠.

(٢) تك ٣٢: ٢٤-٣٠.

وفي السياق القرآني، عندما يطلق عليهم لفظ بني إسرائيل فإن هذا يكون في معرض المدح لهم والتذكير بفضل الله تعالى عليهم ورضاه عنهم ومايبنغي أن يكونوا عليه يقول الله تعالى: ﴿يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ، وَءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾[١].

واليهود اليوم يطلقون على أنفسهم بني إسرائيل وذلك للدلالات الدينية الخاصة، حيث تربطهم بيعقوب نسباً و"حتى يخلعوا على أنفسهم بهذا الوصف معنى القوة والقدرة واكتساب صفات الغلبة ليتيسر لهم أن يحيوا الحياة التي يريدون وبالأسلوب الذي يحبونه وتتعلق به عواطفهم ويتفق واستعدادهم"[٢].

ثالثاً: اليهود:

هو من الأسماء المشهورة، ويستخدم للدلالة على أتباع موسى – عليه السلام– وقد ورد ذكره في القرآن الكريم حوالي ثمان مرات بلفظة يهود، وقد اختلف في اشتقاق هذه الكلمة على رأيين :

الأول :أنها نسبة إلى صفة الندم والتوبة، وهو الهود المذكور في قوله تعالى: ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾[٣]، وهي بذلك تكون نسبة إلى كلمة عربية .

ومعنى هدنا: "أي تبنا ورجعنا وأنبنا إليك"[٤]، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلا مَنْ كَانَ هُودًا﴾[٥]، يقول القرطبي: "وأجاز الفراء أن يكون هوداً بمعنى

---

(١) البقرة، الآية ٤٠-٤١.

(٢) صابر طعيمه، اليهود في موكب التاريخ، مكتبة القاهرة الحديثة، ص٥٤.

(٣) الأعراف، آية ١٥٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مؤسسة الريان للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، ج٢/٣٣٤.

(٥) البقرة، آية ١١١.

يهودياً، حذف منه الزائد، وأن يكون جمع هائد"[١]، وعند ابن منظور أن الهود هو: "التوبة، هاد يهود هوداً وتهود: تاب ورجع إلى الحق، فهو هائد ... ... والهود: اليهود، هادوا يهودون هوداً، وسميت اليهود اشتقاقاً من هادوا، أي تابوا ... ... وهود الرجل: حوله إلى ملة يهود، قال سيبويه: وفي الحديث: (كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهودانه أو ينصرانه)[٢]، معناه: أنهما يعلمانه دين اليهودية والنصارى ويدخلانه فيه، والتهويد أن يصير الإنسان يهودياً"[٣].

أما الرأي الثاني : أنه نسبة إلى إسم يهوذا، وهو الإبن الرابع ليعقوب عليه السلام "ويهوذا إسم عبري معناه حمد"[٤]،وقد مدحه والده يعقوب، حيث قال كما تروي أسفار التوراة: (يهوذا إياك يحمد إخوتك يدك على قذل أعدائك يسجد لك بنو أبيك يهوذا شبل أسد من فريسة صَعِدت يابني جثم وربض كأسد وكلبؤة فمن ضمن ذا يقيمه)[٥]، والكثيرون على أنه نسبة إلى الهود وهو التوبة والرجوع إلى الحق، يذكر الشهرستاني ذلك فيقول: "هاد الرجل: أي رجع وتاب، وإنما لزمهم هذا الاسم لقول موسى عليه السلام ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾"[٦].

---

(١) القرطبي، ٧٤/٢.

(٢) نص الحديث في البخاري عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: "مامن مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء، ثم يقول أبوهريرة ﷺ ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾ الآية، والحديث في فتح الباري شرح صحيح البخاري، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ-١٩٨٩م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٨١/٣.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج١٥/١٥٥-١٥٦.

(٤) قاموس الكتاب المقدس، ص ١٠٨٥.

(٥) تك ٤٩ : ٨-٩.

(٦) الملل والنحل، ج١/٢٥٠.

رابعاً: أهل الكتاب:

هذا الاسم مما أطلق على اليهود ويشترك معهم فيه النصارى. وقد ورد ذكره في القرآن حوالي إحدى وثلاثون مرة، وقد عرَّفهم الشهرستاني بقوله: "الخارجون عن الملة الحنيفية والشريعة الإسلامية ممن يقول بشريعة وأحكام وحدود وأعلام، وقد انقسموا إلى من له كتاب محقق مثل: التوراة والإنجيل وعن هذا يخاطبهم التنزيل بأهل الكتاب..."[١].

وعلى تعريف الشهرستاني هم إذن من أنزل عليهم كتاب سماوي وأرسل فيهم الرسل، وقد كان يقابلهم قبل بعثة محمد ﷺ الأميين الذين كانوا على عبادة الأوثان والأصنام، فأطلق عليهم هذا الاسم لتمييزهم عنهم، وقد ورد ذكر هذه التسمية في القرآن في معرض الإنكار عليهم وتذكيرهم بما يجب أن يكونوا عليه، مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ... الآية﴾[٢]. وقوله تعالى: ﴿ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾[٣] وغيرها من الآيات.

خامساً: بنو صهيون:

وهذا أيضاً من الأسماء التي تطلق على اليهود، لكن ماذا تعني كلمة صهيون؟.

قيل إنها كلمة عبرية ومعناها الحصن .

جاء في قاموس الكتاب المقدس: "صهيون رابية من الروابي التي تقوم عليها أورشليم ورد ذكرها للمرة الأولى في العهد القديم كموقع لحصن يبوسي فاحتل داود الحصن وسماه مدينة داود وإليها أتي بالتابوت فمنذئذ صارت الرابية مقدسة"[٤].

---

(١) الملل والنحل، ج١/٢٤٧.
(٢) آل عمران، ٦٤ .
(٣) آل عمران، ٧٠ .
(٤) قاموس الكتاب المقدس، ص ٥٥٨ .

جاء في سفر أخبار الأيام الأول: (وسار داود وجميع إسرائيل إلى أورشليم التي هي يبوس حيث كان اليبوسيون سكان الأرض، فقال سكان يبوس لداود إنك لاتدخل إلى ههنا، فأخذ داود حصن صهيون وهو مدينة داود)(١).

ومنهم من قال إنها كلمة عربية ، يقول الأستاذ أحمد عبدالغفور عطار: "وكلمة صهيون ليست عبرية الأصل، بل هي عربية من مادة الصون والتحصين العربية، وكانت صهيون حصناً من حصون العرب في الروابي العالية، فإذا جاءت الكلمة بالسين أو الزاي في العبرية فإنما كان نقلاً من الاسم العربي، وماأكثر مانقلت العبرية من العربية، وأحرف الصفير (الزاي والسين والصاد) في العربية ينوب بعضها عن بعض"(٢).

وأياً كان أصل الكلمة عبرياً أم عربياً فهي تعني رابية أو حصناً كان لليبوسيين أيام داود.

لكن بعد ذلك اتسع نطاق هذه الكلمة حتى أصبح يشمل المدينة كلها ومن ثم أصبح هذا الموقع مقدساً لدى اليهود حتى اعتقدوا أن الرب ساكن في هذا الجبل أو الرابية، جاء في نبوءة أشعيا: (هآءنذا والأبناء الذين أعطانيهم الرب آيات ومعجزات في إسرائيل من لدن رب الجنود الساكن في جبل صهيون)(٣).

---

(١) ١ أخ ١١: ٤ -٥ .

(٢) أحمد عبدالغفور عطار، عروبة فلسطين والقدس أصيلة منذ عشرات الآلاف من السنين، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م، ص ٣١.

(٣) أ ش ٨ : ١٨، وهذا النص يقودنا إلى التساؤل، هل يعتقد اليهود بحلول الإله أم بعلوه، ظاهر كثير من النصوص يدل على الحلول والظهور.
فقد ورد ذلك في [تك ١٨] حينما ظهر الإله لإبراهيم، وليعقوب [تك ٣٢]، وانه كان يسير أمامهم أثناء ارتحالهم من مصر [خر ١٣]، وأنه كان يحل في خيمة الاجتماع [خر٣٣]، ثم حل أخيراً في الهيكل بعد بنائه، كما في النص أعلاه، على أن هناك نصوص تدل على العلو . انظر: [تك ٥:١١]، [ضر١٩-٢٠]، وهذا التناقض إنما يدل على فساد عقيدة اليهود في الذات الإلهية .

وأيضاً جاء في سفر المزامير (أشيدوا للرب ساكن صهيون)[١].

وأيضاً (تبارك الرب من صهيون الساكن في أورشليم)[٢].

ثم تطور مدلول هذا اللفظ فلم يعد قاصراً على التعبير عن قداسة الجبل أو المدينة بل أصبح يدل على العودة إلى فلسطين، وذلك بعد السبي البابلي لليهود. جاء في المزامير (على أنهار بابل هناك جلسنا فبكينا عندما تذكرنا صهيون)[٣].

ومن ثم اتخذ هذا اللفظ دلالة دينية بوجوب العودة إلى فلسطين على كل يهودي، والصهيونيون " يعتبرون سيدنا موسى أول زعيم صهيوني حاول العودة باليهود إلى فلسطين وتحقيق الوعود التاريخية لولا أن خذله الشعب اليهودي"[٤].

وفي العصر الحاضر نشأت جمعيات يطلق عليها: أحباء صهيون أو عشاق صهيون وهذه الجمعيات يقول عنها الأستاذ عبدالوهاب المسيري: "أنها جمعيات صهيونية نشأت قبل تأسيس المنظمة الصهيونية العالمية"[٥]. مما يعني أنها كانت أقدم من الحركة الصهيونية السياسية التي تزعمها هرتزل[٦]، يقول الأستاذ عجاج نويهض: "هذه المنظمة عنيت بفلسطين قبل هرتزل بعدة عقود"[٧]. ويعود تاريخ هذه المنظمة أو الجماعة إلى أواخر القرن الماضي وكانت تدعو إلى "حب صهيون وتتخذ شعاراً لها إلى فلسطين لشراء الأراضي فيها والاستيطان هناك"[٨].

---

(١) مز ٩ : ١٢ .
(٢) مز ١٣٤ : ٢١ .
(٣) مز ١٣٦ : ١ .
(٤) الصهيونية بين الدين والسياسة، ص ٣٠.
(٥) عبدالوهاب المسيري، موسوعة المفاهيم الصهيونية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، ص٥٩.
(٦) هرتزل تيودور هرتزل، مؤسس الحركة الصهيونية ولد في المجر عام ١٨٦٠م، وتوفي عام ١٩٠٤م، وهو صاحب كتاب الدولة اليهودية وقد أصدره عام ١٨٩٦م، ودعا فيه إلى إقامة دولة لليهود.
(٧) عجاج نويهض،بروتوكولات حكماء صهيون،دارالاستقلال للنشر،الطبعة الأولى،١٩٩٦م،ص٦.
(٨) موسوعة المفاهيم الصهيونية، ص٥٩.

ولقد كان ظهورها أولاً في روسيا حيث كان معظم اليهود هناك يرغبون في الهجرة إلى فلسطين لأنه "بالإضافة إلى الإعتبارات الدينية التي كانت تربطهم بفلسطين –وهي اعتبارات يشترك فيها كافة اليهود – كانوا يعتقدون – كيهود شرقيين – أن المعيشة في فلسطين أكثر ملاءمة لهم من الحياة في دول غرب أوربا"[١].

ولقد شجعت الحكومة القيصرية الهجرة اليهودية إلى فلسطين فأوفدت "جمعية عشاق صهيون أول دفعة من المهاجرين إلى فلسطين وزودتهم بالمال اللازم لإقامة أول المستعمرات الزراعية قرب يافاحيث أطلقوا عليها اسم ((ريشون لـيزبون) أي رواد صهيون"[٢].

وقد مهدت هذه الحركة إلى قيام مايسمى بالصهيونية السياسية بزعامة تيودور هرتزل وذلك عام ١٨٩٧م.

فالصهيونية إذن هي: "حركة يهودية تسعى بكل الوسائل إلى إعادة مجد بني إسرائيل، وبناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى، والسيطرة على العالم، وحكمه من القدس على يد ملك اليهود الذي هو المسيح المنتظر"[٣].

ويذكر الأستاذ العقاد أن "الصهيونيين يعتقدون أنهم شعب ا لله المختار وأن دولة صهيون ستعود مرة أخرى على الأرض لتحكم العالم كله ويعود الأمر إلى شعب ا لله المختار فتخضع له جميع الشعوب"[٤].

---

(١) د. حسن صبري الخولي، سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين، مطابع دار المعارف، مصر، ١٩٧٣م، ص٢٣.

(٢) فتحي الرملي، الصهيونية أعلى مراحل الاستعمار، الطبعة الأولى، ١٩٥٦م، حقوق النشر والتوزيع لوكالة الصحافة الأفريقية، ص٤٦.

(٣) د. محمد كمال الدسوقي، عبدالتواب سليمان، الصهيونية والنازية، دراسة مقارنة، دار المعارف بمصر، ١٩٦٨م، ص٣.

(٤) عباس العقاد، الصهيونية وقضية فلسطين، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ص١٤٥.

وعلى إثر قيام الصهيونية السياسية بزعامة تيودور هرتزل عقد أول مؤتمر لها في سويسرا عام ١٨٩٧م حيث قرر المجتمعون آنذاك فيه مايلي :

"١- تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين .

٢- تنظيم يهود العالم في كل مدينة يوجد بها يهود وربطهم معاً.

٣- تقوية الشعور القومي اليهودي .

٤- اتخاذ الوسائل التي تكفل التوصل إلى موافقة حكومية على أهداف الصهيونية"(١).

ومن ثم قام هرتزل بعدة محاولات للسماح لليهود بالسكن في فلسطين كان من بينها محاولة عرض المساعدة المالية على السلطان عبدالحميد الثاني، الذي رفض هذا الأمر مما كان سبباً في انهيار الدولة العثمانية وسقوطها وتقسيم الأراضي العربية الإسلامية ومنها فلسطين بين بريطانيا وفرنسا ، حيث أصبحت فلسطين تحت الانتداب البريطاني ، لكن قبل ذلك كان مؤسس وأول رئيس للحركة الصهيونية هرتزل قد توفي عام ١٩٠٤م، وخلفه حاييم وايزمان(٢) الذي أكمل مابدأه سلفه حيث كان له الدور الكبير في استصدار قرار مَنْح اليهود وطناً قومياً في فلسطين عام ١٩١٧م وهو القرار المسمى بوعد بلفور(٣) – وزير خارجية بريطانيا آنذاك – وكان وايزمان آخر رئيس لهذه الحركة حيث أُعلن عن قيام دولة اليهود في فلسطين عام ١٩٤٨م.

---

(١) د. محمد بديع شريف، مدخل لدراسة مطامع اليهود في فلسطين قديماً وحديثاً، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٧٣م، ص١٢٠.

(٢) هو أول رئيس لدولة إسرائيل، وزعيم صهيوني وعالم كيمائي، وهو من أصل روسى ولد عام ١٨٦٤م وتوفي ١٩٥٢م.

(٣) بلفور: آرثرجيمس بلفور، وزير خارجية بريطانيا، وصاحب التصريح المشهور باسم تصريح بلفور، والذي يقضي بإعطاء فلسطين وطناً قومياً لليهود، ولد عام ١٨٤٨م – وتوفي عام ١٩٣٠م.

خاتمة المبحث :

١ – يبدأ تاريخ اليهود منذ أن بعث الله تعالى نبيه ورسوله موسى عليه السلام، داعياً إلى عبادته، ومخلصاً لهم من عبودية فرعون وتعذيبه إياهم .

٢ – أُطلق على اليهود مسمى العبرانيين، وذلك نسبة إلى العبور والتنقل من مكان لآخر، مما يدل على أنهم كانوا يعيشون حياة البداوة والارتحال، ويشترك معهم النصارى في هذا الإسم أيضاً .

٣ – اليهود نسبة إلى الهود وهو صفة للندم والتوبة والرجوع إلى الحق .

٤ – بنو إسرائيل هم أبناء يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام وقد كانوا جميعاً على دين الإسلام .

٥ – أطلق القرآن الكريم عليهم لفظ أهل الكتاب باعتبار أنهم أُنزل عليهم كتاب سماوي وهو التوراة .

٦ – يطلق عليهم أيضاً: الصهيونيون، نسبة إلى حصن صهيون الذي يمثل في نظرهم رمزاً دينياً، والذي اتخذ بعد ذلك شعاراً لحركة توجب العودة إلى فلسطين، والتى تسمى بالحركة الصهيونية والتي تسعى لتجميع اليهود في فلسطين .

المبحث الثاني

مصادرهم المقدسة

أولاً : العهد القديم .

ثانياً : التلمود .

ثالثاً : البروتوكولات.

أولاً: العهد القديم

تنقسم مصادر اليهود المقدسة إلى قسمين رئيسيين هما :

١- مصادر كتابية: وهي التوراة المعروفة باسم العهد القديم، ويطلق عليها أيضاً تناخ.

٢- مصادر شفوية: وهي روايات تناقلها الحاخامات من جيل لآخر، ويدعون أنها تعاليم شفوية منقولة عن موسى – عليه السلام –.

أولاً : المصادر الكتابية :

يراد بالمصادر الكتابية: مجموعة مؤلفة من عدة أسفار، يعتقد كل من اليهود والنصارى بقداستها، ويطلق عليها العهد القديم .

والعهد في اللغة : "الوصية والأمر، قال الله عز وجل: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي ءَادَمَ﴾[١] ... وجعل بعضهم العهد بمعنى: الموثق، والجمع: عهود، قال بعض المفسرين: العهد كل ماعوهد الله عليه، وكل مابين العباد من المواثيق فهو عهد"[٢].

جاء في قاموس الكتاب المقدس : " العهد: اتفاق بشكل ميثاق يعقد بين طرفين بناءً على رضاهما"[٣]، ويقول الدكتور علي وافي: "يراد بكلمة العهد مايرادف معنى الميثاق، أي ميثاقاً أخذه الله على الناس وارتبطوا به معه"[٤].

وأضيف إليه لفظ القديم حتى يتميز عن العهد الجديد للنصارى.

ويطلق على المصادر الكتابية أيضاً لفظ: تناخ:"وهو اختصار لثلاث كلمات عبرية هي: التوراه (أسفار موسى الخمسة)، ونبئيم (أسفار الأنبياء)، وكتوبيم (المزامير الأمثال- نشيد الإنشاد، وبقية أسفار الحكمة)، ويفضل اليهود استخدام اصطلاح التناخ على

---

(١) يس ، ٦٠ .

(٢) تاج العروس، ٨/٤٥٤-٤٥٥.

(٣) قاموس الكتاب المقدس، ص٦٤٣.

(٤) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ص ١٣.

عبارة العهد القديم لأن العبارة الأخيرة تفيد أن العهد الجديد قد أكمل كتاب اليهود المقدس وحل محله، أما اصطلاح تناخ فهو اصطلاح وصفي وحسب، وليس فيه أي اعتراف ضمني بقدم كتاب اليهود المقدس"(١).

عدد أسفار العهد القديم وأقسامه :

يبلغ عدد أسفار العهد القديم عند اليهود تسعة وثلاثون سفراً، يتابعهم على هذا العدد طائفة البروتستانت من النصارى.

وقد ورد هذا في دائرة المعارف الأمريكية حيث جاء فيها :

" يتكون العهد القديم – حسب عقيدة البروتستانت – من ٣٩ سفراً ... ويتكون من ثلاثة أجزاء هي :

١- الناموس: وهو يتكون من أسفار: التكوين – الخروج – اللاويون – العدد – التثنية.

٢- الأنبياء : وهو ينقسم إلى جزئين :

أ) الأنبياء السابقين ويتكون من أسفار: يشوع – القضاة – صموئيل (الأول والثاني) الملوك (الأول والثاني).

ب) الأنبياء المتأخرين ويتكون من أسفار: أشعياء –إرمياء–حزقيال– الإثنا عشر نبياً الأصاغر (هوشع – يوئيل – عاموس – عوبديا – يونان – ميخا – ناحوم – حبقوق – صفنيا – حجي – زكريا – ملاخي).

٣- الكتب : وهي تتكون من :

أ) المزامير – الأمثال –أيوب .

---

(١) موسوعة المفاهيم الصهيونية، ص١٤٣.

ب) راعوت– نشيد الإنشاد – الجامعة – مراثي إرمياء – أستير .

ج) دانيال – عزرا – نحميا – أخبار الأيام الأول والثاني"[(١)].

وقد تقسم إلى أربع مجموعات هي :

١– التوراة : وعدد أسفارها خمسة وهي: التكوين – الخروج – الأحبار – العدد– التثنية.

٢– الأسفار التاريخية : وعددها اثني عشر سفراً هي : يوشع بن نون، القضاة، راعوث، صموئيل الأول، صموئيل الثاني، الملوك الأول، الملوك الثاني، أخبار الأيام الأول، أخبار الأيام الثاني، عزرا، نحميا، أستير.

٣– الأسفار الشعرية: وعددها خمسة أسفار هي: سفر أيوب، مزامير داود، أمثال سليمان، الجامعة من كلام سليمان، نشيد الإنشاد لسليمان.

٤– أسفار الأنبياء، وعددها سبعة عشر سفراً هي: أشعياء، إرمياء، مراثي إرمياء، حزقيال، دانيال، هوشع، يوئيل، عاموس، عوبديا، يونان، ميخا، ناحوم، حبقوق، صفنيا، حجاي، زكريا.

أما عند المسيحيين الكاثوليك والأرثوذكس فعدد أسفار العهد القديم ستة وأربعون سفراً بزيادة سبعة أسفار هي طوبيا، يهوديت، الحكمة، يسوع بن سيراخ، باروخ، المكابيون الأول والثاني.

أما الملوك فعندهم أربعة الأول والثاني منهما يجيئان بدلاً عن سفري صموئيل الأول والثاني عند اليهود والبروتستانت، وتقسيمها عندهم إلى خمس مجموعات هي:

"١– أسفار موسى الخمسة التي تتضمن شريعته .

---

(١) نقلاً عن كتاب، فلسطين بين الحقائق والأباطيل، للمهندس/ أحمد عبدالوهاب، مكتبة وهبه، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ–١٩٧٢م، ص٢١–٢٢.

٢- أسفار تاريخية وعددها ١٦ وهي : يشوع – القضاة – راعوث – الملوك الأول والثاني والثالث والرابع – أخبار الأيام الأول – أخبار الأيام الثاني – عزرا– نحميا – طوبيا – أستير – يهوديت – المكابيون الأول والثاني .

٣- أسفار شعرية وعددها ستة وهي أيوب – المزامير – أسفار سليمان الثلاثة: الأمثال والجامعة ونشيد الأناشيد – مراثي إرميا.

٤- أسفار نبوية وعددها ١٧ وهي : أشعيا – إرميا – باروخ – حزقيال – دانيال – هوشع – يوئيل – عاموس – عوبديا – يونان – ميخا – ناحوم – حبقوق – صفنيا – حجي – زكريا – ملاخي .

٥- أسفار تعليمية وعددها اثنان هما : سفر الحكمة ويسوع بن سيراخ"[١].

النصوص التي دون بها نص التوراة :

تتعدد النصوص التي دون بها نص التوراة العبري " ففي القرن الثالث قبل الميلاد تقريباً كان هناك على الأقل ثلاث مدونات للنص العبري للتوراة"[٢] وهي:

١- نص مسوري : وهو " صيغة النص الرسمية التي قررت نهائياً في الدين اليهودي حوالي القرن العاشر بعد المسيح، حين ازدهر في طبرية أشهر المسُّوريين وكانوا ينتمون إلى عائلة ابن أشير، وأقدم مخطوط مسوّرى بين أيدينا نسخ فيما بين ٨٢٠-٨٥٠ بعد المسيح"[٣].

٢- " نص استخدم جزئياً على الأقل في الترجمة إلى اليونانية "[٤] وهي أول الترجمات

---

(١) أحمد شلبي، مقارنة الأديان، اليهودية – الطبعة الخامسة ١٩٧٨م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص ٢٣٩-٢٤٠.

(٢) موريس بوكاي، القرآن الكريم، والتوراة، والإنجيل والعلم، دار المعارف، ص١٨.

(٣) الكتاب المقدس، كتب الشريعة ، الرهبانية اليسوعية، ص ٥٢.

(٤) موريس بوكاي، ص١٨.

للعهد القديم " وهي الترجمة المعروفة بالسبعينية المنقولة من العبرانية إلى اليونانية في مصر سنة ٢٨٠ قبل الميلاد لفائدة اليهود الذين كانوا في مصر، وكانوا يتكلمون باللغة اليونانية، وذلك بأمر الملك بطليموس[١]، ويظن أنها سميت بذلك، لأن مترجميها كانوا سبعين شخصاً، أو لأن مجمع اليهود الكبير المنعقد لختم صحة هذه الترجمة كان مكوناً من اثنين وسبعين شخصاً"[٢].

٣- " والنص المعروف بالسامري – أو أسفار موسى الخمسة"[٣] والتي تعتقد بها فرقة السامرة من اليهود وترفض ماعداها من الأسفار التى يُقَرِّبها عامة اليهود "والأسفار الخمسة السامرية ليست ترجمة بل هي النص العبراني نفسه مكتوباً بالحروف السامرية أو العبرانية القديمة وهي تحوي بعض الإختلافات الطفيفة عن نص الماسوريين العبراني"[٤].

والترجمة السبعينية تزيد عن الأصل العبراني بكتب الأبوكريفا المحذوفة والتي لم يأخذ بها اليهود لعدم قانونيتها ويدللون على ذلك بالأسباب الآتية :

" ١- أنها ليست في التوراة العبرانية، إذ هي لم تكتب باللغة العبرانية التى هي لغة العهد القديم بل باللغة اليونانية، وقد أجمع اليهود على أن ملاخي هو آخر أنبياء العهد القديم، ولم يدع أحد منهم ألبتة قانونية أسفار أخرى بعد ذلك .

---

(١) بطليموس: جمعه بطالسة – وهو لقب خلفاء الاسكندر المقدوني في مصر، وبطليموس هذا هو: بطليموس الثاني الملقب فيلادلفوس (٢٨٥-٢٤٧ق.م) بن بطليموس الأول (سوتر)، وهذا الذي أسس مكتبة الاسكندرية المشهورة، وقيل إنه أول من أمر بالترجمة السبعينية، القاموس، ص١٧٩.

(٢) متى بهنام، مفاتيح كنوز الأسفار الإلهية، الطبعة الثانية، ١٩٦٧م، مكتبة الأخوة – مصر، المجلد الأول، ص١٦.

(٣) موريس بوكاي ، ص ١٨.

(٤) قاموس الكتاب المقدس، ص ٧٦٨ .

٢- مع أن الأبوكريفا كتبت قبل المسيح إلا أن الرب نفسه لم يشر إلى أي جزء من تلك الأسفار كما لم يشر إليها كاتب من كتبة العهد الجديد..

٣- إن اليهود الذين استؤمنوا على أقوال ا لله لم يقبلوا الأبوكريفا كجزء من الأسفار المقدسة.

٤- إن فيما تضمنته هذه الأسفار من تعاليم أدلة قاطعة على أنه لم يكتبها أناس ملهمون من ا لله ..."[1].

والآن بعد تعريف معنى العهد القديم، وأقسامه، فإنه من الضروري التعرف على سبب تسمية هذه الأسفار وعرض محتوياتها عرضاً موجزاً .

---

(١) مفاتيح كنوز الأسفار، ص ٢١.

أولاً : التــوراة :

مقدمــة :

أطلق على الكتاب الـذي أنزلـه ا لله تعـالى على نبيـه موسـى – عليـه السـلام – التوراة، يقول تعالى: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ﴾(١).

وقد أخبر سبحانه بأنه كان فيها هدى ونور، يقول تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّـوْرَاةَ فِيهَـا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾(٢).

وظلت التوراة كذلك مصدراً للدعوة إلى عبادة ا لله تعـالى وتوحيـده ونبـذ عبـادة ماسواه، وإلى الالتزام بالشرائع والحدود والأحكام حتى امتدت إليها يد التحريـف الـذي خبر ا لله تعالى عنه بقوله: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَـنْ مَوَاضِعِهِ ... الآيـة﴾(٣)، وقوله: ﴿فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾(٤)، وقوله: ﴿وَإِنَّ مِنْهُـمْ لَفَرِيقًـا يَلْـوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَـا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(٥).

تعريف التوراة :

لغةً : قال الفراء : "التوراة من الفعل: التفعلة، كأنها أخذت مـن أوريـت الزنـاد، ووريتّها، فتكون تفعلة في لغة طيء ...

---

(١) آل عمران، ٢–٣.

(٢) المائدة ، ٤٤ .

(٣) النساء، ٤٦ .

(٤) آل عمران، ٩٣ .

(٥) آل عمران، ٧٨ .

وقال أبوإسحاق في التوراة: قال البصريون: توراة أصلها: فوعلة، فالأصل عندهم: ووراة، ولكن الواو قلبت تاء"[١].

فعلى هذا تكون لفظة توراة عربية، ولها أصل اشتقاقي.

لكن ورد في دائرة المعارف أنها " لفظة عبرانية معناها: شريعة أو ناموس"[٢].

وقد ذكر الأستاذ عبدالوهاب المسيري " أن كلمة توراة قد تكون مشتقة من كلمة: تارا بمعني : يلقي بالقرعة لمعرفة مشيئة ا لله"[٣].

وجاء في الكتاب المقدس – كتب الشريعة: " الأسفار الأولى الخمسة من الكتاب المقدس تكون مايسمونه التوراة، والتوراة كلمة عبرية معناها : الشريعة"[٤].

والذي أراه أنها لفظة عبرية معربة، كما يقول الدكتور محمود بن الشريف " لأن لغة موسى كانت العبرانية فناسب أن يكون من لغته التي يفهمها قومه"[٥].

أما في الإصطلاح فهي : " ماأنزل ا لله على سيدنا موسى من الوحي ليبلغه قومه"[٦].

---

(١) الأزهري، تهذيب اللغة، دار الكاتب العربي ١٩٦٧م، ج١٥/٣٠٧-٣٠٨.

(٢) بطرس البستاني، دائرة المعارف، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ج٦/٢٦٤.

(٣) موسوعة المفاهيم الصهيونية، ص١٤٣.

(٤) الكتاب المقدس، كتب الشريعة – الرهبانية اليسوعية، ص ٥٩.

(٥) د. محمود بن الشريف، الأديان في القرآن، الطبعة الثالثة ١٩٧٩م، دار عكاظ للطباعة والنشر، ص١٣٥.

(٦) معجم ألفاظ القرآن الكريم، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٣٩٠هـ – ١٩٧٠م، ج١/١٧٠.

أسفار التوراة ومحتوياتها :

تتكون التوراة من خمسة أسفار هي :

١- التكوين : وعدد إصحاحاته خمسون إصحاحاً .

وهو أول أسفار التوراة المنسوبة لموسى – عليه السلام –، واسمه بالعبرية هو "برشيث، وهذه اللفظة مقتبسة من أول عبارة في هذا السفر = في البدء = أما العنوان المعطى لهذا السفر في الترجمات المتداولة : التكوين، فهو مأخوذ من الترجمة السبعينية ومعناه: المصدر، أي مصدر الوضع الحالي للسموات والأرض كما هي الآن"[١].

محتويات السفر : يشتمل السفر على "قصة خلق العالم، وخلق الإنسان الأول ويشمل السفر بالإضافة إلى هذا قصة الخطيئة التي ارتكبها أبو البشر، ونزوله إلى الأرض عقاباً له، ثم حياة أولاده وماجرى بينهم، فقصة الطوفان، ونشأة الشعوب بعده، قصة إبراهيم وتجواله ونسله إلى إسحاق ويعقوب أولاد يعقوب وبخاصة يوسف، وماجرى له إلى أن أصبح ذا شأن كبير بمصر واستدعى إليه أباه وإخوته، وبموت يوسف ينتهي هذا السفر"[٢].

٢- الخروج: عدد إصحاحاته أربعون إصحاحاً:

وهو ثاني أسفار هذه المجموعة، "واسم هذا السفر في الأصل العبري " واله شيموت" أي: وهذه أسماء، أما معنى اسمه في الترجمة السبعينية اليونانية وفي معظم الترجمات الأخرى فهو الخروج"[٣].

---

(١) مفاتيح كنوز الأسفار الإلهية، ص٣٠-٣١.

(٢) اليهودية لأحمد شلبي، ص٢٤١.

(٣) قاموس الكتاب المقدس، ص٣٣٩ .

محتويات السفر: " يحوي هذا السفر قصة بني إسرائيل بعد يوسف، وماعانوه من الفراعنة وظهور موسى وخروجه بهم من مصر، ويستمر هذا السفر في قص تاريخ بنى إسرائيل حتى يصل بهم إلى شرق الأردن، وفي هذا السفر الوصايا العشر التي أعطاها ا لله لموسى، وبه كذلك كثير من المسائل التشريعية، والتعاليم الدينية الخاصة بيهوه إله بنى إسرائيل، ومنها وصف خيمة الإجتماع وتابوت العهد، وماحدث من بنى إسرائيل في غيبة موسى"[١].

٣- اللاويون : عدد إصحاحاته سبعة وعشرون إصحاحاً :

وهو ثالث أسفار التوراة المنسوبة لموسى، " واسمه في العبرانية ويقرا، أي: ودعا... وهما أول ألفاظ هذا السفر"[٢].

وهذا السفر يحتوي: "كثيراً من التشريعات والوصايا والأحكام، مثل كفارات الذنوب، والأطعمة المحرمة، والأنكحة المحرمة، ومثل الطقوس والأعياد والنذور والطهارة، كما يحتوي كثيراً من الأمور المتصلة بالعادات والأوامر الدينية التى يستحق من اتبعها الثواب ومن خالفها العذاب"[٣].

٤- العدد : عدد إصحاحاته ست وثلاثون إصحاحاً :

وهو رابع أسفار هذه المجموعة، واسم هذا السفر في العبرانية : "بمدبر: أي في برية، وجاءت هذه العبارة في العبرانية بعد الكلمة الرابعة من أول السفر والكلمة الأولى والثانية في أوله: ويدبر أي وكلم"[٤].

---

(١) أحمد شلبي، ص٢٤١.

(٢) السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، مجمع الكنائس في الشرق الأدني، بيروت، ١٩٧٣م، ٢/٣.

(٣) أحمد شلبي، ص٢٤٢.

(٤) السنن القويم، ج١/١.

محتويات السفر : هذا السفر " حافل بالعد والتقسيم لأسباط بني إسرائيل، وبه ترتيب لمنازلهم حسب أسباطهم وإحصاء للذكور منهم، وبجوار هذا العد، يحتوي هذا السفر، على سيرة بني إسرائيل في برية سيناء ومابعدها، فهو بذلك استمرار لما ورد في سفر الخروج وفيه كثير من التنظيمات والتعاليم الطقسية والكهنوتية والإجتماعية والمدنية، وبه كذلك حديث عن حروب بني إسرائيل ضد المدينيين"[١].

٥- التثنية : وعدد إصحاحاته أربعة وثلاثون إصحاحاً، وهو السفر الخامس والأخير ضمن هذه المجموعة، "واسم سفر التثنية: اله هدبريم، أي هذا هو الكلام"[٢].

محتوياته : " في هذا السفر عرضت الوصايا العشر عرضاً جديداً، كما أعيد الكلام عن الأطعمة الحلال والحرام، وعن نظام القضاء والملك عند بني إسرائيل، وتحدث هذا السفر عن الكهنة والنبوة، كما تحدث عن انتخاب يشوع بن نون خلفاً لموسى، وينتهي السفر بخبر وفاة موسى ودفنه في جبال مؤاب"[٣].

وبعد هذا العرض الموجز لمحتويات الأسفار الخمسة، لابد من التساؤل: هل هذه الأسفار الخمسة (التكوين، الخروج، اللاويون، العدد، التثنية) هي حقاً توراة موسى – عليه الصلاة والسلام –، بمعنى هل أوحى ا لله تعالى بها عليه؟ يجمع اليهود على أن موسى هو كاتب هذه الأسفار ويؤيدون قولهم بما ورد فيها من نصوص تدل على ذلك مثل: (وكتب موسى مخارجهم برحلاتهم حسب قول الرب)[٤]، ومثل (وكتب موسى هذه التوراه)[٥]، وغيرها من النصوص.

---

(١) أحمد شلبي، ص ٢٤٢.

(٢) السنن القويم، ج١/١.

(٣) أحمد شلبي، ص٢٤٣.

(٤) عد ٣٣ : ٢ .

(٥) تث ٣١ : ٩ .

إن أي كتاب سماوي لكي تصح نسبته إلى الوحي الإلهي لابد له من توافر عوامل ودلائل لصحة سنده، وسلامة متنه، فهل توافرت هذه الدلائل للتوراة؟ هذا ماسيتضح عند الحديث عن سند التوراة .

سند التوراة :

أمر موسى – عليه السلام – أبناء هارون من بني لاوي بحفظ التوراة في تابوت العهد وقراءتها على الشعب، جاء في سفر التثنية (ولما فرغ موسى من رقم كلام هذه التوراة في سفر بتمامها، أمر موسى اللاويين حاملي تابوت عهد الرب وقال لهم: خذوا سفر هذه التوراة واجعلوه إلى جانب تابوت عهد الرب إلهكم فيكون ثم عليكم شاهداً)[1].

كما أمر موسى أن تخرج كل سبع سنوات في ميعاد سنة الإبراء في عيد المظال[2] حينما يجتمع بنو إسرائيل لتقرأ عليهم جاء في سفر التثنية (وأمرهم موسى قائلاً: في نهاية السبع سنين في ميعاد سنة الإبراء في عيد المظال حينما يأتي جميع إسرائيل ليتمثلوا لدى الرب إلهك في الموضع الذي يختاره تنادي عليهم بهذه التوراة على مسمع من جميع إسرائيل)[3].

وبقي بنو إسرائيل على هذه الحال، تقرأ عليهم التوراة كل سبع سنين مرة من قبل أبناء هارون، ولم يكن عامة الشعب يحفظها أو يتعلمها، وبقيت التوراة محفوظة عند بني هارون مدة من الزمن بعد وفاة موسى عليه السلام ، يقول ابن حزم –رحمه الله تعالى– :

---

(١) تث ٣١ : ٢٤-٢٧.

(٢) عيد المظال: بالعبرية عيد السوكوت، ويبدأ في الخامس عشر من شهر تشري اليهودي (أكتوبر)، ومدته سبعة أيام ومناسبته التاريخية هي إحياء ذكرى خيمة السعف التى آوت بنى إسرائيل في العراء بعد الهجرة، فهي تذكرهم بأيام التيه، موسوعة المفاهيم الصهيونية، ص٢٧٧.

(٣) تث ٣١ : ١٠-١١.

" دخل بنو إسرائيل الأردن وفلسطين والغور مع يوشع بن نون مدبر أمرهم عليه السلام إثر موت موسى عليه السلام ومع يوشع العازار بن هارون عليه السلام، صاحب السرادق بما فيه، وعنده التوراة لاعند أحد غيره بإقرارهم، فدبر يوشع عليه السلام أمرهم في استقامة وألزمهم للدين إحدى وثلاثين سنة مذ مات موسى عليه السلام إلى أن مات يوشع، ثم دبرهم فينحاس بن العازار بن هارون[١]، وهو صاحب السرادق، والكُوهِن الأكبر[٢]، والتوراة عنده لاعند أحد غيره خمساً وعشرين سنة في استقامة والتزام للدين، ثم مات ... ...

فلما انقضت المدة المذكورة لفينحاس بن ألعازار كفر بنو إسرائيل وارتدوا كلهم وعبدوا الأوثان علانية"[٣] وهذا مانص عليه سفر القضاه حيث ورد فيه: (وكل ذلك الجيل انضموا أيضاً إلى آبائهم ونشأ من بعدهم جيل آخر لايعرف الرب ولاماصنع لإسرائيل، ففعل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب وعبدوا البعليم)[٤].

---

(١) فينحاس : اسم مصري معناه " النوبي"، وهو ابن العازار وحفيد هارون، وقد بقي الكهنوت في أسرته حتى خراب الهيكل سنة ٧٠م. انظر عنه القاموس: ٧٠٥.

(٢) كلمة الكاهن أو الكوهن كما أوردها -ابن حزم- لاتعني الكهانة بمعناها المعروف لدى المسلمين، إنما بمعنى: الإمام والمصلح الديني، ولذلك جاء في التوراة السامرية التي ترجمها أبوإسحاق الصوري من العبرية إلى العربية عند حديثها عن يثرون حمي موسى، قالت: [ولإمام مديان سبع بنات] خر ٢ :١٦؛ وأيضاً [وموسى كان راعي غنم يثرو حميه إمام مدين] خر ٣ : ١. أمَّا في النسخ الأخرى فقد جاءت كلمة كاهن بدل إمام، وعلى هذا فالكلمة بهذا المعنى إنما يراد بها : إمام قومه، انظر ايضاً: هداية الحيارى لابن القيم، ص١٠٩؛ وبذل المجهود، للسموءل بن يحي، ص١٢٥ .

(٣) ابن حزم، الفصل والملل والأهواء والنحل ، دار الجيل، بيروت، ج١/٢٨٧-٢٨٨، وقضية كفر بني إسرائيل وارتدادهم عن الدين كلهم، كما أوردها -ابن حزم- تحتاج إلى تفصيل، فمعلوم أن بني إسرائيل لم تفارقهم المعاصي والذنوب في حياتهم، وقد كفروا حتى على وقت موسى -عليه السلام- بعبادتهم العجل، وفي عهد القضاة ازداد كفرهم وإعراضهم، ولكن هذا لاينفي وجود قلة مؤمنة من بينهم .

(٤) قض ٢: ١٠-١١. والبعليم، جمع بعل، بمعنى: الرب أو السيد، وهو اسم إله كان يعبده الكنعانيون.

حينئذ أسلمهم ا لله تعالى إلى أعدائهم فملكهم كوشان رشعتائيم[١] ملك آرام[٢] مدة ثماني سنين كانوا فيها على الكفر، جاء في سفر القضاه مايلي: (فاشتد غضب الرب على إسرائيل وباعهم إلى يد كوشان رشعتائيم ملك آرام النهرين وتعبد بنوإسرائيل لكوشان رشعتائيم ثماني سنين)[٣]، فقام عليهم قاضياً : عتنيئيل[٤] بن قناز بن يفنة بن أخي كالب[٥] بن يفنه، ودبر أمرهم وخلصهم من يد كوشان، ورد في سفر القضاه (واستراحت الأرض أربعين سنة، وتوفي عتنيئيل بن قناز، فعاد بنو إسرائيل إلى عمل الشر في عيني الرب فقوى الرب عجلون ملك موآب على إسرائيل)[٦].

وهكذا فقد بقوا على الإيمان أربعين سنة وهي مدة بقاء عتنيئيل حتى مات فعادوا مرة أخرى للكفر، فملكهم عِجْلون[٧] ملك موآب وذلك مدة ثماني عشرة سنة على

---

(١) كوشان رشعتائيم: اسم سامي، ربما كان معناه "كوشان ذو الشرين"، وهو ملك آرام النهرين. القاموس، ٧٩٩.

(٢) آرام : آرام النهرين وهما دجلة والفرات وكان فدان آرام يقع في هذا الإقليم وقد سكن ناحوربن تارح ونسله في مدينة حاران في فدان آرام. القاموس، ص٤٣.

(٣) قض ٣ : ٨-٩.

(٤) عتنيئيل : اسم عبري معناه " ا لله قوة" وهو ابن قناز أخو كالب الأصغر، وقد أقامه ا لله مخلصاً لبني إسرائيل من كوشان رشعتائيم إذ كان عليه روح الرب فقض لبنى إسرائيل وخرج لحرب الآراميين وأراح الأرض منهم أربعين سنة. القاموس، ص٦٠١.

(٥) كالب بن يفنه : اسم عبري معناه " كلب" وهو اسم لكالب بن يفنة القنزي كان رأساً لبيت أحد آباء سبط يهوذا وهو أحد الجواسيس الاثنى عشر الذين أرسلهم موسى ليتجسسوا على أرض كنعان، وواحد من الاثنين اللذين بقيا أمينين ليهوه منهم في حملة الإستيلاء على أرض كنعان. انظر القاموس، ص٧٥٨.

(٦) قض ٣ : ١١-١٢.

(٧) عِجْلون: اسم موآبي، معناه " مثل العجل"، وهو ملك موآب، احتل أريحا ثماني عشرة سنة، وقد كان رجلاً بديناً جداً. انظر عنه القاموس، ص٦٠٨.

الكفر، ورد في سفر القضاة مايلي: (فعاد بنو إسرائيل إلى عمل الشر في عيني الرب فقوى الرب عجلون ملك موآب على إسرائيل)[١] فقام عليهم قاضياً أهود بن جيرا البنياميني[٢]، فخلصهم من ملك موآب، وبقي بنو إسرائيل على الإيمان مدة قيل إنها ثمانون سنة، ورد في القضاة: (فذل الموآبيون تحت أيدي إسرائيل في ذلك اليوم واستراحت الأرض ثمانين سنة)[٣].

وقام من بعده شمجر بن عنات[٤] وقاتل الفلسطينيين، ورد في سفر القضاة: (وقام من بعده شمجر بن عنات فقتل من أهل فلسطين ست مئة رجلٍ بمنساس البقر وخلص هو أيضاً إسرائيل)[٥]، ثم إن بني إسرائيل عادوا بعد ذلك إلى الكفر ورد في سفر القضاة: (وعاد بنو إسرائيل فصنعوا الشر في عيني الرب بعد موت أهود فباعهم الرب إلى يد يابين[٦] ملك كنعان الذي كان ملكاً بحاصور[٧])[٨]، وبقوا متعبدين له عشرين سنة على الكفر، حتى دبرتهم دبورة النبية[٩]، فاستأصلوا ملك كنعان، وبقوا على الإيمان أربعين سنة، ثم عادوا للكفر مرة أخرى، جاء في سفر القضاة: (وصنع بنو إسرائيل الشر في

---

(١) قض ٣ : ١٢ .

(٢) أهود بن جيرا:اسم عبري وهو اختصار لاسم "أبيهود"، من سبط بنيامين كان قاضياً لبني إسرائيل وكان أعسراً، وقاد شعبه للنصر على الموآبيين، انظر القاموس، ص١٢٧-١٢٨.

(٣) قض ٣ : ٣٠ .

(٤) شمجر بن عنات: اسم من أصل حوري، ومعناه " الإله شميك أعطى، قاضٍ من قضاة إسرائيل. انظر عنه القاموس، ص٥١٨.

(٥) قض ٣ : ٣١ .

(٦) يابين: اسم كنعاني معناه "الله يراقب"، كان ملكاً لحاصور، وعلى جانب عظيم من القوة والغنى، انظر القاموس، ص١٠٤٤.

(٧) حاصور: اسم عبري معناه "حظيرة" وهي عاصمة الكنعانيين في شمال فلسطين، وربما تقع مكانها اليوم الجابرية، قرب بئر الحاضر، على نحو ٩ أميال جنوب شرق العوجة. القاموس، ص٢٨٣.

(٨) قض ٤ : ١ - ٢ .

(٩) دبورة:اسم عبرى معناه "نحلة"، وهي نبية كانت زوجة لفيدوت، وتقيم تحت شجرة نخيل سميت باسمها تقع بين الرامة وبيت إيل،وهناك كانت تقضي،انظر عنها القاموس، ص٣٦٨.

عيني الرب فدفعهم إلى أيدى مدين سبع سنين)[١]،فقام عليهم قاضياً جدعون بن يوآش[٢]،حيث خلصهم من أيدي المديانيين، ورد في سفر القضاة : (وذل مدين أمام بني إسرائيل ولم يعودوا يرفعون رؤوسهم واستراحت الأرض أربعين سنة أيام جدعون)[٣]. ثم جاء بعده إبنه أبيملك[٤]، ورد في سفر القضاة: (وملك أبيملك على إسرائيل ثلاث سنين)[٥]، ثم قام من بعده تولع بن فوأة[٦] من يساكر، فتولى قضاء إسرائيل ثلاثاً وعشرين سنة، وقام من بعده يائير الجلعادي[٧]، فتولى القضاء اثنتين وعشرين سنة، ثم عاد بنو إسرائيل للردة مرة أخرى، ورد في سفر القضاة مايلي: (عاد بنو إسرائيل فصنعوا الشر في عيني الرب وعبدوا البعليم والعشتاروت وآلهة آرام وآلهة صيدون وآلهة موآب وآلهة بني عمون وآلهة الفلسطينيين وتركوا الرب ولم يعبدوه)[٨] فلسط ا لله عليهم الفلسطينيين وبني عمون، وبقوا على ذلك مدة ثماني عشرة سنة فقام عليهم قاضياً يفتاح الجلعادي[٩]، جاء في سفر القضاة (وتولى يفتاح القضاء على بني إسرائيل ست سنين ومات يفتاح الجلعادي ودفن في إحدى مدن جلعاد)[١٠].

(١) قض ٦ : ١ .
(٢) جدعون بن يوآش: اسم عبري معناه "حاطب" أو "قاطع بشدة"، وهو ابن يوآش الأبيعزري، انظر القاموس، ص٢٥٢.
(٣) قض ٨ : ٢٨ .
(٤) أبيملك: اسم عبري معناه "أبوملك" أو "الأب ملك"، وهو ابن جدعون بن يوآش. انظر القاموس، ص٢٣.
(٥) قض ٩ : ٢٢ .
(٦) تولع بن فوأة : هو أحد قضاة بنى إسرائيل خلفاً لأبيملك، قض ٢٣ سنة. انظر القاموس، ص٢٢٦.
(٧) يائير الجلعادي : اسم عبري معناه "ينير" كان قاضياً لبني إسرائيل ٢٢ سنة، انظر القاموس، ص١٠٤١.
(٨) قض ١٠ : ٦ .
(٩) يفتاح الجلعادي: إسم عبري معناه "يفتح"، وقد حاول تسوية النزاع بينه وبين بني عمون بالطرق السلمية ولما اتضح له عدم نجاحها شن عليهم الحرب وانتهت بظفره وهزيمة بني عمون. القاموس، ص١٠٧٨.
(١٠) قض ١٢ : ٧ .

وهكذا بقوا على الإيمان ست سنين، وتولى بعده إبصان[١]، ثم أيلون الزبولوني[٢]، ثم عبدون بن هليل الفرعتوني[٣]، ثم ارتدوا مرة أخرى، جاء في سفر القضاة (عاد بنو إسرائيل فعملوا الشر في عيني الرب فدفعهم الرب إلى أيدي الفلسطينيين أربعين سنة)[٤]، ثم قام عليهم شمشون[٥] عشرين سنة، وبقوا على ذلك حتى آخر قاضٍ عليهم وهو صموئيل[٦]، وأول ملك وهو شاول بن قيس.

يقول ابن حزم رحمه الله : "فاعلموا الآن أنه كان مذ دخلوا الأرض المقدسة إثر موت موسى عليه السلام إلى ولاية أول ملك لهم وهو شاول المذكور سبع ردات فارقوا فيها الإيمان وأعلنوا عبادة الأصنام .

فأولها : بقوا فيها ثمانية أعوام، والثانية: ثمانية عشر عاماً، والثالثة: عشرين عاماً، والرابعة: سبعة أعوام، والخامسة: ثلاثة أعوام وربما أكثر، والسادسة: ثمانية عشر عاماً، والسابعة:أربعين عاماً، فتأملوا: أي كتاب يبقى مع تمادي الكفر، ورفض الإيمان هذه المدد الطوال في بلد صغير مقدار ثلاثة أيام في مثلها فقط، ليس على دينهم واتباع كتابهم أحد على ظهر الأرض غيرهم"[٧].

---

(١) إبصان:هو أحد قضاة إسرائيل والعاشر في عددهم وقضى لشعبه سبع سنين.القاموس، ص١٤.

(٢) أيلون الزبولوني: اسم عبري معناه: "مكان الأيائل"، وهو أحد قضاة إسرائيل ، انظر القاموس، ص١٤٦.

(٣) عبدون الفرعتوني: إسم عبري معناه " المستعبد"، وهو ابن هليل من أفرايم وقض لبني إسرائيل ثماني سنين. انظر القاموس، ص٥٩٦.

(٤) قض ١٣ : ١ .

(٥) شمشون: اسم عبري معناه " شمس"، وهو ابن منوح وكان قاضياً لبني إسرائيل مدة عشرين سنة، وقد عرف بقوته العجيبة، انظر قصته سفر القضاة، الاصحاحات ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، وانظر: القاموس، ص٥٢٠.

(٦) صموئيل: اسم عبري معناه "اسم الله"، هو أول أنبياء العبرانيين بعد موسى وآخر القضاة وكان أبوه القانه لاوياً وينتسب إلى صوفاي وإلى عشيرة قهات، انظر عنه سفري الملوك الأول والثاني، والقاموس، ص٥٥٢.

(٧) الفصل، ج١/٢٩٠.

ومع كل هذا الذي حصل لبني إسرائيل من ارتدادهم عن الإيمان وتسلط أعدائهم عليهم مما ينبئ بعدم حفظها لافي الصدور ولافي السطور فإن الذي حصل في زمن سليمان ليؤكد على أنها قد ضاعت واختفت ولم يعد لها أثر .فقد فتح التابوت لإخراج التوراة وقراءتها على الشعب فلم يجدها.

جاء في سفر الملوك الثالث: (ولم يكن في التابوت إلا لوحا الحجر اللذان وضعهما فيه موسى في حوريب حيث عاهد الرب بني إسرائيل عند خروجهم من أرض مصر)[١].

إذن هذه هي توراة موسى التي يدعي اليهود نسبتها إليه وأنه هو الذي كتبها قد ظهر أنها ضاعت واختفت، والذي عليه واقع حال بني إسرائيل منذ دخولهم أرض فلسطين ليؤكد أنها قد اختفت قبل هذا التاريخ بفترة طويلة وذلك أثناء حروبهم المتعددة مع أهل البلاد الأصليين، وتَسَلُّط هؤلاء عليهم في كثير من الأحيان كما مر قبل قليل.

إدعاء حلقياً[٢] وجود التوراة :

فُقِدتْ التوراة، واكتُشِف هذا الأمر كما عرضته الأسفار في عهد سليمان، وبعد موته وإنقسام المملكة إلى قسمين أحدهما في الشمال ويدعى: مملكة إسرائيل وأول ملك عليها: يربعام بن ناباط[٣]، والأخرى في الجنوب، وتدعى مملكة يهوذا ، وأول ملوكها رحبعام بن سليمان[٤]، وقد تتبعت أسفار الملوك، أحوال هاتين المملكتين، جاء في سفر الملوك الثالث (وصنع يهوذا الشر في عيني الرب)[٥]، وحصل أن صارت حرب بين مملكة

---

(١) ٣ مل ٨ : ٩ .

(٢) حلقيا : اسم عبري معناه: "يهوه قسمي أو نصيبي"، وهو رئيس الكهنة المعاصر ليوشيا بن آمون، القاموس، ص٣١٤.

(٣) يربعام بن ناباط: يربعام اسم عبري معناه: "يكثر الشعب"، من سبط أفرايم وهو الملك الأول للمملكة الشمالية بعد انقسام مملكة اليهود، وقد ملك حوالي ربع قرن، انظر القاموس، من ص ١٠٥٩-١٠٦٠.

(٤) رحبعام بن سليمان:ومعنى اسم رحبعام:"اتسع الشعب"وهو ابن سليمان من نعمة العمونية، وقد ملك حوالي سبع عشرة سنة،ومات حوالي٩١٥ق.م .انظرالقاموس، ص٤٠٠-٤٠١.

(٥) ٣ مل ١٤: ٢٢ .

يهوذا وملك مصر، جاء في سفر الملوك الثالث (ولما كانت السنة الخامسة للملك رحبعام صعد شيشاق[١] ملك مصر على أورشليم فانتهب مافي خزائن بيت الرب وخزائن دار الملك وأخذ الجميع)[٢]، ومات رحبعام كافراً وولي بعده ابنه أبيام[٣] والذي لم يكن بأحسن حالاً من أبيه، جاء في سفر الملوك الثالث عنه (وجرى على جميع خطايا أبيه التي عملها قبله ولم يكن قلبه مخلصاً للرب إلهه كقلب داود أبيه)[٤].

يقول ابن حزم : "فبقي على الكفر هو وجنده ورعيته، وعلى عبادة الأوثان علانية، وكانت ولايته ست سنين ويقولون: قتل من الأسباط العشرة في حروبه معهم خمسمائة ألف إنسان"[٥] وبعد موته تولى ابنه آسا[٦] بن أبيام، وجاء عنه في سفر الملوك الثالث: (وصنع آسا ماهو قويم في عيني الرب)[٧].ثم تولى بعده ابنه يوشافاط[٨] بن آسا، الذي كان على طريق أبيه، جاء عنه في سفر الملوك الثالث: (وسار في جميع طرق أبيه آسا ولم يحد عنها وصنع ماهو قويم في عيني الرب)[٩]. ثم جاء ابنه يورام[١٠] بن يهوشافاط،

---

(١) شيشاق : هو أول ملوك الأسرة ٢٢ من ملوك مصر، وفي السنة الخامسة لحكم رحبعام زحف إلى اليهودية ونهب الهيكل. انظر القاموس، ص ٥٣٣ .

(٢) ٣ مل ١٤ : ٢٥-٢٦ .

(٣) أبيام: اسم عبري معناه "أبواليم"، وهو ابن رحبعام الذي خلف أباه على العرش، القاموس،ص٢٠.

(٤) ٣ مل ١٥ : ٣ .

(٥) ابن حزم، ٢٩١/١.

(٦) آسا : اسم عبري معناه "الآسي" أي الطبيب، وهو من ملوك يهوذا حكم من سنة ٩١٢ إلى ٨٧١ق.م، انظر عنه القاموس، ص٤.

(٧) ٣ مل ١٥ : ١١ .

(٨) يوشافاط: اسم عبري معناه: "يهوه قض" وهو رابع ملوك يهوذا ملك مدة ٢٥ سنة. انظر القاموس، ص١٠٩٤.

(٩) ٣ مل ٢٢: ٤٢.

(١٠) يورام بن يهوشافاط ، اسم عبري معناه: "يهوه مرتفع"، وقد ملك يهوذا سبع سنين. انظر عنه القاموس، ص١٠٩٣.

يقول ابن حزم:"ولم نجد في سيرته ودينه إلا أنه كان مؤلفاً لعبادة الأوثان من ملوك سائر الأسباط"[(١)]. وقد ورد عنه في سفر الملوك الرابع: (وسار في طريق ملوك إسرائيل على حسب ماصنع بيت آحاب لأنه كان متزوجاً بابنة آحاب وصنع الشر في عيني الرب)[(٢)]، ثم ولي ابنه أحزيا[(٣)] بن يورام وكان على طريقة أبيه، جاء في سفر الملوك الرابع: (وسار في طريق بيت آحاب وصنع الشر في عيني الرب)[(٤)]، ثم وليت أمه واسمها عتليا[(٥)] وذلك بعد موت ابنها ثم قتلت، وولي ابن ابنها يوآش[(٦)] بن أحزيا، جاء في سفر الملوك الرابع (وعمل يوآش ماهو قويم في عيني الرب)[(٧)]، لكنه بعد ذلك ارتد وأعلن الكفر ، جاء في سفر الأخبار الثاني: (فتركوا الرب إله آبائهم وعبدوا العشتاروت والأصنام فكان غضب على يهوذا وأورشليم لأجل معصيتهم هذه)[(٨)].

وقتل في عهده وبأمره نبي من أنبيائهم هو زكريا بن يوياداع[(٩)]، وبعد موته جاء ابنه أمصيا بن يوآش[(١٠)]، وفي أيامه أغار ملك الأسباط العشرة على مملكة يهوذا، ورد في

---

(١) ابن حزم، ٢٩٢/١.
(٢) ٤ مل ٨ : ١٨ .
(٣) أحزيا بن يورام : اسم عبري معناه: "الرب يمسك، أو الرب يسند"، هو الملك السادس من ملوك يهوذا، وكانت أمه عتليا بنت آحاب ملك إسرائيل ، القاموس، ص٣١.
(٤) ٤ مل ٨ : ٢٧.
(٥) عتليا: اسم عبري معناه: "يهوه مرتفع" وهي زوجة يورام ملك يهوذا وابنة آحاب وقد قتلت جميع أبناء ابنها بعد مقتله ماعدا يوآش الذي أخفته عمته يهوشبع وقد قتلها الشعب، القاموس، ص٦٠١.
(٦) يوآش بن أحزيا: اسم عبري معناه "يهوه منح"، وهو الملك الثامن من ملوك يهوذا وقد أخفته عمته يهوشبع زوجة رئيس الكهنة يوياداع، وذلك حينما دبرت جدته عتليا مكيدة لقتله مع بقية ذرية الملك، وكان عمره سنة واحدة وبقي في غرفة الهيكل ست سنين، انظر: القاموس، ص١١٠١.
(٧) ٤ مل ١٢: ٢ .
(٨) ٢ أخ ٢٤: ١٨.
(٩) زكريا بن يوياداع: زكريا اسم عبري معناه: "يهوه قد زكر"، وقد كان كاهناً للرب في أيام أحزيا ويوآش، انظر عنه القاموس، ص٤٢٨.
(١٠) أمصيا بن يوآش: أمصيا: اسم عبري معناه : "يهوه قوي"، وهو أحد ملوك يهوذا وقد حكم مدة ٢٩ عاماً من سنة ٧٧١-٧٩٩ ق.م ، القاموس، ص١١٦.

سفر الملوك الرابع: (وأخذ جميع الذهب والفضة وجميع الآنية التي وجدت في بيت الرب وفي خزائن بيت الملك)[١]. وقد قتل أمصيا أيضاً فتولى بعده ابنه عزريا[٢]، وكان على الكفر أيضاً ورد في سفر أخبار الأيام الثاني: (ولما تمكن طمح قلبه للفساد وتعدى على الرب إلهه ودخل هيكل الرب ليقتر على مذبح البخور)[٣]، ثم جاء ابنه يوتام[٤] ثم ابنه آحاز[٥]، وكان على طريقة من سبقه، ورد في سفر الملوك الرابع: (ولم يصنع القويم في عيني الرب إلهه مثل داود أبيه بل جرى على طريق ملوك إسرائيل)[٦]، وجاء ابنه حِزْقِّيا[٧] الذي كان أفضل من سابقه، جاء في سفر الملوك الرابع أنه: (صنع القويم في عيني الرب كجميع ماصنع داود أبوه)[٨]، وفي السنة الرابعة عشر للملك حزقيا أغار عليهم سنحاريب[٩] ملك آشور، وأدى إليه حزقيا جميع الفضة التي وجدت في بيت الرب وفي خزائن الملك، ثم جاء بعده ابنه منسىّ[١٠] الذي أعلن العصيان وتمرد على عبادة الرب، ورد في سفر الملوك الرابع عنه: (وصنع الشر في عيني الرب على حسب رجاسات الأمم الذين طردهم الرب من وجه بني إسرائيل)[١١].ثم ولي ابنه

---

(١) ٤ مل ١٤: ١٤ .

(٢) عزريا : اسم عبري معناه: "من أعانه يهوه"، وهو من ملوك يهوذا لمدة ٥٢ سنة، وهو الذي بنى مدينة أيلة على البحر الأحمر . انظر القاموس، ص ٦٢٢.

(٣) ٢ أخ ٢٦: ١٦.

(٤) يوتام: ملك من ملوك يهوذا، ومعنى يوتام: "يهوه تام". انظر عنه القاموس، ص ١١٠٥.

(٥) آحاز: اسم عبري معناه: "هو أمسك" أي الرب أمسك، وهو الحادى عشر من ملوك يهوذا، القاموس، ص ٢.

(٦) ٤ مل ١٦: ٢-٣.

(٧) حزقيا: اسم عبري معناه الرب "قد قوى"، انظر عنه القاموس الصفحات ٣٠٥-٣٠٦.

(٨) ٤ مل ٨ : ٣.

(٩) سنحاريب: اسم أكادي معناه:"الإله القمر زاد عدد الأخوة" وهو ملك آشور تولى الملك بعد والده سرجون وذلك خلال الفترة (٧٠٤-٦٨٢ق.م) انظر عنه القاموس، ص٤٨٧-٤٨٨.

(١٠) منسى : اسم عبري معناه: "من ينسى" وهو ملك من ملوك يهوذا تولى الملك سنة ٦٩٣ق.م وعمره اثنتي عشرة سنة، انظر القاموس، ص٩٢٤-٩٢٥.

(١١) ٤ مل ٢١: ٢ .

آمون[1] الذي سار على طريق أبيه ورد عنه في سفر الملوك الرابع: (وصنع الشر في عيني الرب كما صنع منسى أبوه وجرى على جميع الطرق التي جرى عليها وعبد الأصنام التي عبدها أبوه وسجد لها)[2]، ولما قتل جاء ابنه يوشيا[3] بن آمون الذي في عهده ادعى حلقيا أنه عثر على توراة موسى، ويتحدث سفر الملوك الرابع عن ذلك فيقول: (فقال حلقيّا الكاهن العظيم لشافان[4] الكاتب إني وجدت سفر التوراة في بيت الرب ودفع حلقيا الكاهن السفر إلى شافان فقرأه، فأتى شافان الكاتب وأنهى الأمر إلى الملك وقال قد حسب عبيدك الفضة التي وجدت في البيت ودفعوها إلى أيدي المتولين العمل الموكلين في بيت الرب وأخبر شافان الكاتب الملك وقال قد دفع إليَّ حلقيا الكاهن سفراً وقرأه شافان أمام الملك)[5]، وكان ظهورها بعد مضي سبعة عشر عاماً من حكم يوشيا، يقول العلامة رحمه الله الهندي: "لكن لايعتمد على هذه النسخة ولاعلى قول حلقيا، لأن البيت نهب مرتين قبل عهد آخز[6]، ثم جعل بيت الأصنام وسدنة الأصنام كانوا يدخلون البيت كل يوم وماسمع أحد إلى سبعة عشر عاماً من سلطنة يوشيا أيضاً اسم التوراة، ولا رآها، مع أن السلطان والأمراء والرعايا كانوا في غاية الإجتهاد لإتباع الملة الموسوية، وكانت الكهنة يدخلون كل يوم إلى هذه المدة فالعجب كل العجب أن تكون النسخة في البيت ولايراها أحد"[7].

---

(١) آمون: اسم عبري معناه "امين"، وهو ملك يهوذا، وكان مدة حكمه سنتين حيث قام عبيدة ضده بغتة وقتلوه في بيته. انظر القاموس، ص٧.

(٢) ٤ مل ٢١: ٢٠-٢١.

(٣) يوشيا:اسم عبري معناه"يهوه يشفي"،وهو ابن آمون،تبوأ العرش وهو ابن ٨ سنين، وتوفي وعمره ٣٩ سنة وملك ٣١ سنة.انظر عنه القاموس،الصفحات١١١٩-١١٢٠- ١١٢١.

(٤) شافان: كلمة عبرية معناها "وبر" وشافان كاتب عاش في عهد يوشيا الملك، وعندما وجد حلقيا كتاب الشريعة أثناء ترميم الهيكل أعطاه شافان فقرأه وحده أولاً ثم قرأه للملك. القاموس، ص٥٠١.

(٥) ٤ مل ٢٢: ٨-١٠.

(٦) آخز : هو الملك آحاز بن يوتام بن عزريا، انظر عنه: ٢ أخ ٢٨.

(٧) رحمة الله الهندي، إظهار الحق، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، دار الجيل، ج١/٢٨٩-٢٩٠.

إذن هذه التوراة كانت من ادعاءات الكاهن حلقيا الذي رأى إقبال الملك يوشيا على الإيمان فاخترع هذه الحادثة من عنده، وكانت مدة بقاء هذه التوراة حوالى ثلاثة عشر سنة، وجاء بعده ابنه يوآحاز بن يوشيا[١] الذي كان كافراً حيث ورد في سفر الملوك الرابع عنه: (وصنع الشر في عيني الرب على حسب ماصنع آباؤه)[٢]. لكن فرعون أسره وعزله وولى مكانه أخاه ألياقيم بن يوشيا[٣] وغير اسمه إلى يوياقيم ولم يكن بأحسن ممن سبقه حيث أورد سفر الملوك الرابع عنه أنه: (صنع الشر في عيني الرب على حسب جميع مافعل آباؤه)[٤].

ثم جاء بعده ابنه يوياكين بن يوياقيم[٥]، وقد كان كما أخبر عنه سفر الملوك الرابع: (صنع الشر في عيني الرب على حسب جميع ماصنع أبوه)[٦]، وفي أيامه دخل نبوخذ نصر[٧] ملك بابل أورشليم وحاصرها ونهب بيت الرب، جاء في سفر الملوك الرابع: (وأخرج من ثم جميع كنوز بيت الرب وكنوز بيت الملك وكسر جمع آنية الذهب

---

(١) يوآحاز : معناه" يهوه يأخذ"، تولى بعد أبيه يوشيا، وكان عمره ٢٣ سنة ولم يملك سوى ٣ أشهر، وقد خلعه فرعون مصر، انظر القاموس، ص١٠٨٣.

(٢) ٤ مل ٢٣: ٣٢.

(٣) ألياقيم: اسم عبري معناه: "من يثبته الله"، وقد ملّكه نخو فرعون مصر على يهوذا وغَيَّر اسمه إلى يوياقيم. انظر القاموس، ص ١١٠.

(٤) ٤مل ٢٣ : ٣٧ .

(٥) يوياكين: اسم عبري معناه: "يهوه يثبت"، تبوأ العرش سنة ٥٩٧ق.م، وقد عمل الشر في عيني الله ناهجاً في ذلك منهج أبيه، انظر عنه القاموس، ص١٠٩٩.

(٦) ٤مل ٢٤ : ٩ .

(٧) نبوخذ نصر: اسم بابلي معناه: "نبو حامي الحدود"، وهو ابن نبو بلاسر وخليفته على عرش مدينة بابل، وقد ملك ٤٣سنه، وتوفي سنة ٥٦٢ق.م، انظر عنه القاموس، الصفحات ٩٥٤-٩٥٥.

التي عملها سليمان ملك إسرائيل في هيكل الرب)[١]، ثم أقام مكان يوياكين عمه مَتّنيا[٢] ابن يوشيا وغير اسمه إلى صدقيا، وقد اتبع طريقه من سبقه من ملوك يهوذا، ورد عنه في سفر الملوك الرابع: (وصنع الشر في عيني الرب بحسب جميع ماصنع يوياقيم)[٣].

ثم إن نبوخذ نصر أحرق بيت الرب بالنار، وسير اليهود إلى بابل وهذه الحادثة هي التى تعرف بالأسر البابلي.

وهكذا فإنه من خلال استعراض سيرة ملوك مملكة الجنوب[٤] وماحصل من ردتهم مرات عدة، وكذا الحروب التي حصلت لهم ونهب بيت الرب مرات، ممايؤكد إنقطاع سند التوراة المنسوبة لموسى وأيضاً تلك التي زعم الكاهن حلقيا وجودها، وأنه حتى الأسر البابلي لم يكن لديهم دليل يؤكد بقاء سند التوراة وحفظها، أما ملوك الأسباط العشرة في الشمال فإن حالهم لم يكن بأحسن من حال جيرانهم إن لم يكن أسوأ يقول ابن حزم: "فلم يكن فيهم مؤمن قط ولا واحد فما فوقه، بل كانوا كلهم معلنين عبادة الأوثان، مخيفين للأنبياء، مانعين القصد إلى بيت المقدس، لم يكن فيهم نبي قط إلا مقتولاً، أو هارباً مخافاً"[٥].

---

(١) ٤مل ٢٤ : ٣ .

(٢) متنيا : اسم عبري معناه: "عطية يهوه"، ابن يوشيا، الذي ملكه نبوخذ نصروغير اسمه إلى صدقيا، وكان عمره ٢١ سنه لما اعتلى العرش وملك ١١ سنه، من سنة ٥٩٧-٥٨٧ق.م، وهو آخر ملوك يهوذا. انظر عنه في القاموس الصفحات ٥٤٠-٥٤١ وأيضاً ٨٣٥.

(٣) ٤ مل ٢٤: ١٩.

(٤) لقد تتبع ابن حزم سيرتهم وذلك في كتابه الفصل . انظر، ج١/٢٩١-٢٩٤.

(٥) الفصل ج١/٢٩٢، ولقد تتبع ابن حزم سيرتهم أيضا، انظر الفصل، ج١/٢٩٤-٢٩٧. وانظر سفري الملوك الثالث والرابع وكذا أخبار الأيام الثاني.

توراة عزرا[١]:

بعد حوالي مائة وستين عاماً من اختفاء التوراة التى ادعى حلقيا وجودها ظهرت توراة أخرى تنسب إلى عزرا، وذلك أنه بعد الغزو البابلي على فلسطين عامي ٥٩٦، ٥٨٦ق.م، بقيادة نبوخذ نصر ملك بابل وأخذه اليهود أسرى إلى بابل، بقي اليهود بلا كتاب ديني يوجههم ويستندون إليه، وأصبحوا شعباً بلا أرض ولا كتاب " فلما رأى عزير أن القوم قد أحرق هيكلهم وزالت دولتهم وتفرق جمعهم ورفع كتابهم جمع من محفوظاته ومن الفصول التي يحفظها الكهنة مالفق منه هذه التوراة التي بأيديهم"[٢].

ومع هذا لايُسلم لهم بأن هذه التوراة الموجودة الآن هي توراة عزرا، فقد ضاعت أيضاً وذلك أنه " لما فتح أنتيوكس[٣] ملك ملوك الفرنج أورشليم أحرق جميع نسخ كتب العهد القديم التي حصلت له من أي مكان بعدما قطعها وأمر أن من يوجد عنده نسخة من نسخ العهد العتيق أو يؤدي رسم الشريعة يقتل، وكان تحقيق هذا الأمر في كل شهر، فكان يقتل من وجد عنده نسخة من كتب العهد العتيق أو ثبت أنه أدى رسماً من رسوم الشريعة، وتعدم تلك النسخة"[٤].

---

(١) عزرا: اسم عبري معناه "عون"، وهو ابن سرايا، لُقب بالكاتب، كان موظفاً في بلاط الإمبراطور الفارسي (ارتحتشستا) ومستشاراً له في شؤون الطائفة اليهودية وقد تمكن من نيل عفو الإمبراطور عن اليهود والسماح لهم بالعودة إلى فلسطين، وللمزيد من المعلومات عنه انظر القاموس، الصفحات ٦٢١-٦٢٢، وأيضاً سفر عزرا.

(٢) ابن القيم، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ص١٠٩.

(٣) انتيوكس : اسم يوناني معناه "مقاوم" وهو إسم لملوك سوريا الذين حكموا فلسطين فترة طويلة من الزمن، وأظن أنه أنطيوخوس الرابع أبيفانيس والذي ملك من ١٧٥-١٦٣ق.م، انظر القاموس، ص١٢٦-١٢٧.

(٤) إظهار الحق، ج١/٢٩١، وانظر أيضاً ٢٩٢.

وبعد فقد ضاعت توراة موسى، والتوراة التي ادعى حلقيا وجودها، وكـذا تـوراة عزرا، " وإن السند بين كل واحدة والأخـرى كـان مقطوعـاً، والمسـافة الزمنيـة بـين كـل واحدة والأخرى كان كبيراً فلاصلة بين توراة حلقيا وتوراة موسـى، ولابـين تـوراة عـزرا وتوراة موسى، والكتاب الديني إذا لم ينقل في جميع مراحله نقلاً متواتراً لايصـح أن تؤخـذ منه العقائد ولا أن يوثق به في تقرير الشرائع"(١).

(١) د. محمد شلبي شتيوي، مقارنة الأديـان، التـوراة دراسـة وتحليـل، مكتبـة الفـلاح، الطبعـة الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ص ٣٦.

التناقض في متن التوراة :

وضح مما سبق كيف أن التوراة لم يثبت بالدليل اتصال سندها من زمن موسى وحتى انهيار مملكتي اليهود، وأخذهم أسارى إلى بابل، وحتى تلك التوراة التي كتبها عزرا – بإلهام من الله – كما يدعون، لم يثبت اتصال سندها نتيجة للحروب التي طالت اليهود بعد عودتهم من بابل .

ولاشك أن المؤمنين بالتوراة الحالية لايقبلون بمثل هذا القول ولكن إذا كان متن التوراة نفسه لم يسلم من الاضطراب والتناقض، سواء بين الأسفار الخمسة أو بينها وغيرها من الأسفار الأخرى، وحتى النسخ الثلاث المشهورة (العبرانية – اليونانية – السامرية) لم تخل من التناقض بينها .

ومامن شك أن أي كتاب سماوي لايجوز عليه التناقض، حيث لايصح نسبته إلى الوحى الإلهي المقدس .

أولاً : النصوص في الأسفار الخمسة تدل على أن الكاتب ليس موسى – عليه السلام-:

١- جاء في سفر التثنية (فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب بأمر الرب ودفنه في الوادي في أرض موآب تجاه بيت فغور ولم يعرف أحد قبره إلى يومنا هذا)[١]. كيف يكتب موسى إذا كان هو كاتب التوراة عن موته وهو حي ينزل عليه الوحي؟! ثم إن في قوله – إلى يومنا هذا – دليل على أن الكاتب لهذا النص إنما كان بعد موسى بمدة طويلة .

٢- جاء في سفر التكوين (وهؤلاء الملوك الذين ملكوا في أرض أدوم قبل أن يملك ملك في بني إسرائيل)[٢].

---

(١) تث ٣٤ : ٥-٦.

(٢) تك ٣٦ : ٣١ .

ويستبعد العلامة رحمه ا لله الهندي أن يكون هذا الكلام منسوباً لموسى والسبب : "لأنها تدل على أن المتكلم بها بعد زمان قامت فيه سلطنة بني إسرائيل وأول ملوكهم شاول وكان بعد موسى عليه السلام بثلثمائة وست وخمسين سنة"[١].

٣- جاء في سفر التكوين: (فانتقل أبرام بخيامه حتى جاء وأقام في بلوط ممرا التي بحبرون وبنى هناك مذبحاً للرب)[٢]، وهذه القرية لم تسمى بحبرون[٣]، إلا وقت يشوع حينما فتحها وغير اسمها وأعطاها لكالب بن يفنه القنزي وقد كان اسمها قبل أربع أو رابع، جاء في سفر يشوع (ولكالب بن يفنا أعطى قسماً في وسط بني يهوذا على حسب أمر الرب ليشوع قرية أربع وهو أبو عناق التي هي حبرون)[٤].

٤- جاء أيضاً في سفر التكوين : (فلما سمع أبرام أن أخاه قد أسر جرد حشمه المولودين في بيته ثلاث مئة وثمانية عشر وجدَّ في إثرهم إلى دان)[٥].

ولم تعرف دان[٦] بهذا الاسم إلا في عهد القضاة حيث ورد في سفر القضاة: (وسموا المدينة دان باسم دان أبيهم الذي ولد لإسرائيل وكان اسم المدينة قبل ذلك لاييش)[٧].

---

(١) إظهار الحق، ص ٢١٨ .

(٢) تك ١٣ : ١٨.

(٣) حبرون: اسم عبري معناه" عصبة"، وهي مدينة موجودة منذ وقت إبراهيم عليه السلام حيث اشترى فيها مغارة المكفيلة، وهي مدينة الخليل اليوم، انظر عنها القاموس، ص٢٨٦- ٢٨٧.

(٤) يش ١٥ : ١٣ وايضاً قض ١ : ١٠ .

(٥) تك ١٤ : ١٤ .

(٦) دان: اسم مدينة في الطرف الشمالي من أرض بنى إسرائيل في سفح جبل حرمون عند تل القاضي، انظرعنها القاموس، ص ٣٥٧ .

(٧) قض ١٨ : ٢٩ .

ويذكر ذلك العلامة رحمة ا لله الهندي فيقول : "دان هو اسم بلدة عمرت في عهد القضاة لأن بنى إسرائيل بعد موت يوشع في عهد القضاة فتحوا بلدة ليث[١]، وقتلوا أهلها، وأحرقوا تلك البلدة وعمروا بدلها بلدة جديدة وسموها دان... قال هورن في تفسيره : يمكن أن يكون موسى كتب قرية رابع وليث، لكن بعض الناقلين حرف هذه اللفظين بحبرون ودان"[٢].

٥- جاء في سفر الخروج (وأكل بنو إسرائيل المن أربعين سنة إلى أن ذهبوا إلى أرض عامرة أكلوا المن إلى حين وافوا حدود أرض كنعان)[٣] وهذه ليست أيضاً من كلام موسى عليه السلام " لأن ا لله ماأمسك المن من بني إسرائيل مدة حياته، ومادخلوا في أرض كنعان إلى هذه المدة"[٤].

والشواهد على عدم كتابة موسى – عليه السلام– للأسفار الخمسة كثيرة جداً وماهذه إلا أمثلة فقط تدل على ماذكرت بأن هذه التوراة الموجودة قد كتبت بعد وفاة موسى – عليه السلام – بمدة طويلة .

ثانياً : النصوص في الأسفار الخمسة تتناقض مع بعضها :

وهذه أسفارهم الخمسة المقدسة عندهم تتناقض فيما بينها، بل إن التناقض والاضطراب ليوجدان في السفر الواحد، وهذه أمثلة على مثل تلك التناقضات:

١- ورد في سفر التكوين(هؤلاء بنو لية الذين ولدتهم ليعقوب في فدان أرام[٥] مع

---

(١) في كتاب رحمة ا لله الهندي – إظهار الحق – يقول: اسمها ليث، لكن في نسخة الكتاب المقدس اسمها: لاييش، وكذا وردت في القاموس، ص ٨٠٩.

(٢) إظهار الحق، ص ٢٢٢.

(٣) خر ١٦ : ٣٥.

(٤) إظهار الحق، ص ٢٢١.

(٥) فدان آرام: اسم سامي معناه: "سهل آرام"،ويوجد في آرام النهرين، القاموس، ص٦٧٢.

دينه ابنته جميع نفوس بنيه وبناته ثلاثة وثلاثون)[١]، وهذا خطأ، يقول العلامة رحمة الله: " فقوله ثلاثة وثلاثون نفساً غلط والصحيح أربعة وثلاثون نفساً. واعترف بكونه غلطاً، مفسرهم المشهور هارسلي حيث قال: لو عددتم الأسماء وأخذتم دينا صارت أربعة وثلاثين، ولابد من أخذها، كما يعلم، من تعداد أولاد زلفا لأن سارا بنت أشير واحدة من ستة عشر"[٢].

٢- ورد في سفر التثنية (ولايدخل زنيم في جماعة الرب ولو في الجيل العاشر لايدخل منه أحد في جماعة الرب)[٣]، ويرد عليه العلامة رحمة الله فيقول: "وهذا غلط وإلا يلزم أن لايدخل داود عليه السلام ولا آباؤه إلى فارض بن يهودا[٤] في جماعة الرب، لأن فارض ولد الزنا كما هو مصرح في الباب الثامن والثلاثين من سفر التكوين، وداود عليه السلام البطن العاشر منه، كما يظهر من نسب المسيح المذكور في إنجيل متى ولوقا، مع أن داود رئيس الجماعة والولد البكر لله على وفق الزبور"[٥].

٣- ومن أمثلة التناقض الواضح في السفر الواحد ماورد في سفر التكوين جاء فيه مايلي : (وأقيم عهدي معك فتدخل التابوت أنت وبنوك وامرأتك ونسوة بنيك معك، ومن كل حي من كل ذي جسد اثنين من كل تدخل التابوت لتحيا معك، ذكراً وأنثى تكون من الطير بأصنافها ومن البهائم بأصنافها ومن جميع دبابات الأرض بأصنافها يدخل إليك اثنان من كل لتحيا وأنت فخذ لك من كل طعام

---

(١) تك ٤٦ : ١٥ .

(٢) إظهار الحق، ص٦٤-٦٥.

(٣) تث ٢٣: ٢.

(٤) فارص: اسم عبري معناه "ثغرة" ابن يهوذا من ثامار، وأب عشيرة الفارصيين ولعشيرتين أخريين من ابنيه حصرون وحامول، وهو سلف لداود، انظر عنه القاموس، ص٦٦٩.

(٥) إظهار الحق، ص٦٥.

يؤكل وضمه إليك فيكون لك ولهم مأكلاً، فعمل نوح بحسب كل ماأمره ا لله به)[١].

في هذا النص يأمر ا لله نوحاً بأن يأخذ من كل البهائم والطيور اثنين اثنين للسفينة ثم جاء في الإصحاح الذي يليه عبارةً تأمره أن يأخذ من الطاهر اثنين اثنين وكذا من غير الطاهر حيث جاء (ومن البهائم الطاهرة ومن البهائم التى ليست بطاهرة ومن الطير وجميع مايدب على الأرض، دخل التابوت اثنان اثنان إلى نوح ذكوراً وإناثاً كما أمر ا لله نوحاً)[٢]، فالأمر الإلهي لنوح بأن يأخذ من البهائم والطيور اثنين اثنين لم يفرق بين ماهو طاهر وماهو غير طاهر، لكن ورد في نفس الإصحاح في السفر ذاته مايدل على التناقض بين الأمرين السابقين وبين الأمر الآخر حيث ورد كالتالي (وخذ من جميع البهائم الطاهرة سبعة سبعة ذكوراً وإناثاً ومن البهائم التي ليست طاهرة اثنين ذكراً وأنثى وخذ أيضاً من طير السماء سبعة سبعة ذكوراً وإناثاً ليحيا نسلها على وجه الأرض ... إلى أن قال : فعمل نوح بحسب كل مأأمره الرب به)[٣]، وهنا يوجد التناقض " فالأمر الإلهي لنوح هنا قد اختلف عما أمره به في العبارات السابقة من جهتين:

الأولى: أن الأمر هناك أن يأخذ من الكل اثنين اثنين والأمر هنا: أن يأخذ سبعة سبعة.

الثاني: أنه هناك: لم يفرق بين جميع الدواب ولكنه هنا: فرق بين الطاهر فيها وغير الطاهر، وعلى هذا يكون الإصحاح السابع من سفر التكوين متضارباً مع نفسه أولاً ومتضارب مع الإصحاح السادس ثانياً، والعجيب أن ذيل العبارة الأولى:

---

(١) تك ٦: ١٨-٢٢.

(٢) تك ٧: ٨-١٠ .

(٣) تك ٧ : ٢ - ٦ .

ففعل نوح حسب كل ماأمره به ا لله، وذيل العبارة الثانية: كما أمر ا لله نوحاً، وذيل العبارة الثالثة: ففعل نوح حسب كل ماأمره به الرب، فأي أمر من الثلاثة كان من ا لله : لأنه من المحال أن تكون الأوامر الثلاثة منه، وإلا للزم أن يأمر بالتضاد والتناقض"[١].

٤- وإذا كان سفر التكوين متناقضاً مع نفسه وفي الإصحاح الواحد فإن سفر الخروج لم يسلم من هذا التناقض أيضاً، ورد في الإصحاح التاسع مايلي : (فصنع الرب هذا الأمر في الغد فماتت مواشي المصريين بأسرها ومن مواشي بني إسرائيل لم يمت واحد)[٢]، ثم جاء في نفس الإصحاح مايلي: (فمن خاف كلام الرب من عبيد فرعون هرب بعبيده وماشيته إلى البيوت، ومن لم يوجه قلبه إلى كلام الرب ترك عبيده وماشيته في الصحراء)[٣]، وهنا اختلاف حيث أن العبارة الأولى تعني أن جميع مواشي المصريين قد ماتت ولم يبق منها شيء أما النص الثاني فيفهم منه أن بعضها قد بقي، وهذا تناقض .

٥- وهناك تناقض واختلاف بين الأسفار الخمسة مع بعضها، وهذا مثال على ذلك: ففي سفر العدد جاء مايلي : (وارتحلوا من حشمونة[٤] ونزلوا بموسيروت[٥] وارتحلوا من موسيروت ونزلوا ببني يعقان[٦] ، وارتحلوا من بني يعقان ونزلوا عند

---

(١) د. يحي محمد على ربيع، الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف، دار الوفاء للطباعة، المنصورة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، ص ٢٣١.

(٢) خر ٩ : ٦ .

(٣) خر ٩: ٢٠-٢١.

(٤) حشمونه: اسم عبري معناه "حضبة"، وهي محط للعبرانيين في ترحالهم في البرية، انظر القاموس، ص٣٠٨.

(٥) موسيروت: اسم عبري معناه "رباط، ربطات" وهي محطة لبني إسرائيل بالقرب من هور، انظر القاموس، ص٩٣٣.

(٦) بنو يعقان: اسم لقبيلة حورية احتلت إقليماً على حدود أدوم بالقرب من جبل هور، انظر القاموس، ص١٠٧٣.

كهف الجدجاد[١]، وارتحلوا من عند كهف الجدجاد ونزلوا بيطبات[٢]، وارتحلوا من يطبات ونزلوا بعبرونه[٣]، وارتحلوا من عبرونة ونزلوا بعيصون جابر[٤] وارتحلوا من عيصون جابر ونزلوا ببرية صين[٥]، وهي قادش وارتحلوا من قادش ونزلوا بجبل هور[٦] في طرف أرض أدوم، فصعد هارون الكاهن إلى جبل هور بأمر الرب ومات هناك)[٧].

ثم جاء بعد ذلك في سفر التثنية مايلي: (وارتحل بنو إسرائيل من آبار بني يعقان إلى موسير هناك مات هارون ودفن هناك فتولى الكهنوت مكانه ألعازار ابنه، ورحلوا من ثم إلى جدجود ومن جدجود إلى يطبات أرضٍ ذات أنهار ماء)[٨].

---

(١) الجدجاد: محطة لبني إسرائيل في البرية، ربما تقع على وادي غدغودة، التابع لوادي جيرافي، إلى الشمال الغربي من خليج العقبة. انظر القاموس، ص٣٢٦.

(٢) يطبات: اسم عبري معناه "طيبة" وهو من محلات بني إسرائيل في البرية ويظن أنها الطابة على بعد ٢٢ ميلاً شمالي العقبة، انظر القاموس، ص١٠٧٢.

(٣) عبرونه : اسم عبري معناه "ممر أو مقابل أو عبر"، اسمها الحالي: عين دفية، انظر القاموس، ص٦٠٠.

(٤) عيصون جابر: مدينة على البحر الأحمر، على الطرف الشمالي من خليج العقبة، آخر محطات بني إسرائيل في البرية، وقبيل وصولهم برية صين، ويعتقد أنها تل الخليفة، انظر القاموس، ص٦٣١.

(٥) برية صين: برية عبرها بنو إسرائيل في طريقهم لكنعان، وكانت على التخوم الجنوبية من تلك الأرض، انظر القاموس، ص ٥٦٧.

(٦) جبل هور: اسم سامي معناه "جبل" وهو جبل عند حدود بلاد آدوم، انظر القاموس، ص١٠٠٤.

(٧) عد ٣٣ : ٣٠-٣٧ .

(٨) تث ١٠ : ٦-٨.

وبعد إيراد النصين ينحصر التناقض في نقطتين :

" الأولى : المكان الذي مات فيه هارون فهل هو هور، ومات بعد صعوده الجبل كما جاء في سفر العدد أم أنه مات في موسير ودفن هناك دون صعود لجبل أو غيره كما جاء في سفر التثنية .

الثانية : اختلاف النصين في ذكر سير الرحلة ففي سفر التثنية وضعت موسير مكان مسيروت التي بسفر العدد، ووضعت الجدجود مكان الجدجاد بسفر العدد ولم يتفق السفران إلا في يطبات فأين الحق إذن"[١].

وبعد فهذه أمثلة فقط لما هو وارد في الأسفار الخمسة من تناقض واختلاف واضطراب في النصوص عند مقابلتها ببعض، وإذا كان هذا التناقض في النسخة الواحدة فمن باب أولى أن يكون هذا التناقض موجوداً بين نسخ التوراة الثلاثة (العبرانية – اليونانية – السامرية).

وهذه أمثلة للتناقض الوارد بين كل واحدة والأخرى :

المثال الأول : التناقض بين التوراة العبرانية والسامرية :

أورد الدكتور أحمد حجازي السقا بعضاً من هذه الاختلافات بينهما ومنها ماورد في سفر العدد الإصحاح الثاني عشر من الفقرة السادسة وحتى الفقرة الثامنة حيث يقول " كتب الكاتب أن ا لله قال لهارون ومريم " اسمعا كلامي، إن كان منكم نبي للرب فبالرؤيا استعلن له، في الحلم أكلمه أما عبدي موسى فليس هكذا، بل هو أمين في كل بيتي فماً إلى فم، وعياناً أتكلم معه، لا بالألغاز، وشبه الرب يعاين"، وهذا النص في السامرية هكذا: "اسمعا الآن خطابي، إنما النبي منكم، ا لله بشبح له يناجي، أو في حلم أخاطبه، ليس كذلك عبدي موسى بل هو

---

(١) الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف، ص٢٤٣.

على جميع بيتي أمين هو، شفاهاً أخاطبه، جهراً لا سراً، وأشباح الملائكة يشاهد"[١].

وواضح من مقارنة النصين السابقين، مدى الاختلاف اللفظي الوارد بينهما، فكلام ا لله تعالى ووحيه المقدس لايختلف من نسخة لأخرى.

المثال الثاني: التناقض بين التوراة العبرانية واليونانية :

جاء في العبرانية " أن الزمان من خلق آدم إلى طوفان نوح عليهما السلام ١٦٥٦، وفي اليونانية ٢٢٦٢سنة، ويوسيفوس المؤرخ اليهودي خالف العبرانية واليونانية والسامرية، وجعل المدة ٢٢٥٦ سنة .

وأن الزمان من طوفان نوح إلى ولادة إبراهيم عليهما السلام في العبرانية ٢٩٢ وفي اليونانية ١٠٧٢سنة،وعند يوسيفوس ٩٩٣"[٢].

فأي من النسختين يؤخذ بها إذا كانتا منسوبتين للوحي الإلهي ؟

وبعد فإن هذه أمثلة فقط لما في الأسفار الخمسة المنسوبة لنبينا موسى عليه السلام زوراً وبهتاناً – ومافيها من تناقض سواءً في السفر الواحد أم الأسفار مع بعضها أو في نسخها المختلفة، ورغم ماثبت من عدم صحة السند ولاسلامة المتن تبقى هذه الأسفار محل عناية واهتمام الباحثين لاعتقاد أهلها بقداستها، وباعتبار أنها مصدر حياتهم الدينية والدنيوية، وسيكون الاعتماد الأكبر على هذه الأسفار وذلك لسببين:

١- لأنها منسوبة إلى موسى – عليه السلام –.

---

(١) د. أحمد حجازي السقا، نقد التوراة، أسفار موسى الخمسة السامرية، العبرانية، اليونانية، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ص١٣٤.

(٢) نقد التوراة ، ص ١٣٨.

٢- لأنها محل تقديس اليهود جميعاً .

فهي المرجع الأول لتقرير العقائد اليهودية وبقية الأسفار تبع لها .

ثانياً : أسفار الأنبياء :

وهي على قسمين :

الأول : الأنبياء المتقدمين : وهم :

١- سفر يوشع بن نون: "وينص هذا السفر على أن يشوع اصطنع مختلف الحيل لينتصر في حربه ضد سكان البلاد الأصليين وليدخل فلسطين، ومن حيله التى ذكرها هذا السفر التجسس وقد شغلت الإصحاحات الأولى من هذا السفر بأخبار التجسس والغزو، أما الإصحاحات الأخيرة منه فتتحدث عن تنظيم البلاد المفتوحة وتوزيعها على الأسباط واستيطانها، وفي الإصحاح الرابع والعشرين وهو الإصحاح الأخير حديث عن موت يشوع ودفنه في جبل أفرايم، وحديث كذلك عن عظام يوسف التي أصعدها بنو إسرائيل من مصر حيث أعيد دفنها كما يقول الإصحاح في شكيم نابلس"[١].

٢- القضاة : ".. يتحدث هذا السفر عن بعض القضاة العظام مثل عثنائيل وأهوز وباراق ودبوره وجدعون ويفتاح وشمشون صاحب القصة المشهورة مع دليلة، كما تحدث هذا السفر عن قضاة صغار لم يكن لهم تأثير يذكر في حياة بني إسرائيل ويتحدث هذا السفر كذلك عن شغب بني إسرائيل على يهوه وعبادتهم آلهة أخرى من الحجارة والأشجار ويبين كيف انتقم ا لله منهم فسلط عليهم أعداءهم وأنزل كثيراً من النوائب بهم، ..."[٢].

---

(١) أحمد شلبي، ص٢٤٣-٢٤٤.

(٢) السابق، ص ٢٤٤.

٣- صموئيل الأول والثاني والملوك الأول والثاني (أسفار الملوك الأربعة): وهذه المجموعة من الأسفار "تتحدث عن سيرة شاول أول ملوك بني إسرائيل وأشبوشب ابنه، وداود، وأبشالوم بن داود ثائراً في حياة أبيه، ثم بعد أبيه في حياة سليمان بن داود، كما تتحدث عن ملوك الدور الثاني بعد انقسام دولة بني اسرائيل، وفي هذه الأسفار حديث فياض عن الخلاف بين شاول وداود، ثم عن هرب داود، وهزيمة شاول، وانتقال الأمر إلى داود الذي احتل عاصمة شاول وهي حبرون "الخليل" ثم استيلاء داود على أورشليم التي أصبحت تسمى مدينة داود، وفيها كذلك حديث اتصال داود بزوجه أوريا، وعن الخلافات التي دبت ضد داود في أواخر أيامه، ثم عن سليمان وتغلبه على الأحداث في مطلع عهده، وبنائه الهيكل، وصلته بملكة سبأ وقصص حريمه اللاتي استملن قلبه إلى آلهتهن، ثم حديث عن نهاية سليمان، وماتلا ذلك من انقسام دولة اليهود إلى مملكتين وحروب واسعة النطاق بينهما، أو بين كل من دولتي اليهود من جهة وبين الممالك المجاورة في الشمال أو الجنوب من جهة أخرى"[١].

الثاني : أسفار الأنبياء المتأخرين :

وهي خمسة عشر سفراً كالتالي (أشعياء – إرميا – حزقيال – هوشع – يوئيل– عاموس – عوبديا – يونان – ميخا – ناحوم – حبقوق – صفنيا – حجي – زكريا – ملاخي).

وهو قسم : "يحتوي على تراث القادة الروحيين الذين حاولوا بطرق شتى الأخذ بيد اليهود نحو بر السلامة في ظروف سياسية وعسكرية واجتماعية حالكة، أحاط بهم فيها الأعداء من كل جانب، وإذا كانت هذه النبوات في معظمها لم تفد كثيراً عندما كان أصحابها مايزالون بعد على قيد الحياة، فإن هذا التراث قد بقي مصدر أمل لليهود

(١) السابق، ص ٢٥٤.

يؤولونـه ويشكلونه بحسب الظـروف، فهـو أمـل في مغفـرة ا لله حينـاً، وأمـل في الخـلاص أحياناً، وأمل في العودة إلى فلسطين عند الكثيرين منهم، بل أمل في السيطرة النهائية علـى الإنسانية كلها لدى جماعات ممن يلو كون هذه النصوص ويحملونها ماشاء لهم الخيال"[١].

ثالثاً : الكتابات :

وهذا القسم يتشعب إلى ثلاثة أقسام هي :

أ – المزامير ، الأمثال ، أيوب :

وتنسب المزامير إلى داود وسبب تسميته بالمزامير " لأنه يحوي مجموعة من الأغاني تنشد بمصاحبة المزامير، فهذا السفر يناظر مايعرف في العربية بالتهاليل والتواشـيح والتسابيح، وبعض المزامير طقـوس دينيـة، وبعضهـا يتصـل بالأعيـاد الإسـرائيلية، وأكثر المزامير ترجع لداود فله وحده ثـلاث وسـبعون مزمـوراً، وبالسـفر مزامـير أخرى لسليمان ولآساف الذي كان رئيس المغنيين في عهد داود، وتنسـب بعـض المزامير لموسى"[٢].

الأمثال : وهو سفر ينسب إلى سليمان، وهو ليس كذلـك فهـو: "يحـوي مجموعـة من الأمثال لاتربط بينها رابطة، وليس في أسلوبها وحدة أو تناسـق فالسـفر ليـس من فعل شخص واحد، ولانتاج عصر واحد، وإنما هـو مـن الآداب الشـعبية الـتي تتناقلها الأجيال، وتدخل عليها كثيراً من الزيادة والنقصان"[٣].

أما سفر أيوب: فينسب للنبي أيوب ويذكر قصته المشـهورة، ومـع أن أيوبـاً ليـس من أنبياء اليهـود إلا أن هـذا السـفر يعتـبر مـن الأسـفار المقدسـة عندهـم. وهـذه المجموعة تسمى الكتب العظيمة.

---

(١) د. حسـن ظاظـا، الفكـر الديـني اليهـودي، أطـواره ومذاهبـه، دار القلـم، الطبعـة الثالثـة ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م، ص٤٣.

(٢) اليهودية، أحمد شلبي، ص٢٥٠.

(٣) السابق، ص٢٥١.

ب – القسم الثاني يشمل : نشيد الإنشاد، راعوث، المراثي (مراثي إرمياء) الجامعة، أستير، ويسمى : المجلات الخمس.

فنشيد الإنشاد مما ينسب لسليمان وهو : "عبارة عن موضوع غرامي أو هو غزل بين يهوه وبين إسرائيل يرتله اليهود حتى اليوم في عيد الفصح وقد قبل في الكتاب المقدس لأن فيه اسم سليمان، والحقيقة أنه ليس له فهو أغان شعبية من وضع الشعب، ويرددها الشعب في عصور متعددة في مناسبات الزواج والزفاف"[1].

أما الجامعة فهي أيضاً مما ينسب لسليمان وهو: "نوع من الشعر الذي يطلق عليه شعر الحكمة، وهو قريب الشبه بالإصحاحات الأولى من سفر الأمثال، حيث يتحدث حكيم له خبرة ومعرفة، يسميه السفر: الجامعة وقد يتشاءم أحياناً ويتشكك فيما حوله فيتكلم بعبارات الشك والإلحاد والزندقة"[2].

أما سفر راعوث، فهو سفر يحكي قصة امرأة مؤابية اسمها راعوث، وكيف أنها تزوجت من رجل يهودي اسمه: بوعز، وأنجبت منه عوبيد الذي هو جد النبي داود، ويبين هذا السفر نسب داود، باعتباره أشهر ملوك بني إسرائيل .

سفر أستير: هو سفر يحكي قصة المرأة اليهودية التي تزوجها ملك الفرس، واستطاعت مع ابن عمها مردخاي أن تنقذ قومها اليهود من قرار التنكيل بهم الذي دبره وزير الملك هامان، وقد أصبح ذلك اليوم من أعياد اليهود التي يحتفلون بها حتى الآن. ويقول الدكتور أحمد شلبي عن هذه القصة أنها ليست

---

(١) السابق، ص٢٥٢.

(٢) السابق، ص ٢٥٢.

قصة تاريخية "وإنما هي أسطورة يرسم بها مؤلفها الطريق للنساء الإسرائيليات أن يتخذن من جمالهن وسيلة لخدمة بني إسرائيل ، وخدمة أغراضهم"(١).

أما المراثي، فهي مراثي إرمياء " وفيه يبكي إرمياء حالة يهوذا وأورشليم، ومانزل ببني إسرائيل من انحرافات، والمصير السيىء الذي آلت له دولتهم"(٢).

ج - وهو القسم الأخير: ويسمى بالكتب، ويشتمل على أسفار: دانيال - عزرا - نحميا - أخبار الأيام الأول والثاني .

أما سفر دانيال : فينسب إلى أحد أنبيائهم واسمه دانيال وقد كان على عهد الملك نبوخذ نصر ملك بابل وقد اقتيد إلى بابل مع من أخذ من بني إسرائيل في الأسر.

سفرا عزرا ونحميا : يشكل هذان السفران في الحقيقة سفراً واحداً، يقول الدكتور أحمد شلبي: "ولو تتبعنا الأحداث التاريخية لكان سفر نحميا جديراً بالتقدم على سفر عزرا، لأن نحميا سبق عزرا في الحضور إلى أورشليم، ولكن يبدو أن شخصاً واحداً هو الذي ألف سفر أخبار الأيام بقسميه وكذلك الأسفار المنسوبة لعزرا ونحميا"(٣).

أما عن السبب الذي تقدم من أجله سفر عزرا على سفر نحميا فيقول: "وقد تقدم سفر عزرا لأهمية هذا الكاهن في التاريخ اليهودي، ولأنه بعد أن حضر سبق نحميا في المكانة، وكان له قصب السبق في إعادة بناء الهيكل"(٤).

أما سفري أخبار الأيام الأول والثاني: فهما يتحدثان عن التاريخ منذ بدء الخليقة إلى زمن السبي البابلي مروراً على حال اليهود بعد انقسام مملكتهم اليهودية إلى

---

(١) السابق، ص٢٤٨.

(٢) السابق، ص٢٥٣.

(٣) السابق، ص٢٤٦-٢٤٧.

(٤) نفسه، ص٢٤٧.

قسمين وأنساب ملوك كل مملكة وتاريخها وماحصل فيها من الحروب والاضطرابات.

وقد جاء في تقديم الترجمة اليسوعية عن أخبار الأيام مايلي: " نجد في سفر الأخبار ذكر وثائق عديدة لم تحفظ، ونتحقق مراراً استعمال أسفار صموئيل والملوك ويضيف إليها المؤلف تفاصيل عديدة استناداً إلى مصادر أخرى ووفقاً لمقصده الخاص، وكثير من هذه التفاصيل يختص بعبادة الهيكل ورتب اللاويين ويؤكدون أن داود كان قد نظمها على مدى واسع"(١).

وبعد فتلك كانت نظرة موجزة لمحتويات أسفار العهد القديم المقدسة لدى اليهود.

موقف الفرق اليهودية المشهورة من العهد القديم:

١- فرقة الفريسين : وهي تعترف بجميع أسفار العهد القديم إضافة إلى التلمود .

٢- فرقة الصدوقيين : تعترف بالعهد القديم ، مع رفضهم للتلمود مصدراً من مصادر الشريعة.

٣- القراؤون : وهم يعترفون بأسفار العهد القديم مع الالتزام بحرفية نصوص التوراة.

٤- السامريون: هذه الفرقة تعترف بأسفار موسى الخمسة، وكذا سفر يشوع، والتوراة الموجودة عندهم تختلف عن الموجودة عند باقي اليهود .

موقف الحركات اليهودية الحديثة من العهد القديم:

١- الأرثوذكسية : وريثة الفريسين وهي : " من أهم المذاهب في العصر الحديث وهي تعد رد فعل رجعي للتيارات الاستنارية والإصلاحية بين اليهود، وتزعم هذه الحركة الحاخام سمسون هيرش، الذي انتقد اليهودية الإصلاحية لأنها تأخذ نقطة

---

(١) من تقديم لسفري أخبار الأيام في الكتاب المقدس، الترجمة اليسوعية، طبع دار الشرق، بيروت، لبنان ١٩٨٣م، ص ٦٧١ .

ارتكازها خارج اليهودية في مبادئ مستعارة من غير اليهود وتطبقها على غاية الإنسان وحريته، وينطلق هيرش والأرثوذكس من نقطة ميتافيزيقية وهي أن ا لله أوحى لموسى بالتوراة فوق جبل سيناء ... ويطالب الأرثوذكس أتباعهم بالإيمان الكامل بالشريعة المكتوبة والشفوية وبكل كتب اليهودية الحاخامية مثل التلمود والشولحان عاروخ[١]، والهالاخاه[٢]، ... وتسيطر اليهودية الأرثوذكسية على الحياة الدينية في إسرائيل فهي تسيطر على دار الحاخامية الرئيسية وعلى وزارة الشئون الدينية وأيضاً على الأحزاب الدينية"[٣].

٢- الإصلاحيون :

حينما حصل اليهود على كافة حقوقهم المدنية في دول أوربا وجدوا أنفسهم على طرفي نقيض، فمن جهة هناك عقيدتهم التي تحضهم على الانعزالية وتميزهم عن الغير باعتبارهم الشعب المختار المسخر له كل أمم الأرض، ومن جهة أخرى هناك الخدمة والعمل في مؤسسات الدول الذين هم من مواطنيها، ولأجل ذلك قامت

---

(١) الشولحان عاروخ: عبارة عبرية تعني " المائدة المنضودة أو المعدة "، وهو كتاب يحتوي على كل القواعد التقليدية للسلوك أعده جوزيف كارو، ونشره عام ١٥٦٥، مستنداً إلى العهد القديم والتلمود وتعاليم الحاخامات اليهود، موسوعة المفاهيم الصهيونية، ص٢٣٥.

(٢) الهالاخاه : كلمة من أصل آرامي معناها الحرفي هو " الطريق القويم " ... ومدلولها الفقرة الواحد المتضمنة سنة واحدة في الفقهيات التشريعية ثم أصبحت الكلمة تشير للجانب التشريعي لليهودية ككل. ويحتوي التلمود على أجزاء هالاخية مختلفة، والمصدر الأساسي للهالاخاه هو الشريعة المدونة والشفوية والعرف الساري بين اليهود، ويرى بعض الحاخامات أن كل الهالاخاه موصى بها من ا لله. الموسوعة، ص٤٠٩.

(٣) موسوعة المفاهيم الصهيونية، ص٤٥١-٤٥٢.

الدعوات الإصلاحية بين اليهود أنفسهم، وكان من أشهر من تولى ذلك الأمر موسى مندلسوهن[١].

يقول الدكتور حسن ظاظا عنه: " كانت له آراء جديدة على اليهود من الناحية السياسية والإنسانية العامة هي التي تعتبر دستوراً لهذه الفرقة وخلاصتها:

١- أن اليهود يجب أن يندمجوا في إنسانية العصر، وأن يخرجوا من قوقعة العنصرية التي حبسوا أنفسهم فيها طيلة قرون طويلة .

٢- أن اليهودية دين فقط وليست جنسية، وأنه من الخطأ أن أقول: يهودي إنجليزي، أو يهودي روسي، والأصح أن يقال: إنجليزي متدين باليهودية وروسي متدين بها وهكذا .

٣- أن المساواة في الحقوق المدنية بين اليهود وغيرهم غير ممكنة إلا إذا اعتبر اليهود أنفسهم مواطنين في البلاد التي يعيشون فيها .

٤- لايمكن ذلك إلا إذا تحدث اليهود بلغات أوطانهم وتعلموا في مدارسها وحاربوا في جيوشها، ولبسوا من الملابس مايشبه بقية المواطنين، وخرجوا من الجتو وأقاموا مع غيرهم من الناس"[٢].

وقد انتشرت هذه الحركة جداً بين اليهود وكان من أشهر أنصارها :

١- نفتالي هرتس ويسلي : " الشاعر ذائع الصيت والشهرة كان واحداً من أشهر أنصار مندلسوهن وأكثرهم إخلاصاً لدعوته"[٣].

---

(١) موسى مند لسوهن : ولد في ديسوي بألمانيا ١٧٢٩م، وتوفي في برلين ١٧٨٦م، وهو رائد لحركة الإستنارة اليهودية.

(٢) الفكر الديني، ص٢٦٥.

(٣) كتاب الحركات الحديثة في اليهودية، للحاخام أيسدور أبشتاين، وهو فصل من كتاب اليهودية - عرض تاريخي، تأليف وترجمة د.عرفان عبدالحميد فتاح، دار عمار- عمان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ص١٥٣.

٢- ديفيد فردلندر : الذي يعد " أحد أكثر تلامذة مندلسوهن إخلاصاً لدعوته، والمؤسس الحقيقي لحركة الإصلاح فهو المسؤول عن إرساء دعائمها وقواعدها التي لم تهجرها الحركة قط"[١].

٣- إسرائيل جاكبسون: "الذي أسس أول هيكل - كنيس - يهودي للإصلاح في مدينة : سيسن برنزويك بجهده الخاص ومن ماله وقد جرى في هذا الهيكل ولأول مرة في تاريخ اليهودية أداء الصلوات والطقوس الدينية وفق صيغ المسيحية وتقاليدها الكنسية".[٢]

٤- صموئيل هولدهايم: " أقدم عام ١٨٤٩ على استبدال السبت اليهودي ومراسيمه بالأحد المسيحي وطقوسه، وألغى الاحتفال باليوم الثاني لشهود القمر الجديد وولادته، وسمح القائمون على الهيكل باختلاط الجنسين أثناء مراسم أداء الصلوات من غير غطاء الرأس والشال الذي يوضع على الكتف..."[٣].

٥- أبراهام كايجر : " دعا إلى ضرورة ممارسة ضبط النفس في عملية الإصلاح مخافة أن تفقد الحركة كامل صلتها بأبناء بني إسرائيل ومشاعرهم الدينية واجتهد في تطوير معارف أتباعه وذلك بما ألف ودوَّن من كتب ورسائل أنكر فيها الأصل الإلهي للأسفار الخمسة، ورفض الاعتراف بالأحكام الشرعية الثابتة وحياً من السماء، وناصر الدعوة إلى إلغاء سنة الاختتان"[٤].

---

(١) السابق، ص ١٥٦.
(٢) السابق، ص١٥٧.
(٣) السابق، ص١٥٩.
(٤) السابق، ص ١٦٠.

ولأجل نشر دعوتهم عقدوا عدة مؤتمرات " وكان من أخطر هذه المؤتمرات تاريخياً المؤتمر الذي عقد بمدينة فرانكفورت عام ١٨٤٥م والذي جرى فيه نقاش عام وشامل للتغييرات التي أجريت على الطقوس والمراسم الدينية فقد دعا عدد من الوفود إلى إلغاء كامل للغة العبرية، باعتبار أن تأكيد المحافظة عليها ينتهي إلى القول بأن اليهودية ديانة قومية"(١).

ثم هناك المؤتمر العام الذي عقدته حركة الإصلاح الأمريكية بمدينة بطسبرج عام ١٨٨٥"والذي نص من بين أمور كثيرة صراحة على رفض كامل للتشريعات الموسوية والربائية، بما في ذلك الشريعة الإلهية المنزلة، ومايماثلها من المقدسات، وتم استبدال السبت اليهودي بالأحد المسيحي مع إدانة كاملة للنزعات القومية"(٢).

ويقول الدكتور عبدالوهاب المسيري عن هذا المؤتمر: " جاء في مقررات مؤتمر بطسبرج الإصلاحي أن الكتاب المقدس ليس من صنع ا لله بل هو وثيقة من صنع الإنسان.. فالعهد القديم له جانبان واحد مقدس والآخر زمني وقد سقطت فاعلية الجزء الثاني بسقوط الهيكل، وكذا سقط معهما كل ماله علاقة بالهيكل أو الدولة وبقي الجزء المقدس أو المطلق وحده "(٣).

فالإصلاحية حاولت التخفيف من حدة الانعزالية التي يعيشها اليهود وذلك بأن يندمجوا في المجتمعات المحيطة بهم ولن يتم ذلك إلا إذا قاموا بالتخلص من الإرث الديني والذي يلتزم به اليهود، لذا كان من أهم المعالم التي تميزت بها الدعوة الإصلاحية رفض التشريعات الموسوية بمعنى إنكار التوراة وجميع الأقوال الشفوية،وكذا رسائل الحاخامات مع اعتبار أن التوراة ليست من الوحي الخالص بل هي نتيجة لعبقرية اليهود الدينية(٤).

---

(١) السابق، ص ١٦١.
(٢) السابق، ص ١٦٤.
(٣) موسوعة المفاهيم الصهيونية ، ص ٤٥٢.
(٤) انظر كتاب اليهود، تاريخ وعقيدة من صفحة، ٢٠٩ إلى ٢١٦.

٣ – المحافظون :

هذه الحركة نشأت رد فعل لمقررات بطسبرج فقد " تشكلت مجموعة مؤثرة من أصحاب النزعات التوفيقية المعتدلة بزعامة: سباتوموررياس تحولت فما بعد إلى حركة منظمة عرفت بحركة المحافظين استطاعت أن تنمو ويتكاثر أعوانها وأتباعها بسرعة ... وحددت الحركة أهدافها الرئيسية في المبادئ الثلاثة التالية :

١– تنمية الشعور بالوحدة الجامعة لبني إسرائيل ...

٢– صيانة حرمة التقاليد اليهودية الموروثة والحفاظ عليها من الضياع .

٣– تطوير الدراسات والمعارف اليهودية وبذل الجهد من أجل تنميتها"[١].

وعن نظرة هذه الحركة إلى التوراة والعهد القديم فإنهم : " يقولون بأن التوراة ابتدعها الحاخامات لكي يضيفوا لوناً من الشرعية على ماأقره الإجماع الشعبي، لكنهم لم يتخذوا موقفاً نقدياً أو متحرراً من التوراة"[٢].

٤– التجديدية :

نشأت هذه الحركة من داخل حركة المحافظين وكانت رد فعل للتسامح الذي أبداه المحافظون فقامت هذه الحركة التى " عرفت : بإعادة البناء أو التجديد والتي دشنها: مردخاي كبلن والتى قامت على أساس من الدعوة القائلة بأن الدين اليهودي إنما وجد من أجل اليهود، ومن ثم فإن وجود بني إسرائيل ليس رهناً بالدين اليهودي وبقائه، ومن هذا المنطلق فإن حركة التجديد والبناء صارت تنظر إلى العقيدة اليهودية نظرةً نسبية، وعلى أنها من الإرث الحضاري العام لبني إسرائيل، هذا الإرث الذي تشكل العقيدة

---

(١) الحركات الحديثة في اليهودية، ص ١٦٥–١٦٦، نقلاً عن كتاب: اليهودية عرض تاريخي.

(٢) موسوعة المفاهيم الصهيونية ، ص ٤٥٨.

الدينية على الرغم من أهميتها، أحد عناصره، من بين مظاهر متعددة كثيرة تجلى فيها هذا الإرث الحضاري وعبر فيها عن نفسه ومكنوناته، شأنها في ذلك شأن اللغة والأدب وسائر الفنون، وبناءً على هذا الفهم فإن الدين اليهودي لايعدو أن يكون عقيدة الجمهور كما أصبحت الشيوعية ديناً للجماهير في روسيا، وأن الشعائر الدينية الموصولة بالعقيدة الدينية ليست إلا وسائل جماهيرية للتعبير عن الذات ..."(١).

وهذا ماأكده د. عبدالوهاب المسيري في حديثه عنهم فقال: " اتجاه ديني وضع أساسه الحاخام كابلان لتطور القيم اليهودية ... ينكر فيه فكرة الوحي الإلهي، وأن الدين ماهو إلا اختراع إنساني يجب أن يرتبط عضوياً بالمجتمع وبتقدم المعرفة الإنسانية"(٢).

وهكذا فإن الحركات اليهودية الحديثة المشهورة فيما عدا الأرثوذكسية تنكر الوحي ولاتقدس التوراة ولا العهد القديم ويعتبرونها من التراث الذي يجب المحافظة عليه فقط.

---

(١) الحركات الحديثة في اليهودية، ص ١٦٧.

(٢) موسوعة المفاهيم الصهيونية، ص ٤٥٤.

من مصادرهم المقدسة

ثانياً : التلمـود

التلمود هو المصدر الثاني من المصادر المقدسة عند اليهود بل إنه في كثير من الأحيان يفوق التوراة في الأهمية وفي مدى الالتزام والتطبيق لمضامينه، والشخصية اليهودية بكل مافيها من مساوئ ونقائص تمثل التلموذ في الواقع، حيث تبدو عليها نوازع العداء والتعالي وإضمار الشر للغير، والإفساد أيضاً .

وماذلك إلا أثر مباشر للعقيدة التلمودية المتأصلة في ضمائرهم ومامن شك أن التطبيق العملي لتعاليم التلمود إنما هو سمة من سمات اليهود فهو عقيدة يحملها القوم في صدورهم، وتنفيذ فعلي ترتاح إليه نفوسهم.

والتلمود : كلمة " مستخرجة من كلمة – لامود – التى تعني: تعاليم ... فهو الكتاب العقائدي الذي وحده يفسر ويبسط كل معارف الشعب اليهودي وتعاليمه"[١].

ولأجل التعرف أكثر على التلمود يجدر إلقاء نظرة أشمل وأوفى على محتوياته ومباحثه، فالتلمود ينقسم إلى جزئين هما :

– المشنا Mishnah وهي أصل التلمود .

– الجمارا Gemara وهي الشرح على الأصل .

أولاً : المشنا :

تعتبر المشنا أصل التلمود، وهي كلمة تعني التكرار وغرضها " هو إيضاح وتفسير ماالتبس في شريعة موسى، وتكملة الشريعة "[٢].

ويزعم الفريسيون أنها أعطيت لموسى على شكل روايات شفوية، وهم يعترفون

---

(١) الآب . آي. بي. برانايتس، فضح التلمود، إعداد : زهدي الفاتح ، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، دار النفائس، بيروت، ص٢١.

(٢) الكنز المرصود في قواعد التلمود، ترجمة، د.يوسف نصرالله، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م، ص٤٨.

بها، وبأنها تأتي في المقام الثاني بعد التوراة، فقد جاء عن أحد الحاخامات عند تفسيره لما ورد في التوراة : (إنا سنعطيك ألواح الحجر وقانوناً ووصايا كتبناها لتعلمها لهم) قوله: "إن المراد من الألواح: الوصايا العشر، والقانون هو: القانون المكتوب، والوصايا: هي المشناة، وكتبناها : يعني الذي كتبه الأنبياء من كتابات مقدسة، لتعلمها: معناه الجمارا، فهذا يعلمنا أن هذا كله أعطي لموسى في طور سيناء"(١).

ولم تكن تلك الوصايا مقيدة بالكتابة بل كانت شفهيةً لأنهم كانوا ينهون عن كتابتها.

حيث ورد في التلمود " إن الأمور التى تروى مشافهة ليس لك الحق في إثباتها بالكتابة"(٢).

ولأجل هذا ظلت تلك الروايات " تسودها الفوضى الكاملة إلى القرن الأول قبل المسيح. يقول ميلتسينر: إن أول جهد بذل لإقرار شيء من النظام والمنهج في تلك الكتلة المختلطة من المرويات هو الذي قام به الإمام اليهودي – هِلِيل(٣) – رئيس المجلس الديني الأعلى – السنهدرين(٤)– في أيام هيردوس، أمير اليهود، الذي ولد المسيح في زمانه ،

---

(١) ظفر الإسلام خان، التلمود، تاريخه، تعاليمه، دار النفائس، الطبعة السابعة، ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م، ص١٤.

(٢) الفكر الديني اليهودي، ص٦٧.

(٣) هِلِيل : من أشهر الحاخامات اليهود ومؤسس مايعرف باسم بيت هليل، انتخب رئيساً للسنهدرين واشتهر بأحكامه الدينية المرنة على عكس أحكام شماي المتعنتة، موسوعة المفاهيم الصهيونية، ص ٤٢٢.

(٤) السنهدرين : كلمة يونانية تعني " مجلس "، كانت تطلق على الهيئة العليا المختصة بالنظر في القضايا السياسية والجنائية والدينية الهامة في فلسطين وهي نوع من المحاكم تمارس تطبيق العدالة وإصدار الأحكام طبقاً للقوانين اليهودية في ذلك الوقت، وكان السنهدرين الأكبر يتكون من ٧١ عضواً ومقره أورشليم ويجتمع في القاعة العظمى بالهيكل ووظيفته تشريعية ويعمل أيضاً كمحكمة استئناف، انظر موسوعة المفاهيم الصهيونية، ص٢١٧.

فهذا الإمام هو الذي خطط تقسيم هذه المرويات إلى أقسامها المعروفة، ثم جاء من بعده إمام آخر هو – عقيبا[1]– فنظم بعض التفاصيل الجزئية في داخل هذه الأقسام الستة، وجاء من بعده الإمام – مئير – فأكمل نصوص المشنة وأضاف إلى نظامها مزيداً من الأحكام، أما الذي قيدها كتابة في وضعها الذي نعرفه فهو الإمام – يهوذا هاناسيء[2]– وكان ذلك حوالي نهاية القرن الثاني بعد الميلاد"[3].

العلماء الذين قاموا بالاهتمام بها :

يطلق على العلماء الذين اهتموا بها اسم : التنائيم، أي: معلمي الشريعة وهم يمثلون ست طبقات ابتدأت من القرن الأول للميلاد حتى أواخر القرن الثاني، كان من أبرزهم:

يهوذا هاناسيء الذي قيدها كتابة، والذي كان من ضمن الطبقة ا لخامسة في الفترة من عام ١٦٥ حتى ٢٠٠م، أما قبل ذلك أي قبل القرن الأول للميلاد فترجع نصوص المشنا إلى " الفترة التى يسميها مؤرخو الفكر اليهودي بعصر الكتبة – سوفريم– ويجعلونها تبدأ من عزرا مباشرة، ويسمون طلائع هذا العصر: رجال الكنيسة الكبرى، الذين يقال إن عددهم كان مائة وعشرين عضواً، جمعهم لأول مرة شمعون الأول المكابي الملقب بالعادل (٣١٠–٢٩٢ ق.م)، أو حفيده شمعون الثاني (٢٢٠ ق.م)، يلي عصر السوفريم أو الكتبة طور آخر من أطوار تكوين المشنا يسمونه حقيبة الأزواج، لأن علماء

---

(١) عقيبا بن يوسف (٤٠–١٣٥) : عالم ديني يهودي أحرز شهرة كبيرة ومكانة عالية بين اليهود وكان يطلق عليه اسم أبوالمشناة لأن شروحه للتوراة كانت مقبولة من الجميع. موسوعة المفاهيم الصهيونية، ص٢٧٠.

(٢) يهوذا هاناسيء: هو ابن سيمون بن غملائيل الثاني من عائلة غنية ولها جاه طويل عاش في الفترة من (١٣٥–٢٢٠ب.م) ، درس اليونانية وكان صديقاً للرومان. انظر: بروتوكولات حكماء صهيون – عجاج نويهض، ص٤٦٥.

(٣) الفكر الديني اليهودي، ص٦٦ .

الشريعة اليهودية كانوا في أثنائها يتعاقبون اثنين اثنين"[١]، وكان أشهرهم: هليل وشماي[٢] أيام الملك هيرودوس .

أقسام المشنا :

تتكون المشنا من ستة أقسام رئيسية مكونة من ثلاثة وستين فصلاً ويسمى كل قسم منها " سيداريم أي أحكام، وهي كما يلي :

١- زيرائيم : Zeraim، البذور، ويتضمن اللوائح الزراعية، ١١ رسالة .

٢- موئيد : Moed ، الأيام المقررة، يحتوي على لوائح الأعياد والصيام، ١٢ رسالة.

٣- نشيم : Nashim ، (المرأة) يتضمن قوانين الزواج والطلاق والنذور والناذر ٧ رسائل منها رسالة " عابوده زاره " الشهيرة، ومعناها عبادة الأوثان، وتتناول علاقة الوثنيين باليهود.

٤- نيزيكين : Nezekin ، (الأضرار) يشمل القوانين المدنية والجنائية ١٠ رسائل .

٥- كوداشيم : Kodashim ، الأشياء المقدسة، عن قوانين الصلاة ١١ رسالة .

٦- توهاروت: Toharoth (الطهارة) عن قوانين الطهارة والنجاسة ١٢ رسالة "[٣].

وهذه الأقسام الستة تحتوي الكثيرمن النصوص العنصرية البغيضة والتي تحدد

---

(١) السابق، ص ٧٧.

(٢) شماي : أحد حاخامات اليهود المشهورين بتشددهم في الأحكام الدينية ويعود تشدده إلى خوفه على اليهود من الاندماج مع الشعوب الأخرى، خاصة أنه كان يعيش في وقت كانت الحضارة الرومانية فيه آخذة في الانتشار بين شعوب الشرق الأوسط، وتوجد مدرسة للتفسير والفقه تنسب إلى شماي وهي كثيراً ماتقارن بمدرسة الحاخام هليل المعاصر له، موسوعة المفاهيم الصهيونية، ص ٢٣٣.

(٣) التلمود، تاريخه، تعاليمه، ص١٥-١٦.

علاقة اليهودي بغيره، ولايأخذ القارئ العجب حين يطلع على مثل هذه الأقوال[١]، لأنه يتضمن بالاضافة إلى ذلك نسبة التشبيه والتجسيم في حق ا لله تعالى، والقدح في ملائكته ورسله، حيث ورد فيه: (إن النهار اثنتا عشرة ساعة: في الثلاث الأولى يجلس ا لله ويطالع الشريعة، وفي الثلاث الثانية يحكم، وفي الثلاث الثالثة يطعم العالم، وفي الثلاث الأخيرة يجلس ويلعب مع الحوت ملك الأسماك)[٢].

فقد نسبوا إلى ا لله تعالى : اللعب ومطالعة شريعتهم، ثم إنهم بعد ذلك يحاولون تمييز أنفسهم وأرواحهم، حيث يعتبرونها جزء من ا لله تعالى وأن الإسرائيلي معتبر عند ا لله أكثر من الملائكة، فإذا ضرب أمي إسرائيلياً فكأنه ضرب العزة الإلهية، ولاغرابة في هذه الأقوال فإذا كان هؤلاء قد تطاولوا على ا لله تعالى بمثل هذه الصورة فلا حرج من أن يتطاولوا على ماسواه من باب أولى، إلا أنه مع ذلك يحتوي على بعض الحكم والآداب ذكرها صاحب حكمة الأديان الحية منها :

" ١- أظهر فضائلك هامساً وأخطاءك بصوت عال .

٢- خير لك أن تكون مشتوماً من أن تكون شاتماً.

٣- كن ليناً كالقصبة لا صلباً كشجرة الأرز .

٤- الصمت يشفي الأسقام .

٥- من يركض وراء العظمة فإن العظمة تهرب منه، ومن يهرب من العظمة فإن العظمة تركض وراءه.

٦- يزاول الإحسان الحقيقي سراً وأفضل أنواع الإحسان هو من حيث لايدرى

---

(١) سوف يأتي ذكر تلك النصوص بالتفصيل في الفصل الثاني من الباب الثاني بعنوان موقف التلمود من الأمميين.

(٢) الكنز المرصود، ص ٥٥ .

المحسن لمن أعطى ولا الآخذ ممن أخذ"[١].

ثانياً : الجمارا :

بعد أن وصلت المشنا إلى صورتها الأخيرة، بعد ترتيبها وتدوينها كتابة، بدأ علماء اليهود في شرحها، وهو ماسمي: الجمارا، وهي كلمة تعني: الإكمال، حيث قام العلماء بشرح المشنا في بيئتين مختلفتين هما: بابل بالعراق، وأورشليم في فلسطين، وقد قام بهذا العمل علماء اليهود الذين يطلق عليهم " الأمورائيم" وهو لفظ يعني المتكلمين " الذين انطلقت ألسنتهم في المدارس المختلفة السابقة شارحين ومعلقين وباسطين فيما يشبه المحاضرات الشفوية التي ينصت إليها التلاميذ ليصبحوا بدورهم عندما يصلون إلى النضج العلمي طبقة أخرى من الأمورائيم"[٢]، وقد تعددت طبقات هؤلاء الأمورائيم، ذكر ذلك الدكتور حسن ظاظا فقال :

· **طبقات أحبار التلمود في فلسطين :**

الطبقة الأولى (٢١٩-٢٧٩): حنينا برحاما، يوحنا برنفاحا، شمعون بن لقيش، يوشع بن ليفي.

الطبقة الثانية (٢٨٩-٣٢٠): إلعازار بن فدات، آمي ، آسي ، حيا برأبا، شمعون برأبا، أباهو، زيرا .

الطبقة الثالثة (٣٢٠-٣٥٩): إرميا، يُونا، يوساي بن زيدا، وبهذه الطبقة يقف شرح المشنا في التلمود الأورشليمي.

· **طبقات أحبار التلمود في العراق (بابل) :**

الطبقة الأولى (٢١٩-٢٥٧): شيلا، أبّا أريكا، مارشموئيل، مارعوقبا القاضي.

الطبقة الثانية (٢٥٧-٣٢٠): هونا، يهودا بن يحزقئيل، حسدا، شِيشِتْ، نحمان

---

(١) جوزيف كاير، حكمة الأديان الحية، ص ١٨٤-١٨٥.

(٢) الفكر الديني اليهودي، ص٨١.

بر يعقوب، ربّا بر رب حنا، عولا بن إسماعيل .

الطبقة الثالثة : (٣٢٠-٣٧٥): ربا برهونا، ربا بن نحمان، يوسف برحيا، أباي، ربا بن يوسف، نحمان بن إسحق، بابابرحنان.

الطبقة الرابعة: (٣٧٥-٤٢٧): آشي، أميمار، زبيد برأوشعيا، ديمي برحنينا، رفرام الكبير بربابا، كاهنا برتحليفا، مارزوطرا، يهودا برشلوم، إليعازار بن يوساي، يوساي برأبين.

الطبقة الخامسة : (٤٢٧-٤٦٨): ماريمار، إيدي برأبين، ماربر رب آشي، رب آحا، رفرام الثاني، رحوماي، سمابر ربَّا.

الطبقة السادسة والأخيرة في بابل (٤٦٨-٥٠٠): ربا توسفيا، ربينا برهما، يوساي"[1].

ومن المشنا والجمارا التي شرحت في أورشليم بفلسطين عرف مايسمى بتلمود فلسطين، ومن المشنا والجمارا التي شرحت في بابل بالعراق عرف تلمود بابل .

ويعود تاريخ جمع تلمود فلسطين إلى عام ٤٠٠م، بينما يعود تاريخ جمع تلمود بابل إلى ٥٠٠م تقريباً.

الفرق بين التلمودين :

يعقد صاحب كتاب : التلمود، تاريخه وتعاليمه مقارنة بين تلمودي بابل وفلسطين فيقول :-

" يختلف تلمود فلسطين كثيراً عن مثيله البابلي، كماً وكيفاً، فمادة تلمود فلسطين ثلث مايحتويه تلمود بابل، كما أن تلمود فلسطين ينقصه العمق المنطقي والشمول اللذين يمتاز بهما تلمود بابل، ويرجع هذا إلى أن تلمود بابل ألف في فترة

(١) السابق، ص٨٤-٨٧.

استغرقت قرناً من الزمان،في سلام وأمن،أما تلمودفلسطين فجمع على عجل،وفي ظروف غير مساعدة بسبب اضطهاد الرومان. وتلمود فلسطين يختلف كذلك في لغته، فلغته عبرية تتخللها عبارات بالآرامية الغربية، أما تلمود بابل فأكثره بالآرامية الشرقية نسجت فيه عبارات بالعبرية ويتضمن كلمات عربية وسريانية ويونانية ولاتينية وكلدانية"(١).

وتلمود بابل هو التلمود المعتمد الآن، جاء في كتاب فضح التلمود: "... لكن نسخة القدس من الجماره لم يعتد بها، نظراً لغموضها وتميزها بالاختصار الشديد بينما اعتمد اليهود في المقام الأول وفي جميع الأزمان والظروف نسخة بابل"(٢).

طبعات التلمود :

يذكر كتاب التلمود، تاريخه، تعاليمه: أن التلمود طبع طبعات متعددة: "فقد طبع تلمود أورشليم لأول مرة في البندقية في سنتي ١٥٢٢-١٥٢٣م، وظهرت الطبعة الثانية في كراكوو فيما بين ١٦٠٢-١٦٠٥ مع بعض الحواشي والشروح، بسبب الاهتمام المتزايد بالتلمود في بولندا، وأعيد طبع نسخة كراكوو في كروتوتشين سنة ١٨٨٦م، ثم ظهرت طبعة زيتومير في ١٨٦٠-١٨٦٧، ثم طبعتا Piotrkew سنة ١٨٩٩-١٩٠٠ وروم في فيلنا سنة ١٩٢٢، وقد طبعت هذه الأخيرة مع بعض الحواشي سنة ١٩٢٩ باسم (تشلوم يروشلمي)، وظهرت طبعة مصورة لنسخة البندقية ١٥٢٣ في ليبزنج سنة ١٩٢٥ تبعته طبعة برلين سنة ١٩٢٩م"(٣).

أما تلمود بابل فقد طبع هو الآخر عدة طبعات كان أولها عندما " طبعت بعض فصوله سنة ١٤٨٤، إلا أن الطبعة الكاملة نشرت في البندقية فيما بين ١٥٢٠ و ١٥٢٣، أما نسخة بازل، فقد خضعت للرقابة الكنسية التي حذفت منها أشياء كثيرة،

---

(١) التلمود، تاريخه، تعاليمه، ص ٣٨، ٣٩.

(٢) فضح التلمود، ص ٢٥.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٣-٢٤.

وطبعة أمستردام ١٦٤٤-١٦٤٨م، لم تشوه كثيراً رغم خضوعها للرقابة، والطبعة المعتمدة هي طبعة روم المنشورة في فيلنا سنة ١٨٨٦ في عشرين مجلداً وأحسن طبعة لتلمود بابل نشرها ستراك سنة ١٩١٢ عن نسخة أعدت في ميونيخ في أواسط القرن الرابع عشر"[١].

مكانة التلمود عند اليهود :

يحتل التلمود مكانة كبيرة وعظيمة عند الذين يؤمنون بالتعاليم الشفوية المنسوبة لموسى، أما من اقتصر على التعاليم الكتابية فقط فهم لايؤمنون به ولايمثل عندهم أية مكانة.

ومن أشهر الفرق اليهودية التى لاتؤمن بالتلمود قديماً وحديثاً :

١- الصدوقيون: لايؤمنون بالتلمود وقد كانوا على عداء مستحكم مع الفريسيين، والتلمود يصفهم بأقبح الصفات " بل أضرب عن تسميتهم بالصدوقيين وسماهم: الأبيقوريين، لأن مفهوم هذه الصفة عند اليهود التلموديين ينطبق على من يصاب بالشك في الحقائق، وعدم تصديق الروايات الشفوية"[٢].

٢- القراؤون: وهذه أيضاً من الفرق التي لاتقر بالتلمود، وكان شعارهم:

- اقرؤوا التوراة واتركوا التلمود - وقد نظم أحد شعرائهم منظومة قال فيها: (حاشا لله أن أنْضَمَّ إلى الأشرار أو أمشي في طريقهم، وحاشا لله أن أسمع تخرصاتهم الكاذبة وسخرياتهم أو أقبل افتراءاتهم أو أسمع أباطيلهم، أو أدرس فرائضهم من مشناتهم، التى ابتدعوها بأنفسهم وسأرفض دائماً أنها شريعة شفوية مقدسة ، أمر بها إله الشعب على جبل سيناء ليعزز بها هذه الأباطيل الكاذبة، بل

(١) السابق، ص ٢٧ .
(٢) الفكر الديني، ص٢١٥-٢١٦.

لا أؤمن إلا بشريعة مكتوبة، أعطاها الإله إلى شعبه، وهي شريعة واحدة)[١].

٣- السامرة : وهذه الفرقة لاتعترف إلا بأسفار موسى الخمسة وسفر يشوع فقط أما ماعداها من الأسفار المكتوبة فلاتعترف بها، وكذلك جميع التعاليم الشفوية .

٤- وحديثاً هناك حركة الإصلاحيين على يد موسى مندلسون، وهؤلاء قاموا بحركات تجديدية في اليهودية كان من أهم آراءهم فيها عدم الاعتراف بالتلمود .

أما الفرق التي تؤمن بالتلمود ويمثل عندها مكانة مقدسة ومنزلةً عظيمة قد تفوق في بعض الأحيان التوراة نفسها فهي :

١- الفريسيون: وهم الذين ألفوا أسفار التلمود، يقول الدكتور علي وافي عن هذه الفرقة " أنها تعترف بجميع أسفار العهد القديم والأحاديث الشفوية المنسوبة إلى موسى وأسفار التلمود"[٢].

وحديثاً تعتبر اليهودية الأرثوذكسية امتداداً للفريسين قديماً " وهذه الأرثوذكسية حسب شهادة دائرة معارف اليهودية العامة، تؤمن بالقانون الشفهي إيمان الفريسيين به"[٣].

وهؤلاء هم الذين يتمسكون بالتلمود ويلتزمون بنصوصه التي تفيض بالضلالات والعنصرية والإفساد أيضاً، حتى تشبعت أرواحهم بها على مدى قرون طوال، مما كان له الأثر في علاقتهم بغيرهم من الأمم، وتنبع أهمية التلمود تبعاً لأهمية ومكانة الحاخامات الذين دونوه، فهذا أحد الحاخامات يقول: " التفت يابني إلى أقوال الحاخامات أكثر من التفاتك إلى شريعة موسى" وورد في قول آخر " من احتقر أقوال الحاخامات استحق

---

(١) د.عرفان عبدالحميد فتاح، اليهودية عرض تاريخي، ص٩٦، نقله عن كتاب: فرقة القرائين اليهود، د. جعفر هادي حسن.

(٢) الأسفار المقدسة، ص٦٣.

(٣) التلمود ، تاريخه، تعاليمه، ص٣٢.

الموت أكثر ممن احتقر أقوال التوراة، ولاخلاص لمن ترك تعاليم التلمود واشتغل بالتوراة فقط، لأن أقوال علماء التلمود أفضل مما جاء في شريعة موسى". وأيضاً " مخافة الحاخامات هي مخافة ا لله" وأن " من يجادل حاخامه أو معلمه فقد أخطأ وكأنه جادل العزة الإلهية " وقد جاء في التلمود " أن تعاليم الحاخامات لايمكن نقضها ولاتغييرها ولو بأمر ا لله"(١). فهم إذن يعتقدون بعصمة الحاخامات من الخطأ حتى لو تناقضت أقوال الحاخامات فهي أيضاً منزلة من السماء،ومن يحتقرها فمثواه جهنم وبئس المصير .

موقف غير اليهود من التلمود :

لقد هاجم غير اليهود التلمود هجوماً عنيفاً وذلك عندما علموا مايحتويه وخاصة فيما يتعلق بالمسيح عليه السلام وأمه وكذلك موقفه من المسيحيين وتهجمه عليهم، لذلك فقد حرَّضت الكنيسة الحكومات على تتبع نسخ التلمود إتلافاً وإحراقاً ومصادرةً، وقد استجابت الحكومات لهذا التحريض، واستغل عامة الشعب هذا الأمر وذلك بخلق جو عام ضدهم .

وقد أنتُقِدَ التلمود في وقت مبكر جداً وذلك أنه " في عام ٥٥٣م – أي بعد الفراغ منه بزمن قصير – قرر القيصر جستنيان مصادرته، ثم جاءت الكنيسة واقتفت أثر القيصر، واستمرت الكنيسة والدولة تتعقبانه، مصادرةً وحرقاً وإتلافاً، قرابة ألف عام، باعتباره أهم مصدر للتعاليم اليهودية التي أدت إلى مقاومة اليهود للسلطة والدين المسيحي سراً وعلانيةَ "(٢).

وقد تعددت أشكال هذه المقاومة وهذا الرفض، فمن إحراق لطبعات التلمود إلى إجراء المناظرات مع علماء اليهود إلى إلزامهم بوضع علامات تميزهم عن غيرهم(٣).

---

(١) انظر: الكنز المرصود، من ص ٥٠ إلى ٥٣ .

(٢) د. كامل سعفان، اليهود تاريخ وعقيدة، دار الإعتصام، ص١٥٢، ١٥٣.

(٣) انظر: التلمود، تاريخه، تعاليمه، من ص٤٠ إلى ٤٨، وكذا كتاب: الإسلام وبنو اسرائيل، للجنرال جواد آتلخان، ص ٦٠.

وقد حاول بعض العلماء البحث عن السبب الذي جعل للتلمود كل تلك المنزلة عند معتنقيه اليهود، يقول د. جوزيف باركلي " رغم أن أي مجمع يهودي عام لم يتبن التلمود رسمياً إلا أن اليهود الأرثوذكس تبنوه لأنه زودهم بشيء شعروا بحاجتهم إليه"(١). وهذا يعني أن اليهودي لايستطيع أن يعيش بدونه فهو كما قال إسرائيل أبراهامز " بقي اليهودي بسبب التلمود، بينما بقي التلمود في اليهودي"(٢) مما يعني أن كلاً من اليهود والتلمود إنما يكملان بعضهما البعض، فاليهود عاشوا طوال تلك القرون والأجيال متعلقين بالتلمود الذي تحض تعاليمه على الانعزال والاستعلاء على الناس .

والتلمود بقي طوال تلك الأجيال لأنه محفوظ في صدورهم ويمارس فعلياً على أرض الواقع، ولاأدل على ذلك من قول أحدهم " الحياة اليهودية حتى هذا اليوم، مؤسسة إلى حد كبير، على التعاليم والأسس التلمودية، فطقوسنا وكتاب صلاتنا واحتفالاتنا، وقوانين زواجنا، بالاضافة إلى قوانين وأسس أخرى كثيرة مستخرجة مباشرة من التلمود، والتلمود هو الذي تعزى إليه الصفات التى يتميز بها اليهودي، فالاتزان في الشخصية، والتصدق ونزعته إلى الحرية الإجتماعية، وعلاقته العائلية الوطيدة، وتعطشه للتعليم، وإمكانياته العقلية كلها ترجع إلى التلمود، والحياة اليهودية قد أثرت بهذا الكتاب"(٣).

(١) التلمود، تاريخه وتعاليمه، ص ٣٣ .

(٢) السابق، ص ٣٤ .

(٣) السابق، ص ٣٤-٣٥.

من مصادرهم : البروتوكولات

بروتوكولات حكماء صهيون :

بروتوكولات حكماء صهيون : هذه الكلمات الثلاث التي تعني في مجموعها: أخطر وثائق ظهرت حتى الآن، تتضمن مخططاً عجيباً يطمع أربابه من خلاله في الاستيلاء على العالم وحكم البشرية وامتلاك ثرواتها، لاقامة ملك اليهود وإعادة مجد صهيون.

إذن لاعجب أن تحتل البروتوكولات هذه المكانة البارزة عند اليهود وأن تصبح مصدراً مهماً من مصادرهم المقدسة إلى جانب التوراة والتلمود، منها يستلهمون الخطط والمؤامرات وينفذونها، ولاعجب أيضاً إذا تبين أن كثيراً مما في هذه البروتوكولات من خطط ومؤمرات قد تم تنفيذه فعلاً على أرض الواقع، وبالعودة إلى عنوان هذه الوثائق، يأتي السؤال : ماذا تعنى بروتوكولات حكماء صهيون ؟

- بروتوكولات : جمع بروتوكول ، وكلمة بروتوكول هي : " لفظ يطلق على الوثائق الرسمية، أو الاتفاقات التي تقرر قواعد سياسية عامة، صيغتها موجزة غالباً"[١].

إذن البروتوكولات هي : " مجموعة أنظمة أو مقررات " وضعها اليهود لإفساد العالم حتى تقوم دولتهم المزعومة .

يقول الأستاذ محمد خليفة التونسي : " هي محاضرة طويلة ألقاها زعيم موقر المكانة على جماعة من ذوي الرأي والنفوذ بين اليهود ليستأنسوا بمضامينها تقريراً وتنبؤاً فيما هم مقدمون عليه بعد، حتى تقوم مملكة إسرائيلية تتسلط على العالم "[٢].

- وكلمة حكماء هي جمع حكيم، والحكيم مأخوذ من الحكمة، والحكمة هي: وضع الشيء في موضعه .

---

(١) الموسوعة العربية الميسرة، بإشراف: محمد شفيق غربال، دار إحياء التراث العربي، ج١/٣٥٧.

(٢) محمد خليفة التونسي، الخطر اليهودي، بروتوكولات حكماء صهيون، مكتبة دار التراث، القاهرة، الطبعة الثانية، ص ٦٨ .

والمقصود بالحكماء هنا: هم شيوخ اليهود وكبراءهم الذين تولوا صياغة هذه المقررات، وأصل الكلمة تعني: الشيوخ أو الرؤساء، حتى أن الأستاذ محمد خليفة التونسي حينما نشر هذه البروتوكولات في مجلة الرسالة نشرها تحت عنوان : بروتوكولات شيوخ صهيون، لكنه آثر بعد ذلك كلمة حكماء لأنها كما يقول " أوفى دلالة من كلمة – عقلاء – وأوقع من الكلمتين – شيوخ ومشيخة – وأولى أن لاتختلط بما نلقب به للتوقير علماءنا المسلمين بين رجال سائر الأديان"[1].

ومع هذا لايصح وصف هؤلاء بالحكمة، فالله تعالى يقول ﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[2]، ومضمون هذه البروتوكولات وعملهم فيها على إفساد الأمم ليس من الحكمة في شيء، وقد أورد هذا الرأي الأستاذ أحمد عبدالغفور عطار فقال: "لايمكن أن يكون في اليهود حكماء، لأن طبائعهم وأفعالهم تناقض الحكمة بمفهومها السليم"[3].

– وصهيون : اسم التلة أو الرابية التى استولى عليها داود من اليبوسيين أثناء حربه معهم، وهذا العنوان هو الأقدم والأشهر لهذه الوثائق، وواضعه هو سرجي نيلوس أول من نشرها في العالم، ولها عنوان آخر هو : الخطر اليهودي، الذي وضعه فكتور مارسدن مراسل جريدة المورننج بوست اللندنية، وهو من ترجمها من الروسية إلى الإنجليزية.

---

(١) محمد خليفة التونسي، ص ٧٠.

(٢) البقرة، ٢٦٩ .

(٣) أحمد عبدالغفور عطار، مؤامرة الصهيونية على العالم، الطبعة الأولى، مكة المكرمة، ١٣٩٦هـ، ص١٣٩.

كيف اكتشفت هذه البروتوكولات؟:

ذكر في كيفية العثور عليها ثلاث قصص مشهورة أولاهن ذكرها وليم غاي كار في كتابه: أحجار على رقعة الشطرنج قائلاً : " عام١٧٨٥ كان أحد الفرسان يغز السير بجواده بين فرانكفورت وباريس حاملاً معلومات مفصلة حول الحركة الثورية العالمية عامة وتعليمات خاصة حول الثورة الفرنسية، كانت تلك التعليمات صادرة عن النورانيين اليهود في ألمانيا وموجهة إلى السيد الأعظم لماسونيي الشرق الأكبر في فرنسا، وكانت محافل الشرق الأكبر الماسونية في فرنسا قد تحولت إلى شبكات سرية تعد للثورة وأعمال العنف على يد الدوق دورليان السيد الأعظم لماسونيي فرنسا والذي جرى إدخاله إلى المنظمة النورانية اليهودية في ألمانيا على يد ميرابو، أصيب ذلك الفارس بصاعقة في طريقه وهو عبر منطقة راتيسبون قضت عليه، ووقعت الوثائق التي يحملها بحوزة رجال الشرطة الذين سلموها بدورهم إلى السلطات المحلية في بافاريا"[١].

أما القصة الثانية فقد ذكرها الأستاذ عجاج نويهض قائلاً : "إن الحكومة القيصرية في روسيا عندما علمت بماذا يخطط لها اليهود اختارت عصبة مكينة من أمهر الجواسيس الروس المجربين وأنفذتهم إلى – بازل – متنكرين، واتقنوا الخطة كل الاتقان، وبينما المؤتمر منعقد في جلسة سرية، اقتحمت عصبة الجواسيس الروس القاعة اقتحامة الضواري ... وهؤلاء كما يقال من المصادر اليهودية بين ٢٥٠–٣٠٠ ممثل وكلهم رجال الاقتصاد والمال وأساطين الفكرة اليهودية، فذعروا ورأوا أنفسهم في لحظات أن قد أحاطت بهم أسوأ هلكة، فطلبوا السلامة والنجاة ... وفي لحظات أيضاً جالت عصبة المقتحمين جولة خاطفة فجمعت ماستطاعت جمعه من الأوراق المنشورة على المناضد، وخرجت وتوارت عن الأنظار دون أن تلحق أي أذى بأشخاص المؤتمرين"[٢].

---

(١) وليم غاي كار، أحجار على رقعة الشطرنج، دار النفائس، الطبعة الثالثة عشر، ١٤١٢هـ – ١٩٩١م، ص ٨٨.

(٢) عجاج نويهض، ص٣٥.

أما القصة الثالثة فهي قصة المرأة التى سرقت الوثائق الأصلية لهذه المقررات وقد ذكر هذه القصة الأستاذ محمد خليفة التونسي فقال: " استطاعت سيدة فرنسية أثناء اجتماعها بزعيم من أكابر رؤسائهم في وكر من أوكارهم الماسونية السرية في فرنسا أن تختلس بعض هذه الوثائق ثم تفر بها، والوثائق المختلسة هي هذه البروتوكولات التي بين أيدينا، وصلت هذه الوثائق إلى أليكس نيقولا كبير جماعة أعيان روسيا الشرقية في عهد القيصرية، فقدَّر خطورتها ونياتها الشريرة ضد العالم لاسيما بلاده روسيا، ثم رأى أن يضعها في يد أمينة أقدر من يده على الانتفاع بها ونشرها، فدفعها إلى صديقه العالم الروسي الجليل: سرجي نيلوس الذي درسها دراسة دقيقة كافية، وقارن بينها وبين الأحداث السياسية الجارية يومئذ فأدرك خطورتها أتم الإدراك ..."(١).

وينقل د. سعدالدين صالح في كتابه العقيدة اليهودية عن مؤلف كتاب القوى الخفية في السياسة العالمية: " أن هذه المرأة هي الآنسة جستن جلينكا التي كانت تعمل جاسوسة لروسيا في باريس، وقد استطاعت أن تجند يهودياً يدعى – جوزيف شورست – الذي عرض عليها أن يحصل لها على وثيقة ذات أهمية عظمى لروسيا نظير دفع مبلغ ٢٥٠٠ فرنكاً ، وما أن استلم المبلغ حتى سلمها الوثيقة، وقدمت الآنسة جلينكا الأصل الفرنسي من الخطة مترجماً إلى الروسية إلى الجنرال – أدرجفسكي – الذي سلمها بدوره لرئيسه الجنرال – شيرفين – لنقلها إلى القيصر، ولكن شيرفين بحكم ارتباطه بأثرياء اليهود رفض نقلها وحفظها في الأرشيف، إلا أن الآنسة جلينكا احتفظت بنسخة سلمتها إلى (الكسيس سوختن) حاكم مقاطعة – أورل – فقام سوختن بعرضها على صديقين له هما: سبتانوف، ونيلاس، أما الأول فقد قام بطبعها وتوزيعها على أخصائه عام ١٨٩٧م، أما الثاني: فقد قرأها وقدر خطورتها على كل بني البشر، فقام بنشرها في عام ١٩٠١م"(٢).

---

(١) محمد خليفة التونسي، ص ٤٦ .

(٢) د. سعدالدين صالح، العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، مكتبة التابعين، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ، ص٢١٣.

ومن خلال العرض السابق يتضح أن هناك ثلاث روايات لظهور البروتوكولات وكل منها يورد تاريخاً مختلفاً عن الآخر، ولاشك أن الوثائق التي قصدها وليم غاي كار والتى ظهرت عام ١٧٨٥م هي مخطط روتشيلد[١] الذي وضعه عام ١٧٧٣م ودعا له إثني عشر رجلاً من كبار الأغنياء اليهود وذلك لتجميع ثرواتهم وتمويل الحركات الثورية العالمية[٢].

ولكن السؤال الآن: أي هذه النسخ وقع في يد نيلوس؟

من خلال المقارنة بين هذه الروايات يتضح أن النسخة الثانية التي سلمتها جلينكا إلى الكسيس نيقولا سوختن هي التى وصلت لسرجي نيلوس وقام بنشرها يدل على ذلك قوله " هذه الوثيقة وقعت في حوزتي منذ أربع سنوات (١٩٠١) وهي بالتأكيد القطعي صورة حقة في النقل من وثائق أصلية سرقتها سيدة فرنسية من أحد الأكابر ذوي النفوذ والرياسة السامية من زعماء الماسونية الحرة"[٣].

أما الوثائق الأصلية التي يقصدها نيلوس فهي في رأيي التى سلمت إلى الجنرال – شيرفين – ولكنه لارتباطه بأثرياء اليهود رفض نقلها وتسليمها للقيصر وحفظها في الأرشيف، يدلل على أصالتها قول تيودور هرتزل " إن وثائق جد هامة قد اختفت من

(١) هو آمشل مايرباور، ولد عام ١٧٤٣، وروتشيلد ليس اسم عائلته بل هي كلمة معناها: "الدرع الأحمر" وهو درع كان معلقاً فوق دكان أبيه رمزاً لمهنته حيث كان صرافاً، أما آمشل فقد توفي عام ١٨١٢ بعد أن ترك خمسة من الأولاد كان من أبرزهم ناثان روتشيلد الذي أوفد إلى انكلترا وهو في سن الواحد والعشرين بهدف السيطرة على مقدرات انكلترا الإقتصادية .

(٢) انظر للمقارنة بين مخطط روتشيلد والبروتوكولات دراسة للدكتور: مبروك عبدالسميع بعنوان: منابع الفكر الصهيوني وذلك من صفحة ٩٣ حتى ١٠٤ الجزء الأول، مكتبة الصديق، الطائف، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

(٣) بروتوكولات حكماء صهيون، ص١٤٣.

قدس أقداس المحفل الماسوني بباريس وظهرت قبل أوانها"[١].

أما بالنسبة لرواية الأستاذ عجاج نويهض فإن التاريخ الذي ظهرت فيه البروتوكولات كان عام ١٨٩٧ أثناء انعقاد مؤتمر بازل، وأيضاً هو نفس العام الذي وصلت فيه النسخة إلى يد سرجي نيلوس حيث ذكر نيلوس في مقدمة كتابه في الطبعة الأولى التي ظهرت سنة ١٩٠٢م أن هذه الوثيقة وقعت في يده منذ أربع سنوات، وتقديم الكتاب إلى المطبعة كان سنة ١٩٠١م يعني أنها وقعت في يده عام ١٨٩٧م، ولكن النسخة التي نقل عنها هي التي سرقتها السيدة الفرنسية وليست التي عثر عليها الجواسيس الروس في ذلك العام وذلك للأسباب السابقة .

من واضع هذه البروتوكولات ؟ :

هذه البروتوكولات بما تضمنته من مخططات للسيطرة على العالم وتدميره وحيازة ثرواته ليست وليدة اليوم بل هي قديمة جداً ولها أصول في التوراة والتلمود وأقوال حاخامات اليهود وأفعالهم، " فهي إذا كانت بين أيدي مشيخة صهيون الذين عقدوا مؤتمرهم الأول في مدينة بال أو بازل، السويسرية سنة ١٨٩٧م فإن أصولها سابقة، إذ نجدها في التوراة والتلمود والقبالا[٢] ورسائل الحاخامين وخطبهم وأقوالهم، وعمل واضعي البروتوكولات هو جمع ماتفرق وترتيبه وتنسيقه حتى يكون أمر تدمير العالم والسيطرة عليه وعلى ثرواته مخططاً قابلاً للتنفيذ"[٣].

---

(١) مؤامرة الصهيونية على العالم، ص١٣٦ نقلاً عن مذكرات هرتزل .

(٢) القبالا أو الكبالا:هي علم التأويلات والصوفية عند اليهود، والمعنى الأصلي لكلمة قبالة في اللغة العبرية هو: التراث من القبول وكان يقصد بها أصلاً التراث الشفوي المتناقل لليهودية فيما يعرف باسم الشريعة الشفوية، ثم أصبحت من أواخر القرن الثاني عشر الميلادي تعني الأشكال المتطورة للتصوف والعلم الحاخامي في اليهودية إلى جانب مدلولها الأكثر عموماً على كل المذاهب الباطنية في اليهودية . موسوعة المفاهيم الصهيونية، ص٢٩٠.

(٣) مؤامرة الصهيونية على العالم، ص ١٠٧.

وأول من وضع هذه المخططات هو اليهودي المشهور مايرروتشيلد، الذي ولد في فرانكفورت سنة ١٧٤٣م، " وكان فقيراً إلا أنه بما عرف عن اليهود من الغش والكذب استطاع أن يكون من أباطرة المال، ورأى أن يضع مخططاً غاية في الإرهاب والوحشية للاستيلاء على العالم وعلى ثرواته، والسيطرة على الملوك، وعروشهم وسياستهم وقدراتهم، وعلى الشعوب ومقدراتهم وحياتهم، وبعد أن أعد مخططه وجه في سنة ١٧٧٣م الدعوة إلى اثني عشر يهودياً من كبار مالكي الثروة، ولبوا الدعوة واجتمعوا في فرانكفورت، وكان مقصده من هذا الإجتماع إقناعهم بوجهة نظره وبسياسته في الحاضر وفي المستقبل، وموجز رأيه عرضه عليهم أن يوحدوا ثرواتهم ويجمعوها، ويؤسسوا مجموعة موحدة بدل الثروات المفرقة، لأن في جمعها قوة رهيبة تحقق أحلامهم ومطامعهم، فإذا وافقوا على رأيه فإن بوسعهم تمويل حركة الثورة العالمية واستخدامها في سبيل الوصول إلى هدفهم المنشود، وهو السيطرة على الثروات والموارد الطبيعية واليد العاملة في العالم كله"[1].

فهو إذن واضع أساس البروتوكولات ومن جاءوا بعده إنما أضافوا إليها ماجدَّ من التجارب والدراسات حتى يتم لهم مايريدون .

ولكن من هو واضع البروتوكولات بصورتها وصيغتها النهائية ؟

إنه أشرغنزبرغ، المعروف باسمه المستعار " أحدها عام" ومعناها "أحد أفراد الشعب"، ولد سنة ١٨٥٦م في أودسا على البحر الأسود في إقليم أوكرانيا، ومات في تل أبيب سنة ١٩٢٧م، وهو أستاذ ويزمن الذي دافع عنه حيث قال: " ولاأعلم لماذا اختار دعاة اللاسامية هذا الشخص، والمفكر المتنزه، ليرموه بأنه زعيم تلك المؤامرة الغامضة، والمسرحية المخزنة التي عرفت باسم حكماء صهيون، فكان دعاة اللاسامية كلما أرادوا لصق التهمة بأحدٍ ما، اختاروا وأشاروا إلى أشر غنزبرغ، كأنه هو الذي وراء هذه

---

(١) مؤامرة الصهيونية على العالم، ص١٠٨-١٠٩.

المؤامرة اليهودية الشريرة للتسلط على العالم"[١].

ومن خلال دفاع ويزمن عن أستاذه اعترف بأن اليهود هم واضعوا هذه البروتوكولات حينما قال " إنها المؤامرة اليهودية الشريرة للتسلط على العالم ".

موقف اليهود من البروتوكولات عند ظهورها :

عندما ظهرت البروتوكولات لأول مرة للعالم وذلك في العام ١٩٠٢م لم يعترف بها اليهود ولا بصحة نسبتها إليهم "وهب اليهود في كل مكان يعلنون أن البروتوكولات ليست من عملهم، لكنها مزيفة عليهم، ولكن العالم لم يصدق مزاعم اليهود للإتفاقات الواضحة بين خطة البروتوكولات والأحداث الجارية في العالم يومئذ، وذلك لأن العالم قد اطلع على مايدبره اليهود فقامت المذابح ضدهم وخاصة في روسيا التي قتل منهم في أحدها نحو عشرة آلاف"[٢].

وقد عمل اليهود على مصادرة النسخ التي تصدر منها وإعدامها حتى لاتثير الناس عليهم، مع نفيهم نسبتها إليهم " وسواء أنكر اليهود نسبة البروتوكولات إليهم أم اعترفوا بها فإن واقع التاريخ المعاصر والحوادث والحروب والتغييرات التي حدثت في الحكومات والشعوب يثبت تلك النسبة ... ومامن أحد في الأرض يشك في صحة نسبتها إلى اليهود، بل اليهود أنفسهم معترفون بلسان الحال، وبعضهم أضاف في اعترافه بها لسان المقال، وبذلك لم يعد هناك للشك والإنكار مجال"[٣].

اللغة التي ظهرت بها البروتوكولات للعالم:

أول ماظهرت البروتوكولات للعالم في روسيا، وكانت بالطبع باللغة الروسية حينما نشرها سرجي نيلوس في العام ١٩٠٢م، "ثم أعاد نشر الكتاب مع مقدمة وتعقيب

---

(١) عجاج نويهض، ص٤٧ .

(٢) محمد خليفة التونسي، ص ٤٨ .

(٣) مؤامرة الصهيونية على العالم، ص٥٨-٥٩.

بقلمه سنة ١٩٠٥م، ونفذت هذه الطبعة في سرعة غريبة بوسائل خفية لأن اليهود جمعوا نسخها من الأسواق بكل الوسائل وأحرقوها، ثم طبع سنة ١٩١١م فنفذت نسخة على هذا النحو، ولما طبع سنة ١٩١٧م صادره البلاشفة الشيوعيون الذين استطاعوا في تلك السنة تدمير القيصرية، والقبض على أزمة الحكم في روسيا"(١).

وكان أول من ترجمها إلى الإنجليزية هو فكتور مارسدن مراسل جريدة المورننج بوست اللندنية، وقد اطلع على عدة كتب روسية قبل سفره كانت من بينها نسخة البروتوكولات التي بالمتحف البريطاني " وكانت قد وصلت نسخة من الطبعة الروسية سنة ١٩٠٥م إلى المتحف البريطاني في لندن ختمت بخاتمه وسجل عليها تاريخ تسلمها ١٠ أغسطس ١٩٠٦م ... فعكف المراسل في المتحف على ترجمتها إلى الإنجليزية ثم نشرها، وقد أعيد طبعها مرات بعد ذلك كانت الأخيرة والخامسة منها سنة ١٩٢١م"(٢).

إذن ظهرت البروتوكولات أولاً باللغة الروسية، ولكن على نطاق ضيق، وبعد ذلك ظهرت للعالم كله على يد فكتور مارسدن وعن ترجمته الإنجليزية ترجمت البروتوكولات إلى العربية .

أول ترجمة عربية للبروتوكولات :

يذكر الأستاذ محمد خليفة التونسي أنه أول من ترجمها إلى العربية حيث قال: "وترجمتي هذه فيما علمت بعد البحث المستفيض أول ترجمة عربية لهذا الكتاب العجيب وأوفاها"(٣).

لكن الأستاذ أحمد عبدالغفور عطار يذكر أن هناك ترجمات ظهرت قبل ترجمة

---

(١) محمد خليفة التونسي، ص٤٩ .

(٢) المرجع السابق، ص٤٩-٥٠ .

(٣) محمد خليفة التونسي، من مقدمة الطبعة الثانية لكتابه، ص ٢٣.

محمد خليفة التونسي حيث يقول " وأول ترجمة لها حسب علمي هي ترجمة: الخوري أنطون يمين، وكان طبعها كما أظن في أواخر العشرينات من هذا القرن أو أوائل الثلاثينات، وكان العنوان هكذا: المؤامرة اليهودية على الشعوب المقررات الصهيونية أو مضابط الجلسات السرية لحكماء صهيون، وطبع في مصر ولم يذكر في غلاف الكتاب تاريخ الطبع ولا اسم المطبعة، ... وصدرت بعدها في الثلاثينات ترجمة بقلم فريدريك زريق تحت عنوان : أهداف الصهيونية "(١).

وقد أشار العطار إلى ترجمة التونسي قائلاً " وترجمة الأستاذ التونسي ليست أول ترجمة كاملة للبروتوكولات، بل سبقنها ترجمتان .. وكلتاهما وافية كافية ... والغريب أن كل الذين كتبوا في البروتوكولات في اللغة العربية اعتمدوا ترجمة التونسي على أنها الترجمة العربية الوحيدة، وأنها الترجمة الأولى في رأي بعضهم مع أنها ليست الأولى وليست الوحيدة "(٢).

ثم إن هناك ترجمة للأستاذ عجاج نويهض في كتاب يتألف من أربعة أجزاء يحمل عنوان: بروتوكولات حكماء صهيون، نصوصها، رموزها، أصولها التلمودية وقد ظهر عام ١٩٦٧م، وأيضاً ترجمة الأستاذ أحمد عبدالغفور عطار تحت عنوان: بروتوكولات صهيون، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م - مكة المكرمة، ثم إن هناك ترجمة أخيرة للدكتور: إحسان حقي، ترجمها عن نص فرنسي مترجم من النسخة الإنجليزية، وقد صدرت الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

محتويات البروتوكولات :

البروتوكولات عبارة عن محاضرة طويلة، تحوي خطة متكاملة تهدف إلى الإمساك بزمام حكم العالم، حيث تقسم إلى أربعة وعشرين بروتوكولاً، وهي ليست مرتبة ترتيباً

---

(١) مؤامرة الصهيونية على العالم، ص ١٥٠-١٥١.

(٢) نفسه، ص ١٥٢-١٥٣.

موضوعياً بل تجد في البروتوكول الواحد خطة لزعزعة البنيان الاقتصادي في الأمم وأخرى لهدم الأخلاق وثالثة لإلغاء الدين، وإحلال المذاهب الهدامة وهكذا ... فإن الموضوعات تكاد تكون متكررة في بعض البروتوكولات، ولكن إذا ماقسمت تقسيماً موضوعياً يتضح أن هناك خطة متكاملة لتدمير الاقتصاد في حكومات الأمميين، وأخرى لتنظيمه بعد قيام حكومتهم، وهكذا في جميع الجوانب مثل الجانب الاجتماعي[١]، الديني[٢]، السياسي[٣].

ففي الجانب الاقتصادي يوضح مخططهم كيفية تدمير الاقتصاد وذلك بجر الدول الأممية إلى الاقتراض بالفوائد والتعامل بالربا والرهن ومثل هذه الوسائل تمكنهم من سلب ثروات الأمم وزعزعة بنيانها الاقتصادي[٤].

أما اجتماعياً فقد تم التخطيط على إضعاف الاهتمام بالقيم الدينية والأخلاقية لدى الشعوب الأممية بحيث لاتتمكن من حماية أفرادها أو ردعهم عن المضي في الخطأ، وهذا مايريده اليهود تماماً.

ولم ينس اليهود في مخططهم العجيب الاهتمام بالصحافة والكتب لما لهما من دور مهم فعمدوا إلى شراء دور النشر وامتلاك الصحف الكبرى والمهمة التي صارت تنطق بلسانهم وتدافع عن مصالحهم .

أما بعد قيام حكومتهم – كما يأملون – فإن هناك خططاً أخرى موضوعة لكن في الاتجاه المعاكس أي الاحتراز عن فعل أي عمل قاموا به في الماضي أيام حكم الأمميين حتى لايقعوا في الأخطاء التي وقع فيها الأمميون من قبل[٥].

---

(١) انظر البروتوكول الثالث عشر والسابع عشر .

(٢) انظر البروتوكول السابع عشر .

(٣) انظر البروتوكول الأول والثاني والثالث والخامس والسابع والتاسع والعاشر .

(٤) انظر البروتوكول الرابع والسادس والعشرون .

(٥) انظر: البروتوكولات: الثالث والثامن والرابع عشر والخامس عشر والعشرون .

خاتمة المبحث

١- يقسم العهد القديم عند اليهود إلى ثلاث مجموعات هي :

أ- التوراة . ب - أسفار الأنبياء. ج - الكتب.

٢- أثبت القرآن الكريم تحريف اليهود للتوراة، وباستعراض بعض النصوص يثبت التناقض بينها، مما لايدع مجالاً لانكار قداسة هذه النصوص .

٣- لم يثبت اتصال سند التوراة مما يعطي دلالة أكيدة على أنها قد فُقدت منذ مدة طويلة، وأن هذه التوراة الموجودة الآن ماهي إلا تلفيق من أحبارهم وعلماءهم ولاتمت إلى الوحي المقدس بصلة .

٤- يعتبر التلمود عند اليهود بمثابة كتاب موحى به من ا لله -تعالى-، وهو بهذا الاعتبار يفوق التوراة منزلة وقدراً عند بعضهم، يتضح هذا من أقوال حاخامات اليهود، واعتناؤهم به شرحاً وتعليقاً.

٥- تتضمن البروتوكولات مخططاً عجيباً يريد من خلاله اليهود السيطرة على العالم والامساك بزمام الأمور في جميع البلدان، وتملك ثروات العالم عن طريق خطط أودعوها فيها، ويهدفون من ذلك التمهيد لقيام مملكتهم المزعومة .

الفصل الثاني

الأميــون

المبحث الأول

التعريف بالأميين والشعوب التي كانت تجاور بني إسرائيل في ذلك الوقت ولها ذكر في أسفارهم

التعريف بالأممين :

سكن بنو إسرائيل أرض فلسطين، وكان يجاورهم في ذلك الوقت قبائل وثنية متعددة الأجناس والأعراق، وتبعاً للاختلاف بين بني إسرائيل وهذه القبائل أطلق بنو إسرائيل على غيرهم ممن لم يكن منهم اسم: الأمميين أو الغوييم، وقبل الدخول في بيان معنى هاتين الكلمتين لابد من توضيح معنى كلمة يهودي وذلك حسب مفهوم اليهود أنفسهم .

لم يصل اليهود إلى تعريف دقيق وواضح لليهودي في نظرهم وقد اختلفوا في تعريفهم له وتعود أصول الخلاف إلى فترة زمنية ليست بالقريبة، فعندما عاد اليهود إلى فلسطين بعد الأسر شدد علماؤهم على مسألة عدم اختلاط بني إسرائيل بغيرهم من الأمم وذلك حرصاً منهم على نقاء العنصر اليهودي، يقول عزرا منبهاً على بني إسرائيل بعدم الاختلاط مع غيرهم من الأمم (والآن فلاتعطوا بناتكم لبنيهم ولاتأخذوا بناتهم لبنيكم ولاتطلبوا سلمهم ولاخيرهم إلى الأبد لكي تتمكنوا وتأكلوا خير الأرض وتورثوا أعقابكم مدى الدهر)[١]، وأيضاً جاء عنه: (فقام عزرا الكاهن وقال لهم إنكم قد تعديتم واتخذتم نساء غريبات لتزيدوا في إثم إسرائيل فاعترفوا الآن للرب إله آبائكم واعملوا مرضاته واعتزلوا أمم الأرض والنساء الغريبات فأجابت الجماعة بأسرها وقالت بصوت عظيم حسن كما قلت نفعل)[٢].

وهكذا فإن اليهود قد استحبوا الإنعزال والإنغلاق على أنفسهم وقد اشتهر عنهم هذا منذ ذلك الوقت وحتى قيام دولة إسرائيل، وحتى عندما كانوا يعيشون في بلدان أوربا وغيرها أثناء الشتات كانوا يتجمعون في أحياء خاصة بهم يطلق عليها الجيتو.

---

(١) عز ٩ : ١٢ .
(٢) عز ١٠ : ١٠-١٢.

أما بعد أن استقلوا بكيانهم الحاضر في أرض فلسطين وأعطوا اسم إسرائيل للدولة، واليهودية للديانة أصبحت هناك مشكلة تواجههم وهي: رعايا إسرائيل والذين يحملون الجنسية الإسرائيلية بينما ديانتهم ليست اليهودية .

ولأجل هذا حصل الاختلاف بينهم وذلك: " تبعاً لانتماءاتهم المذهبية وتفرقهم إلى يهودية إصلاحية ومحافظة وأرثوذكسية جديدة ومن ثم اختلافهم في تحديد الهوية اليهودية وتعريف من هو اليهودي "(١).

وهكذا أصبح تعريف من هو اليهودي من أشد المواضيع تعقيداً عند الباحثين في هذا الأمر " فبحسب القانون الإسرائيلي يعتبر الشخص يهودياً إذا كانت والدته أوجدته أوجدته لأمه أوجدته لجدته يهودية في ديانتها أو إذا اعتنق الشخص الديانة اليهودية بطريقة ترضي السلطات الإسرائيلية ولكن بشرط ألا يكون هذا الشخص قد تحول في وقت من الأوقات عن اليهودية واعتنق ديانة أخرى ففي هذه الحالة تقلع إسرائيل عن اعتباره يهودياً"(٢).

وهؤلاء هم اليهود الأرثوذكس الذين كانت لهم شروطهم في اعتبار الشخص يهودياً حيث لابد من الأخذ في الاعتبار نسبه من جهة والدته، أما ان كان الشخص راغباً في اعتناق الديانة اليهودية فعليه إجراء الأمور التالية :

" ١- الغطس في ماء الحوض المقدس، والذي جمعت مياهه من المطر، عارياً للأنثى والختان المسبوق على الغطس للذكر .

٢- أن يعلن المرء عن تهوده في حضرة مجلس ديني وبحضور ثلاثة من الربائيين يشكلون عادة مجلساً شرعياً .

---

(١) اليهودية عرض تاريخي، ص ١٢٤.

(٢) إسرائيل شاحاك، الديانة اليهودية وتاريخ اليهود وطأة ٣٠٠٠ عام، تقديم إدوار سعيد، ترجمة : رضى سليمان ، الطبعة الثالثة ١٩٩٧م، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، ص٢٢.

٣- أن يسبق الإقرار بقبول تهوده فترة يوضع فيه من رغب في التهود تحت المراقبة للتحقق من الدوافع وراء رغبته ..."[1].

لكن مثل هذه الإجراءات لم ترض أتباع المذهب الإصلاحي الذين يرون أن "كل من يرغب في التهود بمحض إرادته ومن غير إكراه، وعاقل بالغ يصبح يهودياً من غير المرور بعملية التهويد وشروطه الآنفة الذكر"[2].

وهكذا أصبح هناك صورتان من صور طريقة اعتبار المرء يهودياً في نظر أتباع المذاهب اليهودية، ويتضح فيها من الاختلاف الشيء الكثير، وقد ترتب على ذلك أمور كثيرة " فأتباع المذهبين المحافظ والأرثوذكس لايجيزون الزواج من أو بمثل هؤلاء المتهودين بل ويعتبرون النسل عن مثل هذا الزواج أبناء زنى "[3].

وتأتي على هذه الخلافات أوقات تثار فيها أكثر من أي وقت آخر وذلك " عند تأليف الوزارات الإسرائيلية إذ تصر الأحزاب الدينية على إثارة المشكلة وهي تطالب بتعديل قانون العودة حتى يعرف من هو اليهودي بالمعيار العرقي الديني التقليدي المتشدد، في حين يرى الصهاينة العماليون أن التشدد في تعريف من هو اليهودي يهدد الهجرة من الدياسبورا"[4].

ولأنهم لم يصلوا إلى تعريف دقيق لليهودي فقد اكتفوا بأن يعرفوا غير اليهودي، الذي أطلقوا عليه لقب : الأمي، أو الغوي.

والكلمة الأولى وردت في القرآن الكريم بصيغة الجمع يقول تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[5].

---

(١) اليهودية عرض تاريخي، ص ١٢٧.
(٢) نفسه، ص ١٢٨.
(٣) نفسه، ص ١٢٨.
(٤) موسوعة المفاهيم الصهيونية، ص ٣٧١.
(٥) آل عمران، ٧٥.

يقول ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية : " أي إنما حملهم على جحود الحق أنهم يقولون ليس علينا في ديننا حرج في أكل أموال الأميين وهم العرب فإن ا لله قد أحلها لنا"[١].

جاء في معجم الألفاظ والأعلام القرآنية: " أمي : وهو الذي لايقرأ ولايكتب، أو الذي ينتسب إلى الأميين وهم الذين لايدينون بديانة أهل الكتاب "[٢].

إذن يفهم أن مقصود هذه اللفظة عند اليهود هم الشعوب الأخرى التي لم ينزل عليها كتاب من السماء، أو حتى أنزلت عليهم كتب سماوية ولكنهم لايدينون بديانة اليهود، فلاحرج إذن في أكل أموالهم بالباطل .

أما كلمة غوييم ومفردها غوي فهي تعني: " الأغراب من غير اليهود، وهم الناس جميعاً من غير اليهود"[٣].

وهذه الكلمة كانت تستخدم بداية للدلالة على الجسد أو النفس، يقول د.حسن ظاظا: " واشتقاق لفظة الجوييم هذه مايزال إلى الآن غامضاً، يثير نقاشاً بين العلماء فبعضهم يؤثر التوقف ويقول لاأدري، بينما يحاول آخرون أن يلتمسوا للمفرد جوي وجمعه جوييم أصلاً في اللغة العبرية " جويه " التي معناه جثة أو جسد أو حتى رمَّة ووجدوا أن لفظة جوي كثيراً مااستعملت بمعنى شخص أو نفس "[٤].

ثم إن هذه اللفظة تطورت مع مرور الوقت حتى أصبحت تعني الناس من غير بني إسرائيل، يقول د.حسن ظاظا: " ولانستبعد أن يكون قدماء الساميين قد استعملوها بمعنى

---

(١) ابن كثير، ٤٨٨/١.

(٢) محمداسماعيل إبراهيم،معجم الألفاظ والأعلام القرآنية،دارالفكرالعربي،الطبعة الثانية،ص٤٦.

(٣) اليهودية عرض تاريخي، ص ٢٠٣.

(٤) د. حسن ظاظا، الشخصية الإسرائيلية، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ص٤٧ .

الهوام والحشرات التي تزحف في جموع كبيرة، مكررة مرتين للتهويل، فكانوا يقولون مثلاً، جوي – جوي، ومن هذا التركيب الازدواجي بقي في لغتنا العربية، غوغاء، ومعناه أيضاً جموع الجراد ونحوه من الحشرات، ثم انتقل إلى معنى الكثير المختلط من الناس، ثم أصبح يدل على السوقة والأشرار خصوصاً، وقد سلكت جوي في العبرية نفس الطريق في تطورها، من إفادة معنى الهوام والحشرات، إلى اختلاط الناس، ثم إلى سفلتهم وأشرارهم، ومن هنا خصصتها العنصرية الإسرائيلية منذ القدم للدلالة على الناس جميعاً من غير بني إسرائيل"[١].

وهكذا فإن هذه اللفظة أصبحت في نهاية الأمر علماً على غير اليهود أي ممن كان من بقية شعوب الأرض ويوجد أيضاً تطابق في معنى الكلمتين (أممي – غوييم) فكلتاهما تعنيان: كل أجنبي من الشعوب الأخرى وليس من اليهود. ومن هذه الشعوب التي كانت تسكن أرض فلسطين قديماً، كما أوردت أسفار التوراة مايلي :

أولاً : الساميون :

ينسب الساميون إلى كلمة السامية، وقد اختلف العلماء في أصل الساميين على رأيين، فمنهم من قال: إنه نسبة إلى : سام بن نوح، يؤيد ذلك ماورد في العهد القديم من نسبتهم إليه، جاء في سفر التكوين: (وولد لسام أيضاً بنون وهو أبوجميع بني عابَر أخو يافث الأكبر، بنو سام عيلام وأشور وارفكشاد ولود وأرام ..)[٢]، وينقل م.أحمد عبدالوهاب في كتابه: فلسطين بين الحقائق والأباطيل قول موسكاتي الذي يؤيد فيه هذه النسبة حيث يقول: "... ومن سلالة سام تأتي أشور وأرام وعابر وفيهم تذكر التوراة أنهم أسلاف الآشوريين والآراميين والعبرانيين، ومن هنا جاء لفظ الساميين لهذه الشعوب ولفظ السامية للغاتهم"[٣].

(١) السابق، ص ٤٨ .
(٢) تك ١٠ : ٢١-٣٢.
(٣) فلسطين بين الحقائق والأباطيل، ص١٣٠.

أما الرأي الآخر فيقول: إن نسبة الساميين إلى سام بن نوح غير سليمة، يقول فيليب حتى في كتابه تاريخ سوريا ولبنان: " غير أن التسمية من وجهة علمية هي تسمية لغوية وتطلق على الذين يتكلمون أو تكلموا لغة سامية"(١).

موطن الساميين الأصلي :

يتفق الباحثون على أن موطن الساميين الأصلي هو الجزيرة العربية وقد حدثت هجرات لأعداد كبيرة منهم إلى خارجها، كان الدافع وراءها هو: جفاف أراضي جزيرة العرب وطلبهم لأراضي أكثر منها خصباً ومياه، وهكذا تتابعت هذه الهجرات فإن "القبائل البدوية التي كانت تسكن شبه الجزيرة العربية كانت دائماً تتحرك شمالاً نحو بادية الشام حيث تستقر مؤقتاً على تخوم المدن العامرة، ثم تمضي رويداً رويداً إلى داخل تلك المدن، وتختلط بسكانها وتعيش بها ، ولم يك هذا غريباً إذ كانوا أبناء عمومة واحدة فلم يلقوا معارضة او مقاومة"(٢). وقد تجمع عدد كبير منهم في فلسطين وكونوا هنالك ممالك ومدن مهمة وقد كانت قبائلهم فيها تعرف بالكنعانيين على الأغلب .

أهم القبائل السامية في فلسطين :

عندما اتجهت الموجات العربية السامية من الجزيرة العربية شمالاً نحو أراضي الهلال الخصيب استقرت موجات منها في فلسطين، وقد أطلق عليها الكنعانيون، وعرفت تلك الأرض باسمهم، أرض كنعان .

أولاً: الكنعانيون :

كنعان كلمة أُخْتلِفَ في سبب إطلاقها فقد قيل:إنها كلمة مشتقة على أحد رأيين:

– إما بمعنى كنع أو خنع وهو فعل يعني: الخفض، وهي كلمة سامية وقد سموا بهذا الاسم لسكناهم الأراضي المنخفضة عن مرتفعات لبنان . يقول محمد عبدالقادر في

(١) فيليب حتى، تاريخ سورية ولبنان، دار الثقافة، بيروت، ج١/٦٦ .
(٢) محمد عبدالقادر محمد، الساميون في العصور القديمة، ص٧-٨.

كتابه الساميون أن هذا الاشتقاق " صار مشكوكاً فيه الآن "[١].

– وقيل مشتقة من : " الكلمة الخورية كناجي Knaggi بمعنى الصبغة القرمزية إذ كانت هذه المنطقة تشتهر بهذه الصبغة عندما اتصل الخوريون بتلك البلاد في القرنين الثامن عشر والسابع عشر قبل الميلاد وقد أعطت هذه الكلمة الخورية الصيغة الأكادية في نوزي كناخني، وفي رسائل تل العمارنة كيناحي وبالفينيقية كنع وبالعبرية كنعان أي بلاد الأرجوان"[٢].

أما الرأي الثاني فيقول إنه نسبةً إلى كنعان، وهو كما تذكر التوراة ابن حام بن نوح، ورد في سفر التكوين (وبنو حام كوش ومصرائيم وفوط وكنعان)[٣] وكنعان هذا هو الذي انصبَّت عليه لعنة جده نوحاً كما ورد في سفر التكوين (وابتدأ نوح يحرث الأرض وغرس كرماً وشرب من الخمر فسكر وتكشف داخل خبائه فرأى حام أبو كنعان سؤة أبيه فأخبر أخويه وهما خارجان فأخذ سام ويافث رداءً وجعلاه على منكبيهما ومشيا مستدبرين فغطيا سوءة أبيهما وأوجههما إلى الوراء وسوءة أبيهما لم يرياها، فلما أفاق نوح من خمره علم ماصنع به ابنه الصغير فقال ملعون كنعان عبداً يكون لعبيد إخوته وقال تبارك الرب إله سام وليكن كنعان عبداً له)[٤].

وبغض النظر عما ورد في هذا النص من مغالطات صريحة وانتقاص من قدر نبي كريم ماكان لهم أن يصفوه بمثل هذه الصفات، فإن الذي تؤيده الاكتشافات الحديثة أن الكنعانيين هم من الساميين الذين خرجوا من الجزيرة العربية وبالتحديد من شرقيها إلى فلسطين .

---

(١) الساميون في العصور القديمة، ص ١٩١.
(٢) نفسه، ص ١٩١.
(٣) تك ١٠ : ٦
(٤) تك ٩ : ٢٠-٢٦ .

ولقد نقل د.أحمد سوسة عن بروكلمن قوله: " إن العبرانيين كانوا قد تعمدوا إقصاء الكنعانيين من جدول أنساب سام، بسبب العداء الذي كان بينهم وبين الكنعانيين والذي يتمثل في قصص الحروب التي نشبت بين الطرفين ودونت أخبارها في أسفار التوراة، فحملهم عداؤهم لهم وحقدهم عليهم على التنصل منهم، وعلى التبرؤ من إلحاق نسبهم بشجرة أنساب سام بن نوح"(١).

مناطق سكن الكنعانيين :

لقد خرج الكنعانيون من شبه الجزيرة العربية موطنهم الأصلي حتى وصلوا إلى فلسطين وهناك تمركز قسم منهم على الساحل في لبنان وهم من عرف بعد ذلك بالفينيقيين، يقول مصطفى الدباغ: " فالكنعانيون والفنيقيون شعب واحد، نسباً ولغةً وديناً وتمدناً، انقسم إلى قسمين: سكن الأول فلسطين والثاني الساحل الشامي من مصب نهر العاصي إلى جنوبي الكرمل"(٢).

والفنيقيون قوم سكنوا " قطعة مستطيلة ضيقة من الأرض واقعة بين البحر الأبيض المتوسط غرباً وقمة سلسلة جبال لبنان والتلال المنفصلة الممتدة إلى الجنوب منها شرقاً وارواد شمالاً "(٣).

وقد ظلوا على تسميتهم بالكنعانيين حتى العهد اليوناني حيث كانت مدن الفنيقيين تتعامل معهم بالتجارة فسموا " مجموعة هذه المدن البحرية التى كانوا على اتصال معها اسم فينيقيا Phoinx"(٤).

وفينيقية : " اسم يوناني معناه أرجواني أحمر، أرجواني قرمزي"(٥).

---

(١) مفصل العرب واليهود في التاريخ، ص٤١٢.
(٢) مصطفى الدباغ، بلادنا فلسطين، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م، منشورات دار الطليعة، بيروت، ج١/٣٩٤.
(٣) قاموس الكتاب المقدس، ص٧٠٥.
(٤) مفصل العرب واليهود في التاريخ، ص ١٢١.
(٥) القاموس، ص ٧٠٥.

وكانت لهم مدن مهمة حيث أنهم كما يقول هـ.ج. ويلز: " أقاموا مجموعة من المرافئ على امتداد الساحل الشرقي للبحر المتوسط كانت أهمها صور وصيدا"[١]. وكان من أشهر ملوكهم حيرام ملك صور، يقول عنه هـ.ج. ويلز أنه: " كان رجلاً أوتي نصيباً كبيراً من الذكاء والقدرة على المغامرة، وكان يبغي أن يكفل للتجارة إلى البحر الأحمر طريقاً آخر غير منطقة التلال العبرانية ... ومهما يكن من شيء فإن حيرام أنشأ بينه وبين داود وابنه وخلفه سليمان أوثق العلاقات وعند ذلك نشأت برعاية حيرام، أسوار أورشليم وقصرها ومعبدها وفي مقابل ذلك بنى حيرام سفنه على البحر الأحمروسيرها فيه"[٢].

أما القسم الثاني من الكنعانيين الذي سكن فلسطين فقد اتجه إلى ممارسة التجارة، وقد انقسم إلى شعوب كثيرة كان من أهمها :

١- العناقيون :

ينسب العناقيون إلى رجل يقال له عناق بن أربع، ورد في سفر يشوع:(ولكالب بن يفنا أعطى قسماً في وسط بني يهوذا على حسب أمر الرب ليشوع قرية أربع وهو أبو عناق)[٣]. وهم من الأقوام التي سكنت فلسطين فقد: " نزل بعضهم الساحل فأقاموا في غزة وجت وينسب إليهم بناء أسدود"[٤]. وقد ورد في التوراة مايفيد بأن اليهود قد خافوا منهم: " حتى أنهم أرعبوا جواسيس اليهود الذين بعثهم موسى عليه السلام إلى فلسطين لمعرفة أحوالها وكيفية الدنو منها والتسرب إليها"[٥]. جاء في سفر العدد:

---

(١) هـ.ج. ويلز، موجز تاريخ العالم، ترجمة: عبدالعزيز توفيق جاويد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص٦٩.

(٢) نفسه، ص٩٢.

(٣) يش ١٥ : ١٣ .

(٤) بلادنا فلسطين، ص٣٩٧.

(٥) نفسه، ص ٣٩٨ .

(وشنعوا عند بنى إسرائيل على الأرض التي تجسسوها وقالوا الأرض التي مررنا فيها لنتجسسها هي أرض تأكل أهلها وجميع الشعب الذين رأيناهم فيها أناس طوال القامات، وقد رأينا ثم من الجبابرة جبابرة بني عناق فصرنا في عيوننا كالجراد وكذلك كنا في عيونهم)[1]، ثم إنه في عهد يشوع حاربهم واستطاع أن يقضي عليهم ويستولي على أراضيهم، ويقسمها بين أسباط بنى إسرائيل ، جاء في سفر يشوع: (وجاء يشوع في ذلك الوقت وقرض العناقيين من الجبل من حبرون ودبير[2] وعَنَاب[3] ومن سائر جبل يهوذا وجميع جبل إسرائيل أبسلهم يشوع مع مدنهم)[4].

٣- العمالقة :

وهم من الشعوب التي سكنت فلسطين قديماً، وقد اختلف في نسبتهم، فيورد الطبري أنهم من ذرية لاوذ بن سام بن نوح حيث يقول: " وولد للاوذ بن سام طسم وجديس وكان منزلهما اليمامة، وولد للاوذ أيضاً عمليق بن لاوذ، وكان منزله الحرم وأكناف مكة ولحق بعض ولده بالشام، فمنهم كانت العماليق، ومن العماليق الفراعنة بمصر"[5]. وقد نسب الطبري الكنعانيين إلى العماليق حيث يقول: "فعمليق أبوالعماليق كلها أمم تفرقت في البلاد، وكان أهل المشرق وأهل عمان وأهل الحجاز وأهل الشام وأهل مصر منهم، ومنهم كانت الجبابرة بالشام الذين يقال لهم الكنعانيون"[6]. أما العهد

---

(١) عد ١٣ : ٣٣-٣٤.

(٢) دبير: اسم عبري معناه " مقدس "، وهي مدينة في أرض يهوذا، انظر عنها القاموس، ص٣٦٨.

(٣) عَنَاب: اسم عبري معناه" عنب" وهي بلدة على جبال يهوذا، وموقعها خربة عناب على بعد ١٦ ميلاً جنوب غرب الخليل. انظر عنها القاموس، ص٦٤٢.

(٤) يش ١١ : ٢١ .

(٥) أبوجعفر الطبري، تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد ابوالفضل إبراهيم، دار المعارف، ١٩٦٣م، ج١/٢٠٦.

(٦) نفسه، ص ٢٠٣ .

القديم فينسبهم إلى عيسو بن إسحق حيث ورد في سفر التكوين: (وكانت تمناع سرية لأليفاز بن عيسو فولدت لأليفاز عماليق)[١].

أما بلادهم فقد كانت: " تقع في جنوبي فلسطين وفي الأراضي الكائنة إلى الغرب والشمال الغربي من البتراء وفي سيناء"[٢]. وقد قامت بينهم وبين اليهود حروب كثيرة منها ماكان في عهد موسى، فقد ورد في العهد القديم، (فقال موسى ليشوع اختر لنا رجالاً واخرج لمحاربة العمالقة)[٣]، وكذلك في عهد شاول[٤]، عندما أسر ملكهم وذبحه حيث ورد في العهد القديم: (وضرب شاول عماليق من حويله[٥] إلى حد شور التي قبالة مصر وأخذ أجاج[٦] ملك عماليق حياً وأبسل شعبه أجمع بحد السيف)[٧].

وفي عهد داود أيضاً حاربهم (وكان داود يخرج هو وأصحابه ويغزون الجشوريين والجرزيين والعمالقة ...)[٨].

وهكذا توالت عليهم الحروب إلى أن أفنتهم تماماً ، يقول مصطفى الدباغ: "فالضربات الكثيرة التى أنزلها بهم اليهود أدت إلى انقراض اسمهم ولم نعد نسمع عنهم شيئاً بعد القرن الثامن قبل الميلاد، ويبدو أنهم كغيرهم من القبائل الكنعانية اندمجوا في الشعوب والقبائل الأخرى"[٩].

---

(١) تك ٣٦ : ١٢ .
(٢) بلادنا فلسطين، ص ٣٩٩.
(٣) خر ١٧ : ٩ .
(٤) شاول : اسم عبري معناه: "سئل من الله"، وهو ابن قيس من سبط بنيامين، وهو أول ملوك إسرائيل، القاموس، ص٥٠٢.واسمه في القرآن طالوت، يقول تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾، البقرة، ٢٤٧.
(٥) حويلة:اسم سامي معناه"رملية"وهي مقاطعة في أرض العرب،انظر عنها القاموس،ص٣٢٩.
(٦) أجاج: اسم عماليقي معناه " متأجج أو عنيف" ويظن أنه لقب لملوك العماليق، انظر القاموس، ص٢٧.
(٧) ١ مل ١٥ : ٧ .
(٨) ١ مل ٢٧ : ٨ .
(٩) بلادنا فلسطين، ص ٤٠١.

٣- اليبوسيون :

وهم من القبائل الموجودة في فلسطين وذكرت كثيراً في التوراة، حيث أنهم من ضمن الشعوب السبعة التي توعدت بالقتل والإفناء، ورد في سفر التثنية (وإذا أدخلك الرب إلهك الأرض التي أنت صائر إليها لترثها واستأصل أمماً كثيرة من أمام وجهك الحثيين والجرجاشيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين سبع أمم أعظم وأكثر منك وأسلمهم الرب إلهك بين يديك وضربتهم فأبسلهم إبسالاً، لاتقطع معهم عهداً ولاتأخذك بهم رأفة ولاتصاهرهم ابنتك لاتعطها لابنه وابنته لاتأخذها لابنك)[1].

وقد ورد في العهد القديم نسبتهم إلى كنعان: (وكنعان ولد صيدون بكره وحثا واليبوسيين والأموريين والجرجاشيين والحويين والعرقيين والسينيين والأرواديين والصماريين والحماتيين)[2].

وقد كانوا يقطنون في مدينتهم أورشليم التي اشتهرت بحصن يبوس الذي يقع في الجنوب الغربي من مدينة القدس وقد كان هذا الحصن منيعاً جداً حيث استطاع أن يصد جميع هجمات بني إسرائيل عليه.

وفي عهد يشوع، قامت بينهم وبينه حروب، حيث إن ملكهم أدوني صادق[3] تحالف مع ملوك آخرين في فلسطين ضد بني إسرائيل ولكن يشوع استطاع أن يأسرهم ثم يعلقهم على خمس خشبات بعد أن قتلهم، ورد في سفر يشوع:(...فأرسل أدونيصادق ملك أورشليم إلى هوهام[4] ملك

---

(١) تث ٧ : ١-٣ .

(٢) تك ١٠ : ١٥-١٨ .

(٣) أدوني صادق: اسم كنعاني معناه " سيد البر أو العدل" وكان ملكاً على أورشليم، القاموس، ص٤١ .

(٤) هوهام: ملك الخليل الذي انضم إلى حلف فلسطين ضد يشوع، القاموس، ص١٠٠٧.

حبرون وفرآم[١] ملك يرموت[٢] ويافيع[٣] ملك لاكيش[٤] ودبير[٥] ملك عَجْلون[٦] قائلاً هلموا إليّ وناصروني فنضرب جبعون[٧] لأنها قد سالمت يشوع وبني إسرائيل...)[٨] ثم إن الذي حصل بعد ذلك أن يشوع استدعى (جميع رجال إسرائيل وقال لقواد رجال الحرب الذين ساروا معه تقدموا وضعوا أقدامكم على رقاب هؤلاء الملوك فتقدموا ووضعوا أقدامهم على رقابهم فقال لهم يشوع لاتخشوا ولاترهبوا تشجعوا وتشددوا فإنه هكذا يفعل الرب بجميع أعدائكم الذين أنتم تحاربونهم وضربهم يشوع بعد ذلك وقتلهم وعلقهم على خمس خشبات)[٩].

ولكن مع هذا ظل اليبوسيون محتفظين بحصنهم حتى استطاع داود التغلب عليهم وأخذه منهم، ثم إن سليمان بعد ذلك فرض عليهم التسخير والعبودية مع بعض القبائل الأخرى، ورد في العهد القديم: (فسخر الشعب الذين بقوا من الأموريين والحثيين والفرزيين والحويين الذين لهم يكونوا من بني اسرائيل، بنيهم الذين بقوا من بعدهم في

---

(١) فرآم: اسم كنعاني معناه " حمار الوحش"، وهو ملك يرموت، القاموس، ص٦٧٣.

(٢) يرموت: اسم كنعاني معناه "علو"، وهي مدينة في سهل يهوذا تبعد ٨ أميال إلى الشمال الشرقي من بيت جبرين، القاموس، ص١٠٦١.

(٣) يافيع:اسم سامي معناه "يضئ" وهو ملك لاكيش الذي قتله يشوع،القاموس، ص١٠٤٨.

(٤) لاكيش: مدينة تبعد مسافة ١٦ ميلاً إلى الشمال الشرقي من غزة ويرجح الآن أنها تقع في تل الدوير على بعد خمسة أميال إلى الجنوب الغربي من بيت جبرين، القاموس، ص٨١٣.

(٥) دبير: اسم عبري معناه"مقدس"،وهو ملك عَجْلون الذي قتله يشوع،القاموس، ص٣٦٨.

(٦) عَجْلون: اسم عبري معناه " مكان العجل"، وهي مدينة قرب الساحل إلى الشمال الشرقي من غزة ويرجح أن مكانها اليوم تل الحسي، القاموس، ص٦٠٧-٦٠٨.

(٧) جبعون: اسم عبري معناه "تل"، المدينة الرئيسية للحويين، تبعد عن أورشليم ٥ أميال، وتعرف الآن بقرية الجيب، القاموس، ص٢٤٦.

(٨) يش ١٠ : ٣-٤ .

(٩) يش ١٠ : ٢٤-٢٦.

الأرض الذين لم يستطع بنو إسرائيل أن يبسلوهم ضرب عليهم سليمان تسخير عبودية إلى هذا اليوم)[١].

٤- الحوّيون :

تنسب هذه القبيلة إلى كنعان أيضاً، يقول مصطفى الدباغ: "كانت منازلهم في نابلس، ثم انتشروا في شمال فلسطين حتى جبل الشيخ وجبل لبنان"[٢]. وقد اشتهر منهم حمور الحوي وابنه شكيم في نابلس الذي أذل دينة ابنة يعقوب فغضب لذلك ابناه أخوا دينه، وانتقموا لأجل ذلك منهم حيث طلبوا منهم أن يختتن كل ذكر منهم فلما أجابوهم إلى طلبهم أخذ شمعون ولاوي أخوي دينه السيف فقتلا كل ذكر في المدينة وغنموا مافيها[٣].

وقد سكن قسم منهم في جبعون حيث احتالوا على يشوع حتى يحصلوا منه على عهد سلام، وعندما علم بخطتهم وحيلتهم جعلهم محتطبي حطب ومستقي ماء، ورد في سفر يشوع (وجعلهم يشوع من ذلك اليوم محتطبي حطب ومستقي ماء للجماعة ولمذبح الرب إلى هذا اليوم في الموضع الذي يختاره)[٤].

٥- الفرزيون :

لم تثبت نسبتهم إلى كنعان حيث لم يرد في العهد القديم ذكرهم ضمن القبائل المنسوبة إليه ، جاء في القاموس: "وربما كان الفرزيون كالرفائيين من السكان الأصليين ومن عنصر غير عنصر الكنعانيين وأقدم منهم في البلاد"[٥]، وقد توعدوا كغيرهم من القبائل القاطنة في فلسطين بالإبادة والقتل[٦].

---

(١) ٣ مل ٩ : ٢٠-٢١.
(٢) بلادنا فلسطين، ص٣٩٨.
(٣) انظر: سفر التكوين ٣٤ : ١ - ٣١.
(٤) يش ٩ : ٢٧ .
(٥) القاموس، ص ٦٧٥ .
(٦) انظر: تث ٧ : ١-٣.

أما عن مناطق سكنهم فقد ورد في القاموس أنهم كانوا: " في أيام يشوع يسكنون المنطقة الجبلية "[١].

وقد فرض عليهم سليمان السخرة والعبودية[٢].

٦- الجرجاشيون :

تنسب هذه القبيلة إلى كنعان[٣].

أما عن مناطق سكنهم فيقول مصطفى الدباغ: "كانت منازلهم شرقي بحيرة طبرية، تمتد إلى الجليل والكرمل وإليهم نسبت بحيرة طبرية ودعيت باسم " بحيرة الجرجسيين"[٤].

وفي عهد يشوع حصلت بينه وبينهم حروب انتهت بانتصاره عليهم مع غيرهم من القبائل حيث ورد في سفر يشوع: (ثم جزتم الأردن ووافيتم أريحا فحاربكم أهل أريحا والأموريون والفرزيون والكنعانيون والحثيون والجرجاشيون والحويون واليبوسيون فأسلمتهم إلى أيديكم)[٥].

٧ - الأموريون :

كان من أهم الشعوب في بلاد الشام والعراق قبائل الأموريين الذين هاجروا مع الكنعانيين من الجزيرة العربية عام ٢٥٠٠ ق.م واستقر قسم كبير منهم بلاد الشام وخاصة جنوبها، بينما اتجه الباقون إلى بلاد العراق وأسسوا هنالك ممالك مستقلة كان من أهم ملوكها حمورابي ، والعهد القديم ينسبهم إلى كنعان[٦]، " وكان الأموريون في عصر إبراهيم، أهم قبيلة في الأرض الجبلية في جنوب فلسطين"[٧].

---

(١) القاموس، ص ٦٧٥ .
(٢) انظر ٣ مل ٩ : ٢٠ .
(٣) انظر : تك ١٠: ١٥-١٦ .
(٤) بلادنا فلسطين، ص ٤٠١ .
(٥) يش ٢٤ : ١١ .
(٦) انظر: تك ١٠ : ١٦ .
(٧) القاموس، ص ١١٩.

وكان أهم ملوكهم سيحون[١]، الذي رفض مرور إسرائيل في أرضه فكان جزاؤه القتل والإبادة، جاء في سفر العدد: (وبعث إسرائيل إلى سيحون ملك الأموريين قائلين دعني أمر في أرضك ونحن لانميل إلى حقل ولاكرم ولانشرب ماء بئر وإنما نسير في الطريق السلطاني إلى أن نجوز تخمك فلم يدع سيحون إسرائيل يجوزون في تخمه وجمع سيحون قومه وخرج للقاء إسرائيل إلى البرية ووافى ياهص[٢] وحارب إسرائيل فضربه إسرائيل بحد السيف وورثوا أرضه من أرنون[٣] إلى يبوق[٤])[٥]، وفي عهد يشوع حصل بينه وبينهم معارك انتهت بقتلهم وإبسالهم وقتل ملوكهم الخمسة[٦]، والظاهر أن لقب الأموريين كان يطلق على معظم القبائل القاطنة فلسطين .

وقد ظل الأموريون يسكنون فلسطين ويعيشون مع اليهود فيها إلى أن سخرهم سليمان واستعبدهم[٧].

ثانياً : قبائل سامية أخرى :

بالإضافة إلى القبائل السامية الكنعانية التي انتشرت في بلاد فلسطين، كانت هناك قبائل سامية أخرى لاتنتسب إلى الكنعانيين وكان لها دورها المؤثر في الأحداث في تلك الفترة وهم على التفصيل كالآتي :

---

(١) سيحون: اسم أموري لايعرف معناه، وهو ملك من ملوك الأموريين، انظر: القاموس، ص٤٩٥.

(٢) ياهص : مدينة موآبية، يظن أنها في موضع على بعد ميل جنوبي زرقاء معين و١٢ ميلاً شرقي البحر الميت. انظر: القاموس، ص١٠٤٩.

(٣) أرنون: اسم لنهر يدعى اليوم: وادي الموجب في الأردن، انظر القاموس، ص٥٧.

(٤) يبوق: نهر معروف الآن بنهر الزرقاء ينبع بالقرب من عمان، القاموس، ص١٠٥١.

(٥) عد ٢١ : ٢١-٢٤ .

(٦) انظر : يش ١٠ : ١-٢٤.

(٧) انظر : ٣ مل ٩ : ٢٠-٢١.

١- الرفائيون :

كانوا من الأقوام القديمة التي تسكن فلسطين قبل دخول اليهود إليها، وذلك شرقي الأردن، وقد سكن الموآبيون هذه المنطقة بعد ذلك .

ومن مدن الرفائيين المشهورة : درعا ، عشتروت[١]، وأشهر ملوكهم: عوج[٢]، ملك باشان[٣]، الذي قتله الإسرائيليون، واحتلوا مملكته، ورد في سفر العدد: (ثم تحولوا وصعدوا في طريق باشان فخرج عوج ملك باشان عليهم هو وجميع قومه للحرب في أدرعي، فقال الرب لموسى لاترهبه فإني قد دفعته إلى يدك هو وجميع قومه وأرضه تصنع به كما صنعت بسيحون ملك الأموريين المقيم بحشبون[٤] فضربوه هو وبنيه وجميع قومه حتى لم يبق له شريد وورثوا أرضه)[٥].

٢- المديانيون :

ينسب هذا الشعب إلى مديان أحد أولاد إبراهيم – عليه السلام – من زوجته قطورة[٦]، جاء في سفر التكوين: (وعاد إبراهيم فأخذ زوجة اسمها قطورة فولدت له زمران ويقشان ومدان ومدين ويشباق وشوحاً)[٧]، وقد سكن هؤلاء في المنطقة الواقعة بين مصر والحجاز وفلسطين، وتزوج منهم النبي موسى – عليه السلام – بعدما سكن عندهم فترة من الزمن ثم حصل بينهم وبين الإسرائيليين حروب عدة، وذلك في عهد موسى عندما خاطبه الرب قائلاً (انتقم نقمة بني إسرائيل من المدينيين)[٨].

---

(١) عشتروت: بلدة قديمة في باشان، ربما كانت هي تل عشترة على بعد ٢١ ميلاً شرقي بحيرة طبرية، القاموس، ص ٦٢٨.
(٢) عوج: ملك الأموريين، وكان جبار القامة شديد البأس، انظر عنه القاموس، ص٦٤٦.
(٣) باشان:هي مقاطعة في أرض كنعان،شرقي الأردن بين جبال حرمون وجلعاد،القاموس ص١٥٩.
(٤) حشبون:اسم موآبي معناه"حسبان"،لاتزال تعرف باسم حسبان.انظر عنها القاموس ص٣٠٨.
(٥) عد ٢١: ٣٣-٣٥.
(٦) قطورة: اسم عبري معناه "بخور"، امرأة إبراهيم بعد موت سارة،انظر القاموس ص٧٣٩.
(٧) تك ٢٥ : ١-٢ .
(٨) عد ٣١ : ٢ .

عند ذلك قتل الإسرائيليون ملوك مدين الخمسة ، جاء في سفر العدد: (أوي[١] وراقم[٢] وصور[٣] وحور[٤] ورابع[٥] خمسة ملوك مدين وبلعام بن بعور[٦] قتلوه بالسيف وسبى بنو إسرائيل نساء مدين وأطفالهم وجميع بهائمهم ومواشيهم وأثاثهم غنموها وجميع مدنهم مع مساكنهم وقصورهم أحرقوها بالنار)[٧].

٣- بنو عمون :

تنسب هذه القبيلة إلى بن عمي أحد أبناء لوط ابن أخي إبراهيم ، وكانت منازلهم تقع شرقي نهر الأردن، وعن علاقتهم ببني إسرائيل فإنه " في عهد شاول أغار ملك العمونيين، ناحاش[٨]، على يابيش جلعاد[٩] وقسى في معاملة أهلها، فاستدعى هؤلاء معونة باقي بني إسرائيل الذين هرعوا لمساعدتهم ، وهزموا العمونيين"[١٠]، وفي عهد داود

---

(١) أوي : اسم عبري معناه "رغبة"، وهو أحد ملوك مدين الخمسة الذين قتلهم موسى القاموس، ص١٣٩.

(٢) راقم: اسم عبري معناه "رقش، تشكيل، تلوين"، انظر عنه القاموس، ص٣٩١.

(٣) صور: رئيس مدياني قتله بنو إسرائيل ، واسمه يعني "صخر" وهي كلمة سامية، القاموس، ص٥٥٩.

(٤) حور : اسم يُرجح أنه مصري مأخوذ من اسم الإله "حورس" وهو أحد الملوك الخمسة الذين قتلهم موسى، القاموس ص٣٢٥.

(٥) رابع : اسم مدياني معناه " الرابع"، أحد الملوك الخمسة الذين قتلهم موسى، القاموس، ص٣٨٩.

(٦) بلعام بن بعور:اسم عبري معناه "الملتهم"، وهو من قرية فتور وكان على ماتذكر التوراة – نبياً مشهوراً وقد ذاع صيته بين أهل ذلك الزمان، وقد استدعاه بالاق ملك موآب ليلعن شعب إسرائيل ، فرفض، وذهب إلى بني إسرائيل وباركهم، وتذكر التوراة أنه دبر وسيلة للايقاع ببني إسرائيل ليعبدوا الأصنام، فقتله بنو إسرائيل مع المديانيين، القاموس،ص١٨٩.

(٧) عد ٣١ : ٨ – ١٠ .

(٨) ناحاش: اسم سامي معناه "حنش أوحية "، وهو اسم ملك عمون، هاجمه شاول ثم تصالح مع داود بعد ذلك، انظر القاموس، ص٩٤٣.

(٩) يابيش جلعاد: مدينة مشهورة في العهد القديم، على جبال جلعاد شرقي الأردن، ويظن أنها تل أبو خرز إلى الشمال من وادي اليابس، انظر: القاموس، ص١٠٤٣.

(١٠) القاموس، ص٦٤٠.

"نشبت الحرب بين البلدين واحتل جيش داود عاصمة العمونيين، ربة[١]، ودمروا بقية مدنهم، وأخذوا التاج من رأس الملك ووضعوه على رأس داود، واستعبدوا الشعب لبني إسرائيل"[٢]، وظل العداء بينهم وبين اليهود مستمراً لدرجة أن النبي إرمياء، أحد أنبياء بني إسرائيل تنبأ عليهم بالهلاك والدمار[٣]، ثم "انتهى تاريخهم بالتدريج واندمجوا مع باقي سكان شرقي الأردن في العهد اليوناني والروماني"[٤].

٤- بنو موآب :

يعود الموآبيون بنسبهم إلى موآب بن لوط، وكانوا يسكنون شرقي الأردن، وكان يسكن أرضهم في السابق الرفائيون، ولم تكن علاقتهم ببني إسرائيل على أكثر الأوقات حسنة " ففي مدة القضاة أخضع الموآبيون العبرانيين ووضعوا عليهم الجزية إلى أن قتل أهود عجلون ملك موآب"[٥]، وعندما ملك داود "ضرب موآب ضربة شديدة ... وصار الموآبيون عبيداً له، وبعد موت سليمان صارت موآب جزءاً من المملكة الشمالية"[٦].

٥ – بنو أدوم :

تنسب هذه القبيلة إلى عيسو بن إسحاق أخو يعقوب، وكانوا يسكنون منطقة تسمى سعير "وهو إقليم جبلي وعر ... ويمتد مسافة مائة ميل بين البحر الميت وخليج العقبة على جانبي غور العربة"[٧]. وقد كانت علاقتهم ببنى إسرائيل في البداية حسنة

---

(١) ربة : كلمة عبرية معناها "كبيرة" وهي ربة عمون، تقع عند منبع يبوق، تبعد عن الأردن نحو ٢٣ ميلاً شرقاً، القاموس، ص٣٩٧.

(٢) القاموس، ص ٦٤٠.

(٣) انظر سفر ارميا ٤٩ : ١-٦.

(٤) القاموس، ص ٦٤٠.

(٥) القاموس، ص ٩٢٨ .

(٦) نفسه، ص ٩٢٨ .

(٧) نفسه، ص٣٩ .

إلى أن طلب الإسرائيليون منهم المرور في طريقهم إلى كنعان ولكن ملكهم رفض ذلك، وقد ورد في العهد القديم أن شاول حاربهم، وكذا " غزا داود آدوم وأقام عليها حراساً"[١].

القبائل غير العربية التى سكنت فلسطين قديماً :

بلاد فلسطين من البلدان القلائل التى امتزجت فيها الكثير من الأجناس حيث كانت القبائل العربية جنباً إلى جنب مع غيرها من القبائل ذات الأصول الأخرى والتي كان من أهمها : قبائل الحثيين والحوريين والفلستينيين، وهي على التفصيل :

١- الحثيون :

من الأقوام التي كانت تعيش في فلسطين الحثيون، وهم من الجنس الهندوأوروبي، الذين قدموا من منطقة " السهول الواقعة شرقي بحر الخزر، والممتدة إلى مصاب نهر الدانوب مارة بروسيا الجنوبية وسواحل البحر الأسود الشمالي"[٢]، وظلوا فترة من الزمن في تنقل إلى أن وصل بعضهم إلى آسيا الصغرى (بلاد الأناضول)، أما سبب تسميتهم بالحثيين فلأنه " مشتق من حاتي أي أناضوليا التي كانت عاصمتها حتوشاش"[٣].

أما العهد القديم فقد ذكر أنهم من أبناء كنعان، والأمر كما تشير المصادر التاريخية ليس كذلك، ثم إنهم بعد ذلك " اتجهت مطامعهم إلى سورية فكانت كركميش جرابلس الحالية من أهم مدنهم وكونوا لهم مستعمرات قوية بين حلب وكانت تدعى حلبا، وخليج الإسكندرونة وفي البقاع، كما وأن عناصرحثية كثيرة استقرت في فلسطين فنزلت الخليل وبيتين من أعمال رام ا لله وجوارها"[٤].

وقد سكنوا فلسطين في وقت سابق على دخول الإسرائيليين إليها.

---

(١) نفسه، ص ٤٠ .
(٢) بلادنا فلسطين، ص٤١٠.
(٣) القاموس، ص ٢٩٠.
(٤) بلادنا فلسطين، ص٤١١.

ومن اشتهر منهم عفرون الحثي[١]،الذي اشترى منه إبراهيم -عليه السلام- مغارة المكفيلة[٢]،والتي دُفن فيها وزوجته وأبناؤه بعد ذلك، ولقد كانت للحثيين بعض العلاقات الحسنة مع اليهود ، فقد تزوج داود من بتشبع[٣] امرأة أوريا الحثي[٤] الذي كان من جنده، أما في عهد سليمان فقد سخرهم للعبودية كغيرهم من الشعوب الأخرى.

٢- الحوريون :

عندمااتجهت بعض القبائل الهندوأوربية إلى فلسطين، كان من ضمنها جماعات يطلق عليها الحوريون، وقد: "عاشوا في الجبال شمالي الموصل وبين جبال زاغروس وبحيرة أورمية، وفي نحو ١٥٠٠ ق.م، اسسوا مملكتهم المعروفة باسم مملكة ميتاني التي امتدت سيطرتها من البحر الأبيض المتوسط إلى شمالي إيران وكانت لهم جاليات كثيرة ومستعمرات قوية في مختلف أنحاء بلاد الشام"[٥]. وقد أبادهم بنو أدوم وحلوا مكانهم، حيث ورد في سفر التثنية: (وأما سعير فأقام بها الحوريون قبل بني عيسو فطردوهم وأبادوهم من بين أيديهم وأقاموا مكانهم)[٦].

٣- الفلسطينيون :

ذُكِر الفلسطينيون في سفر التكوين على أساس أنهم من ذرية حام بن نوح عن طريق ابنه مصرائيم: (ومصرائيم ولد لُوديم وعناميم ولهابيم ونفتوحيم وفتروسيم وكسلوحيم الذين خرج منهم الفلسطينيون وكفتوريم)[٧].

---

(١) عفرون الحثي: اسم عبري معناه "غزال صغير"، وهو ابن صوحر، حثي كان يقيم في الخليل، وباع إبراهيم حقل المكفيلة ومغارتها. انظر القاموس، ص٦٣٢.

(٢) انظر: تك ٢٣ : ١٠-١٨.

(٣) بتشبع : اسم عبري معناه " ابنة القسم" أو " ابنة اليوم السابع"، وهي ابنة أليعام، وزوجة أوريا الحثي. انظر القاموس، ص ١٦٢.

(٤) أوريا الحثي: اسم عبري معناه "يهوه نوري"، وهو رجل من أصل حثي لكنه كان ضمن من يعبدون الرب إله العبرانيين كما يظهر من اسمه، انظر عنه القاموس، ص١٣٦.

(٥) بلادنا فلسطين، ص ٤١٢.

(٦) تث ٢ :١٢ .

(٧) تك ١٠ : ١٣-١٤.

والذي عليه المؤرخون أن الفلسطينيين الذين يسمون بالفلستينيين قدموا من منطقة بحر إيجة "وكانوا قد احتلوا بعض السواحل السورية العليا في أوائل القرن الثاني عشر قبل الميلاد ومنها هاجموا مصر في عهد رعمسيس الثالث، أحد ملوك السلالة العشرين المصرية، وقد بدت في بادئ الأمر صعوبة مقاومتهم لتفوقهم في أساليب القتال ومعداتهم الحربية، ولكن رعمسيس اتخذ الاحتياطات اللازمة لمجابهتهم فأعد أسطولاً قوياً مع جيش كبير من الوطنيين والمأجورين الأجانب فتمكن من صدهم في معركة بحرية نشبت بينهما في حوالى سنة ١١٩١ ق.م فاتجهوا بعد إخفاقهم في النزوح إلى مصر نحو الساحل الفلسطيني الجنوبي في القسم الذي يمتد من غزة جنوباً إلى أسفل يافا شمالاً، ومنهم جاءت تسمية فلسطين التي مازالت مستعملة حتى يومنا هذا للدلالة على أرض فلسطين الحالية"[١].

واشتهرت مدنهم الخمس بأنها محصنة وهي : غزة ، أشقلون (عسقلان)، جت أشدود، عقرون، " وكانت مدن الفلستينيين هذه على الساحل ماعدا مدينة جت التى كانت تمتد قليلاً إلى الداخل"[٢].

ولقد حصلت بينهم وبين اليهود حروب كانت الغلبة في كثير منها لهم يذكر د.أحمد سوسة ذلك فيقول: " وكان أتباع موسى في فلسطين عندما نزح الفلستينيون إلى سواحل فلسطين الجنوبية وكان ذلك في حوالي أواخر عهد يشوع أو فترة مابعد يشوع مباشرة أي قبيل عهد القضاة ولكن يشوع لم يستطع التحرش بالفلستينيين لأنهم كانوا متفوقين على أتباعه في معداتهم الحربية إذ كانوا يعتمدون على أسلحة من الحديد الذي أتقنوا تعدينه وصنع الدروع والأسلحة الأخرى منه، وتذكر التوراة أن بنى إسرائيل قوم موسى تمكنوا بعد عهد يشوع من الاستيلاء على غزة وأشقلون وعقرون وتخومها ولكن الفلستينيين عادوا فأوقعوا في أواخر عهد القضاة بالإسرائيليين هزائم شديدة حتى أنهم

---

(١) مفصل العرب واليهود في التاريخ ، ص ٢١٩-٢٢٠.
(٢) نفسه، ص ٢٢٠.

استولوا على تابوت العهد، وخضع الإسرائيليون إلى حكمهم أربعين سنة حتى ظهر شمشون فحارب الفلستينيين"[١].

وهكذا ظلت الحروب بينهم وبين الإسرائيليين سجالاً إلى أن " خضع الفلستينيون إلى الآشوريين وصاروا يدفعون الجزية لهم"[٢].

والذي يظهر أن هؤلاء قد ذابوا كلية مع العناصر الأخرى الموجودة في فلسطين يقول د. أحمد سوسة : "ومما يذكر أن هؤلاء الفلستينيين قد اندمجوا بالكنعانيين والعموريين كلياً بحيث لم يعد بالإمكان تمييزهم عن العناصر الكنعانية والعمورية"[٣].

(١) السابق، ص ٢٢٢.
(٢) نفسه، ص ٢٢٢ .
(٣) نفسه، ص ٢٢٠.

الباب الثاني

الأمم في مصادر اليهود المقدسة

وتحته فصول :

الفصل الأول: موقف العهد القديم من الأمميين .

الفصل الثاني: موقف التلمود من الأمميين .

الفصل الثالث : موقف البروتوكولات من الأمميين .

الفصل الأول

موقف العهد القديم من الأمميين

ينطلق اليهود في نظرتهم لغيرهم من الأمم – وخاصة المسلمين – من خلال أمرين هما :

١ – الادعاء بالاصطفاء والاختيار والتفضيل لهم من الله – تبارك وتعالى – وتبعاً لذلك فهم يقولون بالأمر الثاني .

٢ – أحقيتهم في أرض فلسطين، باعتبارها الأرض التي وُعد بها آباؤهم من قبل (إبراهيم – إسحاق – يعقوب).

ولكي تتضح صورة موقف العهد القديم من الأمم الأخرى كان لابد من مناقشة هذين الأمرين :

أولاً: الإدعاء بالاصطفاء والتفضيل :

ينظر اليهود إلى أنفسهم مختارون ومفضلون على الناس جميعاً، وأن هذا التفضيل جاء بناءً على اختيار واصطفاء من الله – تبارك وتعالى – وورد ذلك في نصوص العهد القديم كثيراً ومن أمثلته ماجاء في سفر الخروج : [والآن إن امتثلتم أوامري وحفظتم عهدي فإنكم تكونون لي خاصة من جميع الشعوب، لأن جميع الأرض لي وأنتم تكونون لي مملكة أحبار وشعباً مقدساً][1].

وأيضاً ماورد في سفر التثنية : [لأنك شعب مقدس للرب إلهك وإياك اصطفى الرب إلهك أن تكون له أمة خاصة من جميع الأمم التي على وجه الأرض][2].

وجاء فيه أيضاً: [لأنك شعب مقدس للرب إلهك وقد اصطفاك الرب لتكون له شعباً خاصاً على جميع الشعوب التي على وجه الأرض][3].

---

(١) خر ١٩ : ٥ – ٦ .
(٢) تث ٧ : ٦ .
(٣) تث ١٤ : ٢ .

الرد علي هذا الإدعاء :

أثبتت نصوص التوراة – كما مرَّ سابقاً – أفضلية بني إسرائيل على غيرهم وعند مناقشة هذا الأمر، فإنه لابد من ورود بعض التساؤلات، مثل :

– هل حقاً فُضِّل بني إسرائيل على غيرهم ؟

– وإذا كان الأمر كذلك، فمتى كان هذا التفضيل؟ وهل يصح أن يُطلق أمره بدون ضوابط؟ وماهي هذه الضوابط ؟.

– ثم هل التزم بها اليهود لتصح مقالتهم بأنهم شعب الله المختار ؟

الحقيقة أن نصوص القرآن الكريم أثبتت أن بني إسرائيل فضلوا على غيرهم من الناس، وقد ورد ذلك في القرآن الكريم، يقول – تعالى – في سورة البقرة: ﴿ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[1]، وفي سورة البقرة أيضاً جاء قوله –تعالى– ﴿يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[2]، وفي سورة الأعراف أيضاً: ﴿قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[3]، وفي سورة الجاثية: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[4].

ففي الآيات السابقة أثبت القرآن الكريم مسألة تفضيل بني إسرائيل على العالمين بل إن الله تعالى أنعم عليهم بأن جعل منهم أنبياء وملوكاً وآتاهم مالم يؤت أحداً من العالمين: يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾[5].

---

(١) آية ٤٧ .
(٢) آية ١٢٢ .
(٣) آية ١٤٠ .
(٤) آية ١٦ .
(٥) سورة المائدة، آية ٢٠ .

إذن قضية التفضيل صحيحة ومسلم بها بنص القرآن الكريم، لكن متى كان بنو إسرائيل يتميزون عن غيرهم؟ الواقع أن ذلك الأمر كان حين لم يكن على وجه الأرض مؤمن سواهم، فقد كانت الأرض -على وقتهم- تعج بالوثنية وعبادة غير الله -تعالى- خاصة في مصر التي كان يسكنها بنو إسرائيل قبل خروجهم منها على يد نبي الله الكريم -موسى- عليه الصلاة والسلام- فقد كانوا الفئة المؤمنة الموحدة بالله -تعالى- وكانوا أيضاً الأمة المستضعفة التي تعاني من فرعون وظلمه - كما أخبر بذلك القرآن الكريم- وتبعاً لإيمانهم والتزامهم بما شرع الله -تعالى- كان تفضيلهم، ومع هذا فإن إطلاق امر الاصطفاء والاختيار بدون قيود أو شروط أمر لايصح إذ أن لهذا الاختيار والتفضيل شروط لم يلتزم بها بنو إسرائيل، فالله -تبارك وتعالى- فضلهم بشرط الإيمان به -سبحانه وتعالى- والالتزام بما شرعه لهم وأوصاهم به، فبتحقيق هذين الأمرين يكون لبني إسرائيل الفضل على غيرهم، في ذلك الوقت والذي عليه واقع بني إسرائيل بعد ذلك انهم لم يلتزموا بما أمرهم به الله -تبارك وتعالى- بل نقضوا ماعاهدوا الله عليه، وأول مانقضوا -الوصايا العشر- التي أوصاهم بها -سبحانه-، فقد ورد في التوراة: [لاتقتل، لاتزن، لاتسرق، لاتشهد على قريبك شهادة زور، لاتشته بيت قريبك، لاتشته امرأة قريبك ولاعبده ولاأمته ولاثوره ولاحماره ولاشيئاً مما لقريبك][١].

وأيضاً: [لاتقتل، لاتزن، لاتسرق، لاتشهد على صاحبك شهادة زور، لاتشته زوجة صاحبك، ولاتشته بيته ولاحقله ولاعبده ولا أمته ولاثوره ولاحماره ولاشيئاً مما لصاحبك][٢].

يقول ابن كثير: " وقد قال كثير من علماء السلف وغيرهم مضمون هذه العشر الكلمات في آيتين من القرآن وهما قوله تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ

(١) خر ٢٠ : ١٣ - ١٧ .
(٢) تث ٥ : ١٧ - ٢١.

وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ، وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[١]"[٢].

ثم إنهم غيروا وبدلوا وحرفوا في التوراة – مما ذكره القرآن الكريم – وقتلوا الأنبياء، يقول ا لله -تعالى- ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾[٣].

يقول ابن كثير: " هذا الذي جازيناهم من الذلة والمسكنة، وإحلال الغضب بهم من الذلة، بسبب استكبارهم عن اتباع الحق وكفرهم بآيات ا لله، وإهانتهم حملة الشرع، وهم الأنبياء وأتباعهم، فانتقصوهم إلى أن أفضى بهم الحال إلى أن قتلوهم، فلاكفر أعظم من هذا، إنهم كفروا بآيات ا لله، وقتلوا أنبياء ا لله بغير الحق"[٤].

إذن فالأساس الذي شرعه ا لله -تبارك وتعالى- من أن تفضيلهم لم يكن إلا بسبب إيمانهم وتقواهم، فمتى ماتركوا ذلك، انتقض حقهم في التفضيل والاختيار، فالميزان في ذلك هو: الالتزام بالإيمان با لله -تعالى- وحده لاشريك له، والقيام بما شرع، وأداء مأمر به، " وهكذا كان تفضيل ا لله لهم لأنهم آمنوا حيناً ببعض الأنبياء، وعرفوا نور التوحيد في الوقت الذي كانت فيه معظم الشعوب مُعرضة عن عبادة ا لله فلم يكن اختيار ا لله لهم بسبب العنصر، أو العرق، أو النوع، أو اللون أو غير ذلك من أباطيلهم، وإنما كان تكليفاً لبني إسرائيل واختياراً وابتلاءً أيشكرون أم يكفرون ولهذا قرن القرآن

---

(١) سورة الأنعام، آية ١٥١، ١٥٢.
(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، ٢٦٣/١.
(٣) سورة البقرة، ٦١؛ وانظر الآية ١١٢ من سورة آل عمران.
(٤) تفسير ابن كثير، ١٣٨/١ .

الكريم بين آيات الاختيار والاختبار معاً فقال: ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ، وَءَاتَيْنَاهُمْ مِنَ الآيَاتِ مَا فِيهِ بَلاءٌ مُبِينٌ﴾(١)، والبلاء هو الاختبار، وا لله قد يختبر عباده بالنعم كما يختبرهم بالنقم، ولكن اليهود سقطوا في امتحانهم، فلم يشكروا نعمة اختيار ا لله لهم، وإنما انحرفوا عن منهم ا لله وحرفوا كتبه وكذبوا رسله، وهنا غضب ا لله عليهم ولعنهم وعدد مساوئهم وكفرهم ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ، كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾(٢)، كما يناقشهم القرآن في دعواهم مناقشة منطقية فيقول: ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾(٣)، فاليهود يدعون أن ا لله قد أفردهم بولايته وحبه واختياره، ولكن القرآن يصف كلامهم بأنه مجرد زعم باطلن ومع ذلك يطلب منهم أن يتمنوا الموت، لكي يسارعوا إلى لقاء ا لله الذي يحبهم إن كانوا صادقين، ولكن القرآن يعقب في صراحة ووضوح بأن واحداً منهم لن يتمنى الموت، لأنهم يعلمون أنهم كاذبون في دعواهم"(٤).

إذن يتضح من ذلك أن مسألة التفضيل حقيقة – ولكن ليس على إطلاقها– إنما لها شروطها التي لم يلتزم بها بنو إسرائيل، فمن الشروط: الإيمان بـا لله –تبارك وتعالى–، فمن آمن با لله والتزم سواءً من بني إسرائيل أم من غيرهم فله الفضل على غيره، فأساس التفاضل إنما هو عبادة ا لله –تعالى– فأكرم الناس أتقاهم، كما أخبر عن ذلك القرآن الكريم، يقول –تبارك وتعالى–: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾(٥).

---

(١) سورة الدخان، ٣٢-٣٣ .
(٢) سورة المائدة، ٧٨-٧٩ .
(٣) الجمعة، ٦ – ٧ .
(٤) العقيدة اليهودية، وخطرها على الإنسانية، ٣٥٥-٣٥٦ .
(٥) سورة الحجرات، آية ١٣ .

وعلى هذا تكون أمة الإسلام هي خير أمة أخرجت للناس، يقول تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[(١)]، وهي خيرية ليست على إطلاقها أيضاً، وإنما باستيفاء شروطها وهي: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[(٢)].

يقول ابن كثير: " فمن اتصف من هذه الأمة بهذه الصفات دخل معهم في هذا الثناء عليهم والمدح، كما قال قتادة" بلغنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حجة حجها، رأى من الناس سرعة، فقرأ هذه الآية ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ ثم قال: من سره أن يكون من تلك الأمة، فليؤد شرط الله فيها"[(٣)].

ثم إن نص التوراة يؤكد على هذه الشروط فقد جاء فيه: [والآن إن امتثلتم أوامري وحفظتم عهدي ...][(٤)].

وهو مايدل حقيقة على أن التفضيل هو بسبب الامتثال لشرع الله -تعالى- وأوامره لا لشيء آخر .

ووردت أيضاً نصوص أخرى تدل على هذا المعنى منها: [وإن نسيت الرب إلهك واتبعت آلهة غريبة وعبدتها وسجدت لها فأنا شاهد عليكم اليوم بأنكم تهلكون هلاكاً كالأمم التي أبادها الرب من أمامكم تهلكون لأجل أنكم لم تسمعوا لصوت الرب إلهكم][(٥)]. وأيضاً: [انظروا إني تالٍ عليكم اليوم بركة ولعنة البركة إن سمعتم لوصايا الرب إلهكم وزغتم عن الطريق التي أنا سانُّها لكم اليوم إلى اتباع آلهة غريبة لم تعرفوها][(٦)]. فهذان النصان يدلان على أن امتثال الأوامر بعبادة الله وطاعته هو الركيزة

---

(١) سورة آل عمران، آية ١١٠ .
(٢) سورة آل عمران، آية ١١٠ .
(٣) ابن كثير، ١/٥١٦ .
(٤) خر ١٩ : ٥ .
(٥) تث ٨ : ١٩-٢٠ .
(٦) تث ١١ : ٢٦-٢٨ .

الأساسية للتفضيل، وأنه متى ماحاد هؤلاء عن ذلك انتقضت دعواهم بالتفضيل على العالمين، فنصوصهم –من كتبهم– شاهدة عليهم.

بقيت هنا مسألة يتعلق بها اليهود أيضاً، وهي الادعاء بأن لهم الفضل على غيرهم باعتبارهم من نسل الأنبياء (إبراهيم – إسحاق – يعقوب) عليهم الصلاة والسلام، ومما لاشك فيه، أن اليهود في الزمن السابق كان الكثير منهم من نسل الأنبياء الكرام، لكن اليهود اليوم والذين يحتجون بهذا الأمر ليست لهم صلة باليهود السابقين نسباً، وهذا ماأكده كثير من الباحثين ومنهم (بنيامين فريد مان) الذي أثبت أن اليهود الآن لاتربطهم باليهود السابقين ملة ولاعلاقة، حيث أنهم ينحدرون من سلالة الخزر .

يقول فريدمان: " إن من يزعمون أنفسهم يهوداً من ذوي الأرومة الأوروبية الشرقية في كل مكان من عالم اليوم، هم تاريخياً يتحدرون على نحو لايرقى إليه الشك ولانزاع فيه، من سلالة الخزر ... ذلك الشعب الوثني القديم التركي الفنلندي المغولاني، الغامض الأصول بالنسبة لوجوده التاريخي في قلب آسيا، الذي شق طريق كفاحه في حروب دموية في حوالي القرن الأول قبل الميلاد نحو أوربا الشرقية، حيث أقام مملكة الخزر"[١]. ثم إنهم حوالي عام ٧٢٠م اعتنقوا اليهودية " كما أضحى الملك بولان أول ملك للخزر، في السنة ذاتها يدعى يهودياً بالتحول والاعتناق. وكُرّس دين الملك بولان الجديد بعد ذلك ديناً رسمياً لمملكة الخزر"[٢].

وكانت نهاية هذه المملكة اليهودية على يد إمارة الروس المجاورة لها فقد " حاربت إمارة الروس لعدة قرون بدون أي انقطاع، مملكة الخزر، للاستيلاء على مزيد من الأراضي، ولم تمض ثلاثة قرون حتى قضت إمارة روس على مملكة الخزر، مستولية على

---

(١) بنيامين فريدمان، يهود اليوم ليسوا يهوداً، اعداد: زهدي الفاتح، دار النفائس، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ص ١٤ .

(٢) نفسه، ص ١٥ ,

جميع أراضيها، أي على ٨٠٠ ألف ميل مربع، وبهذا زالت مملكة الخزر كدولة حرة مستقلة، وكجسم سياسي ذي سيادة في أوربا"(١).

ومن ثم اضطر الكثير من سكان هذه المملكة المنهارة إلى الفرار من أوربا الشرقية تجاه بلدان أوربا الغربية وغيرها.

يقول فريدمان: " والحقيقة أن من يزعمون أنفسهم يهوداً، المتحدرين تاريخياً من سلالة الخزر، يشكلون أكثر من ٩٢ بالمائة من جميع من يسمون أنفسهم يهوداً في كل مكان من العالم اليوم، والخزر الآسيويون الذين أنشأوا مملكة الخزر في أوربا الشرقية، أصبحوا يسمون أنفسهم يهوداً بالتحول والاعتناق سنة ٧٢٠م، وهؤلاء لم تطأ أقدام أجدادهم قط الأرض المقدسة ..... ثم يتابع بعد ذلك قائلاً: إن مالايقل على ٩٢ بالمائة من جميع من يزعمون أنفسهم يهوداً في العالم اليوم، يتحدرون ممن عرفوا بيهود السلالة الخزرية تاريخياً، وهناك حقائق وأرقام تؤكد على أن ٨ بالمائة المتبقية يتحدرون من السكان الوثنيين البدو القدامى في أفريقيا وآسيا وحوض البحر الأبيض المتوسط"(٢)، وبه يتضح أن اليهود اليوم ليست لهم صلة باليهود السابقين من جهة النسب، ومع افتراضنا بصمة الانتماء النسبي، فليس من ميزان للتفاضل بين الناس سوى ميزان الايمان با لله -تعالى- والعمل الصالح فقط، وهم يدعون أنهم إنما تم تفضيلهم على الناس لأنهم أبناء أولئك الأنبياء الكرام، وأنهم كانوا لهم أنبياء، فهم يعتبرون (إبراهيم - إسحاق - يعقوب - موسى - داود - سليمان) أنبياء وملوك لليهود وهي مسألة لاينهض إليها دليل، بل على عكس ذلك فقد أثبت القرآن الكريم بطلانها، ففي كثير من الآيات ورد ذكر هؤلاء الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - إما بتبرئتهم من دين اليهودية، أو بإثبات أنهم كانوا على دين الإسلام، وهذا هو الصحيح، فهؤلاء الأنبياء مسلمون ولم يكن أحدٌ منهم على دين اليهود، فقد جاء في القرآن الكريم عن إبراهيم -عليه الصلاة والسلام-:

---

(١) نفسه، ص ٤٠ .
(٢) السابق، ص ٤٤-٤٥ .

﴿ياأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ إِلا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ، هَا أَنْتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ، مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(١).

وقد أثبت القرآن الكريم أيضاً أن جميع الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- كانوا على دين واحد.

يقول ابن تيمية -رحمه الله-: " وهذا الدين هو دين الإسلام، الذي لايقبل الله ديناً غيره، لامن الأولين ولامن الآخرين، فإن جميع الأنبياء على دين الإسلام، قال تعالى عن نوح: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلا تُنْظِرُونِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾(٢)، وقال عن إبراهيم: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ، إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَابَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾(٣)، وقال عن موسى: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَاقَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾(٤)، وقال عن في خبر المسيح: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾(٥)، وقال فيمن تقدم من الأنبياء: ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٦٥-٦٧ .

(٢) سورة يونس، الآية ٧١-٧٢.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٣٠-١٣٢.

(٤) سورة يونس، الآية ٨٤ .

(٥) سورة المائدة، الآية ١١١.

هَادُوا﴾[1]، وقال عن بلقيس أنها قالت: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[2]"[3].

فهؤلاء جميعاً أنبياء الله الكرام، وهم مسلمون، والمسلم أولى بالمسلم من غيره ولاعلاقة لليهود بهم، يقول الله -تعالى-: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾[4].

يقول ابن كثير عند تفسيره لهذه الاية: " يقول تعالى: أحق الناس بمتابعة إبراهيم الخليل الذين اتبعوه على دينه وهذا النبي، يعني محمد -ﷺ- والذين آمنوا من أصحابه المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بعدهم"[5].

ويقول ﷺ في هذا المعنى حينما قدم المدينة ورأى اليهود تصوم يوم عاشوراء وسأل عن ذلك فقالوا: "هذا يوم ظهر فيه موسى على فرعون، فقال النبي ﷺ لأصحابه: أنتم أحق بموسى منهم فصوموا"[6]، وهذا يدل على أن علاقة اليهود بأنبياء الله -تعالى- الكرام، علاقة منقطعة، بل إن الكفار من بني إسرائيل قد لعنوا على لسان داود، يقول -تعالى-: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ، كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[7].

---

(١) سورة المائدة، الآية ٤٤ .
(٢) سورة النمل، الآية ٤٤ .
(٣) التدمرية، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد عودة السعوي، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ، مكتبة العبيكان، ص ١٦٨-١٦٩ .
(٤) سورة آل عمران، الآية ٦٨ .
(٥) ابن كثير، ٤٨٦/١.
(٦) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، ٣١٢/٨.
(٧) سورة المائدة، آية ٧٨-٧٩ .

وهذا اللعن بسبب عصيانهم ومخالفتهم لشرع ا لله فلم ينفعهم نسبهم إلى آبائهم من الأنبياء الكرام في ذلك الوقت شيئاً، مما يدل على أن قضية المعتقد هي الفيصل والحكم في المسألة.

من هذا نتبين أن الأساس الذي يقيم عليه هؤلاء حجتهم بأنهم قد اختيروا من ا لله -تعالى- على الناس أجمعين أمر لايصح على إطلاقه إنما له شروطه التي لم يلتزم بها بنو إسرائيل، وأما مقولتهم بأن أنبياء ا لله -تعالى- كانوا آباءهم وأنبيائهم على دينهم، فهو أمر لايصح أيضاً لورود الأدلة على خلافه، ومع ادعائهم بنسبتهم إلى أولئك الأنبياء الكرام -عليهم صلوات ا لله وسلامه- فإنهم -أي الأنبياء- لم يسلموا من افتراءات اليهود عليهم، فقد وصفوهم في التوراة وأسفار العهد القديم بصفات لايجوز إطلاقها على بشر عاديين فضلاً عن أن يتصف بها أنبياء مكرمون ومن ذلك ماوصفوا به سيدنا نوحاً -عليه الصلاة والسلام- من أنه شرب الخمر وتعرى داخل خبائه فقد ورد في سفر التكوين مايلي: [وابتدأ نوح يحرث الأرض وغرس كرماً وشرب من الخمر فسكر وتكشف داخل خبائه فرأى حام أبو كنعان سوءة أبيه فأخبر أخويه وهما خارجان فأخذ سام ويافث رداءً وجعلاه على منكبيهما ومشيا مستدبرين فغطيا سوءة أبيهما واوجههما إلى الوراء وسوءة أبيهما لم يرياها، فلما أفاق نوح من خمره علم ماصنع به ابنه الصغير فقال ملعون كنعان عبداً يكون لعبيد إخوته وقال تبارك الرب إله سام وليكن كنعان عبداً له][1].

وأما سيدنا إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- فقد زعموا أن ثروته زادت ونمت بسبب امرأته سارة.

يقول سفر التكوين: [وكان جوع في الأرض فهبط أبرام إلى مصر لينزل هناك إذ اشتد الجوع في الأرض فلما قارب أن يدخل مصر قال لساراي امرأته أنا أعلم أنك

---

(١) تك ٩ : ٢٠-٢٦ .

امرأة جميلة المنظر فيكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون هذه امرأته فيقتلونني ويستبقونك فقولي إنك أختي حتى يُحسن إليّ بسببك وتحيا نفسي من أجلك ولما دخل أبرام مصر رأى المصريون أن المرأة حسنة جداً ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون فأخذت المرأة إلى بيته فأحسن إلى أبرام بسببها فصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء واتن وجمال][1].

وأما سيدنا يعقوب -عليه السلام- فقد نسبوا إليه الخداع والكذب وذلك حينما طلب إسحاق -عليه السلام- من ابنه الأكبر عيسو أن يصطاد له حتى يباركه لكن يعقوب احتال على أبيه وأحضر له الصيد قائلاً: [أنا عيسو بكرك قد صنعت كما أمرتني قم فاجلس وكل من صيدي لكي تباركني نفسك][2].

وأما سيدنا داود -عليه السلام- فقد نسبوا إليه أموراً عظيمة منها أنهم جعلوه ابن زنى من وجهين :

الأول : أن داود -عليه السلام- كما هو في كتابهم ابن يسي بن عوبيد بن بوعز من سبط يهوذا، وأم بوعز هي راعوث من بني مؤاب الذين هم - كما تذكر التوراة- نسل للوط من ابنته التي وطأها تحت تأثير السكر[3].

أمَّا الوجه الثاني: أن يهوذا بن يعقوب -عليه السلام- قام بالفعل نفسه مع زوجة ابنه وهو لايعرفها، وكان نتيجة ذلك أن ولدت له فارض جد داود[4].

ثم لم يكتف محرفوا التوراة بهذا، بل زادوا عليه أن رموه -عليه السلام- بالزنى أيضاً، وذلك بامرأة أحد جنده واسمه: أوريا الحثي[5].

---

(١) تك ١٢ : ١٠-١٦ .
(٢) تك ٢٧ : ١٩ .
(٣) انظر: القصة تك ١٩ : ٣٠-٣٨ .
(٤) انظر: تك ٣٨ .
(٥) انظر ٢ مل ١١ .

وأما سيدنا سليمان -عليه السلام- فقد اتهموه بأنه عبد آلهة غريبة وأنه تزوج نساءً أملن قلبه عن عبادة الله[(١)].

ويتضح من هذا أن اليهود، ومع ادعائهم بصلتهم بأنبياء الله -تعالى- الكرام، ديناً ونسباً،فإن الأمر ليس على حقيقته، فهؤلاء اليهود صلتهم مقطوعة بهم من الوجهين، فهم ليسوا على دين أولئك الأنبياء الذين أوضح القرآن الكريم أن دينهم هو الإسلام لا اليهودية ولاغيرها، ثم هم ليسوا أبناء لهم ولاذرية، ومنه يتبين أن هؤلاء اليهود ليس لهم مايقيمون عليه دعواهم بأفضليتهم على العالمين على أي اعتبار من الاعتبارات السابقة.

ثانياً: الزعم بأحقية اليهود في أرض فلسطين :

فلسطين هي الأرض التي باركها الله -تعالى- وعلى أرضها كانت رسالات كثير من أنبياء الله الكرام -عليهم الصلاة والسلام- ويزعم اليهود أن أرضها تخصهم مستدلين على ذلك بنصوص من أسفارهم تعطيهم الحق في تملكها إرثاً أبدياً، فتورد نصوص التوراة أن الله -تعالى- أعطاها لإبراهيم -عليه السلام- وذريته للأبد.

يقول نص التوراة: [ولما كان أبراهم ابن تسع وتسعين سنة تجلى له الرب وقال له أنا الله القدير أسلك أمامي وكن كاملاً فاجعل عهدي بيني وبينك واكثرك جداً جداً فسقط أبرام على وجهه وخاطبه الله قائلاً هاأنا أجعل عهدي معك وتكون أبا جمهور أمم ولايكون اسمك أبرام بعد بل يكون اسمك إبراهيم لأني جعلتك أبا جمهور أمم وسأنميك جداً جداً وأجعلك أمماً وملوك منك يخرجون وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك مدى أجيالهم عهد الدهر لأكون لك إلهاً ولنسلك من بعدك وأعطيك أرض غربتك لك ولنسلك من بعدك جميع أرض كنعان ملكاً مؤبداً وأكون لهم إلهاً، وقال الله لإبراهيم وأنت فاحفظ عهدي أنت ونسلك من بعدك مدى أجيالهم][(٢)].

---

(١) انظر: ٣ مل ١١ .

(٢) تك ١٧ : ١-١٠ .

أمَّا إسحاق فقد ورد أيضاً الوعد له بالأرض: [فمضى إسحاق إلى أبيمك ملك فلسطين في جرار فتجلى له الرب وقال لاتنزل إلى مصر بل أقم بالأرض التي أعينها لك أنزل هذه الأرض وأنا أكون معك وأباركك لأنني لك ولنسلك سأعطي جميع هذه البلاد وأفي بالقسم الذي أقسمته لإبراهيم أبيك وأكثر نسلك كنجوم السماء وأعطيهم جميع هذه البلاد ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض](١).

ثم تكرر الوعد أيضاً ليعقوب –عليه السلام–: [وخرج يعقوب من بئر سبع ومضى إلى حاران فصادف موضعاً بات فيه إذ غابت الشمس، فأخذ بعض حجارة الموضع فوضعه تحت رأسه ونام في ذلك المكان فرأى حلماً كأن سلماً منتصبة على الأرض ورأسها إلى السماء وملائكة الله تصعد وتنزل عليها وإذا الرب واقف على السلم فقال أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله إسحاق الأرض التي نائم عليها لك أعطيها ولنسلك](٢).

مناقشة هذا الإدعاء:

من خلال النصوص يدعم اليهود مقولتهم بأن أرض فلسطين ملك لهم، حيث وعد الله –تعالى– إبراهيم وذريته من بعده بها، وبفرض صحة هذا العهد، فإنه لإبراهيم وذريته من المؤمنين، وقد قدمنا أن الصلة بين اليهود وبين أنبياء الله –تعالى– منقطعة. فأنبياء الله الكرام كانوا على الإسلام، ولم يكن أحد منهم يهودياً، وهؤلاء يهود على الكفر، فلاصلة بينهم إذن، وقد أخبر الله –تعالى– عن أن عهده لإبراهيم وذريته لايناله الظلمة منهم، يقول تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾(٣)، " فالإمامة قد حجبها الله سبحانه وتعالى عن الفسقة والظلمة والكفرة من ذرية إبراهيم –عليه السلام–، كما أن

---

(١) تك ٢٦: ١-٤ .
(٢) تك ٢٨ : ١٠-١٣ .
(٣) سورة البقرة، الآية ١٢٤ .

ا لله سبحانه وتعالى قد حسم الأمر حينما قال: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾(١).

وبهذا نصل إلى نتيجة مفادها أن ا لله سبحانه وتعالى، لايمكن أن يكون قد وعد الذرية الظالمة من أبناء إبراهيم عليه السلام بالإمامة في أرض فلسطين أو على غيرها من أرض فلسطين. وإنما الموعودون بالتمكين في الأرض المقدسة وغيرها من أرض ا لله والمبشرون بوراثة الأرض المقدسة، وغيرها من أرض ا لله، هم المسلمون"(٢).

وبهذا يتضح أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده الصالحين، الملتزمين بأوامره السائرين على شرعه، أياص كان جنسهم أو لونهم أو عرقهم .

وبمناقشة هذين الادعاءين يتضح لنا الآتي :

١- القول بتفضيل بني إسرائيل على غيرهم أمرٌ ليس على اطلاقه وله شروطه التي لم يلتزم بها اليهود من توحيد ا لله، وعبادته والالتزام بما شرع، وهؤلاء جانبوا ماكان عليه أنبياء ا لله -تعالى- وحادوا عن الطريق المستقيم، فاستحقوا لعنة ا لله عليهم، وبذا أصبحت أمة الإسلام هي خير أمة أخرجت للناس .

٢- صلة اليهود بأنبياء ا لله -تعالى- [إبراهيم - إسحاق - يعقوب - موسى - داود - سليمان]، منقطعة، وبناء عليه فإن لاحق لهم ولا إرث في أرض فلسطين.

٣ - إن أولى الناس بإبراهيم -عليه السلام- هم من اتبعه وكان على الحنيفية السمحة ونبينا محمد ﷺ ، والأمة المسلمة إلى يوم القيامة .

ولقد أوردت التوراة نصوصاً تشريعية، تحدد علاقة بني إسرائيل بغيرهم من الأمم، وذلك حال وقوع قتال بينهم، ومنها :

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٦٨ .

(٢) د. جمال عبدالهادي، ليس لليهود حق في أرض فلسطين، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، الطبعة الرابعة، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، ص٢٧ .

ماورد في سفر التثنية : [وإذا أدخلت الرب إلهك الأرض التي انت صائر إليها لترثها واستأصل أمماً كثيرة من أمام وجهك الحثيين والجرجاشيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين سبع أمم أعظم منك وأكثر وأسلمهم الرب إلهك بين يديك وضربتهم فأبسلهم إبسالاً لاتقطع معهم عهداً ولاتأخذك بهم رأفة ولاتصاهرهم، ابنتك لاقطعها لابنه، وابنته لاتأخذها لابنك لأنه يقوي ابنك من اتباعي فيعبد آلهة أخر فيشتد غضب الرب عليكم ويبيدكم سريعاً بل كذا تصنعون بهم تنقضون مذابحهم وتكسرون أنصابهم وتقطعون غاباتهم وتحرقون تماثيلهم](١). وورد فيه أيضاً: [وإن سمعت عن إحدى مدنك التي أعطاك الرب إلهك لتسكن فيها قول قائل قد خرج قوم بنو بليعال من بينكم فأغووا أهل مدينتهم قائلين تعالوا نعبد آلهة غريبة لم تعرفوها فابحث عن صحة ذلك واسأل عنه متقصياً فإن كان ذلك حقاً وثبت الخبر وسمع هذا الرجس فيما بينكم فاضرب أهل تلك المدينة بحد السيف وأبسلها بجميع مافيها حتى بهائمها بحد السيف وجميع سلبها اجمعه إلى وسط ساحتها وأحرق بالنار تلك وجميع سلبها جملة للرب إلهك فتكون ركاماً إلى الدهر لاتبنى من بعد](٢).

وأيضاً جاء في السفر نفسه: [وإذا تقدمت إلى مدينة لتقاتلها فادعها أولاً إلى السلم فإذا أجابتك إلى السلم وفتحت لك فجميع الشعب الذين فيها يكونون لك تحت الجزية ويتعبدون لك، وإن لم تسالمك بل حاربتك فحاصرتها وأسلمها الرب إلهك إلى يدك فاضرب كل ذكر بحد السيف وأما النساء والأطفال وذوات الأربع وجميع مافي المدينة من غنيمة فاغتنمها لنفسك وكل غنيمة أعدائك التي أعطاكها الرب إلهك، هكذا تصنع بجميع المدن البعيدة منك جداً التي ليست من مدن الأمم هنا وأما مدن أولئك الأمم التي يعطيها لك الرب ميراثاً فلاتستبق منها نسمة بل أبسلهم إبسالاً الحثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين كما أمرك الرب إلهك كيلا يعلموكم أن

---

(١) تث ٧ : ١-٦ .
(٢) تث ١٣ : ١٢-١٦ .

تصنعوا مثل رجاساتهم التي صنعوها لآلهتهم فتخطأوا إلى الرب إلهكم].

في هذه النصوص نجد أن علة القيام بهذه الأعمال – مثل القتل والتعبيد وأخذ الجزية – إنما كان بسبب بقاء تلك الأمم على الوثنية وعبادة غير ا لله، بل والدعوة إلى ذلك، يدل على ذلك ماورد في النصوص نفسها مثل: [... ولاتأخذك بهم رأفة، ولاتصاهرهم، ابنتك لاتعطها لابنه، وابنته لاتأخذها لابنك لأنه يغوي ابنك عن اتباعي فيعبد آلهة أخر، فيشتد غضب الرب عليكم ...]، وأيضاً: [... قائلين تعالوا نعبد آلهة غريبة...]، وأيضاً: [... كيلا يعلموكم أن تصنعوا مثل رجاساتهم التي صنعوها لآلهتهم فتخطأوا إلى الرب إلهكم].

إذن يفهم من هذه النصوص التي تحدد علاقة بني إسرائيل بغيرهم من الأمم في ذلك الوقت أنها تحديد لطبيعة العلاقة بين مسلمين يعبدون ا لله –تعالى– وكفار يعبدون غيره، فإن كفر بنو إسرائيل وحادوا عن الطريق كان تعلقهم بهذه النصوص وتطبيقهم لما جاء فيها أمر لايصح، فهي ليست لهم إذاً، إنما للمسلمين الذين يجاهدون الكفار لإعلاء كلمة ا لله –تعالى– وعليه فلايصح لليهود التعلق بتلك النصوص على اعتبار أنها موجهة لهم.

والذي عليه واقع بني إسرائيل حتى عندما كان موسى –عليه السلام– بين ظهرانيهم، وبعد ذلك يدل على أنهم كانوا أول من زاغ عن طريق الحق، وعبد غير ا لله –تعالى– وعصوا نبيهم–عليه السلام–، وقد أخبر القرآن الكريم عن ذلك في مواضع عدة.

يقول تعالى مخبراً عنهم أنهم طلبوا من موسى –عليه السلام– أن يجعل لهم إلهاً حينما مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم، يقول تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَامُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[١].

---

(١) سورة الأعراف، الآية ١٣٨ .

ثم أنهم عبدوا العجل بعد ذلك، يقول تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ، أَفَلا يَرَوْنَ أَلا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلا وَلا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَـرًّا وَلا نَفْعًا، وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَاقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُـمُ الرَّحْمَـنُ فَـاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي، قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾[1].

وأيضاً طلبوا من موسى –عليه السلام– أن يريهم ا لله جهرة، يقول تعـالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَامُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً...﴾[2].

ثم عصيانهم لأمر موسى، حينما أمرهم بدخول الأرض المقدسة، فقالوا: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾[3].

وهكذا وصل بهم الحال إلى أن طلب موسى –عليه السـلام– مـن ربـه أن يفـرق بينه وبينهم، يقول تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَـوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾[4].

مما سبق يتضح أن النصوص التي وردت في التوراة بشأن قتال الأمم الأخـرى إنمـا هو بسبب كفرها، وأن بني إسرائيل لو كفروا وعبدوا غير ا لله –تعالى– لدخلوا معهـم في هذا الحكم، فيطبق عليهم أيضاً، وأنه متى ماأسلم أولئـك الأقـوام مـن غـير بـني إسـرائيل والتزموا بوحدانية ا لله –تعالى– وإفراده بالعبادة مـاظهر منهـا ومـابطن، صـار مـن حقهـم تنفيذ تلك الأحكام على غيرهم من الكفار ولو كانوا من بني إسرائيل، فمدار تنفيذها إنمـا هو قضية الإيمان والالتزام بشرع ا لله –تعالى– لاشيء غير ذلك .

ولقد أثرت النصوص السابقة على اليهود خاصة في نظرتهم إلى غيرهم فبني علـى هذه النظرة نتائج عدة منها :

---

(١) سورة طه، الآية ٨٨-٩١.
(٢) سورة البقرة، الآية ٥٥؛ وأيضاً انظر سورة النساء، آية ١٥٣.
(٣) سورة المائدة، الآية ٢٢ .
(٤) سورة المائدة، الآية ٢٥ .

١- إن قول اليهود بتميزهم عن غيرهم من الناس وأنهم شعب ا لله المختار، والإدعاء بالتفضيل المطلق، قد جعلهم يستنكفون عن قبول الحق واتباعه، وهو ماحصل عندما قابل اليهود في المدينة النبي محمداً -ﷺ- ودعوة الإسلام بالصدود، مع علمهم بأنه -ﷺ- صادق فيما جاء به عن ربه -عز وجل- وأنه -ﷺ- ماجاء إلا بالدين الحق، ولكن الكبر والأنفة والحقد الذي اشتملت عليه أنفسهم منعهم من الإذعان لدعوته -ﷺ- فكان هذا الاستكبار والتعالي[1]، من نتائج ادعائهم بالاصطفاء والاختيار، حتى لو كانوا على الباطل.

٢- أن الادعاء بوراثة الأرض المقدسة، والتعلق بالنصوص في ذلك أدى إلى استحلالهم أرض المسجد الأقصى بدون وجه حق، وقيامهم بتهجير سكانها، وقتل وتخويف من تبقى منهم، حتى يضطروا إلى إخلائها لمستجلبيهم ممن ليس له أي علاقة بها.

٣- هذه النظرية أدت أيضاً إلى استحلال اليهود لدماء الآخرين وأموالهم وأعراضهم[2].

٤- أدى تعلق اليهود بنصوص التفضيل أيضاً إلى انغلاقهم على أنفسهم وعدم اختلاطهم بغيرهم قديماً وحديثاً حيث أقاموا في تجمعات خاصة بهم، وكانوا يرفضون أي دعوة للإصلاح أو للاندماج مع غيرهم.

٥- أدى تمسك اليهود بالنصوص التي وردت في التوراة بشأن قتال بني إسرائيل لغيرهم، أدى إلى تطبيقهم ماورد فيها على أهل فلسطين الآن فمن القتل إلى الترويع والتخويف وهدم المنازل وتشريد سكانها، مع أن أمثال تلك النصوص ليست لهم باعتبارها تحدد علاقة مسلمين بكفار، وهؤلاء كفار، كما سبق وأوضحنا.

ويتضح أيضاً من خلال مناقشة اليهود في اعداءاتهم، ورد القرآن الكريم عليهم أمور هي:

---

(١) سيأتي ذلك مفصلاً - إن شاء ا لله تعالى- في الباب الثالث، الفصل الأول.

(٢) سيتضح ذلك -إن شاء ا لله تعالى- في الفصل الثاني من هذا الباب .

١- أن الأرض لله -تعالى- يورثها من يشاء من عباده المؤمنين.

٢- أن التمكين في الأرض له تبعات لم يتحملها اليهود، وقد وردت في القرآن الكريم، يقول -تعالى-: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[١]. وأيضاً يقول -تعالى-: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَءَاتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾[٢].

٣- يتضح من خلال نصوص القرآن الكريم أن أمة الإسلام، هي الأمة الموعودة بوراثة الأرض والتمكين فيها، لأنها هي الوحيدة التي أقامت شرط ا لله، بعبادته وحده لاشريك له وإقامة شرعه، فهي خير أمة أخرجت للناس .

٤- أن الأنبياء السابقين -عليهم الصلاة والسلام- كانوا جميعاً على دين التوحيد، ولم يكن أحدٌ منهم يهودياً أو نصرانياً.

٥- انقطاع الصلة بين اليهود اليوم وبين أولئك الأنبياء .

٦- إن في رميهم لأنبياء ا لله -تعالى- عليهم الصلاة والسلام، إثبات لحقيقة موقف اليهود من دين ا لله ، ذاك أن هؤلاء الأنبياء كانوا مسلمين، وهم قد تعدوا عليهم بالعصيان والانتقاص من قدرهم كما تروي أسفارهم ذلك – وفي هذا بيان لموقف اليهود من دين ا لله -تعالى- وتوضيح لنظرتهم التي ينظرون بها إلى الأنبياء حملة الشرع، فلم يكن موقفهم من النبي محمد -ﷺ- إلا امتداد لموقفهم من الأنبياء السابقين -عليهم الصلاة والسلام-.

---

(١) سورة النور، الآية ٥٥ .
(٢) سورة الحج، الآية ٤١ .

الفصل الثاني

موقف التلمود من الأمميين

مقدمة :

إن التلمود بما يحويه من أفكار وتشريعات هو كتاب جدير بالتوقف عند نصوصه، ومن ثم التدقيق في محتوياتها؛ وذلك من أجل استنباط أصول النظرة العنصرية التي تتضمن موقف التلمود من الأغيار، فالقارئ لنصوصه يأخذه العجب، وتبلغ به الدهشة مداها، حينما تقع عيناه على تلك الأقوال الغريبة والتي تفتقت عنها أذهان الحاخامات، ولكن تلك الدهشة ستزول حتماً إذا قرأ في التلمود أقوال هؤلاء عن ا لله – سبحانه وتعالى – وأيضاً عن الأنبياء.

فقد تطاول هؤلاء في تلمودهم على مقام الألوهية، ووصفوا ا لله تعالى بصفات لاتدل إلا على الكفر البواح؛ فهو – سبحانه وتعالى عما يقولون– يبكي، ويندم، ويخطئ، ويحتاج لمن يكفر عنه يمينه التي يحنث بها، ومع هذا أيضاً رموه بالتجسيم والتشبيه.

ثم بعد ذلك اعتدوا على مقام الأنبياء الكرام ورموهم بما لايجوز من الأوصاف، فإذا اتضح هذا كله هان بعد ذلك قراءة ماسطرته أيديهم عن غيرهم من الأمم، ولاشك أن هذه التشريعات الموجودة في التلمود هي بمثابة العقائد اليقينية، والتي تأصلت في نفوسهم على مر السنين حتى أصبحت جزءاً لاينفك من شخصيتهم، وأصبحت ممارسة مثل تلك الأفعال المشينة – والتي يحض عليها الحاخامات في التلمود – أمراً عادياً، ولازمةً من لوازم التعبد والتقرب إلى إلههم؛ فهم يعتقدون بهذه الأقوال ويتقربون إليه بمثل تلك الأفعال، إذن هناك أصلين مهمين يبرران هذه النظرة البغيضة للأغيار، والجرائم البشعة التي تستتبع تلك النظرة، والأصلان هما :

- إن من يتطاول على مقام الألوهية، وعلى مقام الأنبياء الكرام بمثل تلك الصورة المزرية يسهل عليه بعد ذلك وصف غيره من البشر بما لايليق، والنظر إليه بكل معاني الاحتقار والدونية .

- مثل تلك النصوص المبثوثة في تلمودهم، ليست أقوالاً مجردة، بل هي عقائد تتحكم بعد ذلك في السلوك العام، وعلى قدر الالتزام بهذه الأصول والعقائد يكون الفعل مساوياً لها بعد ذلك .

يقول الأستاذ محمد نمر الخطيب : " إن سلوك اليهود وتصرفاتهم الوحشية العجيبة، مدين بتلك العقيدة، التي اشتملت عليها كتبهم الدينية، وخاصة التلمود، وإذا فكرت الإنسانية في يوم من الأيام، في إصلاح اليهود، وردهم إلى طريق الهدى والرشاد، فينبغي قبل كل شيء، أن يحرقوا هذا التلمود ليزيلوا هذه العقيدة الخبيثة التي تأصلت فيهم، وجرت مجرى الدم في عروقهم"(١).

ولبيان هذا، لابد من التفصيل في استعراض النصوص التي سطرها اليهود على مدى قرون طوال في التلمود، وهو ماسيكون الحديث عنه في هذا الفصل - إن شاء الله تعالى-.

---

(١) محمد نمر الخطيب، حقيقة اليهود والمطامع الصهيونية، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ص٤٠.

التلمود وتطاوله على الذات الإلهية :

جاء موسى – عليه السلام – بعقيدة التوحيد الخالص لبني إسرائيل، وقد جاهد كثيراً كي تكون عبادة ا لله – تعالى – هي الأساس بما يتبع ذلك من إفراده بالعبودية، وتحقيق الأسماء الحسنى والصفات العلى له – سبحانه –، وقد ظل الأمر كذلك بعد موسى لفترة من الزمن، حتى انتكست عقائدهم، وفي ذات الوقت ظهر التلمود الذي لم يعطِ الإله حقه من الكمال والتنزيه عند حديثه عنه، بل إنه كان بكل مايحويه كتاباً للشرك والكفر، خاصة إذا ماتحدث عن مقام الألوهية، يقول الدكتور على وافي : "ويظهر أنه بعد أن قربت عقيدتهم من التوحيد وتنزيه الإله من النقص، ارتكست مرة أخرى ارتكاساً كبيراً في العهد الذي أُلّف فيه التلمود – القرون الستة الأولى بعد الميلاد – فأسفار التلمود تظهر إله إسرائيل متصفاً بكثير من صفات الحوادث وصفات النقص، ويبدو ذلك على الأخص فيما يذكره التلمود عن جسم الإله وضخامة أعضائه، ومايرويه عن نشاطه وأعماله في الليل والنهار، وعن حالته بعد هدم الهيكل وتشريد بني إسرائيل، ومايقرره بصدد تخصيص أيام من كل عام لعبادة إله آخر صغير"(١).

وقد جاء كل ذلك مفصلاً في نصوص التلمود، ومن أمثلته :

١– وصف الله بالندم :

يخبر التلمود بأن ا لله – تعالى – يندم، وذلك لأنه أمر بخراب الهيكل ونهب أولاده (اليهود)، وأنه نتيجة لهذا الندم يبكي فتسقط دموعه مسببة اضطراب المياه وحصول الزلازل، يقول التلمود: " يتندم ا لله على تركه اليهود في حالة من التعاسة حتى أنه يلطم ويبكي كل يوم، فتسقط من عينيه دمعتان في البحر، فيسمع دويهما من بدء العالم إلى أقصاه، وتضطرب المياه، وترتجف الأرض في أغلب الأحيان فتحصل الزلازل"(٢).

---

(١) د. علي وافي، الأسفار المقدسة، ص٣١، ٣٢.

(٢) الكنز المرصود، ص٥٦.

٢- جواز الخطأ عليه :

وهاهو التلمود ينسب إليه – تعالى – الخطأ، وليس هذا فقط بل إن هناك من ينبهه إلى الخطأ الذي وقع فيه ويلومه على ذلك، فهذا القمر يقول له : " أخطأت حيث خلقتني أصغر من الشمس، فأذعن الله لذلك واعترف بخطئه، وقال: اذبحوا لي ذبيحة أُكفّر بها عن ذنبي لأني خلقت القمر أصغر من الشمس"(١).

٣- الحنث في اليمين :

يحلف الله– تعالى – فيحنث في يمينه ثم بعد ذلك يحتاج إلى من يحلله من ذلك القسم، وكل هذا تجده في التلمود بدون أن يكون هناك أي رادع من إيمان أو إجلال له –تعالى–، يقول التلمود: "إن الله إذا حلف يميناً غير قانونية احتاج إلى من يحلله من يمينه، وقد سمع أحد العقلاء من الإسرائيليين الله– تعالى – يقول: من يحللني من اليمين التي أقسمت بها؟ ولما علم باقي الحاخامات أنه لم يحلله منها، اعتبروه حماراً، لأنه لم يحلل الله من يمينه، ولذلك نصبوا ملكاً بين السماء والأرض اسمه (مي) لتحليل الله من أيمانه ونذوره عند اللزوم"(٢).

٤- وصمه باللعب :

قسَّم التلمود الليل والنهار بالنسبة لله – تعالى – إلى أقسام وفي أحدها يجلس ويلعب مع الحوت ملك الأسماك، جاء في التلمود: "إن النهار اثنتا عشرة ساعة: في الثلاث الأولى منها يجلس الله ويطالع الشريعة، وفي الثلاث الثانية يحكم وفي الثلاث الثالثة يطعم العالم، وفي الثلاث الأخيرة يجلس ويلعب مع الحوت ملك الأسماك"(٣).

---

(١) الكنز المرصود، ص ٥٠ .

(٢) السابق ، ص٥٧.

(٣) السابق، نفس الصفحة .

٥- البكاء والتضاؤل :

يخبر التلمود أن ا لله – تعالى – لما أمر بخراب الهيكل ندم على ذلك أشد الندم، وصار يبكي بكاءً حاراً، وهو يرى أنه لايستحق تمجيد الناس وثناءهم عليه لأجل فعله ذاك، كل هذا موجودٌ في التلمود الذي يقول صراحة : "وقد اعترف ا لله بخطئه في تصريحه بتخريب الهيكل فصار يبكي ويمضي ثلاثة أجزاء الليل يزأر كالأسد قائلاً: تباً لي لأني صرحت بخراب بيتي وإحراق الهيكل ونهب أولادي، وشغل ا لله مساحة أربع سنوات فقط بعد أن كان ملء السموات والأرض في جميع الأزمان، ولما سمع الباري تعالى تمجيد الناس له يطرق رأسه ويقول: ماأسعد الملك الذي يمدح ويبجل مع استحقاقه لذلك، ولكن لايستحق شيئاً من المدح الأب الذي يترك أولاده في الشقاء"[1].

٦- التشبيه والتجسيم :

لم يكتف اليهود بوصف الإله – سبحانه – بصفات النقص والذم فقط، بل إنهم جسموه ووصفوا أعضاءه، أورد الإمام ابن حزم ذلك قائلاً: "في كتاب لهم يسمى شعر توما من كتاب التلمود ... . أن تكسير جبهة خالقهم من أعلاها إلى أنفه خمسة آلاف ذراع ... . وفي كتاب آخر من التلمود يقال له سادر ناشيم ومعناه تفسير أحكام الحيض أن في رأس خالقهم تاجاً فيه ألف قنطار من ذهب، وفي إصبعه خاتم له فص تضيء منه الشمس والكواكب، وأن الملك الذي يخدم ذلك التاج اسمه صندلفون"[2]، ثم إنهم بعد كل هذا الانتقاص من حق ا لله – تعالى – يتوجهون بالعبادة لغيره في أيام معينة من السنة، فحصل لهم مع ذلك كله الشرك، يقول الإمام ابن حزم: "واعلموا أنهم أفردوا عشرة أيام من أول اكتوبر يعبدون فيه رباً آخر غير ا لله عز وجل، واعلموا أن الرب الصغير الذي أفردوا له الأيام المذكورة يعبدونه فيها من دون ا لله عز وجل هو

---

(١) الكنز المرصود ، ص ٥٦.

(٢) الفصل، ١/٣٢٤-٣٢٥.

عندهم صندلفون الملك خادم التاج الذي في رأس معبودهم"[١].

ومثل النصوص السابقة لاتدل إلا على مبلغ ماوصل إليه عقل من قام بكتابة مثل هذه الأقوال، والتي لم يستحِ هؤلاء في أن يوردوها، ويتناولوها بالشرح والتعليق على مدى قرون طوال، وقد تناول بعض العلماء الرد على مثل هذه الترهات ومن أولئك الإمام ابن حزم رحمه الله تعالى في كتابه الفصل[٢].

(١) الفصل ، ١/٣٢٨.
(٢) انظر الفصل، ١/٣٢٤، ٣٢٩.

التلمود والتطاول على مقام الأنبياء :

لقد سبقت التوراة التلمود في الانتقاص من شأن أنبياء ا لله الكرام، فلم يكن التلمود أول ماابتدع هذا الشئ، لكنه أضاف إليه قاموساً آخر من الشتائم وخاصة في حق نبي ا لله الكريم – عيسى عليه السلام – وذلك لأن المسيحية كانت متسلطة في تلك الفترة التي أُلِّفَ فيها التلمود، مما ضيق كثيراً على اليهود وحدا بهم إلى مناصبة العداء للمسيح والمسيحيين، ومن ثم اتجهوا إلى الانتقاص من قدر المسيح عليه السلام، وكيل السباب والشتائم له في تلمودهم، ويُرى ذلك واضحاً من خلال استعراض نصوصهم المثبتة في التلمود فآدم – عليه السلام – يقول عنه التلمود : " خلقه ا لله ذا وجهين ... رجلاً من ناحية وامرأة من ناحية أخرى، ثم قطعه من النصف، وأن طوله كان يصل إلى السماء ... وأنه إذا نام كان رأسه في المشرق ورجلاه في المغرب، وأن ا لله صنع لآدم طاقة ينظر منها الدنيا من أولها لآخرها ولكن بعد خطيئة آدم وعصيانه ا لله، وضع ا لله يده على رأس آدم وكبسه حتى صغر حجمه وصار كبقية البشر، وعندئذ طرده من الجنة في الساعة الثانية عشرة "[١].

وبسبب هذا الطرد، ابتعد عن زوجته حواء، حتى لاتلد له نسلاً تعيساً، يقول التلمود: " وبعض الشياطين من نسل آدم، لأنه بعد مالعنه ا لله أبى أن يجامع زوجته حواء حتى لاتلد له نسلاً تعيساً، فحضر له اثنتان من نساء الشياطين فجامعهما فولدتا شياطين"[٢]. وأن اسم إحدى هاتين "ليليت"، يقول التلمود: " إن آدم كان يأتي شيطانة مهمة اسمها "ليليت" مدة ١٣٠سنة، فولد منها شياطين"[٣].

---

(١) التلمود شريعة بني إسرائيل حقائق ووقائع، ترجمة وإعداد: محمد صبري، مطابع دار الهلال، ص٢٠.

(٢) الكنز المرصود، ص٦٠.

(٣) السابق ، نفس الصفحة.

أما إبراهيم – عليه السلام – فهو في نظر الحاخامات كان يجيد العرافة، جاء في التلمود: " أن إبراهيم عليه السلام كان يعرف العرافة لأنه أعطى بعض الهدايا لأبنائه كانت فيها قوة السحر، وكان هو نفسه يعلق حول عنقه عقداً يتوسطه حجر يشفي كل من رآه ... والتلمود أيضاً يحتوي خرافات وأساطير كثيرة عن إبراهيم عليه السلام وزوجته ساره التي أضاء جمالها العالم حين فتح إبراهيم الصندوق الذي كانت فيه أمام رجال الجمارك المصريين"[١].

ويخبر التلمود عن مصير هذا الحجر السحري قائلاً: " فوصل هذا الحجر لبعض الحاخامات التلموديين، وكان بقوته هو وباقي رفقائه يقيمون الموتى، وحصل أن أحد الحاخامات قطع مرة رأس حية لمسها بالحجر المذكور فإذا هي حية تسعى، وقد لمس أيضاً به جملة أسماك مملَّحة فدبت فيها الروح بقوة السحر"[٢].

وفي هذين النصين يزيد التلمود عن التوراة في وصفه سيدنا إبراهيم – عليه السلام– بالسحر والعرافة، وأنه كان يمارسها وورثهما لأبنائه، ثم إنه اتهم سيدنا إبراهيم بالشره وكثرة الأكل والشرب قائلاً عنه: " كان غداؤه مقدار غداء ٧٤ شخصاً، وشربه بقدر شربهم، ولذلك كانت قوته قوة ٧٤ شخصاً"[٣].

أما المسيح – عليه السلام – فقد اختص بنصيب وافر من الشتائم والسباب لشخصه الكريم – عليه السلام –، وقد أورد الآب : آي . بي . برانايتس بعضاً مما جاء في حقه فقال: " على سبيل التحقير والازدراء، يدعى:

١– نجار بارنجار، أي: نجار ابن نجار، كذلك يدعى: بن شارش ايتيم أي ابن الحطاب.

٢– وهو يدعى كذلك : تالوي، أي: الرجل الذي شنق .

---

(١) التلمود، تاريخه، تعاليمه، ص ٨١، ٨٣.

(٢) الكنز المرصود، ص ٦٣.

(٣) السابق، ص٦٥.

٣- يعلم التلمود أن يسوع المسيح كان ابناً غير شرعي، حملته أمه خلال فترة الحيض، وكانت تتقمصه روح - ايسو - وأنه مجنون، مشعوذ، مضلل، صلب ثم دفن في جهنم، فنصبه أتباعه منذ ذاك الحين وثناً لهم يعبدونه.

وتروي كراسة "كاللاه" حين كان الشيوخ يجلسون ذات يوم عند المدخل مر صبيان من هناك، كان أحدهما معتمر الرأس والثاني حاسراً عنه. فأبدى الرابي اليعازر ملاحظة تقول: أن حاسر الرأس هو ولد غير شرعي. قال الرابي جيهوشوآ حينئذ: بل إن أمه حملته وهي حائض .

٤- يدعوه البعض مجنوناً ومخبولاً: نقرأ في شابات مايلي: إنهم الشيوخ قالوا له: اليعازر: لقد كان مجنوناً ولا أحد يهتم بالمجانين.

٥- ساحر ومشعوذ : جاء مايلي: وقال يسوع: ألم يتنبأ سلفيّ ازاحيا وداود عني؟ قال الرب لي: أنت ابني، اليوم أنجبتك ... ، وبطريقة مماثلة في مكان آخر: قال الرب لسيدي، اجلس إلى يميني الآن، أنا أصعد إلى أبي الذي في السماء وسأجلس إلى يمينه وهذا ماستراه بأم عينيك. لكنك يايوداس لن تبلغ أبداً ذلك المكان السامي، ثم لفظ يسوع الاسم العظيم للإله، واستمر يفعل ذلك حتى هبت رياح رفعته بين الأرض والسماء، ولفظ يوداس أيضاً اسم ا لله، وبطريقة مماثلة رفعته الرياح، وبهذا عام الاثنان حول الهواء وسط انذهال المتفرجين، حينئذ بادر يوداس إلى ترديد لفظة الاسم الإلهي ممسكاً بيسوع وهو يدفع به إلى الأرض، لكن يسوع حاول بدوره دفع يوداس فنشب بينهما قتال متواصل، وعندما تأكد يوداس أنه لن يفوز في النهاية ضد أعمال يسوع، بال عليه، وهكذا أصبحا معاً وجوداً نجساً فسقطا على الأرض ولم يعد بامكانها التلفظ بالاسم الإلهي من جديد، إلى أن يغسلا نفسيهما ...

٦- مضلل : جاء في كراسة " سانهيدرين" : قال مار: ضلل يسوع وأفسد إسرائيل وهدمها.

٧- مدفون في جهنم : يروي كتاب" زوهار " أن يسوع مات كبهيمة ودفن في كومة قذر حيث تُطرح الكلاب والحمير النافقة .

٨- ثم يقولون أنه تعلم ماكان يقوله للناس على يد يوشوا بن براخيا، وزعموا أن يوشوا هذا قد حرمه كنسياً، وألقاه بين قرون أربعمائة كبش لتفتك به"[١].

وليس القصد من إيراد تلك النصوص في حق الأنبياء – عليهم السلام – الذين كرمهم ا لله وأعلى منزلتهم ورفع قدرهم، إلا بيان ماسطرته أيديهم في كتابهم المقدس –التلمود– ولفضح أي عقلية تلك التي تتحكم في مصائر أولئك القوم وتوجههم الوجهة التي تريد، فإذا كان الأنبياء المكرمون قد وصفهم التلمود بما لايجوز، وصورهم بما لايليق، فما بالنا بغيرهم من البشر العاديين، وعلى الأخص ممن ليسوا يهوداً، ولاريب أن تلك النصوص وأمثالها هي من خرافات الحاخامات الذين زين لهم الشيطان سوء أعمالهم، وصورت لهم أنفسهم أنهم فوق مستوى البشر، فكتبوا ماكتبوه وصبُّوا جامّ حقدهم وغيظهم على غيرهم من الناس مدعين قداسته، وأنه موصىً به من رب العالمين، حاثّين أتباعهم على التمسك به وتنفيذه ولكنهم سينالون جزاء مااقترفت أيديهم، يقول تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾[٢]، وهذه النصوص تصور أيضاً حقيقة دواخل اليهود، وطرق تفكيرهم، يقول الدكتور عبدالستار فتح ا لله: "ومن هنا كانت تعاليم التلمود أوفق صورة لنفسية اليهود، بل هي انعكاس لدخائل أعماقهم على صفحات كتاب، كانطباع الصورة على المرآة، فهي ترجمة صريحة لهذه الشخصية الموغلة في الخبث والأحقاد، حتى ليتساءل بعض الباحثين أيهما صنع صاحبه؟ وأيهما الأثر أو المؤثر؟.

---

(١) فضح التلمود، من صفحة ٥٦ إلى ٦٦ .

(٢) البقرة، ٧٩ .

وفصل الخطاب في الجواب أن كلا منهما تجسيد لصاحبه في واقع الأمر فالتلمود تجسيد مكتوب لأخبث مافي النفسية اليهودية من سخائم الضلال واليهودي التلمودي هو تجسيد حي لهذه الشناعات المكتوبة والمنسوبة إلى الوحي زوراً وبهتاناً.

وإذا كانت ضلالة السامري قد تغلغلت فيهم رغم وجود دوافعها وموانعها، فإن ضلالات التلمود وجدت طريقها ممهداً فتمكنت :

أولاً : لأنها وضعت في عصور الشتات، والقوم سماعون للكذب وخاصة إذا صدر من أحبار السوء .

ثانياً : لأنها جاءت بعد انقطاع النبوة من بني إسرائيل، وتحويلها عنهم لما كفروا بآخر أنبيائهم، وقالوا فيه وفي أمه بهتاناً عظيماً.

ثالثاً : لتوافقها التام مع ظلمات النفسية اليهودية الضالة "[1].

---

(١) د. عبدالستار فتح الله، معركة الوجود بين القرآن والتلمود، مكتبة المنار ، الأردن، الزرقاء، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ، ص٤٤، ٤٥.

نصوص التلمود وتكريس نظرية تفوق العنصر الإسرائيلي :

يعتبر اليهود أنفسهم الشعب المختار، الذي خلق من عنصر مغاير لما خلق منه باقي الأمم، فإسرائيل هم أبناء ا لله وأحباؤه، نالوا بركته ورضوانه، وأصبحت الدنيا بما فيها، ومن فيها ملكاً لهم، تؤكد هذه النظرة وتعززها نصوص التلمود، وشروح الحاخامات، فالتلمود يقول: " إن بني إسرائيل هم وحدهم بنو آدم"(١)، ويقول أحد الحاخامات: "بنو إسرائيل أحباء ا لله لأنهم يدعون أبناءه، بل هناك برهان أعظم على هذا الحب، وهو أن ا لله نفسه قد سماهم بهذا الاسم في قوله في التوراة " أنتم أولاد للرب إلهكم"(٢).

ويتمادى اليهود فينسبون الصلاح المطلق لأنفسهم، وأن الباري – عز وجل – يفاخر بهم، يقول التلمود: " لكل إسرائيل نصيب في العالم الآتي، وقومك كلهم صالحون، وسيرثون الأرض إلى الأبد، لأنهم فرع غرسي، صنع يدي للافتخار"(٣).

وإذا كان الأمر كذلك فإن من يعتدي فيؤذي يهودياً يكون قد ارتكب معصية عظيمة، وذنباً لايغتفر، وجزاؤه القتل، جاء في التلمود: "أن الإسرائيلي معتبر عند ا لله أكثر من الملائكة، فإذا ضرب أمي إسرائيلياً فكأنه ضرب العزة الإلهية"(٤)، وقد نسب التلمود إلى موسى تنفيذه لهذا الحكم، يقول: " يقتل الوثني إذا ضرب إسرائيلياً، لأنه يكون قد ضرب القدرة الإلهية، ولذلك قتل موسى مصرياً لأنه ضرب يهودياً"(٥).

---

(١) الإسلام وبنو إسرائيل، الجنرال: جواد آتيلخان، ترجمة: يوسف ولي شاه أورا لكيري، الرياض، ١٤٠٤هـ، ص ٦١.

(٢) أبحاث في الفكر اليهودي، ص ١١١.

(٣) اليهود أعداء الإنسانية، ص١٠٨، والنص فاتحة لكل فصل من فصول سفر "بيرقي أبوت"، وقراءتها واجبة قبل تلاوة أي فصل منه.

(٤) الكنز المرصود، ص٧٣.

(٥) نفسه، ص ١٥١.

وتأتي التعاليم السابقة مفصلة في هذا النص الذي يقول : " إن اليهود أحب إلى ا لله من الملائكة، واليهود من عنصر ا لله كالولد من عنصر أبيه، ومن يصفع اليهودي كأنه يصفع ا لله، والموت جزاء الجوي إذا ضرب اليهودي، ولولا اليهود لارتفعت البركة من الأرض، واحتجبت الشمس، وانقطع المطر، واليهود يفضلون الجوي كما يفضل الإنسان البهيمة، والجوي جميعاً كلاب وخنازير وبيوتهم كحظائر البهائم نجاسة، ويحرم على اليهودي العطف عليهم، وكل شر يفعله اليهودي معهم، فهو قربى إلى ا لله"(١).

ويعود أصل الاختلاف بين اليهود وغيرهم إلى الاختلاف في أصل الخلقة فالتلمود يعتبر أن هناك اختلافاً كبيراً في أصل خلقة اليهود وغيرهم؛ فالأرواح تختلف وكذا النطف، فأرواح اليهود مصدرها ا لله كما أن أرواح غيرهم مصدرها الشيطان، أما نطف اليهود فهي طاهرة مطهرة، ونطف غيرهم إنما هي نطف حيوانات، والنصوص تدل على ذلك، وهي على التفصيل كالآتي :

أولاً : الاختلاف بين أرواح اليهود وأرواح غيرهم :

ينظر التلمود إلى أرواح اليهود أنها جزء من ا لله، وبالتالي فهي مختلفة اختلافاً كلياً عن أرواح باقي البشر، فقد ورد فيه: " تتميز أرواح اليهود عن باقي الأرواح بأنها جزء من ا لله كما أن الابن جزء من والده"(٢).

وإذا كانت الأرواح اليهودية مصدرها ا لله، فما هو مصدر أرواح باقي البشر؟ يجيب عن هذا التلمود قائلاً إن نفوس غير اليهود مصدرها الشيطان وقد ورد ذلك صراحة في قوله :" هذا السبب يجعل نفس اليهودي أكثر قبولاً وأعظم شأناً عند ا لله من

---

(١) دفائن النفسية اليهودية، ص١٣٦.

(٢) الكنز المرصود، ص٦٦، وينظر معناه في هجية التعاليم الصهيونية، ص١٢٧ [أن نفوس اليهود منعم عليها بأن تكون جزءاً من ا لله فهي تنبثق من جوهر ا لله كما ينبثق الولد من جوهر أبيه].

نفوس سائر شعوب الأرض، لأن هؤلاء تشتق نفوسهم من الشيطان"(١).

وقد يُعَبَّر عن الشيطان في نصوص أخرى بأنه الروح الشريرة أو النجسة، يقول الرابي مناحم في التلمود: " أيها اليهود، إنكم من بني البشر لأن أرواحكم مصدرها روح الله وأما باقي الأمم فليست كذلك، لأن أرواحهم مصدرها الروح النجسة"(٢)، وفي كتاب " فضح التلمود" أن هناك طبيعتان إحداهما طيبة والأخرى شريرة، أو هي طبيعة واحدة ذات شقين، شق طاهر وهو مصدر أرواح اليهود وشق نجس ومنه أرواح غيرهم: "تقول تعاليم اليهود أن الله خلق طبيعتان، إحداهما طيبة والأخرى شريرة، أو طبيعة ذات شقين، أحدهما طاهر والآخر نجس، على صعيد الشق النجس الذي "كيليفاه" أي قشرة أو أديم الأرض الوضيع، منه تحدرت أرواح المسيحيين كما يقال، نقرأ في "زوهار": منذ وجودهم، إذن، والناس الوثنيون يوسخون العالم، لأن أرواحهم تحدرت من الشق النجس"(٣)، وعلى الرغم من تحديد التلمود لأصل كل من أرواح اليهود وأرواح غيرهم من البشر إلا أن فيه نصاً يبين أن الأرواح مصدرها واحد وأن سبب نجاسة غير اليهود هو أنهم لم يقوموا على جبل سيناء كما قام اليهود، فالتلمود يرى : " أن سبب نجاسة الأجانب أنهم لم يقوموا على جبل سيناء، بعد أن نجس الإبليس حواء، أما الإسرائيليون فقد تطهروا وحدهم بوقوفهم على الجبل"(٤).

---

(١) همجية التعاليم الصهيونية، بولس حنا مسعد، تقديم: محمد خليفة التونسي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٦٩م، ص١٢٧.

(٢) الكنز المرصود، ص ٧٥.

(٣) فضح التلمود، ص٩٧.

(٤) التلمود، تاريخه، تعاليمه، ص٨٤.

ثانياً: الاختلاف في أصل النطف:

يزعم التلمود أن نطفة غير اليهودي هي كنطفة الحصان حيث يقول: " إن النطفة المخلوق منها باقي الشعوب الخارجين عن الديانة اليهودية هي نطفة حصان"[(١)].

وفي نص آخر يرى أنها نطفة حيوانات غير ناطقة فيقول: " إن لحم الأميين لحم حمير، ونطفتهم نطفة حيوانات غير ناطقة"[(٢)].

ومثل هذه النصوص إنما تبين الأساس الذي قامت عليه نظرة اليهود إلى غيرهم والتي تجعل لهم امتيازاً خاصاً منذ النشأة الأولى، وهذه الفروقات كانت أساساً ارتكزت عليه أركان التعاليم التلمودية التي توصي باحتقار غير اليهود في مقابل الإعلاء من الجنس اليهودي وجعله فوق مستوى غيره من البشر بإعطائه امتيازات خاصة لايصل إليها أحد، حتى يصلوا من خلال ذلك إلى نقطة مؤداها أن العالم بكل مافيه إنما هو ملك لليهود فقط، وليس لأي أحد غيرهم حرية التصرف، أو حتى إبداء الرأي، فضلاً عن استخدام الحق المشروع في معارضة اليهود، فالكون كله ملكهم، وماغيرهم سوى حيوانات غير ناطقة كما صرح التلمود.

مكانة اليهودي وغيره من البشر في التلمود:

يرى اليهود في التلمود أنهم وحدهم بنو آدم الذين خلقهم ا لله وأعطاهم حرية التصرف في كل شيء، ومن ضمنها مصائر غيرهم من الناس، الذين يعتبرونهم أقل درجة منهم، بل يعتبرونهم في مرتبة الحيوانات، وقد صرَّح التلمود بهذا اللفظ كثيراً، فهو يقول: " إن مدافن غير اليهود تثلج صدور أبناء إسرائيل لأن اليهود وحدهم هم بشر، أما الشعوب الأخرى فليست سوى أنواع مختلفة من الحيوانات"[(٣)].

---

(١) الكنز المرصود، ص ٧٤.

(٢) السابق، ص ٩٠ .

(٣) همجية التعاليم، ص ١٣٩.

ويقول أيضاً : " الفرق بين درجة الإنسان والحيوان هو بقدر الفرق الموجود بين اليهود وباقي الشعوب"[١].

وهو يمنع الصلاة أمام الأجانب حتى ولو أنهم معتبرون من الحيوانات، يقول: "ذكر في هذا الفصل أن الصلاة ممنوعة أمام الأجانب ولو أنهم معدودون من الحيوانات"[٢]، وطبقاً لتعاليم التوراة فإن اليهودي يتنجس إذا لمس القبور، ولكنه لايتنجس إذا كانت هذه القبور للأجانب، إذ لايعدهم التلمود بشراً، فالتلمود يقول: "إن اليهودي يتنجس إذا لمس القبور وفاقاً للتوراة ماخلا قبور من عداهم من الأمم، إذ كانوا يعدونهم بهائم لا أبناء آدم"[٣].

وقد ورد في بعض نصوص التلمود تحديد لنوع هذه الحيوانات، فمرة الأجانب مثل الحمير، ومرة مثل الخنزير البري، يقول التلمود: "لاقرابة بين الأمم الخارجة عن دين اليهود، لأنهم أشبه بالحمير"[٤]، ويقول أيضاً: "إن غير اليهودي لايختلف بشيء عن الخنزير البري"[٥]، ويرى الحاخام أريل مثل هذا الرأي فهو " يعتبر الخارجين عن دين اليهود خنازير نجسة تسكن الغابات"[٦]، بل إن التلمود يحض اليهودي على هذه النظرة فيقول: " على اليهود أن يعتبروا المسيحيين حيوانات غير عاقلة، ويعاملوهم معاملة الحيوانات الدنيئة"[٧] ومن يقسم لغير يهودي فلايلزمه أداء هذا القسم لأنه إنما يحلف لحيوان، يقول التلمود: " لايعتبر اليمين التي يقسم بها اليهودي في معاملاته مع باقي

---

(١) الكنز المرصود، ص٧٣.

(٢) السابق، ص ١٦٤.

(٣) السابق، ص٧٤، وانظر مثله، ص ١٥٥.

(٤) السابق، ص٧٥.

(٥) همجية التعاليم، ص ١٤٠.

(٦) الكنز المرصود، ص٧٥.

(٧) المرجع السابق، ص ١١١.

الشعوب يميناً، لأنه كأنه أقسم لحيوان، والقسم لحيوان لايعدُّ يميناً، لأن اليمين إنما جعلت لحسم النزاع بين الناس ليس إلا"[١]. وقد جاء في التلمود أيضاً اعتبار الكلاب أفضل وأعلى منزلة من الأجانب فهو يقول: " إن الكلب أفضل من الأجانب، لأنه مصرح لليهودي في الأعياد أن يطعم الكلب، وليس له أن يطعم الأجانب، وغير مصرح له أيضاً أن يعطيهم لحماً، بل يعطيه للكلب لأنه أفضل منهم"[٢].

ويحرم التلمود على اليهودي قبول دعوة الأجنبي باعتباره أقل درجة منه فهو ينص على أن اليهود : " محرم عليهم قبول دعوة باقي الأمم، والأكل من مأكولاتهم ولو كان صانعها يهودياً، فإذا دعى أجنبي يهودياً في فرح، وأكل هذا الأخير من مأكولاته، فكأنه يأكل من الميتة، ويأثم اليهودي أيضاً إذا ذهب عند الأجنبي في فرح ولو قبل الاحتفال بثلاثين يوماً، سواء حصل ذلك في فرح زوجية، أو في دعوة أخرى"[٣].

ويحض علماء اليهود على مسألة اعتبار الأجانب حيوانات وأنها غير مؤهلة لتتساوى مع اليهود، فهذا ابن ميمون يقول: " بعض الأتراك والبدو في الشمال، والسود والبدو في الجنوب، وأولئك الذين يشبهونهم في أقاليمنا، فطبيعة هؤلاء البشر كمثل طبيعة الحيوانات البكماء، وهم بحسب رأيي، ليسوا في مستوى البشر، ومستواهم بين أشياء الوجود، هو دون مستوى الإنسان، وأعلى من مستوى القرد، لأن لهم أكثر مما للقرد، صورة الإنسان والشبه له"[٤]، والحاخام تام يقول: " إن الزنا بغير اليهود ذكوراً كانوا أو إناثاً لاعقاب عليه، لأن الأجانب من نسل الحيوانات"[٥].

---

(١) الكنز المرصود ، ص ٩٩.

(٢) السابق، ص ٧٤.

(٣) السابق، ص ١٥٣.

(٤) الديانة اليهودية، وتاريخ اليهود، ص٥٢، ٥٣.

(٥) الكنز المرصود، ص٩٥.

وقد أورد التلمود أيضاً رد أحد اليهود واسمه ابن سيرا على بختنصر حينما قدم له ابنته ليتزوجها فقال: " إني من بني آدم ولست من الحيوانات"[١].

وهناك دعاء خاص بالقبور على اليهودي الذي يمر بها الدعاء بـه يقـول التلمـود: "يجب على اليهودي الذي يمر على قبور اليهود أن يقول: تبارك ا لله الذي خلقنا بالشرع، وأحيانا ويميتنا بالشرع، وسيبقينا بواسطة الشرع، تبارك من يحصي عددنا، ويحي الأموات بقدرته، وعلى من يمر على قبور الأجـانب أن يقـول: تبـاً لوالدتكـم، وسـحقاً لمـن حملـت بكم"[٢].

ويعلل التلمود سبب التلفظ بهذا الدعاء عنـد قبـور الأمميـين بقولـه: " لأن آخـرة هؤلاء الأمم عقيمة كالصحراء"[٣].

وتبعاً لهذه النظرة فإن اليهودي لايُقْتـل إذا تسبب في مـوت أجنبي لأنـه إنمـا يعـد حيواناً فقط بالمفهوم التلمودي، أما إن كان القاتل أجنبيـاً والمقتـول يهوديـاً، فـإن العقـاب الصارم هو جزاؤه، يقول ابـن ميمـون: " ... ولكـن عندمـا تكـون الضحيـة مـن الأغيـار يختلف الوضع تماماً، فاليهودي الذي يقتل أحد الأغيار يكون مذنباً فقط بارتكاب معصيـة ضد شرائع السماء، وهي معصية غـير قابلـة لعقوبـة صـادرة عـن محكمـة"[٤]، وعـن هـذا العقاب بحق الأجنبي جاء فيه أيضاً:" إذا قتل كوتي[٥] يهودياً يُعاقب على جريمته، وأمـا إذا قتل يهودي كُوتيا فلاحكم عليه"[٦] ويصل الأمر بالتلمود إلى اعتبار اليهودي أعلى منزلـة من الخالق – سبحانه – حيث أن الأجنبي إذا سبَّ اسم الجلالة فإن الحكم بقتله يُرفـع إذا

(١) الكنز المرصود، ص ٧٥.
(٢) السابق، ص ١٥٦.
(٣) السابق، نفس الصفحة.
(٤) الديانة اليهودية، وتاريخ اليهود، ص١٣٠.
(٥) كوتي: لفظ يقصد به غير اليهود .
(٦) الإسلام وبنو اسرائيل، ص ٦٤.

تحول لدين اليهودية، أما إن قتل يهودياً فلا يعفى من إقامة الحد، إذ لاتسامح في هذا الأمر ألبتة، يقول التلمود: " إذا سب اسم الجلالة أحد أولاد نوح[١]، ثم دخل في دين اليهود عوفي من القتل، وكذلك الأمر بالنسبة لمن قتل آخر، أو زنى بامرأة من أبناء طائفته، وأما من قتل يهودياً، أو زنى بامرأة يهودية فيستحق الموت بدون رحمة"[٢].

وهذه الأحكام تفسر كيف أن اليهود حريصون كل الحرص على حياتهم، وتفسر أيضاً تلك الهالة الإعلامية الكبيرة والضخمة التي تصاحب وقوع ضحايا يهود، والمطالبة بتسليم القتلة لأخذ الثأر منهم، بينما لايحظى الضحايا من غير اليهود بمثل هذا، سيما إن كان القاتل يهودياً، وهو أمر يفسر أيضاً عدم تنفيذ إسرائيل لحكم الإعدام في المجرمين من أبناءها الذين قاموا بارتكاب جرائم بشعة في حق الآمنين المطمئنين، قصداً وعمداً، إذ لامساواة في حقيقة الأمر عند اليهود التلموديين.

ويبقى التساؤل، إذا كان غير اليهود مجرد حيوانات وبهائم في نظر التلمود، فلماذا خلقوا إذن؟.

يجيب التلمود على هذا التساؤل مفيداً أن وجودهم إنما هو لخدمة اليهود فقط، وأنهم قد خلقوا على الشكل الآدمي فقط لكي يتناسب هذا الشكل، وتلك الصورة مع خدمة اليهودي، إذ لايصح أن يخدم اليهودي حيوان على هيئته المألوفة، يصرح بهذا الحاخام اليهودي أباربانيل قائلاً: " المرأة غير اليهودية هي من الحيوانات، وخلق ا لله الأجنبي على هيئة الإنسان ليكون لائقاً لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا لأجلهم، لأنه لايناسب لأمير أن يخدمه ليلاً ونهاراً حيوان وهو على صورته الحيوانية، كلا ثم كلا، فإن ذلك منابذ للذوق والإنسانية كل المنابذة، فإذا مات خادم ليهودي أو خادمة، وكانا من المسيحيين، فلا يلزمك أن تقدم له التعازي بصفة كونه فقد إنساناً، ولكن بصفة كونه فقد

(١) أحد أولاد نوح: تعبير يقصد به غير اليهود، إذ اليهود يعتبرون أنفسهم فقط أبناء إبراهيم.

(٢) الكنز المرصود، ص١٥٢.

حيواناً من الحيوانات المسخرة له"[١]. وهذا القول لايحتاج لشرح أو تعليق أكثر مما ورد فيه، حيث تتمثل فيه العنصرية الكريهة والبغيضة بأجلى صورة، وأوضح معنى.

ومادام غير اليهود حيوانات لاتعقل، إذن فهي لاتملك حق تقرير مصيرها بنفسها ومن باب أولى فهي لاتملك شيئاً، ولاتستطيع التصرف فيما تحت يدها، فاليهود فقط هم المالكون لكل شيء، لهذه الحيوانات – في نظرهم – ولما تملكه أيضاً، يقول الرابي "ألبو": "سلط الله اليهود على أموال باقي الأمم ودمائهم"[٢]، ويقول آخر: "أموال المسيحيين مباح عند اليهود كالأموال المتروكة، أو كرمال البحر، فأول من يضع يده عليها يمتلكها"[٣].

وجاء في التلمود أيضاً : " يجب على اليهودي أن يبذل مجهوده لمنع استملاك باقي الأمم للعقارات، وأن لايمدحهم، ولايصفهم بالحسنات والجمال، ولايهبهم شيئاً بدون ثمنه"[٤].

وهذه النظرة البغيضة إنما تري كيف أن اليهود نظروا إلى غيرهم من البشر نظرة الاحتقار والدونية، ووضعتهم في أحط منزلة، بل إنها لاتساويهم حتى بالحيوانات في كثير من الأحيان، ومادام الأمر كذلك فإنه لاحق لهذه الحيوانات في أن تتملك و تسيطر أو تستقل بنفسها عن اليهود فهي وماتملك داخلة ضمن تعلقات اليهود، يتصرفون فيها كيف شاءوا.

---

(١) الكنز المرصود، ص٧٥.

(٢) الكنز المرصود، ص٧٨، وينظر أيضاً همجية التعاليم، ص١٤٨.

(٣) السابق، ص ٨٠، وأيضاً همجية التعاليم، ص١٥٢.

(٤) السابق، ص ١٥٣.

أثر نصوص التلمود على اليهود في تعاملهم مع الأمم الأخرى :

أثّر التلمود على أتباعه بشكل كبير، فقد جعل الواجب على اليهودي التخلص من الأغيار، وأن لايبقي على غيره إلا مضطراً، وإن أبقاه مضطراً لايخلص له الود، فالأصل عند اليهود هو القتل للأغيار، ولا اعتبار لحياتهم ناهيك عن أموالهم وأعراضهم وممتلكاتهم، وهذا الأمر إنما يكون في حالة تسلطهم وقوتهم واستبدادهم بالأمر، أما إن كانوا في حالة الضعف والتشرد والمهانة والذل فإنه لاسبيل إلى مواجهة الأغيار إلا عن طريق الخداع والنفاق والذي يجب استخدامهما حتى تتهيأ الفرصة المناسبة للتمكن والتسلط، حينئذ لن يتوانى اليهود في أن يبيدوا الأمم الأخرى ويفنوها، ويتضح موقف التلمود من الأغيار في حالتين هما :

١- عند تسلط اليهود على غيرهم من الأمم .

٢- عندما يكون الأغيار هم المتسلطون، واليهود في حالة الضعف والمهانة.

وستأتي النصوص المفصلة في ذلك، مبينة موقف اليهود من غيرهم عند تعاملهم معهم في كلتا الحالتين .

أولاً : عند تسلط اليهود على غيرهم من الأمم :

ويمكن تسميتها تجاوزاً: موقفهم من الأمم في حالة الحرب . فاليهود ينظرون إلى غيرهم نظرتهم إلى حيوانات، ولذا فهم لايستحقون أن يشاركوهم الحياة، وإن شاركوهم فمن أجل الخدمة والتسخير فقط، ومع هذا فإن القتل للأغيار هو الطريقة المثلى التي يتم بها وزن المعاملات بين اليهود وغيرهم.

فحياة الأمي لاتساوي شيئاً في نظر اليهود، ولا اعتبار لها، ونصوص التلمود تعطي فكرة واضحة عما يدور في عقول اليهود، وتفسر ماجرى منهم سابقاً، ومايجري الآن بحيث تبرز هذه النصوص النفسية اليهودية المتشبعة بروح التلمود، والمتحفزة لتنفيذ أوامره، فهو يحض صراحة على قتل غير اليهود، ودونما سبب، ويصبح الأمر بالقتل واجب التنفيذ عندما يكون اليهودي في موقف الأقوى، وتكون كفة الميزان لصالحه،

حينئذ لن يتوانى اليهودي في تنفيذ هذه الأوامر فوراً ومن غير تردد، إن هذا فعلاً ماهو حاصلٌ الآن في أرض فلسطين، فاليهود هناك في موقف القوة والتسلط، لذا فهم ينفذون تلك الوصايا ويطبقون نصوصها حرفياً، ويلتزمون بتلك التعاليم إلتزام المؤمن المصدق المطمئن، الواثق من الجزاء والثواب، الآمن من العقاب، سواءً كان عقاباً دنيوياً أم أخروياً.

فالتلمود يقول : " أقتل الصالح من غير الإسرائيليين"(١).

ويقول : " إن ا لله أعطى اليهود كل قوة على خيرات الأمم ودمائهم"(٢).

ويقول أيضاً: "إن من حكمة الدين وتوصياته قتل الأجانب الذين لافرق بينهم وبين الحيوانات، وهذا القتل يجب أن يتم بطريقة شرعية، والذين لايؤمنون بتعاليم الدين اليهودي وشريعة اليهود يجب تقديمهم قرابين إلى إلهنا الأعظم"(٣).

وهذا موسى بن ميمون من أكبر علمائهم يقول : "يلزم أن يقتل الإنسان بيده الكفرة"(٤)، والمقصود بالكفرة في نظره هم المخالفون للدين اليهودي، ولأن القتل أصبح أمراً هيناً في نظر التلمود، فإن الأمي يقتل إذا فعل أمراً بسيطاً لايستحق معه هذه العقوبة، وفي بعض الأحيان يقتل بدون سبب، ومن الأمور التي يعاقب الأممي بالقتل جزاءً على فعلها: الراحة في أحد أيام الأسبوع، قراءة التوراة، سرقة مبالغ بسيطة، تقول نصوص التلمود: " يقتل الأمي الذي يستريح في يوم من أيام الأسبوع، لقوله – سبحانه وتعالى- " لايستريحوا الليل ولا النهار"، ويلزم أيضاً أن يعاقب بهذا العقاب لو استراح يوماً غير

---

(١) الكنز المرصود، ص٩٠ ، ومثله ص ١٠٥، يقول: " اقتل الصالح من المسيحيين".

(٢) همجية التعاليم الصهيونية، ص ١٤٨.

(٣) إبراهيم خليل أحمد، القس: إبراهيم خليل فليبس سابقاً، إسرائيل والتلمود، دار المنار – القاهرة- ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، ص٨٤.

(٤) الكنز المرصود، ص١٠٦.

السبت، والوثني الذي يقرأ التوراة يستحق القتل، لأن التوراة مختصة باليهود، فمن أخذها سراً يقتل"(١).

وتقول أيضاً : " كل من كان خارجاً عن الديانة اليهودية يسمى ولد نوح، لأن بني إسرائيل انفصلوا عن هؤلاء القوم، وآمنوا بالله من وقت ظهور إبراهيم لغاية إسرائيل، ويقتل الأمي من أولاد نوح على يد ديان واحد، وشهادة شاهد واحد، ولو كان قريباً له، ويقتل أيضاً إذا ضرب امرأة حاملاً وقتل حملها"(٢)، ويقول التلمود: "يقتل أبناء نوح إذا سرقوا ولو شيئاً يساوي فلساً واحداً ، لأنهم خالفوا إحدى الوصايا التي أعطاها الله لهم، ولايعفى من القتل من ردَّ منهم الأشياء المسروقة، لأن الله لايغفر بالرد سوى ذنب الإسرائيليين"(٣).

وفي هذا النص يبدو الفرق الواضح والإنحياز السافر لكل ماهو يهودي فالأمي يقتل إذا سرق فلساً واحداً، حتى لو أعاده فإن هذا لايعفيه من القتل، أما اليهودي فيعفى عنه إذا أعاد ماسرق.

وتبين نصوص التلمود نماذج من صور القتل التي ابتدعها علماء اليهود وضمنوها تلمودهم فهم يقولون فيه : "يحل بقر بطن الأمي كما تبقر بطون الأسماك حتى في يوم الصوم الكبير الواقع في أحد أيام السبوت"(٤).

ويقول أحد حاخاماتهم موجهاً حديثة لتلاميذه:"إنه إذا جاء عيد الغفران(يوم كبور)(٥)

---

(١) الكنز المرصود، ص١٥١-١٥٢، وانظر أيضاً مثله: الشخصية الإسرائيلية، ص١٠١.

(٢) السابق ، ص١٥٢.

(٣) السابق، ص ١٥٤.

(٤) اليهود أعداء الإنسانية، ص ١١٠.

(٥) عيد الغفران: يوم الكفارة، وهو اليوم العاشر من شهر تشري ويبدأ هذا العيد قبيل غروب الشمس من اليوم التاسع من تشري، ويستمر إلى مابعد غروب الشمس لليوم التالي، فمدته حوالي ٢٧ ساعة، يجب فيها الصيام ليلاً ونهاراً وعدم الاشتغال بشيء ماخلا العبادة، واسمه بالعبرية يوم كبور. انظر الفكر الديني اليهودي، د.حسن ظاظا، ص١٦٨.

في يوم سبت[١]، فإنه يباح في ذلك اليوم تهشيم رؤوس أبناء الأمم الأخرى لقتلهم، فقال له تلاميذه : يامولانا ، قل بالأحرى إنه يباح ذبحهم ، فقال : لا، لأن ذبحهم سيكلفنا أن نقرأ صلاة معينة "[٢].

ومن يقوم بتنفيذ هذه الأوامر، فإنما يتقرب بذلك إلى ا لله أولاً، وينتظر ثواباً عظيماً لذلك يوازي ماقام به من عمل ثانياً.

يقول التلمود: " من العدل أن يقتل اليهودي بيده كل كافر، لأن من يسفك دم الكافر يقرب قرباناً لله"[٣].

ويقول أيضاً : " في قصور الجنة الأربعة يعيش أولئك الذين تفجعوا على صهيون والقدس، وجميع الذين أبادوا شعوباً وثنية ... والذين قتلوا شعباً يعبد الأوثان ارتدوا أثواباً أرجوانيه ليتميزوا بها ويفخروا"[٤].

وحتى لو لم يقتل اليهودي غيره فإنه إن استطاع أن يشترك في القتل فليفعل وإن لم يستطع فلا أقل من أن يمنع وصول مساعدة إلى غيره تساهم في إنقاذه، لأن التلمود ينصحه بهذا قائلاً له : " إذا وقع أحد الوثنيين في حفرة يلزمك أن تسدها بحجر"[٥]، ويقول أيضاً " إذا نظر أحد اليهود كافراً في حفرة فعليه أن لايخرجه منها، حتى لو وجد فيها سلماً يمكن الكافر أن يخرج بواسطته منها وجب على اليهودي نزعه محتجاً بأنه أخرجه حتى لاينزل عليه قطيعه، وإذا وجد حجراً بجانب الحفرة وجب عليه وضعه عليها،

---

(١) يوم السبت: هو يوم العيد الأسبوعي، ومدته من غروب شمس يوم الجمعة إلى غروب شمس يوم السبت، وأهم شعائره الكف عن أي عمل، انظر: الفكر الديني، ص١٦٦.

(٢) أبحاث في الفكر اليهودي، ص١١٩-١٢٠.

(٣) الكنز المرصود، ص ٩١.

(٤) فضح التلمود، ص ١٤٧.

(٥) الكنز المرصود، ص٩١.

ويقول: إني أضع هذا الحجر ليمر عليه قطيعي"[١].

ويطبق اليهود هذه التعليمات تماماً، والتاريخ منذ القدم وحتى الآن شاهدٌ على أعمالهم الوحشية سواء ماكان منها قديماً أم حديثاً، ولعل أشهر مايؤثر عنهم في هذا الجانب هو مايقومون به من اختطاف وقتل لضحاياهم من غير اليهود، وذلك بقصد استنزاف دمائهم وخلطها بالفطير لأكلها في أعيادهم المقدسة[٢] وكثيرة هي القصص في ذلك ولعل أشهرها قصة الأب " توما" وخادمه المسلم " إبراهيم عمار"، والذي فقد وعثر على جثته وخادمه، وقد استنزفت دماءهما، وبعد التحقيق وُجِد أن اليهود هم وراء الجريمة[٣].

ولاأدل على الروح التلمودية الانتقامية مما فعله اليهود في "دير ياسين" يوم ٩ ابريل عام ١٩٤٨م، يذكر الاستاذ " عبدا لله التل" ذلك قائلاً: " هجم اليهود على قرية

---

(١) الكنز المرصود ، ص ٩١.

(٢) خاصةً عيد الفصح، وهو من أشهر أعيادهم إذ يبدأ في الخامس عشر من شهر نيسان من السنة اليهودية، وهو عيد الربيع عند اليهود وهذا العيد يمثل وقت خروج موسى ومعه بنو إسرائيل من مصر، والذي وافق هذا الوقت من السنة، وقد اكتسب هذا العيد على مر السنين عدة أسماء مشهورة ومنها: عيد الفطير، حيث أن طقوسه توجب على اليهود أن يأكلوا فيه الخبز من عجين فطري لايدخله الملح ولا الخميرة تذكيراً لهم بأنهم عند فرارهم من وجه فرعون لم يكن لديهم الوقت للتأنق في الخبز والانتظار على العجين حتى يخمر، انظر الفكر الديني اليهودي، ص١٨٠ حتى ١٨٩.

(٣) وردت هذه القصة كاملة في كتاب تاريخ سوريه لسنة ١٨٤٠م، للدكتور شارل لوران، والذي قام بترجمته د.يوسف نصرا لله مع كتاب: اليهودي على حسب التلمود، للدكتور روهلنج وذلك تحت مسمى: الكنز المرصود في قواعد التلمود، وقد استقصى الأستاذ عبدا لله التل في كتابه: خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية مثل تلك الحوادث. انظر من ص٨٢ حتى ص ١٠٤.

دير ياسين العربية الكائنة في قطاعهم مطمئنة إلى وعودهم وعهودهم، عزلاء من كل سلاح، وجمعوا سكانها صفاً واحداً، رجالاً ونساءً وشيوخاً وأطفالاً، ثم رشوهم بالنار، وأمعنوا في تعذيبهم أثناء عملية القتل والذبح، فبقروا بطون الحبالى، وأخرجوا الأطفال وذبحوهم، وقطعوا أوصال الضحايا وشوهوا أجسامهم حتى يصعب التعرف إليها، ثم جمعوا الجثث وجردوها من الألبسة وألقوا بها في بئر القرية وحينما جاء مندوب الصليب الأحمر الدكتور "لينر" ورأى الجريمة لم يقو على الوقوف حتى تتم عملية إحصاء الجثث (٢٥٠)، فأغمي عليه وغادر المكان"[١].

ويعلق الأستاذ عبدا لله التل على هذه الحادثة قائلاً : " إنها طبيعة اليهود الوحشية وهمجيتهم التي لاتجارى، مارسوها منذ الأزل، ومازالوا يمارسونها إلى يومنا هذا كلما أحسوا بقوتهم وواتتهم الفرصة للانقضاض على الكفار وهم المسيحيون والمسلمون وجميع من هم على غير دينهم"[٢].

وهذا يؤيد ماذهبت إليه من أن اليهود يختلف عندهم ميزان التعامل مع غيرهم من الأمم حسب الحالة التي يكونون عليها، فإن كانوا في حال من القوة والجبروت والتسلط أصبح القتل والإبادة أمراً ضرورياً بل واجباً، وتقرباً منهم إلى ا لله، أما إن كانوا في حال الضعف والمهانة والخضوع والذل فلامناص حينئذ من استخدام أسلوب التلون والخداع طالما يحقق الهدف المطلوب، ويوصل إليه بأقرب الطرق وأسهلها، واليهود الآن يمارسون هذه الأساليب، فإنه بحسب تعاليم التلمود في هذا الجانب يجب قتل العزل والمدنيين حتى ولو لم يبدوا أي نوع من المقاومة ضدهم مادام اليهود في حالة تسمح لهم بممارسة هذا الفعل، يقول إسرائيل شاحاك في كتابه الديانة اليهودية وتاريخ اليهود: "استنتج عدد من الحاخامات المعلقين في الماضي، الاستنتاج المنطقي القائل بأن جميع الأغيار، في زمن الحرب، الذين ينتمون إلى السكان المعاديين، أغيار يمكن قتلهم، أو حتى أغيار ينبغي قتلهم، ومنذ

---

(١) عبدا لله التل، خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية، دار القلم، ١٩٦٤، ص٥٧.
(٢) السابق، نفس الصفحة .

العام ١٩٧٣م وهذا المبدأ يُبث علناً، من أجل إرشاد الجنود المتدينين، وكان أول حض رسمي من هذا النوع، مضمناً في كتيب نشرته قيادة المنطقة الوسطى في الجيش الإسرائيلي وهي المنطقة التى تشمل الضفة الغربية، وقد كتب الكاهن الرئيسي لهذه القيادة في الكتيب يقول: عندما تصادف قواتنا مدنيين خلال الحرب، أو أثناء عملية مطاردة، أو في غارة من الغارات، ومادام هناك عدم يقين حول ما إذا كان هؤلاء المدنيون غير قادرين على إيذاء قواتنا، فيمكن قتلهم بحسب الها لاخاه، لا بل ينبغي قتلهم ... إذ ينبغي عدم الثقة بالعربي في أي ظرف من الظروف، حتى وإن أعطى انطباعاً بأنه متمدن ... ففي الحرب، يسمح لقواتنا وهي تهاجم العدو، بل إنها مأمورة بالهالاخاه، بقتل حتى المدنيين الطيبين، أي المدنيين الذين يبدون طيبين في الظاهر"[1].

وتتضح الصورة أكثر في قول ابن ميمون: " أما بالنسبة للأغيار الذين لسنا في حالة حرب معهم ... فينبغي ألا نتسبب في موتهم، ولكن انقاذهم ممنوع إذا كانوا على وشك الموت، فإذا شوهد أحدهم، على سبيل المثال، يسقط في البحر، ينبغي الامتناع عن انقاذه لأنه مكتوب – وأنت لن تقف ضد دماء قرينك – ولكن الأغيار ليسوا أقرانك"[2].

وعلى كل الأحوال فقد طبق اليهود هذه التعليمات بحرفيتها، ولم يستثنوا أحداً من الناس، قديماً وحديثاً، فنصوصهم المقدسة وأعمالهم الهمجية كلها شاهدة عليهم، وعلى سوء مايبطنون، وليست النصوص السابقة سوى وثائق تدمغهم، وتظهر خبث نواياهم، وليس اليهود الآن إلا ترجمة واقعية وصورة حية ناطقة لهذه النصوص.

---

(١) الديانة اليهودية، تاريخ اليهود، ص١٣١.

(٢) نفسه ، ص ١٣٦.

ثانياً : عندما يكون الأغيار هم المتسلطون، واليهود في حالة الضعف والمهانة :

تتسم شخصية اليهود بالجبن والذلة والمهانة، وتتضح مساوئ هذه الشخصية عند استعراض تاريخها القديم والحديث أيضاً، وقد كان الشعب اليهودي مستضعفاً مشتتاً في كثير من مراحل حياته، فاضطرته الظروف إلى العيش داخل البلدان المختلفة، ومخالطة أهلها، والتعامل معهم، ونظراً لما تحمله النفسية اليهودية من مظاهر الكبر والاستعلاء تجاه الشعوب الأخرى، ولاضطرارها إلى التعايش السلمي مع أهل تلك البلدان التي تقيم فيها، فإنها أبت إلا أن تعاملهم بطرق ملتوية، بعيدة كل البعد عما يجب أن يقوم به المواطن الصالح تجاه بلده وأهلها، فقد أوصاهم التلمود باعتماد هذه الطرق، وقعَّد لهم قواعد للنفاق، والخداع، والتحايل، لم يسبقه إليها أي كتاب قبله، فهو جدير بحق أن يسمى كتاب " النفاق"، فقد علَّم أتباعه طريقة النفاق، والتعامل بأساليبه مع غيرهم من الناس، ثم حضهم بكل وضوح على استخدام الغش، مبتكراً أساليب مختلفة يستطيع بها اليهودي أن يغش الأغيار، آمراً إياهم بمزاولة السرقة، والربا، والحلف زوراً وبهتاناً لأجل منفعة اليهودي، وعدم إيصال النفع إلى غيره، وهذا كله سيتضح – إن شاء الله تعالى – عند استعراض النصوص في ذلك .

أولاً : النفاق :

يُعَلِّم التلمود أتباعه كيفية النفاق، ويوضح أنه من الأمور الجائزة بل الواجبة، مادام أن النفع سيعود على اليهود، وخاصة إذا خاف اليهودي من غيره، ففي هذه الحالة يجب عليه أن يستخدم النفاق حتى يمنع وصول الأذى إلى نفسه، أو إلى إخوانه من اليهود، وتأتي نصوص التلمود ملزمة اليهودي باستخدامه مع الأغيار، فهي تقول: "جائز استعمال النفاق مع الكفار، وهؤلاء الكفار هم كل الخارجين عن الدين اليهودي"[1]. وهذا الرابي " إسماعيل " يقول: " يلزم اليهودي أن لايجاهر بقصده الحقيقي، حتى لايضيع

(١) الكنز المرصود، ص ٧٧.

اعتبار الدين أمام أعين باقي الأمم"[١]، فهو يوصي أتباعه بشكل مباشر باستخدام النفاق وأن لايجاهر الواحد منهم بمقصده الحقيقي، وفي ذلك نفع لليهود، ولدينهم أمام باقي الناس.

هذا في الحالات العامة، أما إن خاف اليهودي من غيره من الناس وظن وصول الأذى منهم إليه أو إلى إخوانه من اليهود فإنه والحالة تلك يتأكد ويتوجب على اليهودي أن يستخدم النفاق، فيصبح أمراً شرعياً واجب التنفيذ، يقول التلمود: "مصرحٌ لليهود أن يزوروا مرضى المسيحيين ويدفنوا موتاهم إذا خافوا وصول الضرر والأذى إليهم منهم"[٢].

ويوضح ذلك الحاخام " بشاي" بقوله: " إن النفاق جائز، وأن الإنسان – أي اليهودي – يمكنه أن يكون مؤدباً مع الكافر ويدعي محبته كاذباً إذا خاف وصول الأذى منه إليه"[٣].

ثانياً : الغش والخداع :

وهو استمرار لقاعدة النفاق، وفرع لها إذ المنافق يجب عليه أن يستخدم الغش والخداع، والتلمود يبين لليهودي طرقاً متعددة للخداع والغش يستطيع بها أن يخرج من أي مأزق قد يواجهه أثناء تعامله مع غيره من الناس .

فالتلمود يقول له : " مسموحٌ غش الأمي، وأخذ ماله بواسطة الربا الفاحش، لكن إذا بعت أو اشتريت من أخيك اليهودي شيئاً فلاتخدعه ولاتغشه"[٤]، ثم هو يبين له الأوقات والحالات التي يتوجب فيها على اليهودي استخدامه قائلاً :"مصرح لك أن تغش

---

(١) الكنز المرصود، ص ٨١.
(٢) السابق، ص٧٧.
(٣) السابق، ص٧٧ .
(٤) السابق، ص ٨١ .

مفتش الجمرك الخارج عن الديانة اليهودية، وتحلف له يميناً كاذبةً على شرط أن تنجح في مالفقته من الأكاذيب"[١].

وإذا اضطر اليهودي إلى إلقاء التحية على الكفار – أي المخالفين لديانته – فإنه يلقيها، ولكن يضمر في نفسه أنها لغيره من اليهود أو للذين لهم فضلٌ عليه، يقول التلمود عن الرابي "كهانا" أنه: "تعود أن يسلم على الأجانب بقوله: ا لله يساعدكم، غير أن سلامه كان مضمراً لسيده أو لمعلمه وليس للأجنبي"[٢].

ثم إن التلمود يُعَلِّمْ أتباعه أن استخدام أساليب الغش والخداع مع الأجانب عمل يوازي عمل يوم السبت، ومن ثم فإن له أن يفتخر بهذا العمل، يقول الرابي "برناتز": "عندما يركض اليهودي، ويبحث في كل مكان طول الأسبوع عن نصراني ليغشه، فإن عمله يماثل يوم السبت المقدس، ويحق له أن يفاخر بعمله ويقول: يجب انتزاع قلب النصراني من جسده، وإهلاك علية القوم منهم"[٣].

وفي التلمود نماذج واقعية يرويها لكي يوضح الكيفية التي يجب على اليهودي القيام بها عندما يغش أو يخدع أحداً من الأجانب، يقول التلمود: " إذا جاء أجنبي وإسرائيلي أمامك بدعوى، فإذا أمكنك أن تجعل الإسرائيلي رابحاً فافعل، وقل للأجنبي: هكذا تقضي شريعتنا – إذا حصل ذلك في مدينة يحكم فيها اليهود – وإذا أمكنك ذلك وفقاً لشريعة الأجنبي فاجعل الإسرائيلي رابحاً، وقل للأجنبي: هكذا تقضي شريعتك، فإذا لم تتمكن من كلا الحالين – بأن كان اليهود لايحكمون البلد، والشريعة الأجنبية لاتعطي

---

(١) الكنز المرصود، ص ٨٢ .

(٢) السابق، ص ٧٧ .

(٣) همجية التعاليم الصهيونية، ص١٥٥، وفي الكنز المرصود، ص٨٢ جاء: "يجتمع اليهود كل أسبوع بعد مايغشون المسيحيين، ويتفاخرون على بعض بما فعل كل منهم من أساليب الغش، ثم يفضُّون الجلسة بقولهم: يلزمنا أن ننزع قلوب المسيحيين من أجسامهم ونقتل أفضلهم".

الحق لليهودي – فاستعمل الغش والخداع في حق هذا الأجنبي حتى تجعل الحق لليهودي"[١].

وتعطي أعمال الربيين لهذه النصوص طابع الواقعية، فيحكي عنهم التلمود قصصاً تؤيد هذه القوانين، وتشجع استخدامها فقد " اشترى الرابي " كهانا" مائة وعشرين برميلاً من النبيذ ولم يدفع للأجنبي إلا ثمن مائة منها فقط .. وباع أحد الربيين لأجنبي شجراً معداً للكسر، ثم نادى خادمه وأمره أن يكسر بعضها ويسرقه، لأن المشتري وإن كان يعرف عددها لكنه يجهل حجم كل قطعة منها"[٢].

وقاعدة اليهود في الغش والخداع والتحايل هي نفسها لاتتغير قديماً أو حديثاً مادام أن التلمود موجود بنصوصه الحالية، وبصورته التي هو عليها، ففي العصور القريبة حوالي عام ١٨١٤م نجد "ناثان آمشل مايرباور"الشهير "بروتشيلد" قام بخداع الإنجليز عن طريق إرسال أخبار معكوسة أثناء حربهم مع الفرنسيين حتى تمكن من جمع ثروات هائلة عن طريق الخداع والغش فقد : نظم شبكة من الجواسيس وذلك: " لنقل أخبار ملفقة عن المعركة إلى انكلترا عن طريق الحمام .. ولما تأكد ناثان من تفوق ولنغتون وظفر قواته أصدر أوامره إلى عملائه بإرسال أنباء معكوسة إلى انكلترا تؤكد انتصار نابليون وهزيمة الجيش الإنكليزي... ... ... ولقد نقلت إلى الشعب الانكليزي من الأكاذيب الكبيرة ماجعل الذعر يعم أوساط الجماهير، وانهارت السوق المالية انهياراً كبيراً بحيث هبط سعر الجنيه الاسترليني إلى شلن واحد وانهارت أسعار الحاجيات بشكل لم يسبق له مثيل، وكان ناثان قد استأجر سفينة صغيرة لتنقله من فرنسا إلى إنكلتزا بمبلغ مائتي جنيه، ولدى وصوله قام هو وشركاؤه بشراء مايمكن شراؤه من سندات وأسهم وممتلكات، ولما وصلت الأخبار الحقيقية أخيراً عن انتصار ولنغتون عادت الأسعار إلى طبيعتها فجنى

---

(١) الكنز المرصود، ص ٨١ .

(٢) السابق، ص ٨٢.

المرابون العالميون أرباحاً وثروات خيالية"[١].

وهكذا اليهود قديماً وحديثاً، يحاولون الكسب والنفع على حساب غيرهم من الناس باستخدام طريق الخداع والغش والأساليب الملتوية البعيدة كل البعد عن أساسيات التعامل المثالي المبني على الصدق والصراحة والتزام الأمانة وماذاك إلا نتيجة التمسك بنصوص التلمود حرفياً وتطبيقها واقعياً.

ثالثاً : الأيمان :

يحض التلمود اليهود، على الحلف زوراً وكذباً وذلك لانقاذ أنفسهم من المآزق أو إيصال المنفعة لأحدهم فهو يقول: "إحلف عشرين يميناً كاذبة لتوصل فلساً واحداً ليهودي"[٢].

بل إنه لايعتبر الحلف زوراً أمام الأجانب ذنباً، إذ الأجانب في نظرهم حيوانات ومن ثم فالحلف كذباً لايعد يميناً يُكَفَّر عنها، يقول التلمود: "لايعتبر اليمين التي يقسم بها اليهودي في معاملاته مع باقي الشعوب يميناً، لأنه كأنه أقسم الحيوان، والقسم لحيوان لايعد يميناً، لأن اليمين إنما جعلت لحسم النزاع بين الناس ليس إلا، فإذا اضطر يهودي أن يحلف لمسيحي فله أن يعتبر ذلك الحلف كلا شيء"[٣].

ويبين التلمود لليهود الواجب عليهم فعله إن وقع أحدهم في بعض المآخذ التي تدينه فهو يقول: "إذا سرق يهودي أجنبياً وكلفت المحكمة اليهودي بحلف اليمين، فعلى باقي اليهود أن يسعوا في صالح أخيهم اليهودي عند الأجنبي حتى لايحلف اليمين، ولكن إذا صمم الحاكم على تحليفه وأمكن المتهم أن يحلف زوراً بدون معرفة حقيقة الأمر لدى

---

(١) أحجار على رقعة الشطرنج، ص ١١٠-١١١.

(٢) دفائن النفسية اليهودية، ص ٤١ .

(٣) الكنز المرصود، ص ٩٩ .

الأجانب فعليه أن يحلف "[١].

وهكذا تري نصوص التلمود مبلغ ماوصلت إليه من عنصرية أدت بها إلى التحايل في الأيمان بهذه الصورة، ثم إن التلمود يعطي الحق لليهودي أن يوجه يمينه الوجهة التي يريد في نفسه خداعاً لغيره وتأتي الأمثلة الواقعية لأفعال بعضهم مؤيدة لهذا الأمر، فقد: "حلف الرابي "يوحنا" يوماً، لامرأة على أن لايبوح بسرها قائلاً لها: إني لاأبوح بهذا السر أمام ا لله، ففهمت المرأة أن الحاخام يحلف لها بـا لله على كتمان السر مطلقاً، مع أنه حوله بالكيفية الآتية: أحلف أن لاأبوح بهذا السر أمام ا لله، ولكني سأفشيه لبني اسرائيل"[٢].

رابعاً : السرقة :

يحض التلمود بني إسرائيل على السرقة واعتبار هذا الفعل أمراً مباحاً مادام المسروق منه غير يهودي، فقد جاء في وصايا التوراة قول" لاتسرق"، ففسر علماء التلمود ذلك بقولهم: أي لاتسرق مال اليهودي، لكن الأمي جائز لك سرقته، وقد ورد في التلمود: "إن الأمي ليس بقريب، وإن موسى لم يكتب في الوصية : لاتسرق مال الأمي، فسلب ماله لم يكن مخالفاً للوصايا"[٣].

وقال ابن ميمون : " إن السرقة غير جائزة من الإنسان أي من اليهود، أما الخارجون عن دين اليهود فسرقتهم جائزة"[٤].

وينتج من هذا استحلال اليهود لأموال غيرهم، وهذه لاتعتبر سرقة عندهم إنما هي استرداد لأموالهم، فقد جاء في التلمود: " إن مثل بني إسرائيل كمثل سيدة في منزلها

---

(١) الكنز المرصود ، ص ١٠٠-١٠١.

(٢) نفسه ، ص ١٠٠.

(٣) نفسه، ص ٧٩ .

(٤) نفسه، ص ٧٩ .

يستحضر لها زوجها النقود فتأخذها بدون أن تشترك معه في الشغل والتعب"[١]، وقد قال أحدهم : "أموال المسيحيين مباح عند اليهود كالأموال المتروكة، أو كرمال البحر، فأول من يضع يده عليها يمتلكها"[٢].

ويقول التلمود أيضاً : " أمر ا لله اليهود بنهب أموال المسيحيين وأخذها بأي طريقة كانت، سواء استعملوا الحيلة أو السرقة أو الربا"[٣].

وقد قام الحاخامات بتطبيق هذا الأمر الإلهي، يقول الرابي: " عشي" : " إني نظرت كرماً حاملاً عنباً، فأمرت خادمي أن يستحضر لي منه إذا ظهر أنه تعلق أجنبي، وأن لايمسه إذا ظهر أنه تعلق يهودي"[٤].

وفي العصر الحديث، لم تسلم من سرقاتهم حتى المقابر ودور العبادة، " فعندما استولى اليهود على مقابر المسيحيين في فلسطين هدموها ونهبوا الموزاييك والرخام وكذا استولوا على الكنائس والأديرة على جبل صهيون ونقلوا تحفها وأوانيها الكنسية الذهبية والفضية"[٥]. وقد جاء في التلمود أن أحدهم " كان رأيه أن سرقة الأجانب مباحة، وقد اشترى هو نفسه من أجنبي آنية من الذهب كان يظنها الأجنبي نحاساً، ودفع ثمنها أربع دراهم فقط، وهو ثمن بخس، وسرق هو درهماً أيضاً من البائع"[٦].

ويتضح مما سبق أن الأمر بالسرقة عندهم ليس على سبيل الإباحة فقط، بل هو أمر مُلْزِمٌ، حض عليه التلمود، وقام بممارسته علماؤهم وكبراؤهم.

---

(١) الكنز المرصود ، ص ٨٠ .

(٢) نفسه ، ص ٨٠ .

(٣) نفسه ، ص ١١١.

(٤) نفسه ، ص ٧٩ .

(٥) خطر اليهودية، ص ٣٢٢.

(٦) الكنز المرصود، ص٨٢ .

خامساً : الربا والرشوة :

جاءت نصوص التلمود معلنة أصول التعامل بالربا مع غير اليهود، حاضةً عليه، يقول ابن ميمون: " أمرنا الله بأخذ الربا من الذمي، وأن لانقرضه شيئاً إلا تحت هذا الشرط – أي بالربا – وبدون ذلك نكون قد ساعدناه، مع أنه من الواجب علينا ضرره، ولو أنه هو قد ساعدنا في هذه الحالة بأخذنا منه الفوائد والربا"[١].

فهم بذلك يرجعون تعاملهم بالربا إلى أمر إلهي، وهذا الأمر الإلهي واجب التنفيذ، وقد ورد النهي عن إقراض الأمي بدون ربا، جاء في التلمود: " غير مصرح لليهودي أن يقرض الأجنبي إلا بالربا"[٢].

وتبريراً لهذا الموقف: " يقول العالم بشاي موجهاً أقواله لليهود، حياته بين أيديكم فكيف بأمواله"[٣].

والربا والفوائد هي إحدى الطرق التي قام بها اليهود لاستخلاص ثروات الأمم من بين أيديهم وتحويلها إلى اليهود ، يقول الحاخام " شواب": "إذا احتاج مسيحي لبعض نقود فعلى اليهودي أن يستعمل معه الربا المرة بعد الأخرى، حتى لايمكنه أن يدفع ماعليه إلا بتنازله عن جميع أمواله، فإن تنازل فبها، وإلا طلب حقه منه أمام المحاكم، ووضع يده على أملاكه بواسطتها"[٤].

ولذلك يؤكد ابن ميمون على هذا الأمر قائلاً : " إن فرض أقصى مايمكن من الربا، على قرض يعطى لأحد الأغيار هو واجب ملزم"[٥].

---

(١) الكنز المرصود، ص ٨٦ .

(٢) نفسه، ص ٨٧ .

(٣) نفسه ، ص ٨٧ .

(٤) نفسه ، ص ٨٩ .

(٥) الديانة اليهودية وتاريخ اليهود، ص ١٤٨.

ولولا الربا والقروض ذات الفوائد الخيالية مااستطاع اليهود تكوين إمبراطورية مالية ضخمة، كانت لها اليد الطولى في معظم الأحداث التي جرت في العالم، وفي السيطرة الاقتصادية والسياسية على مقدرات الشعوب في كثير من البلدان، ولولا نشاط المرابين اليهود ماكان لهم الدور الكبير في سقوط بعض الدول والحكومات منذ القدم وحتى الآن فقد كانت معاملاتهم المالية الربوية سبباً في انهيار الدولة الرومانية قديماً. "يقول المؤرخ البريطاني إدوارد جيبون: إن المرابين اليهود كان لهم دور بارز في انحطاط وسقوط الدولة الرومانية"(١).

أما الرشوة، فقد كانت هي الأخرى طريقاً من طرق المعاملات المالية الدنيئة التي مارسها اليهود باستمرار حتى أنهم يضحون بحياة الناس من غيرهم إذا لم يُدْفَعْ لهم المال، فقد: " أظهرت مراسلات القنصلية البريطانية في القدس، مابين سنتي ١٨٣١ و ١٩١٤، حدوث جرائم قتل ارتكبها يهود منها: عندما انتشر وباء الطاعون في القدس، سنة ١٨٣٩، انتشر معه ذكر طبيب يهودي يدعى " اسحق راشي" أزهق من أرواح الناس أكثر مما فعل الطاعون، حيث كان المرضى يموتون من سوء معالجته، كما كان يتلقى الرشاوي من المرضى لينقذهم من الحجر الصحي الذي كان مفروضاً بسبب الوباء، أما إذا كان المريض فقيراً، أو عجز عن تقديم الرشوة، فيكون مصيره الموت في الغالب، إذ كان هذا الطبيب اليهودي يرفع به تقريراً يؤكد إصابته بالطاعون فيؤخذ المريض إلى الحجر الصحي مع المصابين الآخرين وينتهي به الأمر إلى موت شبه محتم"(٢).

والوصول إلى هذا المستوى من التفكير، وأسلوب التعامل، ماهو إلا أثر مباشر لتوجيهات التلمود في هذا الجانب، إذ التلمود يبرز الأهمية الكبيرة للمال وحتمية أخذه من الأغيار بأي وسيلة، حتى لو كانت الوسيلة لاتتفق وأصول التعامل الإنساني، وقد

---

(١) غازي محمد فريج، النشاط السري اليهودي في الفكر والممارسة، دار النفائس، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ-١٩٩٠م، ص ١٥٢.

(٢) نفسه ، ص ٢٣٧-٢٣٨.

كانت ولازالت نظرة اليهود إلى المال، نظرة العبادة ولاغرو فأجدادهم من قبل عبدوا العجل وماذاك إلا لأنه مصنوع من الذهب الذي يعبده اليهود إلى اليوم.

سادساً : عدم رد الأشياء المفقودة :

إذا فقد الأجنبي شيئاً ووجده اليهودي فلايلزمه رد هذا الشيء لأن التلمود يأمره بذلك، فهو يقول : " غير جائز رد الأشياء المفقودة إلى الكفرة والوثنيين"(١).

والله لايغفر ليهودي رد مال مفقود لأجنبي، يقول التلمود: " إن الله لايغفر ذنباً ليهودي يرد للأمي ماله المفقود، وغير جائز رد الأشياء المفقودة من الأجانب"(٢).

أما إذا فقد الأجنبي سنداً محرراً على يهودي، ووجده يهودي آخر، فلايلزمه رد هذا السند للأجنبي، يقول التلمود: " إذا فقد أجنبي سنداً محرراً على يهودي بدين ما، ووجده يهودي، فيمتنع رده إليه لأن الدين يسقط بوجود السند تحت يد يهودي"(٣).

والسبب في منع اليهودي من رد المفقود لصاحبه الأجنبي هو أنه بذلك الرد يساويه بالإسرائيلي، يقول التلمود: "من يرد شيئاً مفقوداً لأجنبي فقد اعتبره في درجة الاسرائيلي"(٤).

ويذهب موسى بن ميمون إلى أن من يرد مالاً مفقوداً لأجنبي يكون قد ارتكب أمراً عظيماً، وذنباً لايغتفر، فهو يقول: " يذنب اليهودي ذنباً عظيماً إذا ردَّ للأمي ماله المفقود، لأنه بفعله هذا يقوى الكفرة، ويظهر اليهودي بذلك أنه يحب الوثنيين، ومن أحبهم فقد أبغض الله"(٥).

---

(١) الكنز المرصود، ص ٨٣ .

(٢) نفسه ، ص ٨٣ .

(٣) نفسه ، ص ٨٣ .

(٤) نفسه ، ص ٨٤ .

(٥) نفسه ، ص ٨٤ .

سابعاً : عدم إسداء منفعة لغير اليهود :

يحرم التلمود على أتباعه أن يقوموا بأي عمل من شأنه أن يجر النفع على غيرهم، ففي كتاب لهم يسمى " الطور يورود"(١)، جاء فيه: " أنه محرم على اليهودي أن ينجي أحداً من بقية الأمم من البئر التي يكون وقع فيها، وعلى الطبيب اليهودي أن لايداوي أمياً مطلقاً ولو بالأجرة إلا إذا أراد ضرره، أو الانتفاع بأمواله، فإذا كان مبتدئاً في هذا الفن فليتعلم بمداواة باقي الأمم، ويجوز إجراء المعالجة في هذه الحالة"(٢)، في النص السابق يتضح أنموذج آخر من النماذج التي تصور موقف اليهودي من غيره، فهو محرم عليه أن يقوم بمساعدة الأجنبي، حتى لو كانت هذه المساعدة فيها انقاذ لحياته، وأما الطبيب فلايجوز له أن يعالج أمياً أبداً، لكن إن خاف من وصول الأذى إليه من الأجنبي فيعالجه ولكن بأجرة ويقر بذلك موسى بن ميمون قائلاً: " ولكنك إذا كنت تخشاه أو تخشى عداوته، فاعمل على شفائه لقاء أجر، وإن كان ممنوعاً عليك فعل ذلك من دون أجر... ثم يقول: ومن المسموح تجربة عقار من العقاقير على الكافر إذا كان ذلك يفي بغرض ما"(٣)، والواجب على اليهودي تمني إلحاق الضرر بغيره من الناس ويفترض عليه أن يدعو بهذا الدعاء قائلاً : " ياإله إسرائيل، كما أعنتني على إلحاق الأذى بالحيوانات الناطقة في العام الماضي، أكمل عليّ نعمتك وألحق بيدي الأذى بتلك الحيوانات في العام الآتي"(٤).

وإذا كان التلمود قد أصّل هذه القواعد، وبان أثرها في سلوك اليهود بالتزامهم إياها، وتطبيقها على أرض الواقع، فما هو مصير اليهودي الذي يخالف هذه التعليمات؟ يقول التلمود: " إن اليهودي الذي يخالف هذه التعاليم يظهر نفسه محباً للأغيار ومن يحب

---

(١) الطور يورود : كتاب ألفه العالم الرباني يعقوب، من أئمة اليهود، وآراؤه معتبرة في المسائل الدينية، ص ١٦٠، الكنز.

(٢) الكنز المرصود، ص ١٦٠.

(٣) الديانة اليهودية، وتاريخ اليهودي، ص ١٣٧.

(٤) دفائن النفسية اليهودية، ص ١٨ .

الأغيار يبغض خالقه"(١).

ويكون عقابه مع ذلك القتل، يقول التلمود: " إذا خالف أحد اليهود أقوال الحاخامات يعاقب أشد العقاب، لأن الذي يخالف شريعة موسى خطيئته مغفورة، أما من يخالف التلمود فيعاقب بالقتل"(٢).

وهكذا فإن من يخالف التوراة يكون ذنبه مغفوراً بالقياس إلى من يخالف التلمود فلا جزاء له سوى القتل فقط .

مصير الأمم الأخرى، ومصير اليهود في التلمود :

يعتقد اليهود بمجيء مخلصهم المسيح، الذي ينتظرونه بفارغ الصبر حيث لن يبقى سوى دين اليهود، ولن يصبح من سلطان سوى سلطانهم فقط، وهو لن يأتي إلا بعد أن يُقْضَى على غير اليهود تماماً، وتصبح الأرض كلها خاضعة لحكم اليهود، ولن ينتهي حكم غير اليهود مالم تقم حرب عظيمة يهلك فيها ثلثا العالم، كل هذا في التلمود الذي يقول: "لما يأتي المسيح تطرح الأرض فطيراً، وملابس من الصوف، وقمحاً بقدر كُلى الثيران الكبيرة، وفي ذلك ترجع السلطة لليهود، وكل الأمم تخدم ذلك المسيح وتخضع له، وفي ذاك الوقت يكون لكل يهودي ألفان وثمانمائة عبد يخدمونه ... ولكن لايأتي المسيح إلا بعد انقضاء حكم الأشرار ... يجب على كل يهودي أن يبذل جهده لمنع استملاك باقي الأمم في الأرض حتى تبقى السلطة لليهود وحدهم، لأنه يلزم أن يكون لهم السلطة أينما حلوا"(٣).

---

(١) همجية التعاليم الصهيونية، ص ١٥٨.

(٢) الكنز المرصود، ص ١١١.

(٣) الكنز المرصود، ص٧٠-٧١، ومثله في همجية التعاليم الصهيونية، ص١٣٢ " إن المسيح يعيد قضيب الملك إلى إسرائيل، فتخدمه وتخضع له الممالك وعندئذ يمتلك كل يهودي ألفين وثمانمائة عبد وثلاثمائة وعشرة أبطال يكونون تحت إمرته، بيد أن المسيح لايأتي مالم

=

ويمضي التلمود واصفاً هذه المعركة وصفاً خيالياً، لايخلو أيضاً من المبالغات فيقول: " وقبل أن تحكم اليهود نهائياً على باقي الأمم يلزم أن تقوم الحرب على قدم وساق، ويهلك ثلثا العالم، ويبقى اليهود مدة سبع سنوات متوالية يحرقون الأسلحة التي اكتسبوها بعد النصر.

وحينئذ تنبت أسنان أعداء بني إسرائيل بمقدار اثنين وعشرين ذراعاً خارجاً عن أفواههم، وتعيش اليهود في حرب عوان مع باقي الشعوب منتظرين ذلك اليوم، وسيأتي المسيح الحقيقي ويحصل النصر المنتظر، ويقبل المسيح وقتئذ هدايا كل الشعوب، ويرفض هدايا المسيحيين، وتكون الأمة اليهودية إذ ذاك في غاية الثروة لأنها تكون قد تحصلت على جميع أموال العالم ....

ويتحقق منتظر الأمة اليهودية بمجيء إسرائيل، وتكون تلك الأمة هي المتسلطة على باقي الأمم عند مجيئه "(١).

= ينقرض ملك الشعوب غير اليهودية، وتتلاشي الشقاوة، وذلك لأن إسرائيل إذا كان صالحاً يجب عليه أن يعمل بغير هوادة في أن ينبذ المتسلطين على الشعوب نبذ النواة، لأن السلطة على الشعوب غير اليهودية هي من نصيب اليهود فقط وفي كل مكان يدخله اليهود يجب أن يكونوا المتسلطين".

وفي هذا النص نرى ربط الصلاح وقوة الإيمان بالعمل دون هوادة في إبادة غير اليهود، فمتى ماكان اليهودي تقياً وملتزماً كان الواجب عليه تدمير الشعوب الأخرى.

(١) الكنز المرصود، ص٧١، ومثله في همجية التعاليم، ص١٣٣ نص يقول: " وقبل أن تضمحل شعوب العالم وتستعبد، وقبل أن يصيراليهود أسياد مدنهم، وقبل بدء الملكوت المسيحي (يقصد به مسيح اليهود لامسيح غيرهم)، ستنشب حرب طويلة تشيب لهولها الأطفال فتزهق ثلثي العالم، ويمكث اليهود سبع سنوات يحرقون الأسلحة المكتسبة وعندئذ تتضخم أسنان أعداء إسرائيل القدماء وتبتعد عن أفواههم بعرض اثنين وعشرين قدماً، وفي انتظار ذلك يعيش اليهود في حرب مستمرة مع الشعوب الغريبة. وعندما يعقد لواء الظفر النهائي يرتضي المسيح بكل الشعوب إلا أنه يرفض المسيحيين منهم وفي ذاك الوقت يصبح أبناء إسرائيل أغنياء كباراً لأن كنوز الشعوب تسقط بين أيديهم".

وإذا كان مصير غير اليهود في الدنيا هو العبودية والتسخير أو القتل كما هو وارد في التلمود، فما هو مصيرهم في الآخرة؟ ينص التلمود على أن الجنة فقط لليهود قائلاً : " ولايدخل الجنة إلا اليهود، أما الجحيم فهو مأوى الكفار، ولانصيب لهم فيه سوى البكاء لما فيه من الظلام والعفونة والطين"[١]، أما غيرهم فهو كما صرح مصيرهم النار فقط أو الجحيم الذي يصفه التلمود قائلاً : " والجحيم أوسع من النعيم ستين مرة لأن الذين لايغسلون سوى أيديهم وأرجلهم كالمسلمين، والذين لايختنون كالمسيحيين، الذي يحركون أصابعهم – يفعلون إشارة الصليب يبقون هناك خالدين"[٢].

وهذه هي أحلام اليهود في تلمودهم إذ يظنون أن الجنة خاصةٌ بهم وأنهم قبل ذلك سيتسلطون على الأرض ومن فيها، ممتلكين لثرواتها، مستخدمين غيرهم عبيداً وخدماً.

---

(١) الكنز المرصود، ص ٦٨ .

(٢) السابق، ص ٦٩، ومثله في همجية التعاليم الصهيونية، ص ١٣١نص يقول: "إن جهنم هي أكبر من السماء بستين مرة وهي سجن القلف وفي مقدمتهم أتباع المسيح بن مريم، لأن هؤلاء يحركون أيديهم كثيراً برسم إشارة الصليب على ذواتهم، ويأتي بعد النصارى المسلمون لأنهم لايغسلون سوى أيديهم وأرجلهم وأفخاذهم وعوراتهم، كل من ذكرنا يحشرون حشراً في جهنم ولايغادرونها إلى الأبد".

خاتــمة :

يتضح مما سبق مايلي :

١- التلمود كتاب كفر بواح، فهو يصف ا لله – تعالى – بما لايجوز ولايليق به سبحانه.

٢- يصف التلمود أنبياء ا لله – تعالى – بأوصاف لاتليق ببشر عاديين فضلاً عن أنبياء مكرمين، رفعهم ا لله – تعالى – وأعلى مقامهم.

٣- إن تلك الصورة التي أعطاها التلمود عن ا لله – تبارك وتعالى – وعن أنبيائه الكرام، لتوضح مدى مايتضح به التلمود من معان ساقطة ونصوص لاتليق، تهون بعد ذلك قراءة ماسطروه ضد البشر من غير اليهود.

٤- يكرس التلمود من خلال قراءة ماورد في ثناياه نظرية التفوق العنصري، والتي تعتبر اليهود شعباً ممتازاً متفوقاً في أصل خلقته على غيره من البشر.

٥- يرى التلمود أن اليهودي أكثر اعتباراً من الملائكة عند ا لله – تعالى – والأعظم من ذلك أن من يسب ا لله – جل جلاله – يعفى عنه إن تحول إلى اليهودية، أما من يقتل يهودياً ثم يتحول لليهودية فلايعفى عنه إذ لاجزاء له سوى القتل.

٦- يرى التلمود أن اليهود هم سبب البركة في الأرض، ولولاهم لاحتجبت الشمس، ولما رزق البشر الآخرون بالمطر.

٧- أرواح اليهود في التلمود عزيزة على ا لله لأن مصدرها منه – سبحانه – وبالتالي فأرواح غيرهم مصدرها الشيطان أو الروح النجسة .

٨- يرى التلمود في سبب اختلاف اليهود عن غيرهم أنهم وحدهم وقفوا على جبل سيناء فحصل لهم بذلك الطهارة، بينما غيرهم ظلوا على نجاستهم.

٩- يرى التلمود أن جميع الأجانب حيوانات، ماخلقت إلا لخدمة اليهود فقط، وعلى هذا الأساس قامت نظرة اليهود لغيرهم.

ووفقاً لهذه النظرة نجد أن :

أ – القسم أمام غير اليهودي لايعتد به ، إذ أن المقسم أمامه هو حيوان .

ب – اعتبار الكثير من الحيوانات أفضل من الأجانب .

ج – تحريم قبول دعوة الأجانب باعتبارهم حيوانات .

د – تفاوت العقاب في مسألة القتل، فإن كان القاتل يهودياً، والمقتول أجنبياً فلاعقاب على اليهودي، وإن كان العكس فالقتل هو جزاء الأجنبي الذي يتعدى ويتطاول على اليهودي.

١٠– سلط التلمود اليهود على أموال باقي الأمم باعتبارها ملكاً لهم، وماعليهم فقط سوى أن يضعوا أيديهم عليها، فهي تخصهم يتصرفون فيها وبأصحابها كيف شاءوا.

١١– ينظر التلمود لعلاقة اليهود بالأقوام الأخرى من خلال زاويتين :

١– عندما يكون الميزان في صالح اليهود، وهم المتسلطون على غيرهم .

٢– عندما يملك غير اليهود الأمر.

وتختلف نظرة التلمود باختلاف هذين الأمرين .

فتعطي نصوص التلمود إشارات واضحة لما يجب على اليهودي فعله إن كان قابضاً على زمام الأمور، فهو لن يتوانى لحظة في إلحاق الدمار والهلاك بغيره من الأمم، أما إن كان الأمر عكس ذلك فلامناص حينئذ من استخدام أسلوب النفاق والخداع والتلون حسب الحاجة، وقد أصّل التلمود لنظريات النفاق بما يجعلها تناسب كل الأحوال والظروف، بحيث يصبح اليهودي في نهاية الأمر هو المستفيد الأول والأخير من كل أمر يمكن الإفادة منه .

١٢- يمنع التلمود معتنقيه من مساعدة غير اليهود منعاً باتاً حتى لايسهم في انقاذ غيره، إلا في حالة واحدة هي حالة الخوف من أذاه، أي حينما يكون غير اليهودي أقوى منه.

١٣- لم يكن موقف التلمود من قضية استخدام الربا بأحسن حالاً من موقف التوراة، حيث يبرر هذا الموقف بأن حياة الأممي بين أيدي اليهود فكيف بأمواله ؟.

١٤- يبرز التلمود الواقع الذي عليه اليهود من خلال تعاملهم مع غيرهم، فلايغفر ليهودي رد شيء مفقود إلى صاحبه الأجنبي، ويلزم أتباعه بصورة صريحة عدم إسداء أي منفعة أو خدمة تجر مصلحة لغير يهودي، لأنه بذلك يكون مخالفاً التعليمات.

١٥- أعلى التلمود من شأن قراراته وتوصياته بأن جعل العقاب الوحيد لمن يخالفها هو القتل، بينما لايرى الحاخامات في التلمود لمن خالف تعاليم التوراة مثل هذا الرأي، فذنبه مغفور مسبقاً.

١٦- ينتظر اليهود في التلمود مخلصهم المسيح، الذي سيعيد لهم مجد صهيون .

١٧- يقرر التلمود أن السلطة الشاملة في آخر الزمان لن تكون لغير اليهود، الذي ستكون الدنيا كلها تحت تصرفهم، ومامصير الأجانب في ذلك الوقت إلا التسخير والعبودية أو القتل .

الفصل الثالث

موقف البروتوكولات من الأمميين

تمهيـد :

يعتبر موقف البروتوكولات من الأمم الأخرى امتداداً لموقف كل من التوراة والتلمود في هذا الخصوص، فالهدف هو إحكام السيطرة على الأغيار، وهو هدف لايتحقق إلا بوسيلة معينة بغض النظر عن كونها مشروعة أم لا، جاء في البروتوكول الأول مايلي : " إن الغاية تبرر الوسيلة، وعلينا – ونحن نضع خططنا – ألا نلتفت إلى ماهو خير وأخلاقي بقدر مانلتفت إلى ماهو ضروري ومفيد"(١).

والوسيلة التي يقصدها هؤلاء تشمل مرحلتين مهمتين هما :

أولاً : مرحلة الإفساد :

معلوم أن الشعب اليهودي شعب مشتت تجده في جميع أنحاء الأرض، ولايدع اليهودي أمراً كهذا يفوته دون أن يستفيد منه غاية الإستفادة، فالشتات – حتى وإن كان أمراً مفروضاً عليهم – هو الوسيلة الفعالة في إحكام السيطرة، أما كيف يكون هذا فعند اليهود فقط الإجابة عليه، جاء في البروتوكول الحادي عشر: " من رحمة الله أن شعبه المختار مشتت وهذا التشتت الذي يبدو ضعفاً فينا أمام العالم – قد ثبت أنه كل قوتنا التي وصلت بنا إلى عتبة السلطة العالمية"(٢).

ويذهب هنري فورد إلى أن هذا الشتات إنما هو ترتيب سماوي من أجل إقامة دولة إسرائيل الكبرى فيقول: " ولاتعتبر التعاليم تشتيت اليهود في الأرض كارثة أو مصيبة بل تعتبره ترتيباً سماوياً يُمكّن اليهود من تحقيق برنامجهم العالمي بسهولة أكبر"(٣).

---

(١) البروتوكول الأول، ص ١٥٧ .

(٢) البروتوكول الحادي عشر، ص ٢١٤-٢١٥.

(٣) هنري فورد، اليهودي العالمي، المشكلة الأولى التي تواجه العالم – تعريب: خيري حماد، منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر – بيروت، ص ٩٧.

إذن الشتات – في نظرهم – كان رحمة من ا لله لشعبه المختار لتنفيذ مؤامراتهم عن طريق الإفساد، حيث أن الشتات مَكّن اليهود من التواجد في كل البلدان طولاً وعرضاً مما سهل وصولهم إلى شرايين هذه الأمم لتوجيه مقدراتها ببذر بذور الشبهات إفساداً لهم، وقضاءً عليهم، وليس إلا الإفساد وسيلة مفيدة لتحقيق هذا الهدف، وهذا من دأب اليهود فهم لايواجهون إلا من وراء جدر، لأن المواجهة فيها قضاء عليهم، وإذا استشرى الفساد في أنظمة واقتصاديات البلدان والدول الأممية سَهُل بعد ذلك الانتقال إلى مرحلة إقامة الدولة اليهودية.

ثانياً: مرحلة إقامة الدولة:

هذه المرحلة تأتي في مخططات اليهود بعد تحقيق مرحلة إفساد "الغوييم" فإذا فسد الأغيار وذابت أخلاقهم وتلاشت معتقداتهم واستولت عليهم شهواتهم، تبرز إسرائيل قوة عظمى ودولة متسلطة فلن تكون هناك حينئذ دولة أخرى معتبرة على وجه الأرض غيرها، حيث ستكون هي القوة الجبارة الوحيدة، جاء في البروتوكول الحادي والعشرين: "... ولأن حكومتنا العالمية لن يكون لها جيران أجانب تستطيع أن تقترض منهم مالاً"(١).

وكلتا المرحلتين تحتاج إلى تنظيم دقيق، فقد ابتدأ اليهود بالمرحلة الأولى وهي الإفساد، والذي يشمل نواحٍ مختلفة اقتصادية، وسياسية، وأخلاقية، واجتماعية، ودينية وإعلامية، وكان هذا الإفساد يتم على مراحل متدرجة في الناحية الواحدة ومترابطة مع النواحي الأخرى بحيث تتم جميعها وفق ماهو مخطط لها وفي وقت واحدٍ تقريباً للوصول للغاية المحددة .

---

(١) البروتوكول الحادي والعشرون، ص ٢٧٧.

أولاً : خطط البروتوكولات فيما يخص الناحية الإقتصادية

عمل اليهود على أن يكون لهم الدور الأكبر والمهم في الجانب الاقتصادي مستغلين حبهم للمال حتى أصبحوا هم المالكون لثروات العالم.

" يقول اليهودي دومسنيل في كتابه : السياسة الإقتصادية للأقوام القديمة صدر عام ١٨٧٨م: إن الذين يسخرون من سعينا لسيادة العالم، فاتهم أننا أصبحنا نملك ثروات العالم برمتها وهي تنمو في حوزتنا يوماً بعد يوم، بفضل اتحادنا وتفوق تفكيرنا وحسن إدارتنا.

وهذه السيطرة المالية ستمكننا من إخضاع شعوب العالم لمشيئتنا، كما أخضعنا في الماضي شعب كنعان، وستضمن لأحفادنا رغد العيش وسيادة البشر، وسيصاب المشككون بخيبة الأمل عندما يشاهدوننا نحقق للإنسانية حلمها المنشود في السلام والأخوة في ظل دولتنا العالمية المرتقبة"[1].

وهكذا فعلوا فقد استنزفوا ثروات الأمميين عن طريق الربا، والقروض والفوائد والضرائب والاحتكارات المالية .

وكان أهم مايرمي إليه اليهود في هذه الناحية هو إجبار البلدان الأممية على الاقتراض، ولن تجد أمامها سوى اليهود كي تقترض منهم، ولكي يضطروهم إلى هذا عمدوا إلى :

١- سحب العملة من التداول :

عمد اليهود إلى افتعال الأزمات الاقتصادية في بلاد "الغوييم" حتى تراكمت الثروة في يد فئة معينة مما نتج عنه سحب العملة من الحكومة فاضطرت إلى الاقتراض معرضة نفسها إلى دفع الفوائد المترتبة على ذلك .

---

(١) نقلاً عن كتاب : المفسدون في الأرض - تأليف : سليمان ناجي، الطبعة الثانية، العربي للإعلان والنشر والطباعة - دمشق، ص ٣٢٢-٣٢٣.

جاء في البروتوكول العشرين : " إن الأزمات الإقتصادية التي دبرناها بنجاح باهر في البلاد الأممية قد أنجزت عن طريق سحب العملة من التداول، فتراكمت ثروات ضخمة وسحب المال من الحكومة التي اضطرت بدورها إلى الاستنجاد بملاك هذه الثروات لإصدار قروض، وقد وضعت هذه القروض على الحكومات أعباء ثقيلة اضطرتها إلى دفع فوائد للمال المقترض مكبلة بذلك أيديها"[1].

٣- طريقة عمل الميزانية :

لأن اليهود جُبِلُوا على الخداع والمكر فقد أوهموا الأمميين بطريقة خادعة لعمل الميزانية تكون نتيجتها أن الأموال الاحتياطية للحكومة تستنفذ مما يجبرها على طلب القرض.

جاء في البروتوكول العشرين: " وسنبين أن السبب لهذه الحالات السيئة للمالية يكمن في حقيقة أنهم يبدءون السنة المالية بعمل تقدير تقريبي للميزانية الحكومية، وإن مقدارها يزداد سنة فسنة للسبب التالي:

وهو أن الميزانية الحكومية السنوية تستمر متأخرة حتى نهاية نصف السنة وعندئذ تقدم ميزانية منقحة، ينفق مالها بعامة في ثلاثة أشهر وبعد ذلك يصوت لميزانية جديدة، وفي نهاية السنة تقرر حسابات بتصفية الميزانية، إن الميزانية لسنة واحدة تقوم على جملة النفقة المتصلة في السنة السابقة وعلى ذلك فهناك عجز في كل سنة نحو خمسين من مائة من المبلغ الاسمي، فتتضاعف الميزانية السنوية بعد عشر سنوات ثلاثة أضعاف، وبفضل هذا الإجراء الذي اتبعته الحكومات الأممية الغافلة استنفذت أموالهم الاحتياطية عندما حلت مواعيد الديون وأفرغت بنوك دولتهم وجذبتهم إلى حافة الإفلاس"[2].

---

(١) البروتوكول العشرون، ص ٢٦٩-٢٧٠.

(٢) البروتوكول العشرون، ص ٢٧١-٢٧٢.

٣- فرض التعامل بالضرائب والمضاربة :

لن يترك اليهود منافع الأرض تذهب لغيرهم، لذلك سيلجأون لفرض الضرائب عليها حتى تبقى في أحط مستوى، أما بالنسبة للصناعات والتجارة فستكون عن طريق المضاربة والتي ستحول ثروات العالم إلى أيديهم.

جاء في البروتوكول السادس: " وأفضل الطرق لبلوغ هذا القرض هو فرض الأجور والضرائب، إن هذه الطرق ستبقي منافع الأرض في أحط مستوى ممكن، وسرعان ماسينهار الأرستقراطيون من الأمميين لأنهم بما لهم من أذواق مورثة غير قادرين على القناعة بالقليل، وفي الوقت نفسه يجب أن نفرض كل سيطرة ممكنةعلى الصناعة والتجارة وعلى المضاربة بخاصة فإن الدور الرئيسي لها أن تعمل كمعادل للصناعة ، وبدون المضاربة ستزيد الصناعة رؤوس الأموال الخاصة وستتجه إلى إنهاض الزراعة بتحرير الأرض من الديون والرهون العقارية التي تقدمها البنوك الزراعية، وضروري أن تستنزف الصناعة من الأرض كل خيراتها وأن تحول المضاربات كل ثروة العالم المستفادة على هذا النحو إلى أيدينا"(١).

وفي البروتوكول الرابع : " ولكي تزلزل الحرية حياة الأمميين الإجتماعية زلزالاً، وتدمرها تدميراً يجب علينا أن نضع التجارة على أساس المضاربة، وستكون نتيجة هذا أن خيرات الأرض المستخلصة بالاستثمار لن تستقر في أيدي الأمميين بل ستعبر خلال المضاربات إلى أيدينا"(٢)، وقد حصلت هذه الأمور سابقاً، " يذكر الكاتب الفرنسي السيد "توسنيل" أنه في فرنسا مصرف أطلق عليه اسم مصرف فرنسا المركزي، وهو مخول بصك النقود وإصدار أوراق النقد والسندات المالية باسم فرنسا، كما منح حق استثمار كافة الأعمال المصرفية من تداول النقد النادر وسواه، مع العلم أن الدولة الفرنسية

---

(١) البروتوكول السادس، ص ١٨٧ .

(٢) البروتوكول الرابع ، ص ١٧٥ .

والشعب الفرنسي أو أي فرد من أبناء هذا الشعب الذي يعمل المصرف باسمه، لايملك فيه شيئاً ولايستفيد منه بنساً واحداً، فهو ومايجنيه من الأموال الكثيرة ملك خاص للأثرياء اليهود، وكلما تكدست فيه الأموال يسارع أصحابه إلى تحويلها إلى نيويورك أو أوتاوا، فتقع البلاد في البلبلة المالية، ويسيطر الجزع على الأوساط الحكومية والتجارية فيقوم صنائع اليهود من حكام فرنسا، إلى تدارك الأمر بفرض ضرائب جديدة لتغطية العجز المالي الحاصل بسبب تلاعب اليهود بمقدراتنا المالية فيدفع الشعب المسكين صاغراً الضرائب الجديدة من عرق جبينه وكد يمينه، عندها يعود اليهود من جديد إلى أساليبهم القذرة لسلب الأموال الفرنسية مرة أخرى"(١).

ولم تقتصر ممارساتهم هذه على فرنسا فقط، بل كان لبريطانيا نصيبها أيضاً من هذه الممارسات والتي تلاعب اليهود من خلالها بمقدرات الشعوب الاقتصادية، فإنه "لما عادت الملكية مجدداً إلى البلاد كان اليهود قد رسخوا أقدامهم في جميع مرافقها، واستعادوا نفوذهم في سوق المضاربات " البورصة " الذي مكنهم من السيطرة على مقدرات البلاد المالية فاحتاجت إليهم الدولة والطبقة الارستقراطية ... فاضطرت في عهد شارل الثاني أن تستنجد بأثرياء اليهود، لتقترض منهم المال اللازم لها، فتقربت إليهم تسترضيهم وتخطب ودهم، فلبى اليهود مقابل فوائد خيالية، أعجزت فيما بعد أكثر أفرادها من سداد ديونهم فاضطر بعضهم للتخلي عن ممتلكاته لليهود"(٢).

٤ – ولكي تضطر الحكومة إلى طلب القرض فإن هناك أيضاً طرقاً أخرى ابتكرها اليهود لهذا الغرض، وهي أن تفتتح الحكومة الأممية اكتتاباً لسنداتها الغرض منه إغراقها في الدين، ودفع فوائده، ثم بعد ذلك تأتي خطوة تحويل الديون، جاء في البروتوكول الحادي والعشرين : " حين تعلن الحكومة إصدار قرض كهذا تفتح اكتتاباً لسنداتها، وهي تصدرها مخفضة ذات قيم صغيرة جداً، كي يكون في استطاعة كل إنسان أن يسهم فيها،

(١) المفسدون في الأرض، ص ١٨٤-١٨٥.

(٢) نفسه ، ص ٢٦٧.

والمكتتبون الأوائل يسمح لهم أن يشتروها بأقل من قيمتها الاسمية وفي اليوم التالي يرفع سعرها، كي يظن أن كل إنسان حريص على شرائها. وفي خلال أيام قليلة تمتلئ خزائن بيت مال الدولة بكل المال الذي اكتتب به زيادة على الحد ... إن الاكتتاب بلاريب يزيد زيادة لها اعتبارها على المال المطلوب، وفي هذا يكمن كل الأثر والسر، فالشعب يثق بالحكومة ثقة أكيدة، ولكن حينما تنتهي المهزلة تظهر حقيقة الدين الكبير جداً، وتضطر الحكومة من أجل دفع فائدة هذا الدين إلى الالتجاء إلى قرض جديد هو بدوره لايلغي دين الدولة، بل يضيف إليه ديناً آخر، وعندما تنفد طاقة الحكومة على الاقتراض يتحتم عليها أن تدفع الفائدة عن القروض بفرض ضرائب جديدة، وهذه الضرائب ليست إلا ديوناً مقترضة لتغطية ديون أخرى، ثم تأتي فترة تحويلات الديون، ولكن هذه التحويلات إنما تقلل قيمة الفائدة فحسب ولاتلغي الدين، ولذلك لايمكن أن تتم إلا بموافقة أصحاب الديون، وحين تعلن هذه التحويلات يعطى الدائنون الحق في قبولها أو في استرداد أموالهم إذا لم يرغبوا في قبول التحويلات فإذا طالب كل إنسان برد ماله فستكون الحكومة قد اصطيدت بطعمها الذي أرادت الصيد به، ولن تكون في مقام يمكنها من إرجاع المال كله"[١].

كانت تلك أهم الخطوات التي قام بها اليهود لإجبار الأمميين على طلب القروض منهم، ولكي يتم ذلك كما أرادوا كان لابد من بعض الأمور المساعدة حتى يتم لهم إحكام الخطة، وهذه الأمور هي :

أولاً : إثارة الفتن والاضطرابات :

عمل اليهود على إثارة الفتن والاضطرابات بين الطبقات المختلفة مما جعل نتائج ذلك تصب في مصلحة اليهود.

(١) البروتوكول الحادي والعشرون، ص ٢٧٧-٢٧٨.

جاء في البروتوكول الثالث مايلي : " إن علم الأحوال الإجتماعية الصحيح الذي لانسلم أسراره للأمميين سيقنع العالم أن الحرف والأشغال يجب أن تحصر في فئات خاصة كي لاتسبب متاعب إنسانية تنشأ عن تعليم لايساير العمل الذي يدعى الأفراد إلى القيام به، وإذا مادرس الناس هذا العلم فسيخضعون بمحض إرادتهم للقوى الحاكمة وهيئات الحكومة التي رتبتها.

وفي ظل الأحوال الحاضرة للجمهور والمنهج الذي سمحنا له باتباعه يؤمن الجمهور في جهله إيماناً أعمى بالكلمات المطبوعة وبالأوهام الخاطئة التي أوحينا بها إليه كما يجب، وهو يحمل البغضاء لكل الطبقات التي يظن أنها أعلى منه، لأنه لايفهم أهمية كل فئة، وإن هذه البغضاء ستصير أشد مضاء حيث تكون الأزمات الإقتصادية مستحكمة، لأنها ستوقف الأسواق والإنتاج وستخلق أزمة اقتصادية عالمية بكل الوسائل الممكنة التي في قبضتنا، وبمساعدة الذهب الذي هو كله في أيدينا، وسنقذف دفعة واحدة إلى الشوارع بجموع جرارة من العمال في أوربا ولسوف تقذف هذه الكتل عندئذ بأنفسها إلينا في ابتهاج، وتسفك دماء أولئك الذين تحسدهم منذ الطفولة ..، وستكون قادرة يومئذ على انتهاب ماهم من أملاك، إنها لن تستطيع أن تضرنا، لأن لحظة الهجوم ستكون معروفة لدينا، وسنتخذ الاحتياطات لحماية مصالحنا"[١].

ثانياً : الدعوة إلى الاشتراكية :

أبرز اليهود في دعاياتهم المغرضة المذهب الاشتراكي حلاً أمثل للتخلص من براثن الرأسمالية الظالمة فشجعوا العمال على الالتحاق بالمذهب الاشتراكي وهم في حقيقة الأمر يعملون لإحكام السيطرة على مقدرات البلاد والعباد.

جاء في البروتوكول الثالث مايلي : " إننا نقصد أن نظهر كما لو كنا المحررين للعمال، جئنا لنحررهم من هذا الظلم، حينما ننصحهم بأن يلتحقوا بطبقات جيوشنا من

---

(١) البروتوكول الثالث، ص ١٧٣-١٧٤.

الاشتراكيين والفوضويين والشيوعيين ونحن على الدوام نتبنى الشيوعية ونحتضنها متظاهرين بأننا نساعد العمال طوعاً لمبدأ الأخوة والمصلحة العامة للإنسانية، وهذا ماتبشر به الماسونية الإجتماعية"(١).

ثالثاً : تشجيع الحياة المادية :

ولأهمية الإيمان في النفوس، حاول اليهود نزع هذه القيمة من عقول الناس لتصبح المادة هي المسيطرة على حياتهم ومن ثم يسهل قيادتهم واستخلاص ثرواتهم من بين أيديهم لأن اهتمامهم سينصب على الضرورات المادية ولن يفطنوا لما يخطط لهم.

جاء في البروتوكول الرابع " إن الناس محكومين بمثل هذا الإيمان سيكونون موضوعين تحت حماية كنائسهم وسيعيشون في هدوء واطمئنان وثقة تحت إرشاد أئمتهم الروحيين، وسيخضعون لمشيئة ا لله على الأرض، وهذا هو السبب الذي يحتم علينا أن ننزع فكرة ا لله ذاتها من عقول المسيحيين وأن نضع مكانها عمليات حسابية وضرورات مادية، ثم لكي نحول عقول المسيحيين عن سياستنا سيكون حتماً علينا أن نبقيهم منهمكين في الصناعة والتجارة وهكذا ستنصرف كل الأمم إلى مصالحها، ولن تفطن في هذا الصراع العالمي إلى عدوها المشترك"(٢).

رابعاً : استغلال طبقة العمال في تحقيق مخططاتهم :

إذا كان العمال قد أدركوا أن سعادتهم وخلاصهم من سيطرة الرأسماليين يكون في إلتزامهم المذهب الإشتراكي فانطلقوا ينادون به وبما يحصلونه من قيم مادية نتيجة مشاركتهم في الإدارة والإنتاج فإنهم في الحقيقة إنما صاروا أداة صالحة لتنفيذ مخططات اليهود في القضاء على ثروات الأمم ومقدراتها الاقتصادية لكن هذه الانطلاقة المادية إذا استمرت في النمو فستكون عقبة كبيرة أمام اليهود لذلك أدركوا أن من مصلحتهم أن

---

(١) البروتوكول الثالث، ص ١٧١.

(٢) البروتوكول الرابع، ص ١٧٨-١٧٩.

يظل العمال خاضعين لهم وهذا يستلزم الحيلولة دون وصول العمال إلى درجة الكفاية فضلاً عن درجة الاستغناء اجتماعياً ومادياً فجاءت البروتوكولات تحض على استغلال العمال ضد رأس المال وأصحابه مع الإبقاء عليهم في دائرة الجوع والحاجة.

جاء في البروتوكول الثالث مايلي : " إن الارستقراطية التي تقاسم الطبقات العاملة عملها قد أفادها أن هذه الطبقات العاملة طيبة الغذاء جيدة الصحة، قوية الأجسام، غير أن فائدتنا نحن في ذبول الأمميين وضعفهم، وإن قوتنا تكمن في أن يبقى العامل في فقر ومرض دائمين، لأننا بذلك نستبقيه عبداً لإرادتنا، ولن يجد فيمن يحيطون به قوة ولاعزماً للوقوف ضدنا، وإن الجوع سيخول رأس المال حقوقاً على العامل أكثر مما تستطيع سلطة الحاكم الشرعية أن تخول الارستقراطية من الحقوق"[1].

خامساً : استغلال فساد المسئولين لإحكام التعامل بالمضاربات والقروض :

إذا كانت الثروة البشرية ممثلة في العمال والمنتجين قد أتت عليها البروتوكولات حين غلبت عليها القيم المادية فانخدعت بشعارات الإشتراكية ولم تحقق لنفسها ولا لأوطانها شيء يذكر حيث ظلت في فقرها وحاجتها فقد تكامل المخطط حين تطلعت البروتوكولات إلى الحاكمين والإداريين الأمميين فعمدت إلى تزكية الحياة المادية والمصلحة الذاتية في نفوسهم ليضمنوا بذلك إحكام السيطرة على مقدرات البلاد رسمياً في مقابل أن يجني هذا المسؤول ربحاً غير مستحق وفائدة تعود على شخصه فيلزم بذلك بلاده ومن تولى أمرها بلجام الحاجة والفوائد المركبة والتعامل بالربا الذي ينذر بسوء العاقبة في العاجل والآجل فصار كل مسؤول – إلا من رحم الله – حين يسير وفق مخطط البروتوكولات إنما همه الأكبر استغلال فترة نفوذه في تحقيق أكبر عائد مادي له ولذويه وماعليه حينئذ أن تضيع البلاد والعباد، وبذلك تتكامل خطة البروتوكولات باستغلال الشهوات لإفساد القمة والقاع اقتصادياً.

---

(١) البروتوكول الثالث، ص ١٧١-١٧٢.

جاء في البروتوكول الحادي والعشرين مايلي : " لقد استغللنا فساد الإداريين وإهمال الحاكمين الأمميين لكي نجني ضعفي المال الذي قدمناه قرضاً إلى حكوماتهم أو نجني ثلاثة أضعافه، مع أنها لم تكن في الحقيقة بحاجة إليه قط"(١).

وبتفحص البروتوكولات في هذا الجانب نجد أنها تتلخص في نقطتين مهمتين :

الأولى : إجبار الأمميين على التعامل بالمضاربات في البورصة، وفرض الضرائب والأجور على الممتلكات وعلى الصناعات المختلفة والذي يؤدى بدوره إلى استنزاف ثرواتهم ومن ثم تعرضهم للإفلاس .

الثانية : لن يكون أمامهم من حل سوى الاقتراض، وهذا مايهدف إليه اليهود حيث ستفرض الفوائد على القروض مما سيزيد من الديون على الأمميين الذين لن يستطيعوا التخلص من سيطرة اليهود عليهم.

جاء في البروتوكول العشرين مايلي : " القرض هو إصدار أوراق حكومية توجب التزام دفع فائدة تبلغ نسبة مئوية من المبلغ الكلي للمال المقترض، فإذا كان القرض بفائدة قدرها خمسة من مائة، ففي عشرين سنة ستكون الحكومة قد دفعت بلا ضرورة مبلغاً يعادل القرض لكي تغطي النسبة المئوية وفي أربعين سنة ستكون قد دفعت ضعفين، وفي ستين سنة ثلاثة أضعاف المقدار ولكن القرض سيبقي ثابتاً كأنه دين لم يسدد... ... ...، والحكام الأمميون من جراء إهمالهم أو بسبب فساد وزرائهم أو جهلهم قد جروا بلادهم إلى الاستدانة من بنوكنا حتى أنهم لايستطيعون تأدية هذه الديون"(٢)، وكانت نتيجة مثل هذه الخطط هو التحكم الفعلي في اقتصاديات الكثير من الدول، ونجد ذلك متمثلاً في المؤسسات الاقتصادية العالمية كبنك النقد الدولي، والبورصات العالمية، لتحقيق النتيجة المرجوة، والهدف المنشود، فتتلاشى قوة الأمميين ويبرز اليهود قوة كبرى في غيبة

---

(١) البروتوكول الحادي والعشرون، ص ٢٧٧.

(٢) البروتوكول العشرون، ص ٢٧٣-٢٧٤.

الأمم الأخرى، وتلك حقيقة لايجحدها الواقع فمن لايملك لقمة عيشه لاينطلق قراره من رأسه .

الاقتصاد بعد قيام الدولة اليهودية :

إذا كانت نظرة اليهود لإفساد حياة " الغوييم" اقتصادياً على نحو ماسبق، فإن البروتوكولات لم تغفل واقع الدولة اليهودية فيما بعد، وإنما صرحت ببرنامجها الاقتصادي، وحرصت ألا يقع اليهود فيما أوقعوا فيه غيرهم، حتى لاتصيبهم سنة الضياع الكونية، واتخذوا لذلك تدابير منها:

١- إحاطة حكومتهم برجال الاقتصاد :

عرف اليهود منذ القدم بحب المال واستغلال كل الطرق المشروعة وغير المشروعة لجمعه.

لذا فإن من أهم المواضيع التي سيعتمدها اليهود بالنسبة لحكومتهم المزعومة هو إحاطتها بالاقتصاديين ورجال البنوك وأصحاب الثروات الضخمة لضمان الاستفادة منهم تماماً.

جاء في البروتوكول الثامن مايلي : " إننا سنحيط حكومتنا بجيش كامل من الاقتصاديين، وهذا هو السبب في أن علم الاقتصاد هو الموضوع الرئيسي الذي يعلمه اليهود، وسنكون محاطين بألوف من رجال البنوك وأصحاب الصناعات وأصحاب الملايين ... إذ الواقع أن كل شيء سوف يقرره المال"[١].

٢- تداول المال :

لن يسمح اليهود للعملة بأن توضع في البنك دونما نشاط لأن معنى ذلك تجميدها وعدم الاستفادة منها – واليهود هم أكثر من يستفيد من مثل هذه الأمور – لذلك

---

(١) البروتوكول الثامن، ص ١٩٣.

سيكون إصدارها مسايراً لنمو السكان بحيث تصدر عملة كافية يضاف إليها عند ميلاد كل طفل وينقص منها عند وفاة أي شخص .

جاء في البروتوكول العشرين مايلي : " ومن ألزم الضرورات عدم السماح للعملة بأن توضح دون نشاط في بنك الدولة إذا جاوزت مبلغاً معيناً ربما يكون القصد منه غرضاً خاصاً، إذ أن العملة وجدت للتداول وإن أي تكديس للمال ذو أثر حيوي في أمور الدولة ..

إن إصدار العملة يجب أن يساير نمو السكان، ويجب أن يعد الأطفال مستهلكي عملة منذ أول يوم يولدون فيه وإن تنقيح العملة حيناً فحيناً مسألة حيوية للعالم أجمع ...

إن حكومتنا ستكون لها عملة قائمة على قوة العمل في البلاد وستكون من الورق أو حتى من الخشب وسنصدر عملة كافية لكل فرد من رعايانا، مضيفين إلى هذا المقدار عند ميلاد كل طفل ومنقصين منه عند وفاة كل شخص "[1].

٣- عدم السماح بالاستغلال والمحاباة لفئات دون أخرى :

على النقيض تماماً مما فعله اليهود بالغوييم حيث استغلوا الطبقات المختلفة لتحقيق مآربهم فإن الوضع بالنسبة لهم سيكون مختلفاً حيث لن يسمحوا بالمحاباة واستغلال الفئات المختلفة، مما كان موجوداً من قبل، جاء في البروتوكول العشرين مايلي: " وستقوم على الحسابات الحكومية حكومات محلية منفصلة ومكاتب إقليمية ولكيلا تحدث مماطلات في دفع الأموال المستحقة للحكومة سيصدر الحاكم نفسه أوامر عن مدة دفع هذه المبالغ، وبهذا ستنتهي المحاباة التي تظهرها أحياناً وزارات المالية نحو هيئات معينة"[2].

---

(١) البروتوكول العشرون، ص ٢٦٨-٢٧٠.

(٢) البروتوكول العشرون، ص ٢٧٠-٢٧١.

٤- إنشاء هيئة للمحاسبة :

سيتم إنشاء هيئة للمحاسبة مهمتها تدوين حسابات الدولة كاملة وذلك بكل دقة حتى لايكون هناك مجال للتلاعب في الحسابات المختلفة لمصادر دخل الدولة، ولتكون تحت طلب الملك في أي وقت .

جاء في البروتوكول العشرين مايلي : " وسننشيء هيئة للمحاسبة كي تمكن الملك من أن يتلقى في أي وقت حساباً لخرج الحكومة ودخلها، وستحفظه كل التقريرات بدقة وحزم إلى هذا التاريخ ماعدا تقريرات الشهر الجاري والمتقدم"(١).

٥- عدم السماح لليهود بالتعامل بالقروض والفوائد :

في السابق عمل اليهود كل الوسائل الممكنة لكي يجبروا الأمميين على طلب القروض من بنوكهم، ومن ثم دفع الفوائد المترتبة مما أوقعهم في الإفلاس الذي أدى بدوره إلى انهيار اقتصاديات تلك الأمم، واليهود لن يسمحوا بتكرار تلك الأمور مرة أخرى حيث سيحتاطون جيداً لمنع حدوث التضخم المالي، وبالتالي الاضطرار إلى طلب القرض، جاء في البروتوكول العشرين مايلي : " سنحتاط في حكومتنا حيطة كبيرة كي لايحدث تضخم مالي، وعلى ذلك لن نكون في حاجة إلى قروض للدولة إلا قرضاً واحداً ذا فائدة قدرها واحد من المائة تكون سندات على الخزانة حتى لايعرض دفع النسبة المئوية البلاد لأن يمتصها العلق، وستعطى الشركات التجارية حق إصدار السندات استثناء، فإن هذه الشركات لن تجد صعوبة في دفع النسبة المئوية من أرباحها، لأنها تقترض المال للمشروعات التجارية ولكن الحكومات لاتستطيع أن تجني فوائد من المال المقترض، لأنها إنما تقترض دائماً لتنفق مأخذت من القروض، وستشتري الحكومة أيضاً أسهماً تجارية، فتصير بهذا دائنة بدل أن تكون مدينة ومسددة للخراج كما هي الآن"(٢).

---

(١) البروتوكول العشرون ، ص ٢٦٩.

(٢) البروتوكول العشرون، ص ٢٧٤.

ثانياً : خطط البروتوكولات فيما يخص الناحية السياسية

أولى اليهود عنايتهم بهذا الجانب كثيراً، وحيث أن أي نظام سياسي يقوم على عدة عناصر هي: الحاكم والمحكوم والقوانين التي تلزم كل من الحاكم والمحكوم بتنفيذها، لذا انتبه واضعوا البروتوكولات لهذه العناصر الثلاثة فوضعوا الخطط المناسبة لكي يحكموا السيطرة عليها بحيث تتخلخل هذه الأركان ويستشري الفساد فيها مما يجعلها عرضة للاهتزاز، ومن ثم السقوط بأيديهم .

أ – القيادة : وتشتمل على جانبين مهمين هما : الحاكم وطريقة اختياره، والأحزاب.

الحاكم وطريقة اختياره :

صرح اليهود بأن من يختارون للحكم لن يكونوا سوى أولئك القوم الذين يمتازون بالمكر والخداع، والاستبداد، ولن تكون صحائفهم السابقة سوى صفحات ممتلئة بالمخازي لضمان تنفيذ أوامر اليهود، وإلا فإن السجن والعقاب سيكون مصير كل من يجرؤ على الاعتراض منهم.

جاء في البروتوكول الأول مايلي: " لابد لطالب الحكم من الالتجاء إلى المكر والرياء، فإن الشمائل الإنسانية العظيمة من الإخلاص والأمانة تصير رذائل في السياسة... ... ويجب أن يكون ماكراً خداعاً حكم تلك الحكومات التي تأبى أن تداس تيجانها تحت أقدام وكلاء قوة جديدة .

وبغير الاستبداد المطلق لايمكن أن تقوم حضارة، لأن الحضارة لايمكن أن تروج وتزدهر إلا تحت رعاية الحاكم كائناً من كان، لابين أيدي الجماهير"(١).

وجاء أيضاً في البروتوكول العاشر مايلي: " ولكي نصل إلى هذه النتائج سندبر انتخاب أمثال هؤلاء الرؤساء ممن تكون صحائفهم السابقة مسودة بفضيحة " بنامية " أو صفقة أخرى سرية مريبة، إن رئيساً من هذا النوع سيكون منفذاً وافياً لأغراضنا، لأنه

---

(١) البروتوكول الأول، ص ١٥٥، ١٥٩، ١٦٠.

سيخشى التشهير، وسيبقى خاضعاً لسلطان الخوف الذي يتملك دائماً الرجل الذي وصل إلى السلطة والذي يتلهف على أن يستبقي امتيازاته وأبحاثه المرتبطة بمركزه الرفيع"[١]، وللتدليل على ذلك فإن اليهود في فرنسا لما فرغوا من نابليون وأصبح وجوده لايفيدهم شيئاً، حضَّروا لعودة الملكية في فرنسا، وذلك بقمع الثورات التي كانت تعارض اليهود، وعودة الملكية، ومن ثم أعادوا الملك لويس فيليب الذي كان " الصديق الودود للشعب اليهودي والذي بادر حال عودته إلى إلغاء، جميع المؤسسات الإجتماعية والسياسية الفرنسية الخالصة، وسمح لليهود أن يؤسسوا في مملكته ماشاءت أهواءهم من المؤسسات الخاصة بهم دون رادع أو مانع، ثم أصدر التشاريع والقوانين لحمايتهم، وفي نفس الوقت كمم الأفواه، وجمد الأقلام الفرنسية المعادية لليهود"[٢].

ولأجل ألا يكون هناك تحالف بين القوى الحاكمة والقوى المحكومة في بلدان الأمميين، عمد اليهود إلى زرع الخلافات بينها، جاء في البرتوكول التاسع : " إننا نخشى تحالف القوة الحاكمة في الأمميين مع قوة الرعاع العمياء، غير أننا قد اتخذنا كل الاحتياطات لنمنع احتمال وقوع هذا الحادث، فقد أقمنا بين القوتين سداً قوامه الرعب الذي تحسه القوتان كل من الأخرى وهكذا تبقى قوة الشعب سنداً إلى جانبنا، وسنكون وحدنا قادتها، وسنوجهها لبلوغ أغراضنا"[٣].

أما عن الأحزاب: فقد ادعى اليهود أن إنشاءها ماهو إلا عامل مساعد في تمحيص الجهود للوصول إلى أفضل الحلول، وذلك بدعوى حرية الفكر وحرية إبداء الرأى، مما كانت نتيجته التفكك، ونشر الفتن والاضطرابات، والتصارع بينها مما يخدم أغراض اليهود، جاء في البروتوكول الأول: " إن الجمهور الغرير الغبي، ومن ارتفعوا من بينه، لينغمسون في خلافات حزبية تعوق كل إمكان للاتفاق ولو على المناقشات الصحيحة،

---

(١) البروتوكول العاشر، ص ٢٠٧.

(٢) المفسدون في الأرض، ص ١٧٣

(٣) البروتوكول التاسع، ص ١٩٧.

لكن كل قرار للجمهور قد يتوقف على مجرد فرصة أو أغلبية ملفقة تجيز لجهلها بالأسرار السياسية حلولاً سخيفة فتبذر بذور الفوضى في الحكومة ... ... وإن الشعب المتروك لنفسه، أي للممتازين من الهيئات لتحطمه الخلافات الحزبية التي تنشأ من التهالك على القوة والأمجاد، وتخلق الهزاهز والفتن والاضطرابات"(١)، وفي البروتوكول الثالث جاء مايلي: " وقد شجعنا كل مشروع في هذا الاتجاه ووضعنا أسلحة في أيدي كل الأحزاب، وجعلنا السلطة هدف كل طموح إلى الرفعة وقد أقمنا ميادين تشتجر فوقها الحروب الحزبية بلا ضوابط ولا التزامات، وسرعان ماستنطلق الفوضى، وسيظهر الإفلاس في كل مكان"(٢).

وفعلاً سيطر اليهود على الأحزاب وسخروها لخدمتهم، فقد جاء في رسالة سرية لمجلس كابالا الأعلى مايلي: " والسبيل الوحيد كي نسيطرعلى غير اليهود في الولايات المتحدة الأمريكية هو فرض سلطاننا على حزبين كبيرين فيها، وقد نفذنا فعلاً هذه الخطة ولايفطن غير اليهود – وهم هؤلاء السذج – إلى أننا لانعطيهم فرصة سوى انتخاب المرشحين فقط، وأنهم شرعوا في إنشاء حزب ثالث كي يفوتوا علينا رقابتنا لهم، ولكننا سنشتري هذا الحزب الثالث ليكون من أتباعنا أيضاً"(٣).

ب – القوانين التى تحكم :

رتب اليهود جيداً لنشر نظرياتهم الجوفاء البعيدة كل البعد عن الأخلاق والدين، وذلك بتمجيد أولئك الذين تنسب لهم تلك النظريات وإقناع الشعوب الأممية بصحتها، والمحاولة الأكيدة لفرضها على الناس، ولعل أقرب الأمثلة على ذلك نظريات كل من: دارون ، كارل ماركس، سيجموند فرويد، هؤلاء اليهود الذين مابرحت

---

(١) البروتوكول الأول، ص ١٥٥-١٥٨.

(٢) البروتوكول الثالث، ص ١٦٩.

(٣) الإسلام وبنو إسرائيل، ص ١٢١.

نظرياتهم حتى حطمت كل الروابط الأسرية والأخلاقية والعقدية، وهذا ماأراده اليهود بالضبط.

جاء في البروتوكول الثاني مايلي: " لاتتصوروا أن تصريحاتنا كلمات جوفاء ولاحظوا هنا أن نجاح داروين وماركس ونيتشه قد رتبناه من قبل، والأثر غير الأخلاقي لاتجاهات هذه العلوم في الفكر الأممي سيكون واضحاً على التأكيد ... دعوهم يعتقدوا أن هذه القوانين النظرية التى أوحينا إليهم بها إنما لها القدر الأسمى من أجلهم، وبتقييد أنظارهم إلى هذا الموضوع، وبمساعدة صحافتنا نزيد ثقتهم العمياء بهذه القوانين زيادة مطردة"[١].

ولم يقتصر نشاط اليهود في وضع قوانين جديدة بل تعداه إلى محاولة العبث بالقوانين الموجودة أساساً والتسلط عليها وذلك عن طريق بعض الوسائل :

" ١- توجيه باحثيهم القانونيين لبث نظريات حقوقية مستحدثة، من شأنها أن تساهم في تخفيف المسؤوليات الجنائية، الشخصية أو العامة وفي تمويه الحدود التي تقف عندها الحقوق الشخصية والحقوق العامة ... والغرض من ذلك أن تشيع الفوضى في البلاد، وتنزع مهابة السلطان من قلوب الناس .

٢- التلاعب بتفسير نصوص الدساتير والقوانين والأنظمة، تحت ستار ضرورة العمل بروح النص، لابحرفيته، ... وبهذه الوسيلة يستطيعون أن يسخروا وكلاءهم لتحقيق مايريدون .

٣- دفع صغار الأحلام المأجورين من الحاقدين أو الطائشين أو المراهقين أو الفوضويين إلى القيام على الدساتير والقوانين والأنظمة بثورات تحمل في جعبتها عوامل الدمار، فتلغي منها ماتشاء وتضع منها ماتشاء ، وتفرضه على الناس

---

(١) البروتوكول الثاني، ص ١٦٦-١٦٧.

بوسائل العنف"(١).

ثم إنهم تسلطوا بعد ذلك على الهيئات التنفيذية والتشريعية، جاء في البروتوكول العاشر مايلي : " فإذا آذينا أي جزء في الجهاز الحكومي فستسقط الدولة مريضة كما يمرض الجسم الإنساني ثم يموت "(٢).

ماذا كانت النتيجة من هذا كله ؟

ج – إذا فسد الحاكم، وفسد القانون الذي يحكم الناس، وأصبحت الأحزاب والهيئات التشريعية في صراعات وتناحر فيما بينها، فالنتيجة هي أن يعيش الناس في حيرة وفراغ فكري وعقدي، وستصبح الحالة الإجتماعية مزرية مما يمهد إلى فتن وظهور للصراعات الداخلية التي تضعف من موقف هذه الشعوب في التصدي لطغيان اليهود، وقد اعترف اليهود بذلك، فقد جاء في البروتوكول الخامس مايلي : " لقد بذرنا الخلاف بين كل واحد وغيره في جميع أغراض الأمميين الشخصية والقومية، بنشر التعصبات الدينية والقبلية خلال عشرين قرناً"(٣).

وقد أثرت هذه الصراعات الداخلية خارجياً حتى قامت الحروب بين الدول مع بعضها البعض وذلك لمصلحة اليهود، جاء في البروتوكول السابع: " في كل أوربا، وبمساعدة أوربا يجب أن ننشر في سائر الأقطار الفتنة والمنازعات والعداءات المتبادلة"(٤).

ثم ماذا كان نتيجة هذا كله؟ سقطت الدول الأممية في أيديهم، جاء في البروتوكول الأول: " وسواءٌ أنهكت الدولة الهزاهز الداخلية أم أسلمتها الحروب الأهلية

---

(١) عبدالرحمن حسن حبنكه، مكائد يهودية عبر التاريخ، الطبعة الأولى، ١٣٩٤، ١٩٧٤م، دار القلم، بيروت، ص ٣٩٩-٤٠٠.

(٢) البروتوكول العاشر، ص ٢٠٥.

(٣) البرتوكول الخامس، ص ١٨١.

(٤) البروتوكل السابع، ص ١٨٩.

إلى عدو خارجي، فإنها في كلتا الحالتين تعد خربت نهائياً كل الخراب، وستقع في قبضتنا"[١].

ويأتي اعترافهم في البروتوكولات بهذا الأمركأبلغ دليل على ماأرادوه وخططوا له، جاء في البروتوكول الخامس : " ولضمان الرأي العام يجب أولاً أن نحيره كل الحيرة بتغييرات من جميع النواحي لكل أساليب الآراء المتناقضة حتى يضيع الأمميون في متاهتهم، وعندئذ سيفهمون أن خير مايسلكون من طرق هو أن لايكون لهم رأي في المسائل السياسية: هذه المسائل لايقصد أن يدركها الشعب، بل يجب أن تظل من مسائل القادة الموجهين فحسب. وهذا هو السر الأول .

والسر الثاني – وهو ضروري لحكومتنا الناجحة – أن تتضاعف وتتضخم الأخطاء والعادات والعواطف والقوانين العرفية في البلاد، حتى لايستطيع إنسان أن يفكر بوضوح في ظلامها المطبق، وعندئذ يتعطل فهم الناس بعضهم بعضاً.

هذه السياسة ستساعدنا أيضاً في بذر الخلافات بين الهيئات، وفي تفكيك كل القوى المجتمعة، وفي تثبيط كل تفوق فردي، ربما يعوق أغراضنا بأي أسلوب من الأساليب.

لاشيء أخطر من الامتياز الشخصي، فإنه إذا كانت وراءه عقول فربما يضرنا أكثر مما تضرنا ملايين الناس الذين وضعنا يد كل منهم على رقبة الآخر ليقتله.

يجب أن نوجه تعليم المجتمعات المسيحية في مثل هذا الطريق: فكلما احتاجوا إلى كفء لعمل من الأعمال في أي حال من الأحوال سقط في أيديهم وضلوا في خيبة بلا أمل.

إن النشاط الناتج عن حرية العمل يستنفد قوته حينما يصطدم بحرية الآخرين ومن هنا تحدث الصدمات الأخلاقية وخيبة الأمل والفشل، بكل هذه الوسائل سنضغط

---

(١) البروتوكل الأول، ص ١٥٣.

المسيحيين، حتى يضطروا إلى أن يطلبوا منا أن نحكمهم دولياً، وعندما نصل إلى هذا المقام نستطيع مباشرة أن نستنزف كل قوى الحكم في جميع أنحاء العالم، وأن نشكل حكومة عالمية عليا"(١).

النظام السياسي بعد قيام دولتهم :

بعد أن اجترأ اليهود على النظم السياسية للأمميين بهدف تقويضها وخلخلة أركانها، فإنهم بعد أن تقوم دولتهم سيرتبون تنظيمات سياسية وإدارية تضمن لهم السيطرة على كل مرافقها .

ومن أهم ماذكروه في البروتوكولات بخصوص هذا الشأن :

١- تنظيم حكومة قوية لاتعترف بالحرية :

على عكس ماكان يروج له اليهود في بلدان الأمميين من تشجيع الناس على الحرية فإنهم سيعمدون إلى سحق هذه الكلمة باعتبار أنها كلمة تمسخ الشعوب إلى حيوانات متعطشة إلى الدماء، حتى تعظم سلطتهم فتستحيل استبداداً يبلغ من قوته أنه بإمكانه سحق المتمردين عليه من غير اليهود.

جاء في البروتوكول الثالث: " إن كلمة الحرية تزج بالمجتمع في نزاع مع كل القوى حتى قوة الطبيعة وقوة ا لله ، وذلك هو السبب في أنه يجب علينا – حين نستحوذ على السلطة – أن نمحق كلمة الحرية من معجم الإنسانية باعتبار أنها رمز القوة الوحشية الذي يمسخ الشعب حيوانات متعطشة إلى الدماء"(٢).

وجاء أيضاً في البروتوكول الخامس : " إننا سننظم حكومة مركزية قوية، لكي نحصل على القوى الإجتماعية لأنفسنا، وسنضبط حياة رعايانا السياسية بقوانين جديدة

---

(١) البروتوكول الخامس، الصفحات: ١٨٤-١٨٥-١٨٦.

(٢) البروتوكول الثالث، ص ١٧٦.

كما لو كانوا أجزاء كثيرة جداً في جهاز، ومثل هذه القوانين ستكبح كل حرية، وكل نزعات تحررية يسمح بها الأمميون، وبذلك يعظم سلطاننا فيصير استبداداً يبلغ من القوة أن يستطيع في أي زمان وأي مكان سحق الساخطين المتمردين من غير اليهود"[١].

٣- التفرد بالسلطة :

قرر اليهود في " البروتوكولات" الدستور الجديد الذي يعدونه للعالم وبعد ذلك لن تصبح هناك أي قوة أو إشارة إلى المعارضة لأن اليهود سيكونون هم المستحوذون على كل شيء ولن يسمحوا لأحد من الأمميين بمشاركتهم في السلطة .

جاء في البروتوكول الحادي عشر : " وها هو ذا برنامج الدستور الجديد الذي نعده للعالم، إننا سنشرع القوانين، ونحدد الحقوق الدستورية وننفذها بهذه الوسائل.

١- أوامر المجلس التشريعي المقترحة من الرئيس .

٢- التوسل بأوامر عامة، وأوامر مجلس الشيوخ ومجلس شورى الدولة، والتوسل بقرارات مجلس الوزراء .

٣- التوسل بانقلاب سياسي حينما تسنح اللحظة المناسبة ...

إنه ليلزمنا منذ اللحظة الأولى لإعلانه (أي الدستور الجديد) بينما الناس لايزالون يتألمون من آثار التغيير المفاجئ، وهم في حالة فزع وبلبلة أن يعرفوا أننا بلغنا من عظم القوة والصلابة والامتلاء بالعنف أفقاً لن ننظر فيه إلى مصالحهم نظرة احترام، سنريد منهم أن يفهموا أننا لن نتنكر لآرائهم ورغباتهم فحسب، بل سنكون مستعدين في كل زمان وفي كل مكان لأن نخنق بيد جبارة أي عبارة أو إشارة إلى المعارضة .

سنريد من الناس أن يفهموا أننا استحوذنا على كل شيء أردناه، وأننا لن نسمح لهم في أي حال من الأحوال أن يشاركونا في سلطتنا، وعندئذ سيغمضون عيونهم على

---

(١) البروتوكول الخامس، ص ١٧٩.

أي شيء بدافع الخوف، وسينتظرون في صبر تطورات أبعد"[١].

٣- سحق الممارسات والتنظيمات السياسية السرية :

سوف لن تسمح الحكومة اليهودية العالمية بقيام تنظيمات سياسية سرية جديدة، أما ماكان قائماً منها قبل ذلك مثل الماسونية[٢] وغيرها فإنها ستحل جميعها، وأعضاؤها سينفون إذ لاحاجة للحكومة الجديدة بها.

جاء في البروتوكول الخامس عشر مايلي : " إن تأليف أي جماعة سرية جديدة سيكون عقابه الموت أيضاً، وأما الجماعات السرية التي تقوم في الوقت الحاضر ونحن نعرفها والتي تخدم، وقد خدمت أغراضنا – فإننا سنحلها وننفي أعضاءها إلى جهات نائية من العالم، وبهذا الأسلوب نفسه سنتصرف مع كل واحد من الماسونيين الأحرار الأمميين الذين يعرفون أكثر من الحد المناسب لسلامتنا، وكذلك الماسونيين الذين ربما نعفو عنهم لسبب أو لغيره سنبقيهم في خوف دائم من النفي، وسنصدر قانوناً يقضي على كل الأعضاء السابقين في الجمعيات السرية بالنفي من أوربا حيث سيقوم مركز حكومتنا"[٣]، وهكذا ستكون نهاية الماسون إما النفي أو الموت بطريقة مريبة لايعرف حقيقتها سوى اليهود. جاء في البروتوكول الخامس عشر أيضاً مايلي : " إننا سنقدم الماسون الأحرار إلى الموت بأسلوب لايستطيع معه أحد – إلا الأخوة – أن يرتاب أدنى ريبة في الحقيقة، بل الضحايا أنفسهم أيضاً لايرتابون فيها سلفاً، إنهم جميعاً يموتون – حين يكون ذلك ضرورياً – موتاً طبيعياً في الظاهر حتى الإخوة – وهم عارفون كل الحقائق – لن يجرءوا على الاحتجاج عليها"[٤].

---

(١) البروتوكول الحادي عشر، ص ٢١٢-٢١٣.

(٢) ستأتي الإشارة إليها بعد ذلك في الفصل الثاني من الباب الثالث .

(٣) البروتوكول الخامس عشر، ص ٢٣٢.

(٤) البروتوكول الخامس عشر، ص ٢٣٩.

٤- عمل مقارنة بين الحكم الحالي والحكم السابق :

من أكثر الأشياء التي تبرز محاسن أي حكم هو مقارنته بالحكم السابق لتوضيح الأشياء المميزة فيه وتنبيه الناس إلى أن ذلك لم يكن موجوداً في السابق، وهذا ماتنبه له اليهود جيداً لذا فإنه عند قيام حكومتهم سيعمدون إلى إجراء مقارنة بينها وبين الحكومات الأممية السابقة لبيان فضل حكومتهم العالمية ومزاياها المتعددة .

جاء في البروتوكول الرابع عشر مايلي : " ثم سننشر في كل فرصة ممكنة مقالات نقارن فيها بين حكمنا النافع وذلك الحكم السابق، وأن حالة اليمن والسلام التي ستسود يومئذ – ولو أنها وليدة اضطراب قرون طويلة – ستفيد أيضاً في تبيين محاسن حكمنا الجديد، وسنصور الأخطاء التى ارتكبها الأمميون في إداراتهم بأفضح الألوان، وسنبدأ في إثارة شعور الازدراء نحو منهج الحكم السابق، حتى إن الأمم ستفضل حكومة السلام في جو العبودية على حقوق الحرية التي طالما مجدوها، فقد عذبتهم بأبلغ قسوة واستنزفت منهم ينبوع الوجود الإنساني نفسه، ومادفعهم إليها على التحقيق إلا جماعة من المغامرين الذين لم يعرفوا ماكانوا يفعلون ... وسنوجه عناية خاصة إلى الأخطاء التاريخية للحكومات الأممية التي عذبت الإنسانية خلال قرون كثيرة لنقص في فهمها أي شيء يوافق السعادة الحقة للحياة الإنسانية، ولبحثها عن الخطط المبهرجة للسعادة الإجتماعية لأن الأمميين لم يلاحظوا أن خططهم، بدلاً من أن تحسن العلاقات بين الإنسان والإنسان، لم تجعلها إلا أسوأ وأسوأ، وهذه العلاقات هي أساس الوجود الإنساني نفسه، إن كل قوة مبادئنا واجراءاتنا ستكون كاملة في حقيقة إيضاحنا لها على أنها مناقضة تماماً للمنهج المنحل الضائع للأحوال الإجتماعية السابقة"[١].

---

(١) البروتوكول الرابع عشر، ص ٢٢٩-٢٣٠.

٥- عدم التهاون في الجرائم السياسية أو سوء استخدام السلطة :

كما استفاد اليهود كثيراً من أولئك الاداريين والحاكمين الذي يسيئون استخدام ماوُلُّوا عليه، فإنهم سيكونون على نقيض ذلك في حكومتهم فلن يتهاونوا في الضرب بيد من حديد على من يسيء استخدام السلطة وكذا من يُتهم بجريمة سياسة. جاء في البروتوكول الخامس عشر مايلي : " وستكون كل قوانيننا قصيرة وواضحة وموجزة غير محتاجة إلى تفسير، حتى يكون كل إنسان قادراً على فهمها باطناً وظاهراً، وستكون السمة الرئيسية فيها هي الطاعة اللازمة للسلطة، وإن هذا التوقير للسلطة سيرتفع إلى قمة عالية جداً، وحينئذ ستتوقف كل أنواع اساءة استعمال السلطة، لأن كل إنسان سيكون مسئولاً أمام السلطة العليا الوحيدة، أي سلطة الحاكم، وإن سوء استعمال السلطة من جانب الناس ماعدا الحاكم سيكون عقابه بالغ الصرامة إلى حد أن الجميع سيفقدون الرغبة في تجريب سلطتهم لهذا الاعتبار"(١).

وجاء أيضاً في البروتوكول الثامن عشر مايلي : " إن حكومتنا ستعتقل الناس الذين يمكن أن تتوهم منهم الجرائم السياسية"(٢).

٦- مظاهر تكريم الملك باعتباره رمز السلطة العليا :

عندما كان اليهود يقفون خلف اختيار الحكام والمسؤولين الأمميين كان اختيارهم لأولئك القوم الذين تمتلئ صحائفهم بالمخازي بالإضافة إلى اتصافهم بصفات المكر والخداع والرياء فضلاً عن الاستبداد المطلق الذي يتسم به من يختارهم اليهود، وعلى العكس من ذلك فلكي يكون لملكهم ورمز سلطتهم جميع مظاهر الحب والتقدير والمكانة العالية وضع اليهود في البروتوكولات ماسَيُحاط به الملك من ذلك، جاء في البروتوكول الخامس عشر : " إن حكومتنا ستحمل مظهر الثقة الأبوية في شخص ملكنا، وستقدره

---

(١) البروتوكول الخامس عشر، ص ٢٤١.

(٢) البروتوكول الثامن عشر، ص ٢٦٢.

أمتنا ورعايانا فوق الأب الذي يعنى بسد كل حاجاتهم ويرعى كل أعمالهم، ويرتب جميع معاملات رعاياه بعضهم مع بعض، ومعاملاتهم أيضاً مع الحكومة، وبهذا سينفذ الاحساس بتوقير الملك بعمق بالغ في الأمة حتى لـن تستطيع أن تقوم بغير عنايته وتوجيهه، إنهم لايستطيعون أن يعيشوا في سلام إلا بـه وسيعترفون في النهاية بـه على أنه حـاكمهم الأوتقراطي المطلق ... ... ويوم يضع ملك إسرائيل على رأسه المقدس التاج الذي أهدته له كل أوربا – سيصير البطريرك[١] لكل العالم ... ... سيكون ملكنا على اتصال وطيد قوي بالناس، وسيلقي خطباً من فوق المنابر، وهذه الخطب جميعها ستذاع فوراً على العالم"[٢]، وجاء في البروتوكول السادس عشر :" ولكي ينال ملكنا مكانة وطيدة في قلوب رعاياه يتحتم أثناء حكمه أن تتعلم الأمة، سواء في المدارس والأماكن العامة، أهمية نشاطه وفائدة مشروعاته"[٣]، وكما فعل اليهود في السابق بأن بذروا بذور الخلاف بين القوتين الحاكمة والمحكومة، فإنهم سيجعلون هاتين القوتين في انسجام تام، جاء في البروتوكول الرابع والعشرين مايلي: " ولكي يكون الملك محبوباً ومعظماً من كل رعاياه يجب أن يخاطبهم جهاراً مرات كثيرة، فمثل هذه الاجراءات ستجعل القوتين في انسجام،

---

(١) البطريرك : " كلمة يونانية معناها: رئيس قبيلة، وهي لقب يلقب به آباء أو رؤوس الأجيال المذكورة في الكتاب المقدس من آدم إلى يعقوب، ثم بعد خراب أورشليم كانت لقباً يلقب به كبار الرؤساء الدينيين من اليهود في آسيا، وفي الأزمان الأولى للديانة المسيحية صارت لقباً لأساقفة رومية والقسطنطينية والإسكندرية وأنطاكية وأورشليم، وقد سمي بعض أساقفة غير من ذُكروا ببطاركة مع تمادي الزمان، وعلى الخصوص أساقفة الأمم المرتدة حديثاً، وللبطاركة في هذه الأيام السيادة على كل الأساقفة والمطارنة، ولكن سلطتهم لاتزيد إلا قليلاً عن حق عقد مجامع ومناظرة عمومية على أعمال من هم تحت سلطتهم من الأساقفة".
انظر: بطرس البناني، دائرة المعارف، مطبعة المعارف، ١٨٨١، ج٥/٤٧٧.

(٢) البروتوكول الخامس عشر، ص ٢٤٥-٢٤٦-٢٤٧.

(٣) البروتوكل السادس عشر ، ص ٢٥٠.

أعني قوة الشعب وقوة الملك اللتين قد فصلنا بينهما في البلاد الأممية بابقائنا كلاً منهما في خوف دائم من الأخرى، وقد كان لزاماً علينا أن نبقي كلتا القوتين في خوف من الأخرى لأنهما حين انفصلتا وقعتا تحت نفوذنا"[١].

(١) البروتوكل الرابع والعشرون، ص ٢٨٦-٢٨٧.

ثالثاً : خطط البروتوكولات فيما يخص الناحية الإجتماعية

يشمل الجانب الإجتماعي فيما يشمل: الدين والأخلاق وحياة الناس العامة، وقد كان لكل منها نصيبه ضمن تخطيط اليهود في" البروتوكولات"، فعندما تم التخطيط لنسف البنيان الاقتصادي الأممي، والسيطرة على مقدرات الشعوب المالية، وتحويل الثروات لأيدي اليهود، وأيضاً إنشاء الأحزاب المختلفة لإضفاء مزيد من التطاحن والتنافر بينها، وإلهاء الجمهور الأممي بذلك، ونشر القوانين والنظريات الفاسدة التي كانت عاملاً مساعداً لهدم البنيان السياسي الأممي، ولعلم اليهود التام أن هذه الأمور لن يحاربها سوى : الدين، ولعلمهم أيضاً أهمية العقائد في نفوس الناس وحياتهم، فقد نظموا في " البروتوكولات" خططاً أرادوا لها أن تقضي على هذا الجانب المهم، محاولين ماستطاعوا زعزعة القيم الدينية في النفس، بنشر الشبهات، وتشويه الحقائق الدينية، والاستهزاء بمن يحملون العلم الشرعي لكي يضعف أثرهم في عقول وقلوب الجماهير، بحيث يصبح امتداد هذا الأثر محدوداً، وعلى نطاق ضيق، ومُحارباً أيضاً من الأغلبية التي تنفذ خطط " البروتوكولات" عن غير بصيرة، وقد تم هذا لليهود بطرق منها :

- نشر الشبهات في أن الدين لايصلح لقيادة حياة الناس، وتشكيكهم في أديانهم عن طريق مايسمى بحرية العقيدة، جاء في البروتوكول السابع عشر مايلي : "اليوم تسود حرية العقيدة في كل مكان ولن يطول الوقت إلا سنوات قليلة حتى تنهار المسيحية بدداً انهياراً تاماً وسيبقي ماهو أيسر علينا للتصرف مع الديانات الأخرى"[1].

- تشويه صورة علماء الدين : عُني اليهود بالحط من قدر وكرامة علماء الدين، لعلمهم بأنهم العقبة الوحيدة في طريق تنفيذ مؤامراتهم، جاء في البروتوكول السابع عشر: " وقد عنينا عناية عظيمة بالحط من كرامة رجال الدين من الأمميين في أعين الناس، وبذلك نجحنا في الإضرار برسالتهم التي كان يمكن أن تكون عقبة

---

(١) البروتوكول السابع عشر، ص ٢٥٤.

كؤدا في طريقنا، وإن نفوذ رجال الدين على الناس ليتضاءل يوماً فيوم ... سنقصر رجال الدين وتعاليمهم له على جانب صغير جداً من الحياة، وسيكون تأثيرهم وبيلاً سيئاً على الناس حتى أن تعاليمهم سيكون لها أثر مناقض للأثر الذي جرت العادة بأن يكون لها"[١].

وطريقة مهاجمة هذه العقائد لن يكون مباشراً، بل سيكون عن طريق النقد، جاء في البروتوكول السابع عشر: " ولن نهاجم الكنائس القائمة الآن حتى تتم إعادة تعليم الشباب عن طريق عقائد مؤقتة جديدة، ثم عن طريق عقيدتنا الخاصة، بل سنحاربها عن طريق النقد الذي كان وسيظل ينشر الخلافات بينها وبالإجمال، ستفضح صحافتنا الحكومات والهيئات الأممية الدينية وغيرها"[٢].

وأوضح دليل على هذا عندما ثار مارتن لوثر[٣] على الكنيسة لإصدارها صكوك الغفران، مما جعله يؤسس مذهباً معارضاً للكنيسة الكاثوليكية، ووجد اليهود في هذا الأمر

---

(١) البروتوكول السابع عشر، ص ٢٥٣-٢٥٤.

(٢) البروتوكول السابع عشر، ص ٢٥٥ .

(٣) مارتن لوثر: ألماني ولد عام ١٤٨٣م، تنسب إليه فرقة البروتستانت ومعناها: المحتجون أو المعارضون لاحتجاجهم على الكنيسة الكاثوليكية في بعض الأمور، وقد ساعده اليهود، "فقد أصدر عام ١٥٢٣م كتاباً بعنوان – عيسى ولد يهودياً – يقول فيه : " إن الروح القدس أنزل كل أسفار الكتاب المقدس عن طريق اليهود وحدهم، إن اليهود هم أبناء الله، ونحن الضيوف الغرباء، ولذلك فإن علينا أن نرضى بأن نكون كالكلاب التي تأكل مما يتساقط من فتات مائدة أسيادها، كالمرأة الكنعانية تماماً ... ... وتتمسك الكنيسة الكاثوليكية باعتقادها بأن مايسمى بالأمة اليهودية قد انتهى، وأن الله طرد اليهود من فلسطين إلى بابل عقاباً على صلب المسيح، وتعتقد أيضاً أن النبوءات التي تتحدث عن العودة تشير إلى العودة من بابل، وأن هذه العودة قد تمت بالفعل على يد الأمبراطور الفارسي قورش ، ... فجاء مارتن لوثر وتنكر لهذا الاعتقاد، وطرح الإيمان بأن اليهود هم

=

فرصتهم، لكي يستغلوا الوضع، فسارعوا بوضع الأموال تحت تصرف لوثر وأتباعه، ومن المعلوم أن المذهب البروتستانتي يعتمد على العهد القديم، ويؤيد وجهة النظر القائلة بأن فلسطين هي أرض الموعد لليهود، بينما لاتؤيد ذلك الكنيسة الكاثوليكية، ولهذا أيّد اليهود لوثر وأتباعه، وذلك للحد من تسلط الكنيسة على الناس - باعتبارها عدواً لليهود في ذلك الوقت - ولزيادة هوة الصراع بين المسيحيين.

وبما أن العقل السليم لايستقيم في هذه المهاترات إلا إذا غلبت عليه الشهوات فقد بادر اليهود إلى استغلال ذلك بإرواء الشهوات ونشر الملهيات بين الأمميين لمحاولة صرفهم عن الأمور المهمة.

ومن هذه الملهيات : الخمر، القمار، الملاهي، النساء، نشر الأدب المريض، وغيرها. وهذه هي النقطة الثانية المهمة التي انتبه لها اليهود في تخطيطهم، وذلك بتدمير الجانب الأخلاقي لدى الأمميين، وقد اعترفوا بذلك في " البروتوكولات" حيث جاء في البروتوكول الأول مايلي : "ومن المسيحيين أناس قد أضلتهم الخمر، وانقلب شبانهم مجانين بالكلاسيكيات والمجون المبكر الذين أغراهم به وكلاؤنا ومعلمونا وخدمنا وقهرماناتنا في البيوتات الغنية وكتبتنا ومن إليهم، ونساؤنا في أماكن لهوهم وإليهن أضيف من يسمين نساء المجتمع والراغبات من زملائهم في الفساد والترف"[1].

وجاء أيضاً في البروتوكول الثالث عشر: " ولكي نبعدها عن أن تكشف بأنفسها أي خط عمل جديد سنلهيها أيضاً بأنواع شتى من الملاهي والألعاب ومزجيات الفراغ والمجامع العامة وهلم جرا، وسرعان ماسنبدأ الإعلان في الصحف داعين الناس إلى

= الأمة المفضلة، وأن عودتهم إلى أرض فلسطين تحقق وعد الله، وأن هذه العودة ضرورية لعودة المسيح وقيام مملكته مدة ألف عام ... وقد تغير موقف مارتن لوثر بعد ذلك من اليهود، ويعكس كتابه " اليهود وأكاذيبهم" الذي صدر عام ١٥٤٤م موقفه الجديد منهم وقد توفي مارتن لوثر عام ١٥٤٦م،انظر الصهيونية المسيحية -محمد السماك، ص٣٤-٣٥.

(١) البروتوكول الأول، ص ١٥٩-١٦٠.

الدخول في مباريات شتى في كل أنواع المشروعات كالفن والرياضة وما إليهما، هذه المتع الجديدة ستلهي ذهن الشعب حتماً عن المسائل التى سنختلف فيها معه، وحالما يفقد الشعب تدريجياً نعمة التفكير المستقل بنفسه سيهتف جميعاً معنا لسبب واحد: هو أننا سنكون أعضاء المجتمع الوحيدين الذين يكونوا أهلاً لتقديم خطوط تفكير جديدة"(١).

وقد قام اليهود بالفعل بالعمل على إفساد الأمميين بهذه الملهيات، ففي مجال الخمور قاموا بالمتاجرة بها وترويجها على نطاق واسع، مما سهل عليهم إفساد الناس، والتغطية على عقولهم، صرفاً لهم عن الأمور المهمة، يدلل على ذلك ضلوعهم المباشر في التجارة بها في الولايات المتحدة مثلاً، يقول هنري فورد: " كتب جون فوستر فريزر في كتاب " اليهودي الفاتح" الذي طبعته شركة فونك وداغنالز في عام ١٩١٦ يقول: إن اليهود هم المسيطرون على تجارة الويسكي في الولايات المتحدة، ويؤلف اليهود ثمانون في المائة من أعضاء الاتحاد العام لتجارة الخمور"(٢).

أما في مجال المسارح والأنشطة الفنية عموماً، فقد امتدت سيطرتهم عليها بإمتلاكهم المسارح، وتجارة الأشرطة السينمائية التي تتضمن موادها مايفسد الذوق العام، حيث ساهموا في صناعتها مروجين لأفكارهم ونظرياتهم من خلالها، يقول هنري فورد: "كان المسرح منذ عهد بعيد جزءاً من البرنامج اليهودي لتوجيه الأذواق العامة والتأثير على أفكار المجموع، ولايحتل المسرح مكانة خاصة فحسب في برنامج تعاليم حكماء صهيون وبروتوكولاتهم، بل إنه أيضاً الحليف المتأهب ليلة بعد ليلة وأسبوعاً بعد أسبوع لكل فكرة ترغب السلطة العاملة وراء الكواليس في نشرها ... ولاتقتصر سيطرة اليهود في أمريكا على مايدعى بالمسرح الشرعي، وإنما تتعداه أيضاً إلى صناعة الأشرطة السينمائية التي هي الخامسة في الأهمية بالنسبة إلى الصناعة الأمريكية"(٣).

---

(١) البروتوكول الثالث عشر، ص ٢٢٧ .

(٢) اليهودي العالمي، ص ١٩٨-١٩٩.

(٣) السابق، ص ١٦٢.

ثم إنهم كانوا وراء نشر الأدب الساقط بأنواعه من المقالة إلى القصة إلى الشعر وبامتلاكهم لدور النشر الكبرى ساهموا في نشره وتوزيعه على أكبر شريحة من الناس، معترفين بذلك في "بروتوكولاتهم" حيث قالوا: " وقد نشرنا في كل الدول الكبرى ذوات الزعامة أدباً مريضاً قذراً يغثي النفوس"[1].

أما عن حياة الناس العامة، فقد استغلوا مشاعر الحسد والحقد المتأججة بين الطبقات المختلفة، والذين كانوا أنفسهم من زرع هذه المشاعر وروى بذورها من قبل، جاء في البروتوكول الثالث: " ونحن نحكم الطوائف باستغلال مشاعر الحسد والبغضاء التي يؤججها الضيق والفقر، وهذه المشاعر هي وسائلنا التى نكتسح بها بعيداً كل من يصدوننا عن سبيلنا"[2].

وماذا كانت النتيجة من هذا كله ؟

إذا فسد علماء الدين، فإن هذا معناه – في نظرهم – أن الدين فاسد ولايصلح لقيادة الناس في الحياة، إذاً هم يروجون لمفاهيم مغلوطة من أجل ذلك يظل الإنسان في صراع دائم، ولكي يخمد هذا الصراع لابد وأن يكون الإنسان في غيبة نتيجة إرواء الشهوات، وعلى ذلك يصبح الفساد والخراب عاماً :

– فعلى مستوى الفرد : تصبح المادية هي المسيطرة وكذلك الانتهازية واللادينية، فلاينفع الإنسان نفسه ولا وطنه.

– وعلى مستوى المجتمعات : تصبح مجتمعاتٍ تغلى بمشاعر الكراهية، والحقد، والحسد، ولايكون هناك إنتاج ولا نماء ولا استقلالية .

– وعلى مستوى الدول : تصبح في تطاحن فيما بينها، وحروب من أجل بسط المزيد من النفوذ، والتحكم في الموارد الإقتصادية والمالية .

---

(١) البروتوكول الرابع عشر، ص ٢٣١.

(٢) البروتوكول الثالث، ص ١٧٢.

ولتحقيق هذه النتائج عمد اليهود إلى وسيلة فعالة جداً وهي: الصحافة.

استغلال سلطة الصحافة :

لما دبَّر اليهود مكائدهم وتخطيطهم لزلزلة النظام السياسي والكيان الإجتماعي للأمميين كانت لهم وسائل فعالة تضمن تنفيذ مخططهم وهذه الوسائل هي الإعلام بكافة أنواعه: المقروء (الصحف، الكتب) والمسموع (الإذاعة)، والمرئي (التلفزيون، السينما، المسرح)، وقد ركز اليهود في بروتوكولاتهم على الجانب المقروء مثل الصحافة والكتب للأسباب التالية :

١- ربما لأنها الوسيلة الوحيدة في ذلك الوقت .

٢- أو ربما لأنها تبقى فترة أطول من الوسائل المسموعة والمرئية والاستفادة منها أكبر.

٣- أو لأن أكثر قراءها من المثقفين .

فالصحافة لها من النفوذ والسيطرة على الأمة وعلى توجيه عقول الأفراد الوجهة التي تتبناها الشيء الكثير، وقد كانت لليهود معها معارك انتهت أخيراً لصالحهم، حيث أضحت كبريات الصحف ودور النشر أداة طيعة في أيديهم يديرونها كيف شاءوا، ويوجهونها الوجهة التي يريدون فكم من معارك قامت – وانتهت أيضاً – بتأثير الصحافة، وكم من الحكومات سقطت وأخرى اعتلت بسبب الصحافة أيضاً.

دور الصحافة في مفهوم واضعي البروتوكولات :

الصحافة هي المنبر الذي يوصل صوت المظلومين وشكاية الشاكين، وهي التي تبين الحاجات الحيوية للجمهور، جاء في البروتوكول الثاني: " إن الصحافة التي في أيدي الحكومة القائمة هي القوة العظيمة التي بها نحصل على توجيه الناس، فالصحافة تبين المطالب الحيوية للجمهور، وتعلق شكاوي الشاكين، وتولد الضجر أحياناً بين الغوغاء .

وإن تحقيق حرية الكلام قد ولد في الصحافة"[١]، وفي البروتوكول الثاني عشر: "إنها تقوم بتهييج العواطف الجياشة في الناس، وأحياناً بإثارة المجادلات الحزبية الأنانية التي ربما تكون ضرورية لمقصدنا"[٢]، ولما كانت لها الأهمية العظيمة تلك فقد صرح واضعوا البروتوكولات بأنهم سيقبضون على زمام السلطة الصحافية بلجمٍ حازمة فهي التي ستحقق لهم مايصبون من سيطرة سياسية واجتماعية ومالية .

جاء في البروتوكول الثاني : "... غير أن الحكومات لم تعرف كيف تستعمل هذه القوة بالطريقة الصحيحة، فسقطت في أيدينا، ومن خلال الصحافة أحرزنا نفوذاً، وبقينا نحن وراء الستار، وبفضل الصحافة كدسنا الذهب، ولو أن ذلك كلفنا أنهاراً من الدم فقد كلفنا التضحية بكثير من جنسنا، ولكن كل تضحية من جانبنا تعادل آلافاً من الأمميين أمام ا لله"[٣]. وأيضاً جاء عنهم : "إننا سنسرجها وسنقودها بلجم حازمة"[٤].

وقد عمل اليهود جاهدين للسيطرة على الصحافة، ويمكن أن نجمل ذلك فيما يلي:

أولاً: الهيمنة على المؤسسات الصحفية ودور النشر:

عمد اليهود إلى شراء المؤسسات الصحفية ودور النشر أو تأسيسها وكان ذلك عن طريق فرض الغرامات والرسوم والتأمينات، حتى أصبح جميع ماينشر سواءً كان من الصحف والكتب أم الدوريات تحت تصرفهم وتحت مراقبتهم أيضاً، جاء في البروتوكول الثاني عشر : " وسيكون علينا أن نظفر بإدارة شركات النشر الأخرى فلن ينفعنا أن نهيمن على الصحافة الدورية بينما لانزال عرضة لهجمات النشرات والكتب، وسنحول

(١) البروتوكول الثاني، ص ١٦٧.
(٢) البروتوكول الثاني عشر، ص٢١٥.
(٣) البروتوكول الثاني، ص ١٦٧-١٦٨.
(٤) البروتوكول الثاني عشر، ص ٢١٦.

إنتاج النشر الغالي في الوقت الحاضر مورداً من موارد الثروة يدر الربح لحكومتنا، بتقديم دمغة معينة وبإجبار الناشرين على أن يقدموا لنا تأميناً، لكي نؤمن حكومتنا من كل أنواع الحملات من جانب الصحافة، وإذا وقع هجوم فسنفرض عليها الغرامات عن يمين وشمال، إن هذه الإجراءات كالرسوم والتأمينات والغرامات ستكون مورد دخل كبير للحكومة"(١).

ثانياً : مراقبة كل ماسينشر :

متى مافرضت الوصاية والهيمنة على المطبوعات بمختلف أنواعها فإن ذلك سيؤدي حتماً إلى مراقبة جميع ماينشر من أجل ذلك أنشأ اليهود الوكالات الإخبارية المتعددة والتي مهمتها أن تتركز فيها الأخبار من كل أنحاء العالم، حتى أن أشهر هذه الوكالات وهي وكالة "رويتر" مؤسسها يهودي اسمه " فون رويتر " وذلك في عام ١٨٥٨م في لندن .

جاء في البروتوكول الثاني عشر: " ولن يصل طرف من خبر إلى المجتمع من غير أن يمر على إدارتنا، وهذا ماقد وصلنا إليه حتى في الوقت الحاضر كما هو واقع: فالأخبار تتسلمها وكالات قليلة تتركز فيها الأخبار من كل أنحاء العالم، وحينما نصل إلى السلطة ستنضم هذه الوكالات إلينا، ولن تنشر إلا مانختار نحن التصريح به من الأخبار"(٢).

ثالثاً : تصنيف الصحف:

ستكون صحافة اليهود على أنواع ثلاثة، ولكل منها اختصاصها المسؤولة عنه، وهي:

---

(١) البروتوكول الثاني عشر، ص ٢١٦.

(٢) البروتوكول الثاني عشر، ص٢١٧.

– الصحافة الرسمية: مهمتها الدفاع عن مصالح اليهود، ولذلك لن يكون لها نفوذ واسع على مستوى الشعب .

– الصحافة شبه الرسمية : ومهمتها استمالة الناس المحايدين الذين ليس لهم انتماء لأي فريق.

– الصحافة المعارضة : ومهمتها أنها تبدى معارضتها لليهود في الظاهر في حين أنها ستساعد في كشف أعدائهم وذلك لأن المعارضين لهم سيتخذونها منبراً لعرض آرائهم، فيساهمون بذلك في كشف أوراقهم أمام اليهود من حيث لايشعرون.

جاء هذا في البروتوكول الثاني عشر : " وفي الصف الأول سنضع الصحافة الرسمية، وستكون دائماً يقظة للدفاع عن مصالحنا، ولذلك سيكون نفوذها على الشعب ضعيفاً نسبياً. وفي الصف الثاني سنضع الصحافة شبه الرسمية التي سيكون واجبها استمالة المحايد وفاتر الهمة، وفي الصف الثالث سنضع الصحافة التي تتضمن معارضتنا، والتي ستظهر في إحدى طبعاتها مخاصمة لنا، وسيتخذ أعداؤنا الحقيقيون هذه المعارضة معتمداً لهم، وسيتركون لنا أن نكشف أوراقهم بذلك"[1].

رابعاً : إنشاء الصحف المؤيدة لكل طائفة :

سوف تكون لكل طائفة ومذهب صحيفة تؤيده وتنطق بلسانه حتى تكون صحفهم كما أوردوا مثل الإله "فشنو"، له مئات الأيدي، وكل يد ستجس الرأي العام المتقلب.

جاء في البروتوكول الثاني عشر: " ستكون لنا جرائد شتى تؤيد الطوائف المختلفة من أرستقراطية وجمهورية، وثورية، بل وفوضوية أيضاً وسيكون ذلك طالما أن الدساتير قائمة بالضرورة، وستكون هذه الجرائد مثل الإله "فشنو "، لها مئات الأيدي وكل يد

---

(١) البروتوكول الثاني عشر، ص ٢٢٠.

ستجس نبض الرأي العام المتقلب"[١].

بمثل هذه الطرق سيطر اليهود على الصحافة، واستغلوها لحسابهم وقد بدا ذلك واضحاً في البلدان الأوربية التي لم تسلم صحافتها من أذاهم وسيطرتهم.

جاء في كتاب " خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية " مايلي: " جاء في نشرة شهرية أصدرتها جمعية نشر المسيحية بين اليهود بتاريخ ابريل ١٨٤٦م أي قبل أكثر من ١١٨ سنة مايلي : إن الصحافة اليومية السياسية في أوربا واقعة إلى حد كبير تحت سيطرة اليهود، وإذا حاول أديب ما أن يجازف ويسعى للوقوف في طريق اليهود للاستيلاء على القوى السياسية فإنه سرعان مايتعرض لهجوم إثر هجوم من قبل الصحف الرئيسية في أوربا"[٢].

ولذلك نجد أنه في فرنسا يوجد ٣٦ جريدة ومجلة يهودية خالصة حيث أنهم "لم يكتفوا بالسيطرة على الجرائد الفرنسية نفسها وإنما أنشأوا جرائد يومية يهودية خالصة ومجلات يهودية أسبوعية وشهرية "[٣].

أما في أمريكا فقد أنشأوا العديد من الصحف، والتي لم يستطيعوا شراءها تحكموا فيها عن طريق الإعلان، يقول هنري فورد : " والعمل الصحفي عمل تجاري وهناك مواضيع لاتستطيع الصحف التعرض إليها إذ يهددها هذا التعرض بأن تغدو صحيفة فاشلة، وقد أصبح هذا حقيقة واقعة لاسيما بعد أن غدا المعلن لا القارئ هو العمود الفقري للصحيفة، فالمبلغ الذي يدفعه القارئ ثمناً للصحيفة لايكاد يفي بثمن الورق الذي تطبع عليه .

وعلى هذا فليس في وسع الصحيفة أن تتجاهل المعلنين، ولما كان معظم المعلنين

---

(١) البروتوكول الثاني عشر، ص ٢٢٠-٢٢١.

(٢) خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية، ص١٨٢-١٨٣.

(٣) السابق، ص ١٩٢-١٩٣.

الكبار في نيويورك هم أصحاب الحوانيت الكبيرة التي تبيع مختلف السلع، ولما كان معظم هؤلاء من اليهود يغدو من المنطق أن يصبح لليهود تأثير على ماتنشره الصحف التي يتعاملون معها من أنباء"(١).

النظام الإجتماعي بعد قيام دولتهم:

عمل اليهود على تقويض النظام الإجتماعي للأمميين بادئين بالدين ومايمكن أن يحدثه محو كل أثر للعقيدة في نفوس الناس، ثم عن طريق الأخلاق بحيث نشروا كل أنواع الفتن والمفاسد والملهيات لإرواء شهوات الأمميين بحيث تصرف أنظارهم عما يخطط لهم من مكائد.

لذلك اتخذوا عدداً من الإجراءات والتى تحول دون انهيار الكيان الإجتماعي في حكومة اليهود العالمية مثل :

١- لن يكون هناك سوى دين اليهود:

بعد أن رسخ في أذهان الأمميين فساد الأديان والعقائد بتأثير مباشر من اليهود فإنه لن يكون هناك من دين سوى الدين اليهودي فقط، جاء في البروتوكول الرابع عشر: "حينما نمكن لأنفسنا فنكون سادة الأرض لن نبيح قيام أي دين غير ديننا، أي الدين المعترف بوحدانية ا لله الذي ارتبط باختياره إيانا كما ارتبط به مصير العالم"(٢).

وبما أن أول ماابتدأ به اليهود لتحطيم الأديان هو نشر المذاهب التحررية كحرية العقيدة فإن هذا الأمر لن يكون مسموحاً به في دولتهم.

جاء في البروتوكول الثاني والعشرين مايلي : " وكذلك مقام الإنسان وقوته لايعطيانه الحق في نشر المبادئ الهدامة كحرية العقيدة والمساواة ونحوها من الأفكار"(٣).

---

(١) اليهودي العالمي، ص ٢٤٥-٢٤٦.
(٢) البروتوكول الرابع عشر، ص٢٢٨.
(٣) البروتوكول الثاني والعشرون، ص٢٨١.

٢- استئصال الميول التحررية :

شجَّع اليهود فيما سبق كل محاولة ذات ميول تحررية تهدف إلى إيهام الناس بالحرية، لذلك لن تجد مثل هذه الدعوات أي صدى في حكومتهم بل سَتُستَأصل كل محاولةٍ من هذا النوع، جاء في البروتوكول الخامس عشر: " وسنستأصل كل الميول التحررية من كل هيئة خطيرة في حكومتنا للدعاية التى قد تعتمد عليها تربية من سيكونون رعايانا. وستكون المناصب الخطيرة مقصورة بلا استثناء على من ربيناهم تربية خاصة للادارة"[١].

٣- اعتماد أعمال التجسس وسيلة فعالة :

لليهود مع التجسس تاريخ طويل، وهم إذ يعتمدون هذا الأسلوب فإنه ليس بغريب عليهم، لذلك عندما تقوم حكومتهم سينتشر فيها الجواسيس لإبلاغ السلطات عن أي محاولة تهدف إلى التخريب أو الثورة عليها، وسيختار أولئك الجواسيس من جميع الطبقات بلا استثناء .

جاء في البروتوكول السابع عشر مايلي: " ويستميل برنامجنا فريقاً ثالثاً من الشعب لمراقبة ماقد ينبغي من إحساس خالص بالواجب ومن مبدأ الخدمة الحكومية الإختيارية، ويومئذٍ لن يعتد التجسس عملاً شائناً بل على العكس من ذلك سينظر إليه كأنه عمل محمود، ومن الجهة الأخرى سيعاقب مقدمو البلاغات الكاذبة عقاباً صارماً، حتى يكف أصحاب البلاغات عن استعمال حصانتهم استعمالاً سيئاً، وسيختار وكلاؤنا من بين الطبقات العليا والدنيا على السواء، وسيتخذون من بين الإداريين والمحررين والطابعين، وباعة الكتب، والكتبة، والعمال، والحوذية، والخدم، وأمثالهم"[٢].

---

(١) البروتوكول الخامس عشر، ص٢٤٤.

(٢) البروتوكول السابع عشر، ص٢٥٦.

٤- التوجيه إلى دراسة مشكلات المستقبل والتاريخ القديم:

حينما يحطم اليهود النظم التربوية والتعليمية للأمميين سيوجهون بدراسة المشاكل المستقبلية لإيجاد الحلول المناسبة لها. وفي الوقت نفسه سيقومون بدراسة التاريخ وذلك في محاولة منهم لربط الحاضر بالماضي الأسود الذي كان موجوداً حينما كانت الحكومات الأممية تحكمهم ومن ثم عقد مقارنة لبيان أن الشعب في الحاضر يعيش أزهى وأسعد أيامه في ظل الحكومة اليهودية العالمية.

جاء في البروتوكول السادس عشر مايلي : " وسنتقدم بدراسة مشكلات المستقبل بدلاً من الكلاسيكيات وبدراسة التاريخ القديم الذي يشتمل على مُثل سيئة أكثر من اشتماله على مُثل حسنة، وسنطمس في ذاكرة الإنسان العصور الماضية التى قد تكون شؤماً علينا، ولانترك إلا الحقائق التي ستظهر أخطاء الحكومات في ألوان قاتمة فاضحة"[١].

٥- تقليل مواد الترف والملهيات:

لقد أشاع اليهود التعري والسكر والقمار وجميع مواد الترف والملهيات بأنواعها وذلك في محاولة منهم لإغراق الأمميين في الشهوات وصرف نظرهم عن الأمور المهمة والأخطار التي تتربص بهم، أما عندما تقوم حكومتهم فلن تكون مثل هذه الأشياء موجودة إلا نادراً حتى يعتاد الشعب على الحشمة وعلى الحياء وعلى الأخلاق مما كان اليهود عاملاً في إفسادها سابقاً.

جاء في البروتوكول الثالث والعشرين : " يجب أن يدرب الناس على الحشمة والحياء كي يعتادوا الطاعة، ولذلك سنقلل مواد الترف، وبهذه الوسائل أيضاً سنفرض الأخلاق التي أفسدها التنافس المستمر على ميادين الترف"[٢].

---

(١) البروتوكول السادس عشر، ص ٢٤٩.

(٢) البروتوكول الثالث والعشرون، ص ٢٨٢.

وهناك أيضاً بعض التنظيمات الإدارية والتي تمس الجانب الإجتماعي ومنها مايلي:

١- في مجال التعليم:

سيفرض على كل طبقة أن تتعلم منفصلة حسب مركزها، جاء في البروتوكول السادس عشر: " وسيفرض على كل طبقة أو فئة أن تتعلم منفصلة حسب مركزها وعملها الخاصين"(١).

أما رؤساء الجامعات وأساتذتها فسيكونون معدين إعداداً خاصاً، جاء في البروتوكول السادس عشر أيضاً : " وسيكون رؤساء الجامعات وأساتذتها معدين إعداداً خاصاً وسيلته برنامج عمل سري متقن سيهذبون ويشكلون بمقتضاه ولن يستطيعوا الإنحراف عنه بغير عقاب وسيرشحون بعناية بالغة"(٢).

٢- في مجال القضاء:

لن يخدم القضاة وأعضاء القانون في المحاكم بعد سن الخامسة والخمسين، ومن يريد منهم أن يحتفظ بمنصبه يجب عليه أن يطيع اليهود طاعة عمياء، جاء في البروتوكول الخامس عشر: " لن يخدم أعضاء القانون في المحاكم بعد سن الخامسة والخمسين للسببين الآتيين :

أولهما: أن الشيوخ أعظم إصراراً وجموداً في تمسكهم بالأفكار التى يدركونها سلفاً، وأقل اقتداراً على طاعة النظم الحديثة .

ثانيهما: أن مثل هذا الإجراء سيمكننا من إحداث تغييرات عدة في الهيئة، الذين سيكونون لذلك خاضعين لأي ضغط من جانبنا، فإن أي إنسان يرغب في الاحتفاظ بمنصبه سيكون عليه كي يضمنه أن يطيعنا طاعة عمياء، وعلى العموم سيختار قضاتنا من

---

(١) البروتوكول السادس عشر، ص ٢٤٩-٢٥٠.

(٢) البروتوكول السادس عشر، ص ٢٤٨.

بين الرجال الذي يفهمون أن واجبهم هو العقاب وتطبيق القوانين"[١].

٣- أما عن الموظفين :

فسيتم تغييرهم بصفة مستمرة لكي لايحدث أي نوع من الاتحاد بينهم، جاء في البروتوكول الخامس عشر : " إن نظام تغيير الموظفين يساعدنا أيضاً في تدمير أي نوع للاتحاد يمكن أن يؤلفوه فيما بين أنفسهم، ولن يعملوا إلا لمصلحة الحكومة التى ستتوقف حظوظهم ومصائرهم عليها"[٢].

٤- في مجال المحاماة :

سيتم وضع المحامين على قدم المساواة مع الموظفين المنفذين، فلن يسمح لهم بمقابلة عملاءهم، أما الأجر فهو محدد سلفاً بغض النظر عن نجاح دفاع القضية أو عدم نجاحه.

جاء في البروتوكول السابع عشر مايلي : " وسنضع المحامين على قدم المساواة مع الموظفين المنفذين والمحامون – مثلهم مثل القضاة – لن يكون لهم الحق في أن يقابلوا عملاءهم ولن يتسلموا منهم مذكراتهم إلا حينما يعينون لهم من قبل المحكمة القانونية، وسيدرسون مذكرات من عملائهم بعد أن تكون النيابة قد حققت معهم، مؤسسين دفاعهم عن عملائهم على نتيجة هذا التحقيق وسيكون أجرهم محدداً دون اعتبار بما إذا كان الدفاع ناجحاً أم غير ناجح"[٣].

تلك كانت أهم المخططات التي أودعها اليهود في محاضر جلساتهم لمحاصرة الأمميين، وتضييق الخناق عليهم في الجوانب المتعددة الإقتصادية والسياسية والإجتماعية، والتي بدأوا بالفعل القيام ببعضها وانتهوا منه، ومازالوا يقومون بالتخطيط للبقية الباقية وتنفيذها فعلاً وواقعاً مشاهداً، مالم ينتبه لذلك القائمون على أمر تلك البلدان ويحتاطوا ويأخذوا للأمر عدته.

---

(١) البروتوكول الخامس عشر، ص٢٤٢-٢٤٣.

(٢) البروتوكول الخامس عشر، ص ٢٤٣.

(٣) البروتوكول السابع عشر، ص ٢٥٣.

خاتــمة الفصــل :

من خلال استعراض ماورد في البروتوكولات يتضح الآتي :

١- يعتمد اليهود في مخططاتهم بالبروتوكولات على وضع مرحلتين مهمتين هما :

- مرحلة الإفساد الهدف منها إقامة الدولة .

- مرحلة مابعد إقامة الدولة، وتنظيم أمورها بما يكفل عدم وقوعها في الأخطاء التي وقع فيها الأمميون من قبل.

وكلتا المرحلتين تنتهجان أسلوب التدرج والإحكام وصولاً للهدف .

٢- عرف اليهود ماللمال من مكانة كبرى، فأعدوا للأمر عدته، بحيث أصبحوا أكثر الناس ثراءً مما مكنهم من إقراض الدول المحتاجة، بعد أن خططوا لإضعافها اقتصادياً ومن ثم طلبها للقروض، فلم يكن أمامها من تقترض منه سوى اليهود، وبذلك تمكنوا من فرض الشروط التي يريدونها وسلب الأموال والثروات الطبيعية، وذلك بعد أن فرضوا فوائد خيالية على هذه القروض لم تستطع معها تلك الدول الوفاء بها .

٣- كان للبروتوكولات أيضاً نصيب في وضع الخطط التي تكفل اختيار القياديين في الدول الأممية وذلك بوضع شروط خاصة يُختار من يتصف بها لقيادة تلك الشعوب.

٤- إجتماعياً : استغل اليهود بعض الأفكار المنحرفة وذلك بنشرها بين الناس حتى تضعف أخلاقهم ومن ثم يسهل السيطرة عليهم ولأن الدين هو الحصن المنيع الذي يقف في وجوههم فقد عمدوا إلى نشر الشبه حوله محاولة لإضعاف مكانته في النفوس حتى يسهل قيادة الشعوب الأممية إلى مايريدون.

٥- عمد اليهود من خلال اعترافهم في البروتوكولات إلى نشر الشبهات وشتى أنواع الملهيات بين الأمميين لصرفهم عن الأمور المهمة بالنسبة لهذه الأمم، وحتى يسهل

من ثم اختراق صفوفهم بما يكفل عدم تفكيرهم بمصائرهم ومقدراتهم التي ستكون تحت رحمة اليهود.

٦- عرف اليهود منذ وقت طويل ما للصحافة والكتب من دور خطير فحرصوا على أن تكون لهم اليد الطولى في امتلاك أهم الصحف ودور النشر بحيث لاينشر على الجمهور إلا مايريدونه هم، ولاتعود الشعوب الأممية تنظر لما حولها إلا من خلال نظرة اليهود فقط.

٧- هدف واضعي البروتوكولات من ذلك كله هو إعادة مجد صهيون وإقامة مملكة داود على الأرض، وهو الهدف نفسه الذي تسعى له كل من التوراة والتلمود، فالهدف واحد وإن تعددت الأساليب.

٨- كانت تلك أهم خطوات مخطط اليهود في البروتوكولات، وتوضيح مثل هذه الأمور إنما يعني أن كثيراً من هذه المخططات قد تم تنفيذه على أرض الواقع، ولكن لابد من التأكيد على أن اليهود مهما بلغوا من الذكاء والمهارة في حبك المؤامرات والتخطيط لها فإن هذا لايعني أن كل الأمور أصبحت في أيديهم تماماً لأنه لابد في أي مكان من أصوات عاقلة تنبه على الخطأ وتحض على تصحيحه يحصل هذا في كثير من الأماكن، فالأمر ليس تهويلاً لقدرات اليهود بقدر ماهو حرص على عدم التهوين من شأنهم فقد قيل: ومعظم النار من مستصغر الشرر.

خاتمة الباب الثاني :

إن مصادر اليهود المقدسة (التوراة والتلمود) وخططهم في البروتوكولات تحدد بوضوح تام علاقة اليهود بغيره من الأمم، فالتوراة تحضه على التعالي واحتقار الآخرين فكل علاقة لليهود بغيرهم إنما تتم وفق هذه النظرة، ويأتي التلمود مفصلاً لجزئيات تلك العلاقة فبين أن الأصل في تعامل اليهودي مع غيره هو القتل والإفناء لاغير مادام اليهودي قادراً على ذلك، أما إن كانت المواجهة لاتصب في مصلحته، فإنه في هذه الحالة يجب ويتأكد عليه استخدام قواعد النفاق والخداع مااستطاع لذلك سبيلاً، وهي قواعد أَصَّلَها التلمود ووضحها، وذلك حتى يتمكن اليهودي من الوصول لهدفه وغايته.

وتأتي البروتوكولات خطة يسعى اليهود من خلالها إلى السيطرة على العالم وذلك عن طريق تخريبه وإفساده في جميع جوانب الحياة المتعددة، السياسية، والإقتصادية، والإجتماعية. وقد كان نصيب هذه الخطط النجاح في كثير من مراحلها.

وهذه المصادر عند اليهود تجمع على كون العنصر اليهودي يفوق باقي الأجناس ويتميز عنها، ثم هي تؤكد أن الأمم الأخرى ماخلقت إلا لخدمة اليهود فقط، وهي تمهد لليوم الذي تسيطر فيه على العالم وعلى ثرواته بحيث يصبح اليهودي هو سيد الكون وبقية الناس عبيداً له.

ومن ذلك كله أستطيع أن أقول بإيجاز مايلي:

١- المصادر اليهودية المقدسة (العهد القديم – التلمود) والبروتوكولات تجمع على أن العنصر الإسرائيلي أعلى قدراً وأهم شأناً من باقي الأمم وبالتالي فهي لاتتساوى معه بحال من الأحوال .

٢- هذه المصادر تتفق أيضاً على أن مصير غير اليهودي في حال تسلط اليهود لايخرج عن أمرين هما : القتل أو العبودية .

٣- الغاية التي تريد هذه المصادر الوصول إليها هي : القضاء على الأمم الأخرى أو تسخيرها واستعبادها وصولاً إلى حكم العالم، والسيطرة عليه وإقامة مملكة إسرائيل التي يحكمها ملك من نسل داود .

٤- أصَّلت هذه المصادر للنظريات التي يتوجب على اليهودي أن يستخدمها للوصول إلى هذه الغاية مثل : القتل والخداع والنفاق والتجسس والغدر والخيانة واستخدام الربا والنساء والتحايل والإفساد بكل صورة في جميع الجوانب التي تمس حياة الإنسان .

الباب الثالث

بين النظرية والتطبيق

الفصل الأول

موقف اليهود من الإسلام في الصدر الأول

مقدمة :

أرسل ا لله تعالى رسوله محمداً ﷺ ، بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، وبدأ رسول ا لله ﷺ جهاده بالدعوة في مكة، وظل فترة من الزمن لم يؤمن به إلا قليل، حيث لاقى من تعنت قريش وأذاها وصلفها الشيء الكثير، وعندما أذن ا لله –تعالى– له بالهجرة إلى يثرب استقبله أهلها بالترحاب والاستبشار بمقدمه، حيث سبقت لهم مبايعته قبل ذلك، كما أن الإسلام قد دخلها قبل مقدمه ﷺ إليها، وكان الأوس والخزرج – الذين سموا الأنصار فيما بعد – أهل يثرب، ونواة الإسلام الأولى الذين ناصروا الرسول محمداً ﷺ، ودينه ، وأعز ا لله الإسلام على أيديهم، وقدموا أرواحهم فداءً للدين وإعلاءً لكلمة ا لله –تعالى –، في مقابل ذلك كانت هناك فئة أخرى من سكان يثرب لم تَرُق لهم دعوة النبي ﷺ ، ولم يكن موقفهم من الإسلام إلا موقف الرفض والاستعلاء حسداً من عند أنفسهم، واستكباراً عن الحق، وهذه الفئة هي قبائل اليهود المنتشرين في المدينة وماجاورها كخيبر، وفدك، وتيماء، واليهود أهل كتاب، وكانوا يرون أنفسهم فوق العرب الوثنيين، وكثيراً ماردّدوا على مسامعهم أن نبياً سيخرج، وسيتبعونه ويقاتلون معه أولئك العرب، وكانوا ينتظرون مبعثه، فلما أرسل ا لله – تعالى – رسوله محمداً ﷺ من العرب إلى الناس كافة كانوا أول كافرٍ به، يقول ا لله – تعالى – ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[1].

فلم تزدهم دعوة النبي ﷺ إلا نفوراً وصداً عن سبيل ا لله –تعالى–، ولم يزدهم تعامل رسول ا لله ﷺ المسالم إلا صلفاً، ولأنه ليس لهم القدرة على مواجهة الإسلام علناً، بسبب مايتصفون به من الضعف والجبن والخور، فقد أخذوا في تدبير المكائد والحيل، لزعزعة ثقة المسلمين في أنفسهم ودينهم، حتى يسهل عليهم اختراق صفوف المسلمين،

---

(١) البقرة، ٨٩ .

والقضاء على الإسلام الذي ماكانوا يكنون له في صدورهم إلا الغيظ والحقد، لذا ليس عجباً أن ينبه القرآن الكريم وفي مواضع كثيرة على أخلاق اليهود، وسوء طويتهم، وفساد نياتهم وأعمالهم سواءً مع أنبيائهم السابقين أم في مواجهتهم مع الإسلام والمسلمين بعد ذلك، وقد اشتمل القرآن الكريم على بيان تلك الصور التي تتحدث عنهم تجلية لحقيقتهم أمام المسلمين كيما يأخذوها في اعتبارهم عند التعامل معهم، وسيتضح هذا - إن شاء ا لله تعالى - من خلال استعراض لبعض المواقف التي حصلت بين المسلمين واليهود في عصر صدر الإسلام، وللتعرف على أولئك القوم، وعلاقتهم بالعرب قبل الإسلام، وبالمسلمين بعده لابد قبلها من الإشارة إلى أحوالهم، وسبب مجيئهم جزيرة العرب، وسكناهم فيها، ومن ثم ماحصل منهم بعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة النبوية بعد ذلك، وهو ماسيكون عنه الحديث خلال هذا الفصل - إن شاء ا لله -.

حال اليهود في جزيرة العرب قبل الإسلام:

اليهود أهل كتاب، وليس للعرب قبل الإسلام كتاب مثلهم، ومن هذا المنطلق كانت نظرتهم لمن حولهم من قبائل الجزيرة العربية نظرة استعلاء وتكبر، وتفاخر بالعلم الذي يحملونه في صدورهم، ولكن لم يستفيدوا منه، يقول ا لله تعالى : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لايَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾(١)،

يقول ابن كثير عند تفسيره لهذه الآيات: " يقول تعالى ذاماً لليهود الذين أعطوا التوراة وحملوها للعمل بها ثم لم يعملوا بها مثلهم في ذلك كمثل الحمار يحمل أسفاراً أي كمثل الحمار إذا حمل كتباً لايدري مافيها فهو يحملها حملاً حسياً ولايدري ماعليه، وكذلك هؤلاء في حملهم الكتاب الذي أوتوه حفظوه لفظاً ولم يتفهموه ولاعملوا بمقتضاه بل أولوه وحرفوه وبدلوه فهم أسوأ حالاً من الحمير لأن الحمار لافهم له وهؤلاء لهم فهوم لم يستعملوها"(٢).

إذن ومن منطلق ذم ا لله – تعالى – لهم بأنهم لم يحفظوا التوراة، ولم يعملوا بمقتضاها تتضح الحالة التي كان عليها اليهود في ذلك الوقت والتي لم تقتصر على حالتي الصلف والكبر اللتين كانوا يمارسونهما بل إنهم كانوا يستفتحون على الذين كفروا بأن نبياً سيبعث ويكونوا هم أول من يؤمن به ويتبعه، يقول – تعالى –: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾(٣).

---

(١) الجمعة، آية ٥ .

(٢) ابن كثير، ج٤/ ٣٦٤.

(٣) البقرة، ٨٩ .

روى ابن إسحاق بسنده: " أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول ا لله ﷺ قبل مبعثه، فلما بعثه ا لله من العرب كفروا به، وجحدوا ماكانوا يقولون فيه، فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن معرور أخو بني سلمة: يامعشر يهود، اتقوا ا لله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل شرك، وتخبروننا أنه مبعوث، وتصفونه لنا بصفته، فقال: سلام بن مشكم، أحد بني النضير: ماجاءنا بشيء نعرفه وماهو بالذي كنا نذكره لكم، فأنزل ا لله في ذلك من قولهم: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ .... الآية﴾"[١]. وكان هؤلاء اليهود قد سكنوا المدينة منذ وقت طويل، وقد ذكر المؤرخون عدة أسباب في وجودهم، أورد " السمهودي" عدة روايات في ذلك، يقول: "حكى ياقوت عن بعض علماء الحجاز من يهود أن سبب نزولهم الحجاز أن ملك الروم حين ظهر على بنى إسرائيل وملك الشام خطب إلى بني هارون وفي دينهم أن لايزوجوا النصارى، فخافوه وأنعموا له، وسألوه أن يشرفهم بإتيانه إليهم فأتاهم ففتكوا به وبمن معه ثم هربوا حتى لحقوا بالحجاز فأقاموا بها، وزعم بنو قريظة أن الروم لما غلبوا على الشام خرجت قريظة والنضير وهدل هاربين من الشام يريدون من كان بالحجاز من بني إسرائيل، فوجه ملك الروم في طلبهم فأعجزوا رسله، وانتهى الرسل إلى ثمد بين الحجاز والشام فماتوا عنده عطشاً فسمي الموضع ثمد الروم"[٢].

وأورد أيضاً رواية أخرى عن سبب مجيئهم يقول فيها: " روى بعض أهل السير عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال بلغني أن بني إسرائيل لما أصابهم ماأصابهم من ظهور بختنصر عليهم وفرقتهم وذلتهم تفرقوا وكانوا يجدون محمداً ﷺ منعوتاً في كتابهم وأنه يظهر في بعض هذه القرى العربية في قرية ذات نخل ولما خرجوا من أرض الشام كانوا يعبرون كل

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، ج١/ ٥٤٧؛ وانظر أيضاً، ٢١١/١، ٥٤١/١؛ وأيضاً: تفسير ابن كثير، ١٢٤/١.

(٢) السمهودي، نورالدين علي بن عبدا لله، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ﷺ ، مطبعة الآداب - مصر ١٣٢٦هـ، ص ١١٢.

قرية من تلك القرى العربية بين الشام واليمن يجدون نعتها نعت يثرب فينزل بها طائفة منهم ويرجون أن يلقوا محمداً فيتبعونه حتى نزل من بني هارون ممن حمل التوراة بيثرب منهم طائفة فمات أولئك الآباء وهم يؤمنون بمحمد ﷺ أنه جاء ويحثون أبناءهم على أتباعه إذا جاء فأدركه من أدركه من أبناءهم فكفروا به وهم يعرفونه"[١]. ويعلق د.جواد علي على هاتين الروايتين قائلاً: " وليس في هذا الخبر مايحملنا على استبعاده فهروب اليهود إلى أعالي الحجاز ودخولهم الحجاز أمر سهل يسير فالأرض واحدة وهي متصلة والطرق مفتوحة مطروقة ولايوجد أي مانع يمنع اليهود أو غير اليهود من دخول الحجاز، لاسيما وأن اليهود كانوا خائفين فارين بأنفسهم من الرعب فهم يبحثون عن أقرب ملجأ إليهم يحميهم من فتك ملك بابل بهم وأقرب مكان مأمون إليهم هو الحجاز"[٢].

وتعود بعض الروايات في تفسير دخول بني إسرائيل الجزيرة العربية إلى عصر أقدم من هذا أي في وقت موسى – عليه السلام–[٣]، على أن الذي يهم من هذا كله هو أن هؤلاء يهود يتصلون بنسبهم إلى بني إسرائيل القدماء، اضطرتهم الظروف القاسية التي مروا بها إلى سكنى يثرب .

وقد حاول هؤلاء اليهود إثارة النزاعات بين القبائل الموجودة في المدينة، خاصة بين الأوس والخزرج حتى أنهم كان لهم دور كبير في قيام الحروب بينهما، وقد كان اليهود أنفسهم على حالة من التفكك وعدم الترابط، يدل على ذلك أن بعضاً من قبائلهم قد حالفت الأوس والأخرى حالفت الخزرج، وكان يقع بينهم تقاتل شديد، وسفك للدماء، وقد صور القرآن الكريم هذه الحالة، يقول تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ

---

(١) السمهودي ١١٢/١، وراجع أيضاً: الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ج١، طباعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية في القاهرة.

(٢) د. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٨م، ٥١٨/٦.

(٣) انظر: وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ص ١١٠-١١١.

لاتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلاتُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُم وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ، ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[(١)].

يقول ابن جرير مفسراً لهاتين الآيتين: " عن ابن عباس قال: ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان إلى أهل الشرك حتى تسفكوا دماءهم معهم وتخرجوهم من ديارهم معهم فقال أنبهم ا لله من فعلهم وقد حرَّم عليهم في التوراة سفك دمائهم وافترض عليهم فيها فداء أسراهم فكانوا فريقين طائفة منهم من بني قينقاع حلفاء الخزرج، والنضير وقريظة حلفاء الأوس فكانوا إذا كانت بين الأوس والخزرج حرب خرجت بنو قينقاع مع الخزرج وخرجت النضير وقريظة مع الأوس يظاهر كل من الفريقين حلفاءه على إخوانه حتى يتسافكوا دماءهم بينهم وبأيديهم التوراة يعرفون منها ماعليهم ومالهم والأوس والخزرج أهل الشرك يعبدون الأوثان لايعرفون جنة ولاناراً ولابعثاً ولاقيامة ولاكتاباً ولاحراماً ولاحلالاً فإذا وضعت الحرب أوزارها افتدوا أسراهم تصديقاً لما في التوراة، وأخذ به بعضهم من بعض، يفتدي بنو قينقاع ماكان من أسراهم في أيدي الأوس، وتفتدي النضيروقريظة ماكان في أيدي الخزرج منهم ويطلُّون ماأصابوا من الدماء وقتلوا من قتلوا منهم فيما بينهم مظاهرة لأهل الشرك عليهم"[(٢)]. وإنما يدل هذا الفعل منهم على بعدهم عن التزام نصوص التوراة كما سبق وصرح بهذا القرآن الكريم، هذا من الناحية الدينية، أما اقتصادياً فقد كان لهم دور كبيرٌ في هذا المجال، حيث امتلكوا الأراضي الزراعية الخصبة، واشتغلوا بالصناعة، فقد كان بنو قينقاع مشهورين بمزاولتها، وكان لهم سوق باسمهم من أشهر أسواق المدينة

---

(١) البقرة، ٨٤-٨٥ .

(٢) تفسير ابن جرير، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، ١/ ٣١٤، وانظر ابن كثير ١/ ١٢٠، وسيرة ابن هشام ١/ ٥٤٠ .

في الجاهلية وصدر الإسلام، وكان اليهود يتعاطون الربا مع القبائل الأخرى المجاورة لهم، ويعد الربا مظهراً من مظاهر الحياة الإقتصادية بالنسبة لليهود في يثرب قبل قدوم النبي – ﷺ– إليها.

كل هذه الإشارات السابقة تفسر الحالة التي كانت عليها يثرب وسكانها من العرب واليهود قبل أن يعمها الإسلام بنوره، فلما جاء النبي ﷺ مهاجراً إليها، كان أول من ابتدر لمعاداته : اليهود، يقول الله تعالى : ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[1].

معرفة اليهود أن محمداً ﷺ نبي مرسل :

كان اليهود يعرفون أن النبي محمداً –ﷺ– نبي مرسل من عند الله – تعالى – لتخليص الناس من الشرك والأمر بعبادته سبحانه، يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[2].

يقول ابن كثير: " يخبر تعالى أن علماء أهل الكتاب يعرفون صحة ماجاءهم به الرسول ﷺ كما يعرف أحدهم ولده، والعرب كانت تضرب المثل في صحة الشيء بهذا"[3]. ويقول تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ﴾[4]، يقول ابن كثير: " وهذه صفة محمد ﷺ في كتب الأنبياء بشروا أممهم ببعثه وأمروهم بمتابعته ولم تزل صفاته موجودة في كتبهم يعرفها علماؤهم وأحبارهم"[5].

---

(١) البقرة، ٨٩ .

(٢) البقرة، ١٤٦.

(٣) ابن كثير، ١/١٩٤.

(٤) سورة الأعراف، ١٥٧.

(٥) ابن كثير، ٢/٢٥١.

عداوة اليهود للنبي ﷺ :

كان اليهود في المدينة يعرفون أن النبي ﷺ رسول الله، وخاتم الأنبياء، وأنه ماجاء إلا بالدين الحق لجميع الناس، ولكن هذه المعرفة لم تكن لتهديهم إلى الحق واتباعه، بل على عكس ذلك، كانوا أول من عاداه، وأضمر الشر له ﷺ وللإسلام والمسلمين، يروي ابن إسحاق بسنده عن أم المؤمنين صفية - رضي الله عنها - أنها قالت: " كنت أحبَّ ولد أبي إليه، وإلى عمي أبي ياسر، لم ألقهما قط مع ولد لهما إلا أخذاني دونه، قالت: فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة ونزل قباء، في بني عمرو بن عوف، غدا عليه أبي حييُ ابن أخطب، وعمي أبوياسر بن أخطب مُغَلّسين قالت: فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس، قالت: فأتيا كالين كسلانين ساقطين، يمشيان الهوينى، قالت: فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ماالتفت إليَّ واحد منهما، مع مابهما من الغم، قالت: وسمعت عمي أباياسر، وهو يقول لأبي حيي بن أخطب: أهو هو؟ قال: نعم والله، قال: أتعرفه وتثبته؟ قال: نعم، قال: فما في نفسك منه؟ قال: عداوته والله مابقيت"(١). وهذه العداوة منبعها البغض للإسلام، والحسد للمسلمين، فقد منعهم هذا الحسد من الإيمان بالنبي ﷺ واتباع دين الإسلام، محاولين أيضاً رد المسلمين عن الدخول فيه، يقول تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾(٢)، قال ابن كثير: " كان حيي بن أخطب وأبوياسر بن أخطب من أشد يهود للعرب حسداً إذ خصهم الله برسوله ﷺ وكانا جاهدين في رد الناس عن الإسلام ماستطاعا فأنزل الله فيهما ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ... الآية﴾(٣)، وقد كانت مثل تلك المقدمات سبباً في إشعال نار العداوة بين المسلمين واليهود بعد ذلك، مما كان له الأثر المباشر في تحديد طبيعة العلاقة التي ظلت تحكم موقف اليهود من الإسلام

---

(١) ابن هشام، ٥١٩/١.

(٢) البقرة، ١٠٩.

(٣) ابن كثير، ١٥٣/١.

والمسلمين في ذلك الوقت، وهي العلاقة التي تميزت بالعداء منذ بدايتها، يتضح هذا في رد حيي بن أخطب، حينما سئل عما في نفسه تجاه النبي ﷺ فقال: " عداوته وا لله مابقيت".

ولم تقتصر عداوتهم للنبي ﷺ، وللإسلام فقط، بل تعدى ذلك إلى معاداة المسلمين، حتى ولو كان من أحبار اليهود ومن علمائهم، ويبرز هذا في موقفهم من عبدا لله بن سلام الذي حدث عن إسلامه قائلاً: " لما سمعت برسول ا لله ﷺ عرفت صفته واسمه وزمانه الذي كنا نتوكف له، فكنت مُسراً لذلك صامتاً عليه، حتى قدم رسول ا لله ﷺ المدينة فلما نزل بقباء في بني عمرو بن عوف أقبل رجل حتى أخبر بقدومه وأنا في رأس نخلة لي أعمل فيها، وعمتي خالدة ابنة الحارث تحتي جالسة، فلما سمعت الخبر بقدوم رسول ا لله ﷺ كبَّرتُ، فقالت لي عمتي حين سمعت تكبيري: خيبك ا لله، وا لله لو كنت سمعت بموسى بن عمران قادماً مازدت، قال: فقلت لها: أي عمه، هو وا لله أخو موسى بن عمران وعلى دينه، بُعث بما بُعث به قال: فقالت: أي ابن أخي، أهو النبي الذي كنا نُخبر أنه يبعث مع نفس الساعة؟ قال: فقلت لها: نعم، قال: فقالت: فذاك إذاً، قال: ثم خرجت إلى رسول ا لله ﷺ ، فأسلمت ثم رجعت إلى أهل بيتي فأمرتهم فأسلموا"(١).

فماذا كان موقف اليهود منه بعدما علموا بإسلامه؟ روى البخاري بسنده عن أنس قال: "سمع عبدا لله بن سَلام بقدوم رسول ا لله ﷺ وهو في أرض يخترف فأتى النبي ﷺ فقال إني سائلك عن ثلاث لايعلمهم إلا نبي فما أول أشراط الساعة ومأأول طعام أهل الجنة وماينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه قال أخبرني بهن جبريل آنفاً، قال جبريل قال نعم قال ذاك عدو اليهود من الملائكة فقرأ هذه الآية ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾(٢)، أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد وإذا سبق ماء المرأة نزعت قال

(١) ابن هشام، ١/٥١٦-٥١٧.

(٢) البقرة، ٩٧.

أشهد أن لاإله إلا ا لله وأشهد أنك رسول ا لله، يارسول ا لله: إن اليهود قوم بهت وإنهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم يبهتوني فجاءت اليهود فقال النبي ﷺ أي رجل عبدا لله فيكم قالوا: خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا، قال: أرأيتم إن أسلم عبدا لله ابن سلام، فقالوا: أعاذه ا لله من ذلك فخرج عبدا لله فقال: أشهد أن لا إله إلا ا لله وأن محمداً رسول ا لله، فقالوا: شرنا وابن شرنا، وانتقصوه قال: فهذا الذي كنت أخاف يارسول ا لله"(١).

وتتضح من خلال المقارنة بين موقف اليهود من عبدا لله بن سلام قبل أن يسلم وبعد أن أسلم النظرة التي كانوا ينظرون بها إلى الدين وإلى من تبعه من المسلمين، فإسلام عبدا لله كان سبباً في عداوتهم له بعد أن كان في نظرهم خيرهم وأعلمهم، فسرعان ماتحول الثناء والمدح إلى انتقاص وذم في لحظات، وهو مايدل على أن هؤلاء إنما تحكمهم عقيدتهم المتأصلة في نفوسهم لاغير، بغض النظر عن صحتها أو فسادها، حيث لم يترددوا في إطلاق التهم على عبدا لله بن سلام، بسبب إسلامه، مما يبين موقف اليهود من الإسلام والمسلمين، ولم يكتفوا بذلك، بل إنهم كثيراً ماحاولوا القضاء على الإسلام بمختلف الوسائل ولم يتوانوا لحظة في إعمال الحيل والكيد له، وتدبير الخطط من أجل هذا الهدف، ساعدهم على ذلك خبثهم وسوء نيتهم، ثم ماكان من موقف المشركين، وفئة المنافقين في المدينة، مستغلين أي فرصة تلوح لتحقيق مآربهم، وتبدأ علاقة الرسول ﷺ بهم، بعد هجرته إلى المدينة النبوية، وذلك عندما عاهدهم بإقرارهم على دينهم وأموالهم، ذكر ابن إسحاق هذا العهد قائلاً: " وكتب رسول ا لله ﷺ كتاباً بين المهاجرين والأنصار، وادع فيه يهود وعاهدهم، وأقرهم على دينهم وأموالهم، وشرط لهم، واشترط عليهم: بسم ا لله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبي ﷺ بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم، فلحق بهم وجاهد معهم، إنهم أمة واحدة من دون الناس.................

---

(١) رواه البخاري؛ انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر، كتاب: تفسير القرآن، ٢٠٩/٨.

.... إلى أن قال ... ولايقتل مؤمن مؤمناً في كافر، ولاينصر كافراً على مؤمن، وإن ذمة ا لله واحدة يجير عليهم أدناهم، وإن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس، وإنه من تبعنا من يهود، فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين ولامتناصرين عليهم، .... ثم يقول ... وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين، وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم، إلا من ظلم وأثم، فإنه لايوتغ[1] إلا نفسه وأهل بيته، وإن ليهود بني النجار مثل ماليهود بني عوف وإن ليهود بني الحارث مثل ماليهود بني عوف، وإن ليهود بني ساعدة مثل ماليهود بني عوف، وإن ليهود بني جشم مثل ماليهود بني عوف، وإن ليهود بني الأوس مثل ماليهود بني عوف، وإن ليهود بني ثعلبة مثل ماليهود بني عوف، إلا من ظلم وأثم، فإنه لايوتغ إلا نفسه وأهل بيته، وإن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم، وإن لبني الشطيبه مثل ماليهود بني عوف، وإن البر دون الإثم، وإن موالي ثعلبة كأنفسهم، وإن بطانة يهود كأنفسهم، وإنه لايخرج منهم أحد إلا بإذن محمد ﷺ، وإنه لاينحجز على ثار جرح وإنه من فتك فبنفسه فتك، وأهل بيته، إلا من ظلم وإن ا لله على أبر هذا، وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة، والبر دون الإثم، وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه وإن النصر للمظلوم، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين ، ..... وإنه ماكان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده، فإن مرده إلى ا لله عز وجل وإلى محمد رسول ا لله ﷺ، وإن ا لله على أتقى مافي هذه الصحيفة وأبره ، .... وإن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم، على مثل مالأهل هذه الصحيفة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة، وإن البر دون الإثم، لايكسب كاسب إلا على نفسه، وإن ا لله على أصدق مافي هذه الصحيفة وأبره، وإنه لايحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم، وإنه من خرج

---

(١) يوتغ : يهلك .

آمن، ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم أو أثم، وإن الله جار لمن بر واتقى، ومحمد رسول الله ﷺ"(١).

ويعلق الشيخ محمد الغزالي – رحمه الله تعالى – على هذه الوثيقة قائلاً: "وهذه الوثيقة تنطق برغبة المسلمين في التعاون الخالص مع يهود المدينة لنشر السكينة في ربوعها، والضرب على أيدي العادين ومدبري الفتن أياً كان دينهم، وقد نصت بوضوح على أن حرية الدين مكفولة، فليس هناك أدنى تفكير في محاربة طائفة أو إكراه مستضعف، بل تكاتفت العبارات في هذه المعاهدة على نصرة المظلوم، وحماية الجار، ورعاية الحقوق الخاصة والعامة، واستنزل تأييد الله على أبر مافيها وأتقاه، كما استنزل غضبه على من يخون ويغش، واتفق المسلمون واليهود على الدفاع عن يثرب إذا هاجمها عدو، وأقرت حرية الخروج من المدينة لمن يبتغي تركها، والقعود فيها لمن يحفظ حرمتها .... ثم يتساءل ... أكان اليهود صادقين في موافقتهم على هذا العهد؟، أغلب الظن أنهم لم يكونوا جادين حين ارتضوه وقبلوا إنفاذه وآفة العهود أن يرتبط الوفاء بها بمدى المنفعة المرجوة منها، فإذا بدا أن المعاهدة المبرمة لاتحقق المطامع المبتغاة، قل التمسك بها والتمست الفرص للتحلل منها، وقد كان اليهود يبنون عظمتهم المادية والسياسية على تفرق العرب قبائل متناحرة، فلما دخل العرب في الإسلام وأخذت الحزازات القديمة تتلاشى وتتابعت الأيام تؤكد أن الإسلام سوف يصنع من العرب أمة واحدة، استشعر اليهود القلق وساورتهم الهموم، وشرعوا يفكرون في الكيد لهذا الدين والتربص بأتباعه"(٢).

وهذا حق فاليهود لم يعاهدوا رسول الله ﷺ إلا من أجل منفعتهم الشخصية، فقد كانوا في موقف يحتاج منهم القبول بالمعاهدة ظاهرياً، حتى يمكنهم الكيد والتخطيط له من

---

(١) ابن هشام، ١/٥٠١-٥٠٢.

(٢) محمد الغزالي، فقه السيرة، دار القلم، دمشق، الطبعة الخامسة، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، ص١٨٥-١٨٦.

الداخل، ومع ذلك قاموا بالغدر والخيانة ونقض العهد مع رسول ا لله ﷺ، وقد أخبر القرآن الكريم عن هذه الصفة المذمومة في اليهود، يقول تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لايُؤْمِنُونَ﴾(١)، يقول ابن كثير: " قال الحسن البصري في قوله: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لايُؤْمِنُونَ﴾ قال: نعم، ليس في الأرض عهد يعاهدون عليه إلا نقضوه ونبذوه، يعاهدون اليوم، وينقضون غداً"(٢).

والغدر ونقض العهود من صفاتهم الملازمة لهم دائماً، فالتلمود يحرم عليهم الوفاء والنصفة مع غيرهم، بل ويفرض عليهم التزام الأيمان الكاذبة إذا أدت إلى الاستحواذ على أموال غير اليهود أو أدت إلى النيل منهم، فإبرام العهود ونقضها عندهم إنما يكون حسب المصلحة والمنفعة التي يجرها هذا العهد عليهم، وإن في نقضهم عهودهم مع رسول ا لله -ﷺ- أثر كبير تمثل في محاربته -ﷺ- لهم ، وإخراجهم من المدينة .

أما قبل ذلك، فلم يجرؤ أحد منهم على الابتداء بحرب ضد المسلمين، ومع هذا لم يعدموا الوسيلة التي تعينهم على نيل مبتغاهم، وذلك بالكيد والتخطيط السري المتقن، والحقيقة أن من ينظر إلى نصوص القرآن الكريم والسنة، يجد أنهما يوضحان مايجول في دواخلهم، وتكتنفه أنفسهم، وقد بين ا لله تعالى القاعدة التي بنى هؤلاء عليها نظرتهم لغيرهم، يقول ا لله -تعالى-: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾(٣)، فقد ادعوا أنهم أبناء ا لله، وأنه فضلهم على العالمين تفضيلاً مطلقاً، ولأجل ذلك استكبروا وأنفوا عن اتباع دين الإسلام ظناً منهم أنهم أولى بأن يتبعهم الناس لا أن يتبعوا هم أحداً.

روى ابن إسحاق بسنده قائلاً: " قال أبو صلوبا الفطيوني لرسول ا لله ﷺ يامحمد ماجئتنا بشيء نعرفه، وما أنزل ا لله عليك من آية فنتبعك لها، فأنزل ا لله تعالى في ذلك من

---

(١) البقرة، ١٠٠.

(٢) ابن كثير، ١٧٨/١.

(٣) المائدة، ١٨.

قوله: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلا الْفَاسِقُونَ﴾[١]"[٢].

يقول ابن كثير: " قال الإمام أبوجعفر بن جرير في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ أي: أنزلنا إليك يامحمد علامات واضحات دالات على نبوتك وتلك الآيات هي ماحواه كتاب الله من خفايا علوم اليهود، ومكنونات سرائر أخبارهم، وأخبار أوائلهم من بني إسرائيل، والنبأ عما تضمنته كتبهم التي لم يكن يعلمها إلا أحبارهم وعلماؤهم، وماحرفه أوائلهم وأواخرهم وبدلوه من أحكامهم التي كانت في التوراة فأطلع الله في كتابه الذي أنزل على نبيه محمد ﷺ فكان في ذلك من أمره الآيات البينات لمن أنصف من نفسه ولم يدعها إلى هلاكها الحسد والبغي"[٣]. إذن هم يعلمون الحق ولكنهم لم يتبعوه استكباراً، بل وصل بهم الأمر إلى أن يطلبوا من الرسول ﷺ أن يتابعهم على دينهم، فقد " قال عبدا لله بن صوريا الأعور الفطيوني لرسول الله ﷺ: ماالهدى إلا مانحن عليه، فاتبعنا يامحمد تهتد، وقالت النصارى مثل ذلك، فأنزل الله تعالى في ذلك من قول عبدا لله بن صوريا وماقالت النصارى ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[٤]"[٥].

---

(١) البقرة، ٩٩ .

(٢) ابن هشام، ١/٥٤٨.

(٣) ابن كثير، ١/١٧٨.

(٤) البقرة ، ١٣٥ .

(٥) ابن هشام، ١/٥٤٩.

أساليب اليهود في المدينة لمواجهة الإسلام والمسلمين :

لم تجد محاولات الرسول ﷺ مع اليهود ليدخلوا الإسلام صدى في نفوسهم، مع معرفتهم للحق، وأن الرسول ﷺ ماجاء إلا به، فقد أجابوا الرسول ﷺ حينما دعاهم للإسلام والهدى، قائلين: " بل نتبع يامحمد ماوجدنا عليه آباءنا فهم كانوا أعلم وخيراً منا"[1]. ولقد صدتهم نظرة الاستكبار والأنفة عن قبول الحق وجعلتهم يناصبون الرسول -ﷺ- والإسلام العداء، ويكيدون لهما بأساليب مختلفة مثل :

١- التلبيس على المسلمين دينهم .

٢- زرع بذور الشقاق والخلاف بين فئات المسلمين .

٣- الغدر ونقض العهود .

٤- الاستهزاء برسول ا لله ﷺ ، وايذاؤه .

أولاً : التلبيس على المسلمين دينهم :

سعى اليهود مااستطاعوا في أن يلبسوا على المسلمين دينهم، مشككين ومثيرين للشبهات، فقد كانوا يكثرون من الأسئلة ظناً منهم أنهم سيعجزون رسول ا لله ﷺ وأنه لن يستطيع الإجابة عليها، وأيضاً استغلوا كل مناسبة تمر على المسلمين اعتقدوا أن فيها رائحة للشبهة، محاولين إثارتها والتعلق بأسبابها، مثل ماحصل عندما حُولت القبلة، وكذا عندما ضلت ناقة رسول ا لله ﷺ، ومن النماذج التي تندرج تحت هذا الأسلوب مايلي:

أ - تلبيس الحق بالباطل :

وذلك تمويهاً على المسلمين، وزرعاً لبذور الشك في نفوسهم، يروي ابن إسحاق أن بعضاً منهم قال لبعض: " تعالوا نؤمن بما أنزل على محمد وأصحابه غدوة ونكفر به

(١) ابن هشام، ٥٥٢/١.

عشية حتى نلبس عليهم دينهم لعلهم يصنعون كما نصنع، ويرجعون، فأنزل ا لله تعالى فيهم: ﴿يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ، وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ، وَلاتُؤْمِنُوا إِلا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[(١)]"[(٢)]. يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآيات: " هذه مكيدة أرادوها ليلبسوا على الضعفاء من الناس أمر دينهم وهو أنهم اشتوروا بينهم أن يظهروا الإيمان أول النهار، ويصلوا مع المسلمين صلاة الصبح، فإذا جاء النهار ارتدوا إلى دينهم ليقول الجهلة من الناس إنما ردهم إلى دينهم اطلاعهم على نقيصة وعيب في دين المسلمين، ولهذا قالوا ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى إخباراً عن اليهود بهذه الآية : يعني يهوداً، صلت مع النبي ﷺ صلاة الصبح، وكفروا آخر النهار مكراً منهم ليروا الناس أن قد بدت لهم الضلالة من بعد أن كانوا اتبعوه، وقال العوفي عن ابن عباس: قالت طائفة من أهل الكتاب إذا لقيتم أصحاب محمد أول النهار فآمنوا، وإذا كان آخره فصلوا صلاتكم لعلهم يقولون هؤلاء أهل الكتاب وهم أعلم منا"[(٣)]. فكانت مكيدتهم في الإيمان أول النهار والكفر آخره، محاولة منهم لتشكيك المسلمين في دينهم، وزرعاً لبذور الشبهات، وخدعة أرادوا لها أن تنطلي على المسلمين، ولكن ا لله – تبارك وتعالى – وضحها في القرآن الكريم، حيث فضحهم، وبين سوء نواياهم، وقبائح سرائرهم، ولم يترك اليهود أي فرصة تمر دون أن يستغلوها في التلبيس على المسلمين دينهم، فقد قال أحد بني قينقاع واسمه زيد بن اللصَّيت حينما ضلت ناقة رسول ا لله ﷺ : " يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء وهو لايدري أين ناقته، فقال رسول ا لله ﷺ وجاءه الخبر بما قال

---

(١) آل عمران، ٧١-٧٣.

(٢) ابن هشام، ١/٥٥٣.

(٣) ابن كثير، ١/٤٨٧.

عدو ا لله في رحله، ودل ا لله تبارك وتعالى رسوله ﷺ على ناقته: إن قائلاً قال: يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء ولايدري أين ناقته؟ وإني وا لله ماأعلم إلا ماعلمني ا لله، وقد دلني ا لله عليها فهي في هذا الشعب، قد حبستها شجرة بزمامها، فذهب رجال من المسلمين فوجدوها حيث قال رسول ا لله ﷺ وكما وصف"[١].

وفي هذه القصة دلائل لصدق رسول ا لله ﷺ، وأنه لايعلم إلا ماعلمه ا لله -تبارك وتعالى -، فهو بشر يوحى إليه من ربه، وإن حاول اليهود أن يفتنوا المسلمين بمقالتهم هذه، لكن ا لله - تعالى - رد كيدهم في نحورهم، ولم تزد هذه الوقائع، وأمثالها المسلمين إلا إيماناً ويقيناً وتصديقاً، ثم تأتي مقالة أخرى تشهد على المحاولات المتكررة من جانب اليهود في هذا المجال، ذاك حينما أمر ا لله - تبارك وتعالى - رسوله ﷺ بتحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام، يقول تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾[٢]، روى ابن كثير عن البخاري بسنده: "أن رسول ا لله ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت، وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر، وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان يصلي معه، فمر على أهل المسجد وهم راكعون، قال: أشهد با لله لقد صليت مع النبي ﷺ قبل مكة فداروا كما هم قبل البيت"[٣]، وفي تحويل القبلة مخالفة لليهود الذين كان يعجبهم توجه المسلمين إلى بيت المقدس، لذا وجدوها فرصة سانحة، ومناسبة عظيمة فأكثروا من التساؤل حول هذا الأمر، وقد امتد أثرهم إلى المسلمين، وإلى غيرهم "أما المسلمون فقالوا: سمعنا وأطعنا وقالوا: آمنا به كل من عند ربنا، وهم الذين هدى ا لله، ولم

---

(١) ابن هشام، ١/٥٢٧.

(٢) البقرة، ١٤٤.

(٣) ابن كثير، ١/٢٤٩؛ وانظر فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾، ٨/ ٢١٦.

يكن كبيرة عليهم، وأما اليهود فقالوا: خالف قبلة الأنبياء قبله، ولو كان نبياً لكان يصلي إلى قبلة الأنبياء، وأما المشركون فقالوا: كما رجع إلى قبلتنا يوشك أن يرجع إلى ديننا ومارجع إليها إلا أنه الحق، وأما المنافقون فقالوا: مايدرى محمد أين يتوجه، إن كانت الأولى حقاً فقد تركها، وإن كانت الثانية هي الحق فقد كان على باطل"[1]، وكان الأمر كما أخبر ا لله تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[2].

وكانت كل هذه التساؤلات بإيحاء من اليهود الذين ذهبت طائفة منهم إلى المسلمين قائلين: " أخبرونا عن صلاتكم نحو بيت المقدس، إن كانت هدى فقد تحولتم عنها، وإن كانت ضلالة فقد دنتم ا لله بها، ومن مات منكم عليها فقد مات على الضلالة؟ فقال المسلمون: إن الهدى ماأمر ا لله تعالى به، وإن الضلالة مانهى ا لله تعالى عنه، فقال اليهود للمسلمين : فما شهادتكم على من مات منكم على قبلتنا، وكان قد مات قبل تحول القبلة من المسلمين، أسعد بن زرارة من بني النجار، والبراء بن معرور من بني سلمة، وكانا من النقباء، ومات رجال آخرون، فانطلق عشائرهم إلى النبي ﷺ، وقالوا: يارسول ا لله لقد صرفك ا لله إلى قبلة إبراهيم فكيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يُصلُّون إلى بيت المقدس، فأنزل ا لله تعالى قوله في سورة البقرة: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[3]"[4].

يقول ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾: " أي

---

(١) على محفوظ، هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، الناشر: المكتبة المحمودية التجارية، مصر، الطبعة السابعة، ص٢٤٢.

(٢) البقرة، ١٤٢.

(٣) البقرة، ١٤٣.

(٤) مكايد يهودية عبر التاريخ، ص٧٩.

صلاتكم إلى بيت المقدس قبل ذلك ماكان يضيع ثوابها عند ا لله"[١]، وهكـذا زادت هـذه الحادثة المؤمنين إيماناً وتصديقاً با لله تعالى ورسوله، وانقلب اليهود علـى أعقـابهم خاسـئين مدحورين.

ب – تعنتهم، وكثرة مجادلتهم لرسول ا لله ﷺ :

كثيراً ماطلب اليهود من الرسول ﷺ أموراً يظنون أنه في عدم تحقيقهـا سـيوقعونه عليه السلام في الحرج، فهذا رافع بن حريملة أحد اليهود يقول: " يامحمد إن كنت رسولاً من ا لله كما تقول، فقل لله فيكلمنا حتى نسمع كلامه"[٢]، ويقصد من طلبه هذا التعنت وإحراج رسول ا لله ﷺ، يقول ا لله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لاَيَعْلَمُـونَ لَـوْلاَ يُكَلِّمُنَـا اللَّـهُ أَوْ تَأْتِينَا ءَايَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَـدْ بَيَّنَّـا الآيَـاتِ لِقَـوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[٣].

بـل إنهـم طلبـوا منـه ﷺ أن يـنزل عليهـم كتابـاً مـن السـماء، يـأمرهم بتصديـق الرسول ﷺ فيما جاء به عن ربه، يقول ا لله تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾[٤].

يروى ابن كثير عن ابن جريـج قولـه: " سـألوه أن يـنزل عليهـم صحفـاً مـن ا لله مكتوبة إلى فلان وفلان وفلان بتصديقه فيما جاءهم به، وهذا إنما قالوه على سبيل التعنت والعناد والكفر والإلحاد"[٥].وقد أكثر اليهود من الأسئلة والمجادلةوالمحاورة لرسول ا للهﷺ

(١) ابن كثير، ١/٢٥٢.
(٢) ابن كثير، ١/٢١٤.
(٣) البقرة، ١١٨.
(٤) النساء، ١٥٣.
(٥) ابن كثير، ١/٧٥٠.

محاولين فتنة المسلمين، وزرع بذور الشك والريبة في قلوبهم، آملين أن لايجيبهم رسول ا لله ﷺ، حتى يبينوا للمسلمين أنه قد عجز عن إجابتهم، وأنهم وحدهم الذين عندهم العلم والكتاب، وماأكثر الأسئلة التي سألوها لرسول ا لله ﷺ، من ذلك ماجاء في صحيح البخاري بسنده عن عبدا لله بن مسعود قال: " بينا أنا مع النبي ﷺ في حرث وهو متكىء على عسيب إذ مر اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح فقال مارأيكم إليه وقال بعضهم لايستقبلكم بشيء تكرهونه فقالوا: سلوه عن الروح، فأمسك النبي ﷺ فلم يرد عليهم شيئاً فعلمت أنه يوحى إليه فقمت مقامي، فلما نزل الوحي قال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلا قَلِيلاً﴾(١)"(٢).

وأخرج مسلم بسنده عن ثوبان مولى رسول ا لله ﷺ قال: " كنت قائماً عند رسول ا لله ﷺ، فجاء حبر من أحبار اليهود، فقال: السلام عليك يامحمد، فدفعته دفعة كاد يصرع منها، فقال: لم تدفعني، فقلت: ألا تقول رسول ا لله، فقال اليهودي: إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله، فقال رسول ا لله ﷺ : إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي، فقال اليهودي: جئت أسألك، فقال رسول ا لله ﷺ : أينفعك شيء إن حدثتك، قال: أسمع بأذني، فنكت رسول ا لله ﷺ بعود معه، فقال: سل، فقال اليهودي: أين يكون الناس ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات﴾ فقال رسول ا لله ﷺ : هم في الظلمة دون الجسر، فقال: فمن أولى الناس إجازة؟ قال: فقراء المهاجرين، قال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: زيادة كبد النون، قال: فما غذاؤهم على إثرها؟ قال: ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها، قال: فما شرابهم عليه؟ قال: من عين فيها تسمى سلسبيلاً، قال: صدقت، قال: وجئت أسألك عن شيء لايعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان، قال: ينفعك إن حدثتك؟ قال: أسمع بأذني، قال:

(١) الإسراء، ٨٥.

(٢) أخرجه البخاري؛ انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب: تفسير القرآن، باب ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾، ٨/٥١١.

جئت أسألك عن الولد، قال: ماء الرجل أبيض، وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا، فعلا منيُّ الرجل منيَّ المرأة أذكرا بإذن الله، وإذا علا مني المرأة مني الرجل آنثا بإذن الله، قال اليهودي: لقد صدقت، وإنك لنبي، ثم انصرف، فذهب فقال رسول الله ﷺ: لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه، ومالي علم بشيء منه حتى أتاني الله به"[١].

وقد روى ابن كثير عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ، مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾[٢]، قال: " عن ابن عباس أنه قال: حضرت عصابة من اليهود رسول الله ﷺ فقالوا: ياأبا القاسم، حدثنا عن خلال نسألك عنهن لايعلمهن إلا نبي، فقال رسول الله ﷺ : سلوا عما شئتم، ولكن اجعلوا لي ذمة الله وما أخذ يعقوب على بنيه لئن أنا حدثتكم عن شيء فعرفتموه لتتابعني على الإسلام، فقالوا: ذلك لك، فقال رسول الله ﷺ : سلوا عما شئتم، قالوا: أخبرنا عن أربع خلال نسألك عنهن، أخبرنا أي الطعام حرَّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة؟ وأخبرنا كيف ماء المرأة وماء الرجل، وكيف يكون الذكر منه والأنثى؟ وأخبرنا بهذا النبي الأمي في التوراة ومن وليه من الملائكة؟ فقال النبي ﷺ: عليكم عهد الله لئن أنا أنبأتكم لتتابعني؟ فأعطوه ماشاء من عهد وميثاق، فقال: نشدتكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب مرض مرضاً شديداً فطال سقمه منه، فنذر لله نذراً لئن عافاه الله من مرضه ليحرمن أحب الطعام والشراب إليه، وكان أحب الطعام إليه لحوم الإبل، وأحب الشراب إليه ألبانها فقالوا: اللم نعم، فقال رسول الله ﷺ: اللهم أشهد عليهم، وأنشدكم با لله الذي لاإله إلا هو الذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن ماء الرجل غليظ أبيض وأن ماء المرأة رقيق أصفر، فأيهما علا كان له الولد

---

(١) رواه مسلم، والحديث في صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، تحقيق: خليل مأمون، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، كتاب الحيض، ٣/٢١٧.

(٢) البقرة، ٩٧-٩٨.

والشبه بإذن ا لله عز وجل، وإذا علا ماء الرجل ماء المرأة كان الولد ذكراً بإذن ا لله، وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل كان الولد أنثى بإذن ا لله عز وجل، قالوا: اللهم نعم، قال: اللهم أشهد، وأنشدكم با لله الذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن هذا النبي الأمي تنام عيناه ولاينام قلبه؟ قالوا: اللهم نعم، قال: اللهم اشهد، قالوا: أنت الآن فحدثنا من وليك من الملائكة، فعندها نجامعك أو نفارقك، قال: فإن ولي جبريل، ولم يبعث ا لله نبياً قط إلا هو وليه، قالوا: فعندها نفارقك، ولو كان وليك سواه من الملائكة تابعناك وصدقناك، قال: فما يمنعكم أن تصدقوه؟ قالوا: إنه عدونا، فأنزل ا لله عز وجل: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ...الآية﴾، فعندها باؤوا بغضب على غضب"[١]، وهذه الرواية التي ذكرها ابن كثير، وأيضاً ابن إسحاق[٢]، توضح مدى تعنت اليهود في قبول الحق، واختلاف الأسباب للتفلت من العهود والمواثيق، فقد أعطوا الرسول ﷺ العهد إن أجابهم ليصدقنه ويتابعنه، لكنهم لم يفعلوا، بالرغم من إعطائهم العهد والميثاق على ذلك، وقد أكثر اليهود من أسئلتهم للرسول ﷺ تعنتاً وصلفاً لابحثاً عن الحق لمتابعته، فقد سألوه ذات مرة عمن خلق ا لله تعالى! حدث ابن إسحاق أن رهطاً من اليهود أتوا الرسول ﷺ فقالوا: "يامحمد، هذا ا لله خلق الخلق، فمن خلق ا لله؟ قال: فغضب رسول ا لله ﷺ حتى انتقع لونه، ثم ساورهم غضباً لربه، قال: فجاءه جبريل عليه السلام فسكنه، فقال: خفض عليك يامحمد، وجاءه من ا لله بجواب ماسألوه عنه، ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[٣]، قال: فلما تلاها عليهم، قالوا: فصف لنا يامحمد كيف خلقه؟ كيف ذراعه؟ كيف عضده؟ فغضب رسول ا لله ﷺ أشد من غضبه الأول، وساورهم، فأتاه جبريل عليه السلام، فقال له مثل ماقال له أول مرة، وجاءه من ا لله تعالى بجواب ماسألوه

---

(١) ابن كثير، ١٧٢/١.

(٢) انظر: ابن هشام، ٥٤٣/١.

(٣) سورة الإخلاص .

يقول ا لله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(١)"(٢)، وهكذا تدرج اليهود في الأسئلة، حتى وصل بهم الحال إلى التطاول على ذات ا لله تعالى، بل إنهم قالوا عنه سبحانه: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾(٣)، وقالوا أيضاً: إن ا لله فقير ونحن أغنياء، فيما حكاه عنهم القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾(٤).

ثانياً: زَرْعُ بذور الشقاق والخلاف بين فئات المسلمين :

دخل الإسلام المدينة، وأصبح المسلمون أكثرية لايستهان بها، ولم يبق بيت في المدينة لم يدخله نور الإسلام، في المقابل كانت هناك فئات لم تسلم، يشكل اليهود الغالبية العظمى منها، ولما كان هؤلاء اليهود لايضمرون للإسلام وأهله إلا الكره والبغض، فقد عملوا ماوسعهم الجهد على إيجاد بواعث للشقاق والخلاف بين الفئات المسلمة، وأصبح في المدينة نوعان من المسلمين:

- فئة أسلمت عن حق، ودخل الإسلام قلبها، تستهون في سبيله الصعاب والعقبات.

- وفئت أسلمت نفاقاً، كان لليهود دور كبير في إيجادها، وهواها تبع لهوى اليهود، تأتمر بأمرهم، وتنفذ خططهم.

---

(١) الزمر، ٦٧.

(٢) ابن هشام، ١/٥٧٢.

(٣) المائدة، ٦٤.

(٤) آل عمران، ١٨١.

أما الفئة التي أسلمت بحق، فقد سعى اليهود في تأليبهم على بعضهم لما رأوا من تماسكهم، وذلك متى ماوجدوا الفرصة مواتية، ولذا تتجلى طبيعة دور اليهود تجاه المسلمين بأمرين هما :

أ – السعي في تأليب المسلمين بعضهم على بعض .

ب – إيجاد فئة المنافقين في المدينة .

أ – السعي في تأليب المسلمين بعضهم على بعض :

كان الأوس والخزرج قبل ظهور الإسلام، وقبل أن يمن ا لله عليهم فيسلموا، في فرقة وشتات وتناحر، وكان اليهود يغذون هذا الصراع الدائر بين القبيلتين، ويمدونه ما استطاعوا بعوامل إيقاد الحروب، ولما دخل الإسلام المدينة واجتمعت القلوب، وصفت الأنفس، وأصبح الأوس والخزرج تجمعهم كلمة واحدة، ويربطهم رباط الإسلام الذي صاروا بفضل ا لله ثم بفضله قوة واحدة متماسكة، بعد أن كانوا قبائل متناحرة، فغيظ اليهود لهذا لأنهم كانوا في قرارتهم يتمنون زوال هذا الدين، ويسعون لهدمه، ولما كان من الصعب عليهم مواجهة المسلمين وهم قوة متآلفة مترابطة، فإنه لم يكن أمامهم سوى خلخلة الجبهة الداخلية للمسلمين، وضرب هذه الوحدة وهذا التآلف، لذا سعوا ماوسعهم الجهد في تأليب المسلمين على بعض، والوقيعة بينهم، وتذكيرهم بما كانوا عليه قبل الإسلام، والتحريض على أخذ الثأر ليسهل عليهم اختراق الصفوف المسلمة، وهدم الإسلام من داخله وبأيدي أبنائه، ولكن ا لله – تعالى – حمى الإسلام والمسلمين من مكائد اليهود، وعاد المسلمون إلى رشدهم بعد أن بين لهم الرسول ﷺ أن هذا من دعوى الجاهلية، وا لله – تعالى – يقول: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[1]، فقد روى ابن إسحاق من هذا قوله: " مَرَّ شاس بن قيس، وكان شيخاً قد عسا، عظيم الكفر، شديد الضغن على المسلمين، شديد الحسد لهم، على نفر

(١) الصف، ٨ .

من أصحاب رسول ا لله ﷺ من الأوس والخزرج، في مجلس قد جمعهم، يتحدثون فيه، فغاظه مارأى من ألفتهم وجماعتهم، وصلاح ذات بينهم على الإسلام، بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية، فقال: قد اجتمع ملأ بني قيلة بهذه البلاد، لا وا لله مالنا معهم إذا اجتمع ملؤها بها من قرار، فأمر فتى شاباً من يهود كان معهم، فقال: اعمد إليهم فاجلس معهم، ثم اذكر يوم بعاث وماكان قبله وأنشدهم بعض ماكانوا تقاولوا فيه من الأشعار، وكان يوم بعاث يوماً اقتتلت فيه الأوس والخزرج، وكان الظفر فيه يومئذ للأوس على الخزرج، وكان على الأوس يومئذ حضير بن سماك الأشهلي أبو أسيد بن حضير، وعلى الخزرج عمرو بن النعمان البياضي، فقتلا جميعاً ......

قال ابن إسحاق : ففعل، فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا، حتى تواثب رجلان من الحيين على الرُّكب، أوس بن قيظي، أحد بني حارثة بن الحارث من الأوس، وجبَّار بن صخر، أحد بني سلمة من الخزرج، فتقاولا، ثم قال أحدهما لصاحبه: إن شئتم رددناها الآن جذعة، فغضب الفريقان جميعاً، وقالوا: قد فعلنا، موعدكم الظاهرة، والظاهرة: الحرة، السلاح السلاح، فخرجوا إليها، فبلغ ذلك رسول ا لله ﷺ، فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين، حتى جاءهم، فقال: يامعشر المسلمين، ا لله ا لله، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم، بعد أن هداكم ا لله للإسلام، وأكرمكم به، وقطع به عنكم أمر الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر وألف به بين قلوبكم، فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان، وكيد من عدوهم، فبكوا وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضاً، ثم انصرفوا مع رسول ا لله ﷺ سامعين مطيعين، قد أطفأ ا لله عنهم كيد عدو ا لله شأس بن قيس"[1]، وفي ذلك نزلت هذه الآيات: ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ، قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ، يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ، وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى

---

(١) ابن هشام، ١/٥٥٥-٥٥٦.

عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاتَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ، وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاتَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[١].

ويروى ابن إسحاق أن الآيات السابقة نزلت في هذه القصة، والسعي في تفريق الجماعات المتماسكة وتأليبها على بعضها أمر قديم عرفه اليهود واستخدموه تحقيقاً لمآربهم الرامية إلى الانقضاض على غيرهم، ومواجهتهم وهم في فرقة وتمزق، إذ لايقوى اليهود بسبب جبنهم وخوفهم وضعفهم على مواجهة أي قوة وهي متماسكة فيسعون بما استطاعوا لكي يمزقوها من الداخل ومن ثم ينقضون عليها، مستخدمين في ذلك كل الوسائل والسبل الممكنة، مطبقين نظريتهم " فرق تسد".

ب - إيجاد فئة المنافقين في المدينة :

قلت سابقاً : أن هناك فئة من أهل المدينة لم تسلم، وهذه الفئة حينما عاينت انتصار المسلمين في بدر - ذاك الانتصار الباهر، وهم قلة - هالها الأمر، وأدركت أن المسلمين أصبحوا قوة لايستهان بها، وأنه من الخير لهم ألا يقفوا منها موقف المعادي، وأن يجاروا المسلمين، ويدينوا بدينهم، حتى لايكونوا في مواجهة هذه القوة الآخذة في النماء والزيادة، وهم الجانب الأضعف والأقل، فأظهروا إسلامهم نفاقاً، وتبعهم على ذلك بعض اليهود زوراً وبهتاناً، ممن أظهر إسلامه بلسانه، وأخفى في قلبه الحقد والغيظ على الإسلام وأهله. وقد نجح سادة اليهود في جعل هؤلاء الذين لم يدخل الإسلام قلوبهم أداة طليعة في أيديهم يستخدمونهم في تنفيذ مؤامراتهم ضد الإسلام وأهله، وقد كان المنافقون يشكلون

---

(١) آل عمران، ٩٨-١٠٣.

جبهة داخلية مهمتها تقويض أركان الإسلام، وذلك باستغلال الأحداث التي تعرض للمسلمين، ومحاولة تضخيمها .

ويظهر القرآن الكريم مدى ارتباط المنافقين باليهود وذلك في حديثه عن المنافقين في سورة البقرة، يقول تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾(١)،ويفسر ابن كثير معنى " شياطينهم" بقوله: "سادتهم وكبراؤهم من أحبار اليهود ورؤوس المشركين والمنافقين ... ويروي عن ابن عباس قوله: " وإذا خلوا إلى شياطينهم": من يهود الذي يأمرونهم بالتكذيب وخلاف ماجاء به الرسول ﷺ"(٢).

فالآية السابقة إذن توضح مدى الارتباط الكلي بين المنافقين واليهود، وتبين دور اليهود في تكوين فرق المنافقين، ولاشك أن النفاق أمر تعود عليه اليهود منذ القدم، فهم إذا ماغلبوا على أمرهم، وأصبحوا لايستطيعون المواجهة فحينئذ تبرز خصلة النفاق وسيلة تنقذهم مما هم فيه، وتساعدهم على تدبير المكائد والخطط، والتلمود يحض على ذلك، باعتبار النفاق أمراً ضرورياً لليهودي حتى يمكنه أن يعيش وفق مايحب، وبالأسلوب الذي يرتضيه، فهذا الحاخام بشاي يعلن: " أن النفاق جائز وأن الإنسان – أي اليهودي – يمكنه أن يكون مؤدباً مع الكافر ويدعي محبته كاذباً إذا خاف وصول الأذى منه إليه"(٣). إذن لاعجب والأمر كذلك أن يستخدم اليهود النفاق مع المسلمين في ذلك الوقت فيُكَونوا الطائفة التي عرفت بالمنافقين والتي كان دورها كبيراً في كثير من الأحداث التي حصلت للمسلمين فيما بعد بتوجيه من اليهود الذين عجزوا عن الاختراق المباشر لصفوف المسلمين فبدأوا يوجهون الأحداث عن بعد، عن طريق المنافقين الذين كان على رأسهم: عبدا لله بن أبي بن سلول، يقول الشيخ "عبدالرحمن الميداني": " وبذلك استطاع

---

(١) البقرة، ١٤ .

(٢) ابن كثير، ٧٢/١.

(٣) الكنز المرصود، ص ٧٧ .

اليهود أن يكونوا حزباً مستوراً من المنافقين من عرب يثرب مع بعض أفراد من يهود أسلموا نفاقاً، وصاروا يغذونهم بعوامل النفاق التي لهم فيها باع طويل وخبرات كثيرة مارسوها منذ آلاف السنين، في مختلف الأمم التي حكمتهم وأذلتهم ويؤكد ذلك أيضاً أنه لما تم جلاء اليهود عن المدينة خفتت أصوات المنافقين، وتجمدت معظم حركاتهم، وصلح بال الرسول والمؤمنين الصادقين من جهة سلامة الصف الداخلي من عوامل الفتنة ومسببات التخلخل"(١).

وهذا عرض لبعض المواقف التي كان للمنافقين فيها دور كبير، ولليهود توجيه لايخفى على أحد :

أولاً: في غزوة بدر الكبرى :

نصر الله – تعالى – المسلمين في غزوة بدر على قلتهم، وغاظ هذا النصر اليهود والمنافقين، فبدأوا يروجون الإشاعات والأراجيف حول المعركة، وذلك قبل وصول الرسول –ﷺ– المدينة، فقد أرسل رسول الله –ﷺ– عبدا لله بن رواحة وزيد بن حارثة – رضي الله عنهما – ليبشرا أهل المدينة بالنصر. فلما سمع اليهود والمنافقون بهذا قال أحدهم: " قتل صاحبكم ومن معه؟ وقال آخر لأبي لبابة: قد تفرق أصحابكم تفرقاً لايجتمعون فيه أبداً، وقد قتل عليه أصحابه، قتل محمد وهذه ناقته نعرفها، وهذا زيد لايدري ماذا يقول من الرعب"(٢)، وكان رسول الله –ﷺ– قد أرسل زيداً على ناقته القصواء. لذا قالوا ماقالوه نشراً للفتنة، ومحاولة لزرع الشبهات في صفوف المسلمين،

---

(١) مكايد يهودية عبر التاريخ، ص٩٤؛ وانظر كتاب: النفاق والمنافقون في عهد رسول الله ﷺ ، تأليف : إبراهيم على سالم ، دار الشعب، القاهرة، وذلك في سبب نشوء النفاق في المدينة، من ص ٧٥ إلى ٨٧ .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ–١٩٨٥م، تحقيق: د.أحمد أبوملحم، وآخرون، ٣٠٥/٣.

واستبعاداً لحصول النصر، وتهويناً من أمره في نفوس المسلمين، ولكن ا لله أظهر أمرهم، وفضح نيتهم، ورد كيدهم في نحورهم، ذاك أنه عندما سمع أسامة بن زيد بن حارثة هذه المقالة، سأل أباه عن الحقيقة، يقول أسامة:" فجئت حتى خلوت بأبي فقلت أحق ماتقول؟ فقال: إي وا لله حق ماأقول، فقويت نفسي ورجعت إلى ذلك المنافق فقلت: أنت المرجف برسول ا لله وبالمسلمين، لنقدمنك إلى رسول ا لله -ﷺ- إذا قدم فليضربن عنقك، فقال: إنما هو شيء سمعته من الناس يقولونه"[(١)]. أما كعب بن الأشرف، وكان أحد اليهود، فإنه لما سمع هذا الخبر قال: " أحق هذا؟ أترون محمداً قتل هؤلاء الذين يُسمِّي هذان الرجلان – يعني زيداً وعبدا لله بن رواحة – فهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس وا لله لئن كان محمداً أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها"[(٢)]. ولم يكتف بهذا، بل إنه ذهب إلى قريش يندب قتلاها، ويحرض على أخذ الثأر، وقتال المسلمين، ولما عاد إلى المدينة أخذ يشبب بنساء المسلمين حتى آذاهم حينئذ طلب الرسول -ﷺ- من المسلمين أن يقتلوه، فابتدر لهذه المهمة : محمد بن مسلمة -رضي الله عنه-[(٣)] .

ثانياً : في غزوة أحد :

وقعت غزوة أحد في السنة الثالثة في شهر شوال منها، وكان لليهود فيها عن طريق المنافقين دور لايخفى، حيث رجع عبدا لله بن أبي بن سلول بثلث الجيش، ولم يقاتل في ذلك اليوم هو ومن تبعه من المنافقين واليهود، وكان رسول ا لله -ﷺ- قبل ذلك قد استشار جملة من المسلمين في أن يخرج لمواجهة قريش خارج المدينة، أو أن ينتظرهم داخلها، فأشار عليه البعض ومنهم ابن أُبي بأن لايخرج، بينما رأى آخرون الخروج وملاقاة قريش خارج حدود المدينة، فلما خرج رسول ا لله -ﷺ-، ولم يأخذ برأي ابن

---

(١) السابق ، ٣/٣٠٥.

(٢) ابن هشام، ٢/٥١.

(٣) انظر: ابن هشام، ٢/٥٤ .

أبي، رجع ومعه ثلث جيش المسلمين، يروى ابن إسحاق هذه القصة قائلاً: " حتى إذا كانوا بالشَّوط بين المدينة وأحد، انخزل عنه عبدا لله بن أبي بن سلول بثلث الناس، وقال: أطاعهم وعصاني، ماندري علام نقتل أنفسنا هاهنا أيها الناس! فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب، واتَّبعهم عبدا لله بن عمرو بن حرام، أخو بني سلمة يقول: ياقوم اذكركم ا لله ألا تخذلوا قومكم ونبيكم عندما حضر من عدوهم، فقالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون لما أسلمناكم ولكنا لانرى أنه يكون قتال. قال: فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف عنهم،قال:أبعدكم ا لله أعداء ا لله، فيسغني ا لله عنكم نبيه"[1]،وقد كان صنيعة اليهود عبدا لله بن أبي يظن -وهم من وراءه- أنه بفعله هذا سيضعف من موقف المسلمين في المعركة،أو يفقدهم ثقتهم بأنفسهم حينما يرون ثلث الجيش قد انخذل ورجع، لكن هذا الأمر لم يحصل، وقد كانت تلك مكيدة مدبرة بين اليهود وبين ابن أبي نفذها بتخطيطهم، وإن كانت تنسب إليه، إلا أن أصابع اليهود الخفية لعبت فيها دوراً لايُنكر.

ثم كيف تابع اليهود ابن أبي، مع العلم أن غزوة أحد وقعت في السنة الثالثة، وأن رسول ا لله -ﷺ- كان قد أجلى قبيلة بني قينقاع حلفاء ابن أبي قبل ذلك، فكيف انضم من بقي في المدينة من اليهود وهم بنو قريظة والنضير إلى ابن أبي مع أنهم لم يكونوا حلفاءه في يوم من الأيام ؟.

ولكن حينما تتضح وحدة الهدف الذي يسعى إليه كل من ابن أبي المنافق واليهود بكافة قبائلهم وطوائفهم، يظهر سر اتحادهما معاً ضد المسلمين.

يقول الاستاذ إبراهيم على سالم : " وعجيب أن ينضم بنو النضير وبنو قريظة إلى ابن أبي الخزرجي وكانوا من قبل أحلافاً للأوس ضد الخزرج، وهذا يدل دلالة واضحة على أنه كان هناك تنظيم دقيق أنشأه اليهود قضى بتجميع كل من أمكن وضمه لمعاداة المسلمين، ووضعوا له خططاً، ونصبوا عليه ابن أبي زعيماً لما رأوا فيه شخصاً مريض

---

(١) ابن هشام، ٢/٦٤.

القلب والنفس معجباً بنفسه، متفانياً ومتهالكاً في طلب السلطة"[١].

وعلى الرغم من كل مافعله، فقد حاول أن يستعيد بعد ذلك مكانته وهيبته بين صفوف المسلمين، يقول ابن إسحاق: " فلما قدم رسول الله -ﷺ- المدينة، وكان عبدالله بن أبي بن سلول .. له مقام يقومه كل جمعة لايُنْكر، شرفاً له في نفسه وفي قومه، وكان فيهم شريفاً، إذا جلس رسول الله -ﷺ- يوم الجمعة وهو يخطب الناس، قام فقال: أيها الناس، هذا رسول الله -ﷺ- بين أظهركم، أكرمكم الله وأعزكم به، فانصروه وعزروه، واسمعوا له وأطيعوا، ثم يجلس حتى إذا صنع يوم أحد ماصنع، ورجع بالناس، قام يفعل ذلك كما كان يفعله، فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه وقالوا: اجلس، أي عدو الله، لست لذلك بأهل، وقد صنعت ماصنعت، فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول: والله لكأنما قلت بجراً[٢] أن قمت أشدد أمره، فلقيه رجل من الأنصار بباب المسجد فقال: مالك؟ ويلك، قال: قمت أشدد أمره، فوثب علي رجال من أصحابه يجذبونني ويعنفونني، كأنما قلت بجراً أن قمت أشدد أمره، قال: ويلك، ارجع يستغفر لك رسول الله -ﷺ-، قال: والله ماأبتغي أن يستغفر لي"[٣].

ويتضح من خلال استعراض الأحداث التي قام بها اليهود، سواءً سعيهم في الوقيعة بين المسلمين بتذكيرهم بالماضي، وماكانوا عليه، أم في زرعهم لشجرة النفاق في المدينة، وتغذيتها، أن هؤلاء اليهود اتخذوا هذه الطرق لتساعدهم في التصدي للإسلام، حين أيقنوا عجزهم عن مواجهته علناً، فبذلوا الجهد في محاربته سراً، وعن طريق تفكيك وحدة المسلمين، وتقويض أركانه الداخلية، ومع ذلك كشفهم الله تعالى، وفضح خبيئتهم، فلم تعد تلك الأساليب تنطلي على المسلمين في ذلك الوقت، ولم يعد لها أثر من جهة تماسكهم وترابطهم.

---

(١) النفاق والمنافقون، إبراهيم على سالم، ص ١٢٨.

(٢) بجراً : أمراً عظيماً، أو هو الكلام القبيح .

(٣) ابن هشام، ١٠٥/٢.

ثالثاً : الغدر والخيانة :

اتسمت شخصية اليهود خلال تاريخها بسمة واضحة، ألا وهي الغدر والخيانة ونقض العهود، وقد كان لنصوص التلمود أثرها، حيث توصي أتباعها من اليهود بنقض العهود والمواثيق وقد أكد القرآن الكريم على هذه الحقيقة أيضاً، وفي صدر الإسلام كان لغدرهم ونقضهم العهد مع الرسول -ﷺ- نتائج ترتبت عليها آثار خطيرة، من أهمها: إجلاء رسول الله -ﷺ- لهم من المدينة وماجاورها، وكان أول من نقض عهده منهم مع رسول الله -ﷺ- بنو قينقاع .

١- نقض بني قينقاع عهدهم مع رسول الله -ﷺ- في السنة الثانية للهجرة:

كانت قبيلة بني قينقاع من قبائل اليهود الثلاث الكبرى بالمدينة، وكان رسول الله -ﷺ- قد وادعهم، وأخذ عليهم العهد عند قدومه للمدينة، ولكن اليهود قوم خيانة وغدر، يخفون في أنفسهم الحقد والكره للإسلام، يظهر هذا من ردهم عليه -ﷺ- لما دعاهم للإسلام، يروى ابن إسحاق أن رسول الله -ﷺ-: " جمعهم بسوق بني قينقاع ثم قال: يامعشر يهود، احذروا من الله مثل مانزل بقريش من النقمة، وأسلموا، فإنكم قد عرفتم أني نبي مرسل، تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم، قالوا: يامحمد، إنك ترى أنا قومك، لايغرنك أنك لقيت قوماً لاعلم لهم بالحرب، فأصبت منهم فرصة، إنا والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس"[1]، ثم إنهم لما وجدوا الفرصة سانحة للتحلل من عهدهم لم يترددوا لحظة في نقضه، فكان من أمرهم مارواه ابن إسحاق قائلاً: " كان من أمر بني قينقاع أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها، فباعته بسوق بني قينقاع، وجلست إلى صائغ بها، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها، فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوءتها، فضحكوا بها، فصاحت، فوثب

(١) ابن هشام، ٤٧/٢.

رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، وكان يهودياً، وشدّت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود، فغضب المسلمون، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع .... فحاصرهم رسول ا لله -ﷺ- حتى نزلوا على حكمه فقام إليه عبدا لله بن أبي بن سلول، حين أمكنه ا لله منهم فقال: يامحمد، أحسن في مواليّ، وكانوا حلفاء الخزرج، قال فأبطأ عليه رسول ا لله -ﷺ- فقال: يامحمد أحسن في مواليّ، قال: فأعرض عنه، فأدخل يده في جيب درع رسول ا لله -ﷺ- .... فقال له رسول ا لله -ﷺ- : أرسلني، وغضب رسول ا لله -ﷺ- حتى رأوا لوجهه ظللاً، ثم قال: ويحك أرسلني، قال: لا وا لله لاأرسلك حتى تحسن في مواليّ، أربع مئة حاسر، وثلاث مئة دارع[١]، قد منعوني من الأحمر والأسود، تحصدهم في غداة واحدة، إني وا لله امرؤ أخشى الدوائر، قال: فقال رسول ا لله -ﷺ- هم لك"[٢]. ويتضح من هذه الرواية التلازم بين المنافقين واليهود، ولايُعتذر لعبدا لله بن أبي بن سلول من ذلك بأن مابينه وبين بني قينقاع من حلف يفرض عليه هذا الأمر، فهذا عبادة بن الصامت كان حليفاً لهم أيضاً، لكن ذلك لم يمنعه من أن يجعل أمرهم لرسول ا لله -ﷺ-، يفعل بهم ماشاء أن يفعل، ويتبرأ من حلفهم وولايتهم .

وفي عبدا لله بن أبي نزلت هذه الآيات من سورة المائدة : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاتَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لايَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ، فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾[٣].

---

(١) الحاسر، الذي لادرع له، والدارع: الذي عليه درع .

(٢) ابن هشام، ٤٨/٢.

(٣) المائدة، ٥١-٥٢.

وهكذا تم إجلاؤهم إلى أذرعات بالشام، وهناك مات الكثير منهم وانتهى أمرهـم، وأراح ا لله الإسلام والمسلمين من شرورهم.

٢- ماكان من بني النضير في السنة الرابعة :

كان سبب قتال رسول ا لله -ﷺ- لبني النضير هو غدرهم، وهمهـم بقتلـه عليـه السلام، وتعود قصة غدرهم أن رسول ا لله -ﷺ- ذهب إليهم ليسـتعين بهـم في دية القتيلين من بني عامر، اللذين قتلهما عمرو بن أمية وكـان معهمـا عهـد مـن الرسول لم يعلم به، ولما أخبر رسول ا لله بخبره قال له: لقد قتلت قتيلين لأدينهمـا، وكان بين بني عامر وبني النضير حلف وعهد، يقول ابـن إسـحاق: " فلمـا أتـاهم رسول ا لله -ﷺ- يستعينهم في دية ذينـك القتيلـين، قـالوا: نعـم بأبـا القاسـم، نعينك على ماأحببت، مما استعنت بنا عليه، ثم خلا بعضهم ببعض، فقـالوا: إنكـم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه، ورسـول ا لله -ﷺ- إلى جنـب جـدار مـن بيوتهم قاعد، فمن رجل يعلو على هذا البيت، فيلقي عليه صخـرة، فيريحنـا منـه؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بـن كعـب، أحدهـم، فقـال: أنـا لذلـك، فصعـد ليلقي عليه صخرة كمـا قـال، ورسـول ا لله -ﷺ- في نفـر مـن أصحابـه، فيهـم أبوبكـر وعمـر وعلـي رضـوان ا لله عليهـم، فـأتى رسـول ا لله -ﷺ- الخـبر مـن السماء بما أراد القوم، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة، فلما اسـتلبث النـبي -ﷺ- أصحابه، قاموا في طلبه، فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة، فسـألوه عنـه، فقـال: رأيتـه داخلاً المدينة، فأقبل أصحاب رسول ا لله -ﷺ- حتى انتهوا إليه ﷺ ، فأخـبرهم الخبر بما كانت اليهـود أرادت مـن الغـدر بـه، وأمـر رسـول ا لله -ﷺ- بـالتهيؤ لحربهم والسير إليهم ... . فحاصرهم ست ليال .... فتحصنوا منـه في الحصون، فأمر رسـول ا لله -ﷺ- بقطـع النخيـل، والتحريـق فيهـا، فنـادوه: أن يامحمد، قد كنت تنهى عن الفساد، وتعيبه على من صنعه؟ فما بال قطـع النخيـل وتحريقها؟ وقد كان رهط من بني عوف بن الخزرج منهم عدو ا لله عبدا لله بن أبي ابن سلول ووديعة ومالك بن أبي قوقل، وسويد وداعس قد بعثوا إلى بني النضـير

أن اثبتوا وتمنعوا فإنا لن نسلمكم، إن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن أخرجتم خرجنا معكم، فتربصوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا، وقذف الله في قلوبهم الرعب، وسألوا رسول الله -ﷺ- أن يجليهم ويكف عن دمائهم، على أن لهم ماحملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة[١]، ففعل، فاحتملوا من أموالهم ماساستقلت به الإبل، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف بابه فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به، فخرجوا إلى خيبر، ومنهم من سار إلى الشام، فكان أشرافهم من سار إلى خيبر، فلما نزلوها دان لهم أهلها"[٢].وقد نزل في أمر اليهود والمنافقين سورة كاملة هي سورة الحشر، يقول الله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَاأُولِي الأَبْصَارِ، وَلَوْلا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ، مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾[٣].

وفي شأن المنافقين يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلانُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ، لَئِنْ أُخْرِجُوا لايَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لايَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ ثُمَّ لايُنْصَرُونَ، لأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لايَفْقَهُونَ﴾[٤].

---

(١) الحلقة : السلاح أو خاص بالدروع .
(٢) ابن هشام، ٢/١٩٠-١٩١.
(٣) الحشر، ١- ٥.
(٤) الحشر، ١١-١٣.

وبتأمل الآيات السابقات، خاصة قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَـر إِلَى الَّذِيـنَ نَـافَقُوا يَقُولُـونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِيـنَ كَفَـرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، يتضح عمق العلاقة بين اليهود والمنافقين والتي وصفها الله تعالى بالأخوة، وفي ذلك أبرز الأدلة على قوتها ومتانتها.

٣- دور اليهود في تحزيب القبائل على المسلمين، وغزوة الخندق وقريظة في السنة الخامسة:

عندما ذهبت طائفة من يهود بني النضير إلى خيبر لم يطل بها المقام في سكون ودعة، بل أخذت تعد العدة وتجهز لفصل آخر من فصول الإيذاء للإسلام والمسلمين، وهذا هو دأب اليهود لاينتهون من مؤامرة حتى يبدأوا في حياكة أخرى، يقول ابن إسحاق : " إنه كان من حديث الخندق أن نفراً من اليهود، منهم: سلام بن أبي الحقيق النضري، وحيي بن أخطب النضري، وكنانة بن أبي الحقيق النضري، وهوذة بن قيس الوائلي، وأبوعمار الوائلي، في نفر من بني النضير، ونفر من بني وائل وهم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله -ﷺ-، خرجوا حتى قدموا على قريش مكة، فدعوهم إلى حرب رسول الله -ﷺ-، وقالوا: إنا سنكون معكم عليه، حتى نستأصله، فقالت لهم قريش: يامعشر يهود، إنكم أهل الكتاب الأول، والعلم بما أصبحنا فيه نحن ومحمد، أفديننا خير أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منه"(١).

وبعد قريش توجهوا إلى غطفان " فدعوهم إلى حرب رسول الله -ﷺ- وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه، وأن قريشاً قد تابعوهم على ذلك فاجتمعوا معهم فيه"(٢).

---

(١) ابن هشام، ٢/٢١٤.

(٢) نفسه ، ٢/٢١٥ .

فاجتمع هؤلاء وذهبوا إلى المدينة وحاصروها مما اضطر معه المسلمين إلى حفر الخندق، وفي هذه الأثناء تبلغ حالة المسلمين مبلغاً كبيراً من الضيق والعنت، يقول تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا، هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾[1]، وفي هذه اللحظات العصيبة يبلغ المسلمون أن بني قريظة نقضوا عهدهم معهم. يقول ابن إسحاق: " وخرج عدو الله حيي بن أخطب النضري، حتى أتى كعب بن أسد القرظي، صاحب عقد بني قريظة وعهدهم، وكان قد وادع رسول الله -ﷺ- على قومه، وعاقده على ذلك وعاهده، فلما سمع كعب بحيي بن أخطب أغلق دونه باب حصنه، فاستأذن عليه، فأبى أن يفتح له، فناداه حيي: ويحك ياكعب افتح لي، قال: ويحك ياحيي: إنك امرؤ مشئوم، وإني قد عاهدت محمداً، فلست بناقض مابيني وبينه، ولم أر منه إلا وفاء وصدقاً، قال: ويحك افتح لي أكلمك، قال: ماأنا بفاعل، قال: والله إن أغلقت دوني إلا عن جشيشتك أن آكل معك منها، فأحفظ الرجل، ففتح له، قال: ويحك ياكعب جئتك بعز الدهر وببحر طام، جئتك بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رُومه، وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نقمى إلى جانب أحد، قد عاهدوني وعاقدوني على أن لايبرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه. قال: فقال له كعب: جئتني والله بذل الدهر، وبجهام قد هراق ماءه، فهو يرعد ويبرق، ليس فيه شيء، ويحك ياحيي فدعني وماأنا عليه، فإني لم أر من محمد إلا صدقاً ووفاء، فلم يزل حيي بكعب يفتله في الذروة والغارب، حتى سمح له، على أن أعطاه عهداً من الله وميثاقاً لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ماأصابك فنقض كعب بن أسد عهده، وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله -ﷺ-، فلما انتهى إلى رسول

---

(١) الأحزاب، ١٠-١١.

ا لله -ﷺ- الخبر وإلى المسـلمين، بعث رسول ا لله -ﷺ- سعد بن معاذ بن النعمان، وهو يومئذ سيد الأوس، وسعد بن عبادة بن دليم أحد بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج، وهو يومئذ سيد الخزرج ومعهما عبدا لله بن رواحة أخو بنى الحارث بن الخزرج، وخوات بين جبير أخو بنى عمرو بن عوف، فقال: انطلقوا حتى تنظروا، أحق مابلغنا عن هؤلاء القوم أم لا؟ فإن كان حقاً فالحنوا لي لحناً أعرفه ولاتفتوا في أعضاد الناس، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس، قال: فخرجوا حتى أتوهم، فوجدوهم على أخبث مابلغهم عنهم فيما نالوا من رسول ا لله -ﷺ-، وقالوا: من رسول ا لله؟ لاعهد بيننا وبين محمد ولاعقد، فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه وكان رجلاً فيه حدَّه، فقال له سعد بن عبادة: دع عنك مشاتمتهم فما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة. ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما إلى رسول ا لله -ﷺ-، فسلموا عليه، ثم قالوا: عضل والقارة، أي كغدر عضل والقارة بأصحاب الرجيع،خبيب وأصحابه فقال رسول ا لله-ﷺ-: ا لله أكبر، أبشروا يامعشر المسلمين"[١].

وبعد أن فرَّق ا لله شمل الأحزاب ونصر عبده ونبيه محمداً -ﷺ-، أذن له في قتال قريظة ناكثي العهد، فقد أتى جبريل إلى رسول ا لله -ﷺ- وقال له كما يروى ابن إسحاق: "أوقد وضعت السلاح يارسول ا لله؟ قال: نعم، فقال جبريل: فما وضعت الملائكة السلاح بعد، ومارجعت الآن إلا من طلب القوم، إن ا لله عز وجل يأمرك يامحمد بالمسير إلى بني قريظة، فإني عامد إليهم فمزلزل بهم"[٢]. فلما وافاهم رسول ا لله واقترب من حصونهم قال لهم: " ياإخوان القردة، هل أخزاكم ا لله وأنزل بكم نقمته؟ قالوا: ياأبا القاسم ماكنت جهولاً"[٣].

(١) ابن هشام، ٢/٢٢٠-٢٢٢.
(٢) السابق ، ٢/٢٣٣.
(٣) نفسه، ٢/٢٣٤.

ثم حاصرهم رسول ا لله خمساً وعشرين ليلة فلما طال عليهم الحصار وأرهقهم قال لهم زعيمهم كعب بن أسد: "يامعشر يهود قد نزل بكم من الأمر ماترون، وإني عارض عليكم خلالاً ثلاثاً، فخذوا أيها شئتم، قالوا: وماهي؟ قال: نتابع هذا الرجل ونصدقه فوا لله لقد تبين لكم أنه لنبي مرسل، وأنه للذي تجدونه في كتابكم، فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم، قالوا: لانفارق حكم التوراة أبداً، ولانستبدل به غيره، قال: فإذا أبيتم عليَّ هذه، فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مُصلتين السيوف، لم نترك وراءنا ثقلا، حتى يحكم ا لله بيننا وبين محمد فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلاً نخشى عليه، وإن نظهر فلعمري لنجدن النساء والأبناء، قالوا: نقتل هؤلاء المساكين فما خير العيش بعدهم؟ قال: فإن أبيتم عليَّ هذه، فان الليلة ليلة السبت، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا فيها، فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة، قالوا: نفسد سبتنا علينا ونحدث فيه مالم يحدث من كان قبلنا إلا من قد علمت، فأصابه مالم يخف عليك من المسخ، قال: مابات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازماً"(١). وقد انتهى أمرهم بأن نزلوا على حكم رسول ا لله -ﷺ-. يقول ابن إسحاق : " فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول ا لله، فتواثبت الأوس، فقالوا: يارسول ا لله إنهم موالينا دون الخزرج وقد فعلت في موالي إخواننا بالأمس ماقد علمت، وكان رسول ا لله -ﷺ- قبل بني قريظة قد حاصر بني قينقاع وكانوا حلفاء الخزرج، فنزلوا على حكمه، فسأله إياهم عبدا لله بن أبي بن سلول، فوهبهم له فلما كلمته الأوس قال رسول ا لله -ﷺ- ألا ترضون يامعشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم؟ قالوا: بلى، قال رسول ا لله -ﷺ- فذاك إلى سعد بن معاذ"(٢). وكان سعد بن معاذ قد أصابه

---

(١) ابن هشام، ٢/٢٣٥-٢٣٦ .

(٢) نفسه، ٢/٢٣٩.

سهم يوم الخندق فدعا ا لله ألا يميته حتى تقر عينه من بنى قريظة فلما جيء به إلى رسول ا لله، قالوا له: " ياأبا عمرو، إن رسول ا لله -ﷺ- قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم، فقال سعد بن معاذ: عليكم بذلك عهد ا لله وميثاقه أن الحكم فيهم لما حكمت؟ قالوا: نعم، وعلى من هاهنا؟ في الناحية التي فيها رسول ا لله -ﷺ- وهو معرض عن رسول ا لله -ﷺ- إجلالاً له، فقال رسول ا لله -ﷺ- : نعم، قال سعد: فإني أحكم فيهم أن تقتل الرجال، وتقسم الأموال، وتسبى الذراري والنساء .... قال رسول ا لله -ﷺ- لسعد: لقد حكمت فيهم بحكم ا لله من فوق سبعة أرقعة"[1].وفيما هم يساقون لتنفيذ حكم ا لله تعالى فيهم. "قالوا لكعب بن أسد وهم يُذهب بهم إلى رسول ا لله -ﷺ- أرسالاً، ياكعب: ماتراه يصنع بنا؟ قال: أفي كل موطن لاتعقلون؟ ألا ترون الداعي لاينزع وأنه من ذهب به منكم لايرجع؟ هو وا لله القتل، فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول ا لله -ﷺ-، وأتي بحيي بن أخطب عدو ا لله وعليه حلة له فقّاحية ... قد شقها عليه من كل ناحية قدر أنملة لئلا يُسلبها، مجموعة يداه إلى عنقه بحبل، فلما نظر إلى رسول ا لله -ﷺ- قال: أما وا لله مالمت نفسي في عداوتك، ولكن من يخذل ا لله يُخذل، ثم أقبل على الناس فقال أيها الناس، إنه لابأس بأمر ا لله كتاب وقدر وملحمة كتبها ا لله على بني إسرائيل، ثم جلس فضربت عنقه"[2]. وهو بذلك لم ينس الطبع اليهودي الذي اشتملت عليه نفسه، فتراه يشق حلته حتى لايسلبها أحد أو يُنتفع بها بعده، ثم هو مع معرفته للحق يصر حتى آخر رمق على جحده ونكرانه .

---

(١) نفسه، ٢/٢٤١-٢٤٢.

(٢) ابن هشام، ٢/٢٤١.

٤- قتال اليهود في خيبر سنة سبع من الهجرة :

لم يطق اليهود البقاء بدون أن يكيدوا لرسول ا لله -ﷺ- وللمسلمين على الرغم مما حصل لهم، لذا قاموا بالتحالف مع بعض القبائل مثل غطفان، ولما علم المسلمون بهذا توجهوا إلى واد يقال له الرجيع فحالوا بين غطفان ويهود خيبر، يقول ابن إسحاق : "فبلغني أن غطفان لما سمعت بمنزل رسول ا لله -ﷺ- من خيبر جمعوا له ثم خرجوا ليظاهروا يهود عليه، حتى إذا ساروا منقلة سمعوا خلفهم في أموالهم وأهليهم حساً ظنوا أن القوم قد خالفوا إليهم، فرجعوا على أعقابهم، فأقاموا في أهليهم وأموالهم، وخلّوا بين رسول ا لله -ﷺ- وبين خيبر"[1].

وهكذا عُزل اليهود عن حلفائهم من غطفان، وأخذ رسول ا لله ومن معه يفتتحون حصون خيبر حصناً حصناً، حتى إذا أيقن أهلها بالهلاك طلبوا منه -عليه الصلاة والسلام-، أن يأذن لهم في الجلاء وأن تحقن دماؤهم، يقول ابن اسحاق: "وحاصر رسول ا لله -ﷺ-، أهل خيبر في حصنيهم الوطيح والسُّلالم، حتى أيقنوا بالهلكة، سألوه أن يسيرهم وأن يحقن لهم دماءهم، ففعل .... فلما سمع بهم أهل فدك قد صنعوا ماصنعوه، بعثوا إلى رسول ا لله -ﷺ- يسألونه أن يسيرهم وأن يحقق دماءهم ويخلّوا له الأموال ففعل، ..... فلما نزل أهل خيبر على ذلك سألوا رسول ا لله -ﷺ- أن يعاملهم على النصف، وقالوا نحن أعلم بها منكم، وأعمر لها، فصالحهم أهل فدك على مثل ذلك"[2]،وبهذا تخلص الرسول -ﷺ-، والمسلمون من شر اليهود وأذاهم، فأصبح لايوجد في جزيرة العرب منهم إلا من ليس له شأن يذكر،حتى جرت حادثة أخرى في عهد رسول ا لله-ﷺ-قتلوا فيها رجلاً من المسلمين، يقول ابن إسحاق : " فأقامت يهود على ذلك لايرى بهم

(١) نفسه، ٢/٣٣٠.
(٢) ابن هشام، ٢/٣٣٧.

المسلمون بأساً في معاملتهم حتى عدوا في عهد رسول ا لله -ﷺ- على عبدا لله ابن سهل أخي بني حارثة، فقتلوه، فاتهمهم رسول ا لله -ﷺ- والمسلمون عليه"[١]، ولما تقدم أقارب القتيل قال لهم رسول ا لله: "أتسمون قاتلكم، ثم تحلفون عليه خمسين يميناً، فنسلمه إليكم؟ قالوا: يارسول ا لله، ماكنا لنحلف على مالانعلم، قال: أفيحلفون با لله خمسين يميناً ماقتلوه ولايعلمون له قائلاً ثم يبرءون من دمه؟ قالوا: يارسول ا لله، ماكنا لنقبل أيمان يهود، مافيهم من الكفر أعظم من أن يحلفوا على إثم، قال: فوداه رسول ا لله -ﷺ- من عنده مئة ناقة"[٢].

وفي عهد عمر بن الخطاب-رضي الله عنه-، جرت حادثة أخرى أيضاً كان لها تأثيرها المباشر على وضع اليهود، حيث اتهموا بالاعتداء على عبدا لله بن عمر بن الخطاب، يقول عبدا لله: " خرجت أنا والزبير والمقداد بن الأسود إلى أموالنا بخيبر نتعاهدها، فلما قدمنا تفرقنا في أموالنا، قال فعُدِيَ عليّ تحت الليل، وأنا نائم على فراشي، ففدعت يداي من مرفقي، فلما أصبحت استصرخ عليّ صاحباي، فأتياني فسألاني: من صنع هذا بك؟ فقلت: لاأدري، قال: فأصلحا من يدي، ثم قدما بي على عمر -رضي الله عنه-، فقال: هذا من عمل يهود، ثم قام في الناس خطيباً، فقال: أيها الناس: إن رسول ا لله -ﷺ- كان عامل يهود خيبر على أنّا نخرجهم إذا شئنا، وقد عدوا على عبدا لله بن عمر، ففدعوا يديه، كما قد بلغكم، مع عدوهم على الأنصاري قبله، لانشك أنهم أصحابه، ليس لنا هناك عدو غيرهم، فمن كان له مال بخيبر فليلحق به، فإني مخرج يهود، فأخرجهم"[٣].

وهكذا زال الوجود اليهودي من جزيرة العرب، ولم يعد لهم فيها مقام حيث أخرجهم منها عمر -رضي الله عنه- بعد تلك الحادثة .

---

(١) نفسه، ٢/٣٥٤.
(٢) نفسه، ٢/٣٥٥.
(٣) ابن هشام، ٢/٣٥٧.

رابعاً: الاستهزاء برسول الله -ﷺ-، وإيذاؤه :

كان حقد اليهود على رسول الله -ﷺ-، منذ أن عرفوا أمره، وأنه نبي مرسل للعالمين، ولم يكن منهم، كما كانوا يأملون، يتضح هذا عندما سئل أحدهم عما في نفسه تجاه رسول الله -ﷺ- فقال: " عداوته والله مابقيت"، فقد كانوا يأتون للنبي -ﷺ- ويتظاهرون بإلقاء السلام عليه، وهم يدعون بالموت، روى البخاري عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: " دخل رهط من اليهود على رسول الله -ﷺ-، فقالوا: السام عليكم، قالت عائشة: ففهمتها، فقلت: وعليكم السام واللعنة، قالت، فقال رسول الله -ﷺ-: مهلاً ياعائشة، إن الله يحب الرفق في الأمر كله، فقلت: يارسول الله أولم تسمع ماقالوا، قال رسول الله -ﷺ- : قد قلت وعليكم"(١).

وقد فضحهم الله -تعالى- حينما كانوا يقولون للرسول -ﷺ-: "راعنا"، وهي مأخوذة من الرعونة يريدون أن يسبوا النبي -ﷺ- ، يقول الله تعالى مخبراً عنهم: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلايُؤْمِنُونَ إلا قَلِيلاً﴾(٢). يقول ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية: " أي يقولون سمعنا ماقلته يامحمد ولانطيعك فيه، ... وهذا أبلغ في كفرهم وعنادهم وأنهم يتولون عن كتاب الله بعدما عقلوه وهم يعلمون ماعليهم في ذلك من الإثم والعقوبة، وقوله (وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ) أي اسمع مانقول، لاسمعت .. وقال مجاهد والحسن: واسمع غير مقبول منك ... وهذا استهزاء منهم واستهتار عليهم لعنة الله، (وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ) أي يوهمون أنهم يقولون: راعنا سمعك بقولهم راعنا وإنما يريدون الرعونة بسبهم النبي"(٣).

---

(١) أخرجه البخاري، فتح الباري، كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله، ١/٥٥١.
(٢) النساء، ٤٦.
(٣) ابن كثير، ١/٦٦٣.

ولم تقف محاولات اليهود للإضرار بالنبي -ﷺ- عند هذا الحد بل إنهم حاولوا قتله فنجاه الله تعالى. وقد جرت محاولات للقضاء عليه -ﷺ- كان من أشهرها: عندما ذهب عليه السلام إلى بني النضير " يستعينهم في دية العامريين اللذين قتل عمرو بن أمية الضمري، فلما خلا بعضهم ببعض قالوا: لن تجدوا محمداً أقرب منه الآن، فمن رجل يظهر على هذا البيت، فيطرح عليه صخرة فيريحنا منه؟ فقال عمرو بن جحاش بن كعب: أنا، فأتى رسول الله -ﷺ- الخبر، فانصرف عنهم، فأنزل الله تعالى فيه وفيما أراد هو وقومه: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[1]"[2].

أما المحاولة الأخرى: عندما وضعوا السم له -ﷺ- ، يقول ابن إسحاق بعد حديثه عن غزوة خيبر: " فلما اطمأن رسول الله -ﷺ-، أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم شاة مصلية، وقد سألت أي عضو من الشاة أحب إلى رسول الله -ﷺ-؟ فقيل لها: الذراع، فأكثرت فيها من السم، ثم سَّمت سائر الشاة، ثم جاءت بها، فلما وضعتها بين يدي رسول الله -ﷺ- تناول الذراع، فلاك منها مضغة فلم يسغها، ومعه بشر بن البراء بن معرور قد أخذ منها كما أخذ رسول الله -ﷺ-، فأما بشر فأساغها، وأما رسول الله -ﷺ- فلفظها، ثم قال: إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم، ثم دعا بها، فاعترفت، فقال: ماحملك على ذلك؟ قالت: بلغت من قومي مالم يخف عليك، فقلت: إن كان ملكاً استرحت منه، وإن كان نبياً فسيخبر، قال: فتجاوز عنها رسول الله -ﷺ-، ومات بشر من أكلته التي أكل"[3]، وهذا من دلائل صدق رسول الله -ﷺ-، حيث أعلمه الله عز وجل بأمر الشاة المسمومة، وتأتي قصة السحر محاولة أخرى من اليهود لايذاء رسول الله -ﷺ- فقد أخرج البخاري في صحيحه عن

---

(١) المائدة، ١١ .
(٢) ابن هشام، ١/٥٦٣، وانظر: ابن كثير، ٢/٤٥.
(٣) ابن هشام، ٢/٣٣٧-٣٣٨.

عائشة قالت: " سحر رسول ا لله -ﷺ- رجل من بني زريق يقال له لبيد بن الأعصم حتى كان رسول ا لله -ﷺ- يخيل إليه أنه كان يفعل الشيء ومافعله حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة وهو عندي لكنه دعا ودعا ثم قال ياعائشة أشعرت أن ا لله أفتاني فيما استفتيته فيه، أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجليَّ فقال أحدهما لصاحبه ماوجع الرجل فقال: مطبوب، قال: من طبه، قال: لبيد بن الأعصم، قال: في أي شيء، قال: في مشط ومشاطة وجف طلع نخلة ذكر، قال: وأين هو، قال: في بئر ذروان، فأتاها رسول ا لله -ﷺ-، في ناس من أصحابه فجاء فقال ياعائشة كأن ماءها نقاعة الحناء أو كأن رءوس نخلها رءوس الشياطين قلت يارسول ا لله أفلا استخرجته قال قد عافاني ا لله فكرهت أن أثور على الناس فيه شراً فأمر بها فدفنت"[1].

ومن محاولات إيذاء رسول ا لله -ﷺ- المساس بسيرته العطرة، ويتضمن ذلك المساس بسيرة أهل بيته الكرام – رضوان ا لله عليهم – وتأتي قصة الإفك شاهدة على هذه المحاولات الخبيثة، وكان كبر هذا الأمر عند عبدا لله بن أبي بن سلول، صنيعة اليهود، والمنفذ الأول لجميع أوامرهم وتوجيهاتهم، وفي هذا أبلغ الدلالة على دور اليهود الخفي في هذه القصة، التي رواها ابن إسحاق ، عن عائشة – رضي ا لله عنها– قالت: "كان رسول ا لله -ﷺ- إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه، فلما كانت غزوة بني المصطلق، أقرع بين نسائه، كما كان يصنع، فخرج سهمي عليهن معه، فخرج بي رسول ا لله -ﷺ-، قالت: وكان النساء إذ ذاك إنما يأكلن العلق لم يهجهن اللحم فيثقلن، وكنت إذا رُحِّل لي بعيري، جلست في هودجي ثم يأتي القوم الذين يُرحلون لي ويحملونني، فيأخذون بأسفل الهودج، فيرفعونه، فيضعونه على ظهر البعير، فيشدونه بحباله، ثم يأخذون برأس البعير، فينطلقون به، قالت: فلما فرغ رسول ا لله -ﷺ- من سفره وجَّه قافلاً، حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل منزلاً، فبات به بعض الليل، ثم أذَّن في الناس بالرحيل، فارتحل الناس، وخرجت لبعض حاجتي، وفي عنقي

(١) رواه البخاري، فتح الباري، كتاب الطب، باب السحر، ١٠/٢٧٢.

عقد لي، فيه جزع ظفار، فلما فرغت انسل من عنقي ولا أدري، فلما رجعت إلى الرحل، ذهبت ألتمسه في عنقي، فلم أجده، وقد أخذ الناس في الرحيل، فرجعت إلى مكاني الذي ذهبت إليه ، فالتمسته حتى وجدته، وجاء القوم خلافي، الذين كانوا يُرحلون لي البعير، وقد فرغوا من رحلته، فأخذوا الهودج، وهم يظنون أني فيه، كما كنت أصنع، فاحتملوه، فشدوه على البعير، ولم يشكوا أني فيه، ثم أخذوا برأس البعير، فانطلقوا به، فرجعت إلى العسكر ومافيه من داع ولامجيب قد انطلق الناس، قالت: فتلففت بجلبابي ثم اضطجعت في مكاني، وعرفت أن لو قد افتقدت لرجع إلي، قالت: فوا الله إني لمضطجعة إذ مر بي صفوان بن المعطل السلمي، وقد كان تخلف عن العسكر لبعض حاجته، فلم يبت مع الناس، فرأى سوادي، فأقبل حتى وقف عليّ، وقد كان يراني قبل أن يضرب علينا الحجاب، فلما رآني قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، ظعينة رسول الله -ﷺ-، وأنا متلففة في ثيابي، قال: ماخلفك يرحمك الله؟ قالت: فما كلمته، ثم قرب البعير، فقال: اركبي، واستأخر عني، قالت: فركبت، وأخذ برأس البعير، فانطلق سريعاً، يطلب الناس، فوا الله ماأدركنا الناس، وماافتقدت حتى أصبحت، ونزل الناس، فلما اطمأنوا طلع الرجل يقود بي، فقال أهل الإفك ماقالوا، فارتعج العسكر، ووا الله ماأعلم بشيء من ذلك، ثم قدمنا المدينة، فلم ألبث أن اشتكيت شكوى شديدة، ولايبلغني من ذلك شيء، وقد انتهى الحديث إلى رسول الله -ﷺ-، وإلى أبوي لايذكرون لي منه قليلاً ولاكثيراً، إلا أني قد أنكرت من رسول الله -ﷺ- بعض لطفه بي، كنت إذا اشتكيت رحمني، ولطف بي، فلم يفعل ذلك بي في شكواي تلك، فأنكرت ذلك منه، كان إذا دخل عليّ وعندي أمي تمرضني .... قال: كيف تيكم، لايزيد على ذلك، قالت: حتى وجدت في نفسي، فقلت: يارسول الله، حين رأيت مارأيت من جفائه لي، لو أذنت لي، فانتقلت إلى أمي، ولاعلم لي بشيء مما كان، حتى نقهت من وجعي بعد بضع وعشرين ليلة، وكنا قوماً عرباً، لانتخذ في بيوتنا هذه الكنف التي تتخذها الأعاجم، نعافها ونكرهها، إنما كنا نذهب في فسح المدينة، وإنما كانت النساء يخرجن كل ليلة في حوائجهن، فخرجت ليلة لبعض حاجتي ومعي أم مسطح بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف، وكانت أمها بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم، خالة أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-، قالت: فوا الله إنها

لتمشي معي إذ عثرت في مِرْطها فقالت: تعس مسطح، ومسطح لقب واسمه عوف، قالت: قلت: بئس لعمر ا لله ماقلت لرجل من المهاجرين قد شهد بدراً، قالت: أو مابلغت الخبر يابنت أبي بكر؟ قالت: قلت وماالخبر؟ فأخبرتني بالذي كان من قول أهل الإفك، قالت: قلت: أو قد كان هذا؟ قالت: نعم وا لله لقد كان، قالت: فوا لله ماقدرت أن أقضي حاجتي، ورجعت، فوا لله مازلت أبكي حتى ظننت أن البكاء سيصدع كبدي، قالت وقلت لأمي: يغفر ا لله لك تحدث الناس بما تحدثوا به، ولاتذكرين لي من ذلك شيئاً، قالت: أي بنيه، خفضي عليك الشأن، فوا لله لقلما كانت امرأة حسناء، عند رجل يحبها، لها ضرائر، إلا كثّرن وكثّر الناس عليها، قالت: وقد قام رسول ا لله -ﷺ- في الناس يخطبهم ولاأعلم بذلك، فحمد ا لله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، مابال رجال يؤذنني في أهلي، ويقولون عليهم غير الحق، وا لله ماعلمت منهم إلا خيراً، ويقولون ذلك لرجل وا لله ماعلمت منه إلا خيراً، ومايدخل بيتاً من بيوتي إلا وهو معي، قالت: وكان كبر ذلك عند عبدا لله بن أبي بن سلول، في رجال من الخزرج، مع الذي قال مسطح وحمنه بنت جحش، وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول ا لله -ﷺ-، ولم تكن من نسائه من تناصيني في المنزلة عنده غيرها، فأما زينب فعصمها ا لله تعالى بدينها، فلم تقل إلا خيراً، وأما حمنه بنت جحش، فأشاعت من ذلك مأأشاعت، تضادني لأختها، فشقيت بذلك، فلما قال رسول ا لله -ﷺ- تلك المقالة، قال أسيد بن حضير: يارسول ا لله إن يكونوا من الأوس نكفكهم، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج، فمرنا بأمرك، فوا لله إنهم لأهل أن تضرب أعناقهم، قالت: فقام سعد بن عبادة، وكان قبل ذلك يرى رجلاً صالحاً، فقال : كذبت لعمر ا لله، لانضرب أعناقهم، أما وا لله ماقلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج ولو كانوا من قومك ماقلت هذا، فقال أسيد: كذبت لعمر ا لله، ولكنك منافق تجادل عن المنافقين، قالت: وتساور الناس، حتى كاد يكون بين هذين الحيين من الأوس والخزرج شر، ونزل رسول ا لله -ﷺ- فدخل علي، فدعا علي ابن أبي طالب رضوان ا لله عليه، وأسامة بن زيد، فاستشارهما، فأما أسامة فأثنى عليّ خيراً، وقاله، ثم قال: يارسول ا لله، أهلك ولاتعلم منهم إلاخيراً، وهذا الكذب والباطل، وأما علي فإنه قال: يارسول ا لله إن النساء لكثير، وإنك لقادر على أن تستخلف، وسل

الجارية فإنها ستصدقك، فدعا رسول ا لله -ﷺ-، بريرة ليسألها، قالت: فقام إليها علي ابن أبي طالب، فضربها ضرباً شديداً، ويقول: اصدقي رسول ا لله -ﷺ-، قالت: فتقول وا لله ماأعلم إلا خيراً، وماكنت أعيب على عائشة شيئاً، إلا أني كنت أعجن عجيني، فآمرها أن تحفظه، فتنام عنه، فتأتي الشاة فتأكله. قالت: ثم دخل عليّ رسول ا لله -ﷺ- وعندي أبواي، وعندي امرأة من الأنصار وأنا أبكى وهي تبكي معي، فجلس، فحمد ا لله، وأثنى عليه، ثم قال: ياعائشة، إنه قد كان ماقد بلغك من قول الناس، فاتقي ا لله، وإن كنت قد قارفت سوءاً مما يقول الناس فتوبي إلى ا لله، فإن ا لله يقبل التوبة عن عباده، قالت: فوا لله ماهو إلا أن قال لي ذلك، فقلص دمعي، حتى ماأحس منه شيئاً، وانتظرت أبويّ أن يجيبا عني رسول ا لله -ﷺ- فلم يتكلما، قالت: وأيم ا لله لأنا كنت أحقر في نفسي، وأصغر شأناً من أن ينزل ا لله فيّ قرآناً يقرأ في المساجد، ويصّلى به، ولكني قد كنت أرجو أن يرى رسول ا لله -ﷺ- في نومه شيئاً يكذب به ا لله عني، لما يعلم من براءتي، أو يخبر خبراً، فأما قرآن ينزل فيّ، فوا لله لنفسي كانت أحقر عندي من ذلك، قالت: فلما لم أر أبويّ يتكلمان، قالت: قلت لهما: ألا تجيبان رسول ا لله -ﷺ-؟ قالت: فقالا: وا لله ماندري بما نجيبه، قالت: ووا لله ماأعلم أهل بيت دخل عليهم مادخل على آل أبي بكر في تلك الأيام، قالت: فلما أن استعجما علي، استعبرت فبكيت، ثم قلت: وا لله لاأتوب إلى ا لله مما ذكرتَ أبداً، ووا لله إني لأعلم لئن أقررت بما يقول الناس، وا لله يعلم أني منه بريئة، لأقولن مالم يكن، ولئن أنا أنكرت مايقولون لاتصدقونني، قالت: ثم التمست اسم يعقوب فما أذكره، فقلت: ولكن سأقول كما قال أبويوسف: ﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾[1]، قالت: فوا لله مابرح رسول ا لله -ﷺ- مجلسه حتى تغشاه من ا لله ماكان يتغشاه فسجي بثوبه، ووضعت له وسادة من أدم تحت رأسه، فأما أنا حين رأيت من ذلك مارأيت فوا لله مافزعت ولاباليت، قد عرفت أني بريئة، وأن ا لله عز وجل غير ظالمي، وأما أبواي فوالذي نفس عائشة بيده، ماسُري من رسول ا لله -

---

(١) يوسف، ١٨ .

ﷺ- حتى ظننت لتخرجن أنفسهما، فَرَقاً من أن يأتي من ا لله تحقيق ماقال الناس، قالت: ثم سُرّي عن رسول ا لله -ﷺ- فجلس، وإنه ليتحدر منه مثل الجمان في يوم شاتٍ، فجعل يمسح العرق عن جبينه، ويقول:أبشري ياعائشة، فقد أنزل ا لله براءتك، قالت: قلت: بحمدا لله، ثم خرج إلى الناس، فخطبهم، وتلا عليهم ماأنزل ا لله عليه من القرآن في ذلك، ثم أمر بمسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت وحمنه بنت جحش، وكانوا ممن أفصح بالفاحشة، فضربوا حدهم"(١).

إذن جاءت قصة الإفك هذه فتنة للمسلمين، وابتلاءً من ا لله تعالى لنبيه -ﷺ-، وكان تأثيرها عليهم كبيراً لدرجة وقوع مشادة بين الأوس والخزرج، كادت أن تصل إلى حد الاقتتال، وعلى يد عبدا لله بن أبي بن سلول نجح اليهود في استغلال هذا الأمر والترويج من خلاله لما يسيء إلى نبينا محمد -ﷺ- في أهله، ولكن ا لله -تعالى- حمى المسلمين، وحمى نبيه -ﷺ- وبرأ زوجه عائشة -رضي ا لله عنها-، ورد كيد المنافقين ومن خلفهم اليهود فلم ينالوا خيراً.

أحداث الفتنة في عهد عثمان -رضي الله عنه- ودور اليهود فيها :

بعد أن تطهرت الجزيرة العربية من الوجود اليهودي على أرضها في عهد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- سُدَّت أمام اليهود كل الطرق المباشرة التي كانوا من خلالها يكيدون للإسلام والمسلمين، فلم يعد بإمكانهم الظهور المباشر على مسرح الأحداث، فهل ييأس اليهود في محاولاتهم القضاء على الإسلام وتشتيت أمر المسلمين باعتبار أن الفرص قد تضاءلت أمامهم؟.

إن اليهود وهم أهل مكر وخداع، وقادة الناس في التلون، لم يكن ليثنيهم قرار عمر -رضي الله عنه- بإخراجهم من جزيرة العرب في العودة إليها مرة أخرى، ولم يكن لليأس أن يدب في أنفسهم وهم أهل صولات وجولات وأصحاب نَفَسٍ طويل يمكنهم من التدبير

(١) ابن هشام، ٢/٢٩٧-٣٠٢.

والتخطيط ومن ثم جني الثمار، مهما طال الوقت، وهذا ماحصل في مواجهتهم للإسلام بعد عصر رسول ا لله -ﷺ- حيث عادوا ولكن بصورة المستتر بالإسلام.

وتعتبر شخصية عبدا لله بن سبأ اليهودي المتظاهر بالإسلام أبرز شخصية ظهرت في تلك الفترة وكان لها التأثير الكبير على مجريات الأحداث وتسيير دفتها لصالح اليهود، وإحداث الفرقة والشقاق في صفوف المسلمين بحيث امتد هذا الأثر إلى وقتنا الحاضر، فقد نجح ابن سبأ اليهودي في إشعال نار الفتنة وإضرامها بحيث لم يسلم منها قطر من أقطار الإسلام في ذلك الوقت .

وابن سبأ يهودي من اليمن يعرف بابن السوداء، تظاهر بالإسلام، ولاعبرة بمن أنكر وجوده[١]، فقد اعترف اليهود أنفسهم به، ففي كتاب: "الإسلام وبنو إسرائيل" نقل مؤلفه عن دائرة المعارف اليهودية ماكتبه Prof hirchpeld، هيرشفلد، الأستاذ اليهودي بالكلية اليهودية قوله: " إن ابن سبأ من يهود اليمن، وفد إلى المدينة واستوطنها مسلماً، وطرد من المدينة لتوجيهه نقداً شديداً إلى إدارة الخليفة عثمان، ورحل ابن سبأ من هناك إلى مصر وألف فيها جماعة تناقض إدارة عثمان، وكانت إحدى مهماتها خدمة آمال علي[٢]. أحرز ابن سبأ شهرة واسعة في مصر بسبب علمه العميق الواسع، وبدأ في نشر بعض العقائد الدينية فيها، ونظراً لقوله: أن لكل نبي وزيراً يرث مقامه من بعده، فوزير سيدنا محمد وخليفته من بعده هو علي، إلا أن هذا الحق قد اغتصب منه بحيلة ودسيسة ومكر فحرم منه، وكان الواجب يقضي بأن يرث مقام محمد، ولم يكن لعثمان أي حق شرعي في الخلافة، وعدم رضاء الناس بوجه عام عن إدارة عثمان ساعد على انتشار دعوة ابن سبأ، وجاء في رواية أنه لما ولي علي مقام الخلافة أضاف إليه ابن سبأ صفة من

---

(١) انظر في الرد على هذا الزعم كتاب: عبدا لله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام، تأليف: سليمان بن حمد العودة، وهي رسالة ماجستير مطبوعة، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ.

(٢) هكذا ورد في النص .

صفات الألوهية فقال أنت هو، فنفاه الخليفة علي إثر ذلك إلى مدائن صالح، وبعد أن قتل علي ادعى ابن سبأ عدم موته، بل ادعى أنه حي يرزق ولم يقتل فضلاً عن ادعائه أن جزءاً من الألوهية حل فيه ..."[١].

إذن هذا اعتراف صريح من اليهود أنفسهم بابن سبأ ودوره في الفتنة العظيمة في عهدي عثمان وعلي -رضي الله عنهما-، فما الذي فعله ابن سبأ ليروي غليله واليهود معه من الإسلام والمسلمين؟ لقد بدأ أولاً بإثارة الفتنة ضد خليفة المسلمين عثمان بن عفان -رضي الله عنه- مستغلاً بعض الأمور التي قام بها عثمان -رضي الله عنه- لكي يهيج الناس ضده[٢]، وقد دخل على الناس بشبهتين: الأولى: أن - محمداً -صلى الله عليه وسلم- سيعود إلى الدنيا مرة أخرى، الثانية: أن علي بن أبي طالب أولى بالخلافة من عثمان رضي الله عنهما .

يقول ابن كثير في البداية والنهاية : " وذكر سيف بن عمر أن سبب تألب الأحزاب على عثمان أن رجلاً يقال له عبدالله بن سبأ كان يهودياً فأظهر الإسلام وصار إلى مصر، فأوحى إلى طائفة من الناس كلاماً اخترعه من عند نفسه، مضمونه أنه يقول للرجل: أليس قد ثبت أن عيسى بن مريم سيعود إلى هذه الدنيا؟ فيقول الرجل : نعم، فيقول له فرسول الله -صلى الله عليه وسلم- أفضل منه، فما تنكر أن يعود إلى هذه الدنيا، وهو أشرف من عيسى بن مريم عليه السلام، ثم يقول: وقد كان أوصى إلى علي بن أبي طالب فمحمد خاتم الأنبياء، وعلي خاتم الأوصياء، ثم يقول: فهو أحق بالإمرة من عثمان، وعثمان معتد في ولايته ماليس له، فأنكروا عليه وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فافتتن به بشر كثير من أهل مصر، وكتبوا إلى جماعات من عوام أهل الكوفة والبصرة، فتمالؤوا على ذلك وتكاتبوا فيه، وتواعدوا أن يجتمعوا في الإنكار على عثمان،

---

(١) الإسلام وبنو إسرائيل ، ص٢٠٠.

(٢) أورد علماء الإسلام هذه الأمور وردوا عليها وفندوها. انظر في ذلك: منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، ٦/١٨١-٣٦٠.

وأرسلوا إليه من يناظره، ويذكر لهماينقمون عليه من توليته أقرباءه وذوي رحمه وعزله كبار الصحابة، فدخل هذا في قلوب كثير من الناس"[١]، وتبدأ بوادر الخلاف في سنة ثلاث وثلاثين للهجرة، فقد أمر عثمان -رضي الله عنه- بأن يخرج بعض من أهل الكوفة إلى الشام وكان السبب في ذلك - كما يقول ابن كثير -: "أنهم تكلموا بكلام قبيح في مجلس سعيد بن عامر فكتب إلى عثمان في أمرهم، فكتب إليه عثمان أن يجليهم من بلده إلى الشام، وكتب عثمان إلى معاوية أمير الشام أنه قد خرج إليك قراء من أهل الكوفة فأنزلهم وأكرمهم وتألفهم، فلما قدموا أنزلهم معاوية وأكرمهم واجتمع بهم ووعظهم ونصحهم فيما يعتمدونه من أتباع الجماعة وترك الانفراد والابتعاد، فأجابه متكلمهم والمترجم عنهم بكلام فيه بشاعة وشناعة فاحتملهم معاوية لحلمه .... إلى أن يقول: .... وكانوا يشتمون عثمان وسعيد بن العاص، وكانوا عشرة وقيل تسعة، وهو الأشبه منهم كميل بن زياد، والأشتر النخعي واسمه مالك بن يزيد وعلقمة بن قيس النخعيان، وثابت بن قيس النخعي، وجندب بن زهير العامري، وجندب بن كعب الأزدي، وعروة بن الجعد وعمرو بن الحمق الخزاعي"[٢].

وفي السنة التي تليها : " ثاروا على سعيد بن العاص أمير الكوفة، وتألبوا عليه ونالوا منه ومن عثمان، وبعثوا إلى عثمان من يناظره فيما فعل وفيما اعتمد من عزل كثير من الصحابة وتولية جماعة من بنى أمية من أقربائه وأغلظوا له في القول، وطلبوا منه أن يعزل عماله ويستبدل أئمة غيرهم من السابقين من الصحابة، حتى شق ذلك عليه جداً"[٣].

أما في مصر فيقول ابن كثير: " ونشأ بمصر طائفة من أبناء الصحابة يؤلبون الناس على حربه والإنكار عليه، وكان عظم ذلك مسنداً إلى محمد بن أبي بكر، ومحمد بن أبي

---

(١) البداية والنهاية، ٧/١٧٤-١٧٥.

(٢) البداية والنهاية، ٧/١٧٢-١٧٣.

(٣) نفسه، ٧/١٧٣.

حذيفة، حتى استنفروا نحواً من ستمائة راكب يذهبون إلى المدينة في صفة معتمرين في شهر رجب، لينكروا على عثمان فساروا إليها تحت أربع رفاق، وأمر الجميع إلى عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي، وعبدالرحمن بن عديس البلوي، وكنانة بن بشر التجيبي، وسودان بن حمران السكوني، وأقبل معهم محمد بن أبي بكر وأقام بمصر محمد بن أبي حذيفة يؤلب الناس ويدافع عن هؤلاء"[١].

ثم إن كلاً من وفود البصرة والكوفة ومصر تراسلوا وخرجوا يريدون المدينة. يقول ابن كثير: " لما كان في شوال سنة خمس وثلاثين، خرج أهل مصر في أربع رفاق على أربعة أمراء، المقلل لهم يقول ستمائة، والمكثر يقول ألف، على الرفاق عبدالرحمن بن عديس البلوي وكنانة بن بشر الليثي، وسودان بن حمران السكوني وقتيرة السكوني وعلى القوم جميعاً الغافقي بن حرب العكي، وخرجوا فيما يظهرون للناس حجاجاً، ومعهم ابن السوداء[٢]، وكان أصله ذمياً فأظهر الإسلام وأحدث بدعاً قوليه وفعلية، قبحه الله، وخرج أهل الكوفة في عدتهم في أربع رفاق أيضاً وأمراؤهم: زيد بن صوحان، والأشتر النخعي، وزياد بن النضر الحارثي، وعبدالله بن الأصم، وعلى الجميع عمرو بن الأصم، وخرج أهل البصرة في عدتهم أيضاً في أربع رايات مع حكيم بن جبلة العبدي، وبشر بن شريح بن ضبيعة القيسي، وذريح بن عباد العبدي وعليهم كلهم حرقوص بن زهير السعدي، وأهل مصر مصرون على ولاية علي بن أبي طالب وأهل الكوفة عازمون على تأمير الزبير، وأهل البصرة مصممون على تولية طلحة لاتشك كل فرقة أن أمرها سيتم، فسار كل طائفة من بلدهم حتى توافدوا على حول المدينة كما تواعدوا في كتبهم، في شهر شوال فنزل طائفة منهم بذي خشب وطائفة بالأعوص، والجمهور بذي مروة، وهم على وجل من أهل المدينة، فبعثوا قصاداً وعيوناً بين أيديهم ليخبروا الناس أنهم

(١) نفسه ، ١٧٨/٧.

(٢) هو : عبدالله بن سبأ، وقد كان يعرف بهذا الإسم قيل لأن أمه حبشية .

جاؤوا للحج لا لغيره، وليستعفوا هذا الوالى من بعض عماله، ماجئنا إلا لذلك، واستأذنوا للدخول، فكل الناس أبى دخولهم ونهى عنه، فتجاسروا واقتربوا من المدينة، وجاءت طائفة من المصريين إلى علي وهو في عسكر عند أحجار الزيت عليه حلة أقواف معتم بشقيقة حمراء يمانية متقلداً السيف وليس عليه قميص، وقد أرسل ابنه الحسن إلى عثمان فيمن اجتمع إليه، فسلم عليه المصريون فصاح بهم وطردهم، وقال: لقد علم الصالحون أن جيش ذي المروة وذي خشب ملعونون على لسان محمد -ﷺ- فارجعوا لا صبحكم ا لله، قالوا: نعم وانصرفوا من عنده على ذلك، وأتى البصريون طلحة وهو في جماعة أخرى إلى جنب علي وقد أرسل ابنيه إلى عثمان فسلموا عليه فصاح بهم وطردهم وقال لهم كما قال علي لأهل مصر، وكذلك كان رد الزبير على أهل الكوفة، فرجع كل فريق منهم إلى قومهم، وأظهروا للناس أنهم راجعون إلى بلدانهم وساروا أياماً راجعين ثم كروا عائدين إلى المدينة، فما كان غير قليل حتى سمع أهل المدينة التكبير، وإذا القوم قد زحفوا على المدينة وأحاطوا بها"[1].

وتبين هذه القصة الدور الذي قام به ابن سبأ في التحريض على عثمان وتأليب أهل الكوفة والبصرة – وكان قد نزلهما – ومن ثم مصر، وتجميعهم في جيوش حاصرت أهل المدينة وخصوصاً منزل عثمان، ثم إنها تبين أمراً آخر وهو أن أكثر هؤلاء كان من لاغرض له إلا عزل بعض الولاة وتنصيب آخرين بدليل أنهم عادوا حينما صدهم علي -كرم ا لله وجهه- وكذا طلحة والزبير – رضي ا لله عنهما- ولكن هذا لم يرض مدبري الفتنة وعلى رأسهم ابن سبأ الذي ماكان ليرتضي أن يخسر بهذه السهولة فدبر أمراً جعل الوفود تعود مرة أخرى وتمعن في حصار منزل عثمان -رضي الله عنه- ، فما هي هذه المكيدة؟ لقد دبر مثيروا الفتنة أمر كتاب مزور على عثمان بأنه يأمر بقتل زعماء وفد مصر حين عودتهم إليها، وكان علي بن أبي طالب قد سأل أهل مصر: " ماردكم بعد ذهابكم

---

(١) البداية والنهاية، ٧/١٨١-١٨٢.

ورجوعكم عن رأيكم؟ فقالوا: وجدنا مع بريد كتاباً بقتلنا، وكذلك قال البصريون لطلحة، والكوفيون للزبير، وقال أهل كل مصر: إنما جئنا لننصر أصحابنا، فقال لهم الصحابة: كيف علمتم بذلك من أصحابكم، وقد افترقتم وصار بينكم مراحل؟ إنما هذا أمر اتفقتم عليه"(١).

ومن ثم يحيط الثوار بمنزل عثمان بن عفان -رضي الله عنه- ويحاصرونه حتى انتهى بهم الأمرالى قتله - رضي ا لله عنه ورحمه-، والذي يهم من عرض هذه الرواية هو بيان دور ابن سبأ فيها، وهو الدور الذي لايخفى، حيث قام بتشكيك الناس في عقيدتهم، وتشكيكهم في شرعية الخلافة، وكما اتضح سابقاً، لايبتغي اليهود أن يكون المسلمون على يد واحدة، فلما بدأت بعض بودار الخلاف واجتهادات الرأي تظهر، قام ابن سبأ بإذكاء روح الفتنة وإشعالها، والتخطيط المتقن بحيث تصبح خيوط المؤامرة كلها بيده، فهو عندما رأى عودة الوفود إلى بلدانها، لم يتوان في تدبير مكيدة الكتاب، ساعده على ذلك بعض ضعاف النفوس ممن أشربت قلوبهم حب الفتنة وروح التمرد .

دور ابن سبأ في الأحداث التي وقعت في عهد علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-:

لم يقنع ابن سبأ اليهودي، بما فعله من إشاعة الفرقة بين صفوف المسلمين في عهد عثمان -رضي الله عنه-، ولعبه دوراً كبيراً في الأحداث التي أدت لمقتله، فبعد تولي علي بن أبي طالب - كرم ا لله وجهه - الخلافة، اندس وحلفاؤه في جيش علي، وذلك في موقعة الجمل والتي دارت رحاها بين علي بن أبي طالب ومن معه كعمار بن ياسر من جهة، وبين طلحة بن عبيدا لله والزبير بن العوام ومعهما أم المؤمنين عائشة -رضي ا لله عنهم- من جهة أخرى، وكانوا يطالبون بأخذ الثأر من قتلة عثمان الذين كانوا مندسين في صفوف جيش علي - كرم ا لله وجهه - وبعد أن احتدم الخلاف بين الفريقين، بعث علي ابن أبي طالب: القعقاع بن عمرو إلى عائشة والزبير وطلحة يدعوهم للصلح، يقول ابن

---

(١) نفسه، ١٨٢/٧.

كثير: " فذهب القعقاع إلى البصرة فبدأ بعائشة أم المؤمنين، فقال: أي أماه، ماأقدمك هذا البلد، فقالت: أي بني الاصلاح بين الناس، فسألها أن تبعث إلى طلحة والزبير ليحضرا عندها، فحضرا فقال القعقاع: إني سألت أم المؤمنين ماأقدمها؟ فقالت: إنما جئت للإصلاح بين الناس، فقالا: ونحن كذلك، قال: فأخبراني ماوجه هذا الإصلاح؟ وعلى أي شيء يكون؟ فوا لله لئن عرفناه لنصطلحن، ولئن أنكرناه لانصطلحن قالا: قتلة عثمان، فإن هذا إن ترك كان تركاً للقرآن، فقال: قتلتما قتلته من أهل البصرة، وأنتما قبل قتلهم أقرب منكم إلى الاستقامة منكم اليوم، قتلتم ستمائة رجل فغضب لهم ستة آلاف فاعتزلوكم، وخرجوا بين أظهركم وطلبتم حرقوص بن زهير فمنعه ستة آلاف، فإن تركتموهم وقعتم فيما تقولون، وإن قاتلتموهم فأديلوا عليكم كان الذي حذرتم وفرقتم من هذا الأمر أعظم مما أراكم تدفعون وتجمعون منه – يعني أن الذي تريدونه من قتل عثمان مصلحة ولكنه يترتب عليه مفسدة هي أربى منها .... فقالت له عائشة أم المؤمنين: فماذا تقول أنت؟ قال: أقول إن هذا الأمر الذي وقع دواؤه التسكين، فإذا سكن اختلجوا، فإن أنتم بايعتمونا فعلامة خير وتباشير رحمة وإدراك الثأر وإن أنتم أبيتم إلا مكابرة هذا الأمر وائتنافه كانت علامة شر وذهاب هذا الملك فآثروا العافية ترزقوها وكونوا مفاتيح خير كما كنتم أولاً .... فقالوا: قد أصبت وأحسنت فارجع، فإن قدم عليٌّ وهو على مثل رأيك صلح الأمر، قال: فرجع إلى علي فأخبره وأعجبه ذلك وأشرف القوم على الصلح"[1]، لكن هذا الصلح لم يعجب تلك الفئة المندسة في جيش علي بن أبي طالب وعلى رأسها ابن سبأ، يذكر ابن كثير أنهم لما عرفوا بأمر الصلح: " اجتمع من رؤوسهم جماعة كالأشتر النخعي، وشريح بن أوفى، وعبدا لله بن سبأ المعروف بابن السوداء، وسالم بن ثعلبة، وغلاب بن الهيثم، وغيرهم في ألفين وخمسمائة وليس فيهم صحابي و لله الحمد، فقالوا: ماهذا، الرأي وعلي وا لله أعلم بكتاب ا لله ممن يطلب قتلة عثمان، وأقرب إلى العمل بذلك، وقد قال ماسمعتم، غداً يجمع

(١) البداية والنهاية، ٧/٢٤٨-٢٤٩.

عليكم الناس، وإنما يريد القوم كلهم أنتم، فكيف بكم وعددكم قليل في كثرتهم، فقال الأشتر: قد عرفنا رأي طلحة والزبير فينا وأما رأي عليٌّ فلم نعرفه إلى اليوم، فإن كان قد اصطلح معهم فإنما اصطلحوا على دمائنا، فإن كان الأمر هكذا ألحقنا علياً بعثمان، فرضي القوم منا بالسكوت، فقال ابن السوداء: بئس مارأيت، لو قتلناه قتلنا، فإنا يامعشر قتلة عثمان في ألفين وخمسمائة وطلحة والزبير وأصحابهما في خمسة آلاف، لاطاقة لكم بهم، وهم إنما يريدونكم، فقال غلاب بن الهيثم دعوهم وارجعوا بنا حتى نتعلق ببعض البلاد فنمتنع بها، فقال ابن السوداء: بئس ماقلت، إذاً والله كان يتخطفكم الناس، ثم قال ابن السوداء قبحه الله: ياقوم إن عيركم في خلطة الناس فإذا التقى الناس فانشبوا الحرب والقتال بين الناس، ولاتدعوهم يجتمعون فمن أنتم معه لايجد بداً من أن يمتنع، ويشغل الله طلحة والزبير ومن معهما عما يحبون، ويأتيهم مايكرهون، فأبصروا الرأي وتفرقوا عليه"[1].

ودبر هؤلاء خطة لإثارة الحرب بين الفريقين، يقول ابن كثير: " وبات قتلة عثمان بشر ليلة، وباتوا يتشاورون وأجمعوا على أن يثيروا الحرب من الغلس، فنهضوا من قبل طلوع الفجر وهم قريب من ألفي رجل فانصرف كل فريق إلى قراباتهم فهجموا عليهم بالسيوف، فثارت كل طائفة إلى قومهم ليمنعوهم، وقام الناس من مناهم إلى السلام، فقالوا: طرقتنا أهل الكوفة ليلاً، وبيتونا وغدروا بنا، وظنوا أن هذا عن ملأ من أصحاب علي فبلغ الأمر علياً فقال: ماللناس؟ فقالوا: بيتنا أهل البصرة، فثار كل فريق إلى سلاحه ولبسوا لبس الحرب وركبوا الخيول، ولايشعر أحد منهم بما وقع الأمر عليه في نفس الأمر، وكان أمر الله قدراً مقدوراً، وقامت الحرب على ساق وقدم، وتبارز الفرسان، وجالت الشجعان، فنشبت الحرب، وتواقف الفريقان وقد اجتمع مع علي عشرون ألفاً والتف على عائشة ومن معها نحواً من ثلاثين ألفاً فإنا لله وإنا له راجعون، والسابئة أصحاب ابن السوداء قبحه الله لايفترون عن القتل ومنادي علي ينادي: ألا كفوا، ألا

(١) نفسه، ٧/٢٤٩-٢٥٠.

كفوا، فلايسمع أحد"[١]. فقد أثاروها فتنة عظيمة، وحرباً أزهقت الأرواح، حتى أن من قتل من الفريقين آنذاك بلغ نحواً من عشرة آلاف، كان منهم: طلحة بن عبيدا لله والزبير بن العوام -رضي ا لله عنهما-، أما الجرحى فكانوا كثيرين جداً، يقول ابن كثير: " ولم تُر وقعة أكثر من قطع الأيدي والأرجل فيها من هذه الوقعة"[٢].

وهكذا تحقق لابن سبأ ماأراد، من إشاعة الفرقة والاختلاف بين صفوف المسلمين، وتشتتهم فرقاً وأحزاباً.

وقد أظهر ابن سبأ الكثير من البدع، وإليه تنسب الطائفة السبئية والتى يقول عنها البغدادي: " وهذه الفرقة ليست من فرق أمة الإسلام لتسميتهم علياً إلهاً"[٣].

فقد زعم بداية الأمر أن علياً – كرم ا لله وجهه – نبي، ثم تطور به الأمر إلى الزعم بألوهيته، فلما رأى علي بن أبي طالب غلو ابن سبأ وأصحابه فيه، قام بحرقهم في حفرتين، يقول البغدادي: " ثم إن علياً -رضي الله عنه- خاف من إحراق الباقين منهم شماتة أهل الشام، وخاف اختلاف أصحابه عليه، فنفى ابن سبأ إلى ساباط المدائن، فلما قُتل علي -رضي الله عنه- زعم ابن سبأ أن المقتول لم يكن علياً، وإنما كان شيطاناً تصور للناس في صورة علي، وأن علياً صعد إلى السماء كما صعد إليها عيسى بن مريم عليه السلام، وقال: كما كذبت اليهود والنصارى في دعواها قتل عيسى كذلك كذبت النواصب والخوارج في دعواها قتل علي، وإنما رأت اليهود والنصارى شخصاً مصلوباً شبهوه بعيسى، كذلك القائلون بقتل علي رأوا قتيلاً يشبه علياً فظنوه أنه علي، وعلي قد صعد إلى السماء، وأنه سينزل إلى الدنيا وينتقم من أعدائه، وزعم بعض السبئية أن علياً في السحاب وأن الرعد صوته، والبرق سوطه، ومن سمع من هؤلاء صوت الرعد قال: عليك السلام ياأمير المؤمنين"[٤].

---

(١) نفسه، ٧/٢٥١.

(٢) السابق، ٧/٢٥٣.

(٣) عبدالقاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ص١٦.

(٤) السابق ، ص ١٧٧-١٧٨.

ومن خلال استعراض تلـك الوقـائع الـتي حدثـت بعـد وفـاة رسـول ا لله -ﷺ- خاصة في عهدي عثمـان وعلـي - رضـي ا لله عنهمـا- يتضـح الـدور الكبـير لليهـود في إحـداث الفـتن وإذكائهـا، ومحاولـة تفكيـك وحـدة المسـلمين، وتشـكيكهم في مبـادئهم الأساسية، فمن التشـكيك في شـرعية الخلافـة إلى التشـكيك في بعـض العقـائد، وإدخـال المذاهب الفاسدة بين المسلمين مثل القول بالرجعة أي رجعة علي -رضي الله عنه- والقول بمحبته، وتعظيمه إلى درجة الغلو، محاولين مااستطاعهم الجهد زرع هـذه العقـائد في قلـوب النـاس وعقولها، وقد نجحوا في ذلك إلى حد بعيد، حتى تكـوَّن مـن مثـل هـؤلاء النـاس مايسـمى بفرقة الشيعة، والذي استمر وجودهم إلى اليوم، وبذلك انقسم المسلمون علـى أنفسـهم، وأصبحوا شيعاً وأحزاباً، وماذاك إلا بتخطيط مباشر من اليهود، الذين كان ومازال همهم إطفاء نور ا لله، وا لله مُتمُّ نوره ولو كره الكافرون .

خاتمة الفصل :

أقام اليهود في جزيرة العرب فترة طويلة من الزمن، استطاعوا خلالها أن يكونوا لهم نفوذاً اقتصادياً واجتماعياً كبيراً، ولما كانوا أهل كتاب وكانوا يعرفون أن نبياً سيبعث ويأملون أن يكون منهم، لذا كانت نظرتهم للقبائل المحيطة بهم نظرة استعلاء وتكبر بجنسهم وبعلمهم الذي يحملونه ولكن ضيعوه، لذا لم يكن غريباً عليهم ذاك الموقف إزاء نبوة سيدنا محمد -ﷺ- النبي الأمي العربي المبعوث رحمة للعالمين، هذا الموقف الذي تمثل في معاداته منذ اللحظة الأولى التى أطل فيها، وظلت هذه العداوة تزيد أكثر فأكثر كلما تيقنوا من صدق نبوته، ومادفعهم لذلك إلا الحسد والحقد الذي تمتلئ به جوانحهم له -ﷺ- وللعرب أن بعث منهم نذيراً للعالمين.

وقد تمثل هذا الموقف في صور عدائية متعددة تركزت أكثر في أمرين :

١- تشكيك المسلمين في دينهم وعقيدتهم .

٢- العمل على ضرب وحدة المسلمين وتآلفهم .

وقد تكرر هذان الأمران في كل الأدوار التي مرت بها علاقة المسلمين باليهود سواء كانوا على دينهم، أم متظاهرين بالإسلام بعد ذلك .

وفي عهد رسول ا لله -ﷺ- قام اليهود بتشكيك المسلمين في أمور دينهم بأساليب متنوعة، محاولين في نفس الوقت تفريق جماعة المسلمين وتأليبهم على بعض، وكانت تصرفاتهم تلك تنبئ عن الحالة التي كانوا عليها فلم يكن في استطاعتهم مواجهة الإسلام علناً وصراحة بسبب ضعفهم وجبنهم، ومع ذلك لم يعدموا الوسيلة فتسللوا إلى صفوف المسلمين بزرع بذور الفتن والشبهات تارة، وتكوين فرق المنافقين تارة أخرى، محاولين تمزيق وحدة المسلمين، ولما باءت محاولاتهم تلك بالخسران المبين، وآل أمرهم إلى الإجلاء والإبعاد، عادوا ولكن في هذه المرة متسترين بلباس الإسلام، وبدأوا من جديد في حياكة المؤامرات والخطط فشككوا المسلمين في أمر الخلافة وفي أحقية عثمان -رضي الله عنه- بها، مستغلين بعض الشبه التي أثاروها، فأدى ذلك إلى تفكيك جماعة المسلمين، ثم قاموا

بمثل هذا الدور في عهد علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- حيث ضربوا المسلمين ببعض في موقعة الجمل، فكان لذلك الأثر الكبير على المسلمين حتى أنه نشأت بعض العقائد الباطلة في الإسلام، والتي ابتدعها ابن سبأ اليهودي مثل القول بالرجعة والوصية والمغالاة في علي -رضي الله عنه- وذريته إلى حد الزعم بألوهيتهم.

ومن خلال استعراض سيرتهم مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وخلفائه في عصر صدر الإسلام تتضح أيضاً بعض القواعد التي ميزت تعامل اليهود مع غيرهم قديماً وحديثاً وخاصة في تعاملهم مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهذه القواعد هي التزامهم بنقض العهد والغدر والخيانة، فقد نقضوا عهدهم معه -صلى الله عليه وسلم-، وهمُّوا بقتله أيضاً، فكانت النتيجة من ذلك محاربتهم وجلاؤهم عن المدينة، ثم إبعادهم عن الجزيرة العربية نهائياً في عهد عمر ابن الخطاب -رضي الله عنه- وهكذا كانت مواقفهم من الإسلام في عصره الأول كلها مواقف عدائية دامية، شتت الأمة وأصابتها في عقيدتها، ووحدتها، وتماسكها، دبروا الدسائس، وأثاروا العداوات والأحقاد، ولم يكن ليسوؤهم شيء أكثر من رؤيتهم المسلمين متماسكين متضامنين، لذلك كلما خمدت نار فتنة أوقدوا أخرى، وتلذذوا برؤيتها تشتعل محرقة معها المسلمين، مضعفة أمر الإسلام في نفوس كثير من أبنائه، وهذا ماأرادوه تماماً، ونفذوه، ونجحوا إلى حد بعيد فيه، وكان هذا دأبهم قديماً، وهم يسيرون على هذه الخطى باستمرار، لذلك كان لابد من التوضيح عن الجوانب التي تحيط بأي معاملة مع اليهود فهم:

- لايرعون إلاً ولا ذمة، ولم يسبق لهم أن التزموا بعهد قطعوه على أنفسهم.

- وهم لايريدون للإسلام والمسلمين خيراً، ومايهمهم هو تشتيت أمر المسلمين وتمزيق وحدتهم .

الباب الثالث

بين النظرية والتطبيق

الفصل الثاني

موقف اليهود من الإسلام والمسلمين اليوم

مقدمة :

مافتئ اليهود على اختلاف مراحل تاريخهم الطويل يعملون الحيل لتحقيق مصالحهم المادية، واحتكار ثروات العالم على حساب الأمم، فضلاً عن العودة إلى فلسطين لتحقيق الحلم بإقامة الدولة اليهودية، ولم يكن من السهل أبداً أن يحقق اليهود تلك الأماني – التي صار معظمها فيما بعد حقائق واقعة – وهم يقفون وجهاً لوجه أمام الغير، لذا كان شتاتهم وتفرقهم وتوزعهم في كافة أنحاء الأرض نعمة عليهم كما صرحوا بهذا في " بروتوكولاتهم"[١].

والعودة إلى فلسطين، وتملك الثروات حلم قديم لليهود منذ أن قضى ا لله عليهم بالشتات، فكانت الخطة تقضي أن يُفسد اليهود العالم بشتى أنواع المفاسد، فالأمم متى مافسدت ضعفت، ومتى مادب الضعف في أوصالها سُهل اختراقها، وتقويض أركانها، سيما إذا كانت هذه الأركان تقوم على أساس واه مضطرب، فسرعان ماتسقط، وتصبح عرضة للنهب، والسلب، والخراب، وهذا مافكر فيه اليهود، فلا أجبن منهم عند اللقاء، ولاأضعف عند النزال ولكنهم يصلون إلى أهدافهم عن طريق الدسائس والمؤامرات، والتخطيط السري المتقن، فبدأت ملامح لتلك الخطط والمؤامرات تظهر، وبوادر الإفساد والتخريب تتضح، وفي العصر الحديث تجلى هذا الأمر تماماً فيما فعله اليهود في أوربا مثلاً، فقد كانت خططهم تقضي بالسيطرة على مجالات الحياة المهمة من الاقتصاد إلى السياسة إلى الإعلام إلى النواحي الإجتماعية، فغدت بذلك أوربا أرضاً خصبة لزرع فتنهم ومؤامراتهم، وملكاً لهم يفعلون فيها ماشاء لهم فعله، منطلقين منها إلى العالم الإسلامي الذي كان تقريباً يجتمع على كلمة واحدة هي الخلافة الإسلامية العثمانية، ونجح اليهود فيما خططوا له من تمزيق وحدة العالم الإسلامي، والاستيلاء عليه، ومن ثم اقتطاع أرض فلسطين من جسده، بعد قيامهم بمجازر وحشية بحق السكان الآمنين العزل، مقتفين آثار

---

(١) انظر: البروتوكول الحادي عشر، ص ٢١٤-٢١٥.

أسلافهم من قبل، مستلهمين من نصوصهم مبادئ السلوك العدواني، ومستوحين منها طرق تنفيذه حتى قامت دولة إسرائيل واقعاً وحقيقة، على أرض الإسراء والمعراج، مغتصبين أولى القبلتين وثالث الحرمين من يد المسلمين.

ولازالوا إلى يومهم هذا يواصلون عدوانهم على البلدان العربية المجاورة، فضلاً عن قيامهم بتقتيل السكان وترويعهم عن طريق المجازر التي ارتكبوها .

تمهيد :

اليهود في أوربا (لمحة تاريخية موجزة):

دخل اليهود أوربا منذ فترة من الزمن، ولم يتركوها إلا وقد أصبحت تحت سيطرتهم تماماً، وقبل ذلك كان اليهود قد تعرضوا لشتى صنوف الأذى من الأوربيين الذين عرفوا أساليب اليهود الملتوية في الكسب غير المشروع عن طريق الربا والقروض والفوائد الخيالية، فاليهود عرفوا كيف يجمعون الثروة بطرقهم المعهودة حتى أصبحوا من أباطرة المال، ومن ثم حركوا الفتن، وأشعلوا نار الثورات بين البلدان الأوربية فاستنزفت ثرواتها بالصرف على تلك الحروب مما عجل بانهيار اقتصادها واضطرت إلى طلب القروض والمساعدات من أثريائها الذين كان معظمهم من اليهود المتفرقين في أنحاء أوربا، فاستغلوها فرصة مناسبة لفرض شروطهم، مما أدى إلى عجز تلك الدول عن سداد ماعليها لليهود، متحملة في سبيل سداد تلك الديون ديوناً أخرى، ومثقلة على شعوبها بالضرائب، وغلاء الأسعار فسَّبب ذلك مشكلة أخرى هي شكوى الشعوب من الحالة الإقتصادية التي كانت عليها بلدانها، واستتبع ذلك اليأس من الإصلاح، فحملت تلك الحالة الشعوب إلى أن تتطلع إلى التغيير في كل شيء، التغيير الاقتصادي، والإجتماعي، والسياسي، وحتى الديني فوافق ذلك هوى اليهود، الذين خططوا لقيام الثورات المختلفة، وقد سبقت هذه الأمور طرد اليهود من كثير من البلدان الأوربية، نتيجة لأعمالهم المفسدة، فتم طردهم من فرنسا، يقول وليام غاي كار: "عام ١٢٥٣ عمدت الحكومة الفرنسية إلى حل جذري لمشكلة اليهود فطردتهم جميعاً لمخالفتهم القوانين"[١].

ويعود سبب طردهم من فرنسا إلى علم الحكومة والشعب بمؤامرات اليهود على اقتصاد البلاد، حيث تعرض الشعب الفرنسي وكذا الحكومة إلى جشع اليهود وضغطهم من أجل تحصيل الديون التي تضاعفت كثيراً بسبب الربا والفوائد الخيالية، فلم يترددوا

(١) أحجار على رقعة الشطرنج، ص ٥٧.

لحظة في التصدي لهم، " وفي عهد لويس التاسع ألغى ثلث ماكان لهم من ديون على الحكومة والكنائس وأفراد الشعب، ثم أصدر أمراً ملكياً بحرق جميع كتبهم وخاصة التلمود وطردوا من جديد في عهد فيليب الجميل، وأصابهم من القتل والنهب شيء كثير ثم عادوا إلى البلاد، وفي سنة ١٣٤١هـ هاج الشعب في أواسط فرنسا وذبحوا من اليهود أعداداً كبيرة وطردوهم، ولم تأت سنة ١٣٩٤م، وفي فرنسا يهودي واحد، ثم عاد اليهود إلى فرنسا بعد تشردهم من أسبانيا ولقوا فيها مصاعب جمة ولم يؤذن لهم بالسكنى في المدن إلا في أواسط القرن السادس عشر"[1]. وبعد طردهم من فرنسا ولوا هاربين إلى انجلترا التي استضافتهم، ومع ذلك لم تسلم من مؤامرتهم على اقتصادها وعلى نظمها الإجتماعية، يقول وليم غاي كار: " وحتى عام ١٢٥٥م كان اليهود قد تمكنوا من السيطرة على عدد من كبار رجال السلك الكنسي الإنجليزي وعلى الكثير من النبلاء والسادة الإقطاعيين، وقد وجد البرهان القاطع فيما بعد على انتماء هؤلاء المرابين وكبار الحاخاميين آنئذ ومن يسمونهم حكماء اليهود إلى النورانيين وقد تم اكتشاف ذلك خلال التحقيق الذي أمر الملك هنري الثالث بإجرائه في فضائح الاحتيال والرشوة والجرائم التي فاحت روائحها بعد مقتل: سان هيو أوف لينكولن، عام ١٢٥٥م، وقد أثبت التحقيق أن ثمانية عشر يهودياً كانوا هم الذين ينظمون تلك العمليات فقدموا إلى المحاكمة وحكم عليهم بالإعدام، مات الملك هنرى عام ١٢٧٢م،وخلفه على عرش إنكلترا الملك إدوارد الأول الذي اصدر أمراً حرَّم بموجبه على اليهود ممارسة الربا.

ثم استصدر من البرلمان عام ١٢٧٥م قوانين خاصة جعل لهم بموجبها أوضاعاً خاصة وسميت هذه القوانين: الأنظمة الخاصة باليهود، وكان الهدف من هذه القوانين تقليص السيطرة التي يمارسها المرابون اليهود على كافة مدينيهم"[2]. وفي أسبانيا تم طردهم أيضاً، فقد أصدر الملك فرديناند وزوجته إيزابلا قراراً عام ١٤٩٢م يتم بموجبه

(١) خطر اليهودية، ص١١٤.

(٢) أحجار على رقعة الشطرنج، ص ٥٧-٥٨.

طرد جميع اليهود من البلاد، يقول نص القرار : " يعيش في مملكتنا عدد غير قليل من اليهود، ولقد أنشأنا محاكم التفتيش منذ اثنتي عشرة سنة، وهي تعمل دائماً على توقيع العقوبة على المذنبين، وبناء على التقارير التي رفعتها لنا محاكم التفتيش ثبت بأن الصدام الذي يقع بين المسيحيين واليهود يؤدي إلى ضرر عظيم، ويؤدي بالتالي إلى القضاء على المذهب الكاثوليكي، ولذا قررنا نفي اليهود ذكوراً وإناثاً خارج حدود مملكتنا وإلى الأبد، وعلى اليهود جميعاً الذين يعيشون في بلادنا وممتلكاتنا ومن غير تمييز في الجنس أو الأعمار أن يغادروا البلاد في غضون فترة أقصاها نهاية يوليو من نفس العام وعليهم ألا يحاولوا العودة تحت أي ظرف أو أي سبب، ومن أجل أن يتدبر اليهود أمورهم استعداداً للرحيل منحناهم حمايتنا الملكية، أرواحهم وأملاكهم لغاية آخر يوليو، ونسمح لهم كذلك بأن ينقلوا معهم براً أو بحراً مايملكون باستثناء الذهب والفضة والعملة الذهبية والأشياء الأخرى التي يشملها قانون المنع العام"[١]. هذه نماذج لما حصل لليهود في أوربا خلال القرون الوسطى[٢]، حيث تبين حالة الشك والريبة التي كانت تحيط باليهود خلال تواجدهم في تلك البلدان، فاليهودي أينما حل ووضع رحله مفسد لايرعوي، ومضلل لايمل، ومثير للفتنة لايكل، يدل على ذلك قول أحدهم واسمه أوسكار ليفي: " نحن اليهود لسنا إلا مفسدي العالم ومحركي الفتن فيه وجلاديه"[٣]، وماكان لشجرة الإفساد اليهودي

---

(١) خطر اليهودية العالمية، ص ١١٨.

(٢) تركت في هذا المجال الشيء الكثير، لأن استقصاء ذلك يطول، انظر في ذلك بعض المراجع منها على سبيل المثال :-

١- خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية – عبدالله التل – من ص١٠٦ إلى ص١٢٠.

٢- المفسدون في الأرض – سليمان ناجي – من ص١٣٧ إلى ص١٤٦ .

٣- أحجار على رقعة الشطرنج – وليام غاي كار – من ٥٣ إلى ص٦١.

(٣) ورد في كتاب: المخططات التلمودية اليهودية الصهيونية، أنور الجندي، دار النصر للطباعة الإسلامية، القاهرة، ١٩٧٧م، ص ١٣.

أن تورق وتثمر لولا التزام اليهود برعايتها وسقايتها وتغذيتها بعوامل النمو جيلاً بعد جيل، يتعاهدها الأجداد ومنهم إلى الأحفاد، حتى آتت هذه الشجرة أكلها، وبان للعالم أجمع أمرها، وقد تنبه بعض العقلاء في تلك البلدان إلى الخطر اليهودي المحدق بهم، فنبهوا أقوامهم لذلك، فهذا " بنيامين فرانكلين" رئيس الولايات المتحدة الأمريكية يلقي قبل أكثر من قرنين من الزمان خطاباً يحذر فيه من اليهود وخطرهم على أمريكا فيقول: "هنالك خطر كبير على الولايات المتحدة الأمريكية، وهذا الخطر هو اليهود، أيها السادة: في أي أرض يحل اليهود، يصبح المستوى الخلقي والمعنوي منحطاً، والمعاملات التجارية تجري بصورة غير شريفة، بقي اليهود منطوين على أنفسهم وظالمين في معاملاتهم مع الناس، وحاولوا خنق مالية الدول مثلما جرى في البرتغال وأسبانيا، أيها السادة: بكى اليهود مصيرهم المحزن منذ أكثر من ١٧٠٠ سنة بسبب طردهم من وطنهم الأم، ولو أن العالم قدم فلسطين إلى اليهود ملكاً لهم، فإنهم سيجدون أسباباً قوية لعدم العودة إليها، لأنهم يبتزون الأموال، ولايستطيعون العيش بعضهم مع بعض، ولابد لهم من العيش بين المسيحيين وغيرهم من الشعوب التي لاتنتمي إلى جنسهم، وإذا لم يطرد اليهود من الولايات المتحدة الأمريكية، بموجب نصوص الدستور، فإنهم سيفدون على بلادنا خلال المئة عام القادمة بأعداد كبيرة، تؤدى إلى أن يحكموا البلاد ويديروننا، ويغيروا شكل حكومتنا، وهي الأمور التي بذلنا نحن الأمريكيين في سبيلها دماءنا وأرواحنا، وممتلكاتنا وحرياتنا الشخصية، وإذا لم يطرد اليهود من بلادنا خلال مائتي عام، فإن أطفالنا سوف يعملون في الحقول لإطعام اليهود، بينما يقيم اليهود أنفسهم في قصورهم، يفركون أيديهم فرحاً وسروراً، إنني أحذركم أيها السادة، وأقول لكم إذا لم تخرجوا اليهود من أمريكا إلى الأبد، فإن أولادكم وأحفادكم سيلعنونكم في قبوركم، إن اليهود لايتحلون بالمثل العليا التي نتحلى بها نحن الأمريكيين، ولو أنهم عاشوا بيننا طيلة عشرة أجيال، إن الفهد لايستطيع أن يغير لون جلده الأرقط، إن اليهود يشكلون خطراً على أمريكا إذا

سمح لهم بدخولها، وسوف يعرضون مقوماتنا الإجتماعية للخطر، ولذلك يجب أن يخرجوا من بلادنا بموجب الدستور"(١)، ولم يكن من السهل اكتشاف خطط اليهود ودسائسهم في ذلك الحين لأنهم تغلغلوا في كل الميادين تقريباً، وقد حرص رؤساؤهم في ذلك الوقت على توضيح مايجب على اليهود فعله خفية حتى يتسنى لهم الوصول لمراكز القوة والعظمة، ففي رسالة بعث بها أحد الحاخامات إلى رئيس المجلس الأعلى اليهودي يشكو فيها من أن الفرنسيين يهددون معابد اليهود، جاءه الرد كالتالي: " أيها الأخوة الأعزاء بموسى، تلقينا كتابكم وفيه تطلعونا على ماتقاسونه من الهموم والبلايا فكان وقع الخبر هذا شديد الوطأة علينا وإليكم رأي الحكام والربانيين: بمقتضى قولكم أن ملك فرنسا يجبركم أن تعتنقوا الدين المسيحي، فاعتنقوه لأنه لايسعكم أن تقاوموا، غير أنه يجب عليكم أن تبقوا شريعة موسى راسخة في قلوبكم، بمقتضى قولكم أنهم يأمرونكم بالتجرد عن أملاككم فاجعلوا أولادكم تجاراً ليتمكنوا رويداً رويداً من تجريد المسيحيين من أملاكهم، بمقتضى قولكم أنهم يعتدون على حياتكم فاجعلوا أولادكم أطباء وصيادلة ليعدموا المسيحيين حياتهم، بمقتضى قولكم أنهم يهدمون معابدكم فاجعلوا أولادكم كهنة واكليريكيين ليهدموا كنائسهم، بمقتضى قولكم أنهم يسومونكم تعديات أخرى كثيرة فاجعلوا أولادكم وكلاء دعاوي وكتبه عدل، وليتداخلوا دائماً في مسائل الحكومة ليخضعوا المسيحيين لنيركم، فتستولوا على زمام السلطة العالمية، وبذلك يتسنى لكم الإنتقام، سيروا بموجب أمرنا هذا فتتعلموا بالاختيار أنكم من ذُلّكم وضعفكم تتوصلون إلى ذروة القوة والعظمة. في ٢١ نوفمبر ١٤٨٩ كاسلو .

التوقيع V. S. S. V. F. F أمير اليهود"(٢).

---

(١) حقيقة اليهود والمطامع الصهيونية، ص ٦٣-٦٤.

(٢) عبدا لله التل،الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام،الطبعة الثانية -المكتب الإسلامي، ص٥٤.

وسائل اليهود في السيطرة على الأمميين :

قام اليهود بالكثير من المحاولات للقبض على زمام الأمور في البدان الأممية، وهي المحاولات التي آتت أكلها فيما بعد، ذاك أنهم بعد تعرضهم للطرد والتشريد من كثير من البلدان، عادوا مرة أخرى متسترين بالضعف والمسكنة، في حين أنهم كانوا يضعون الخطط العريضة التي مكنتهم فيما بعد من نيل مبتغاهم، هذه الخطوط ضمنوها "البروتوكولات"، وبدأوا بتنفيذها، مؤملين أنفسهم في ذلك الوقت بإقامة الكيان على أرض فلسطين، هدفهم منها تحقيق النبؤات القديمة بتسلط الجنس الإسرائيلي – المعتبر– على العالم، واحتكار ثرواته، وعودة مجد صهيون، وقد كانت لهم وسائلهم المعينة للوصول إلى الهدف المنشود، ومن هذه الوسائل:

أولاً : السيطرة على الإقتصاد الأممي :

يعد الربا مظهراً من مظاهر الحياة الإقتصادية عند اليهود، فقد أوجبت شريعتهم التعامل به مع الأمميين وألزمتهم بعدم إقراض غير اليهودي بدون شرط الربا، وكان لهذه التعاملات الإقتصادية غير الخلقية من جانب اليهود صدىً كبيراً لدى من تعامل معهم بهذه الشروط وذلك منذ وقت بعيد جداً "فقد أصدر الامبراطور الروماني يوستنيانوس الأول ٤٨٣–٥٦٥م، قانونه المعروف باسم القوانين المدنية والذي حاول فيه وضع حد للأعمال اللامشروعة التي كان التجار اليهود يلجأون إليها في التجارة والمبادلات، ولكن التجار اليهود لم يكونوا سوى عملاء للنوارنيين وقد تمكنوا بواسطة التجارة اللامشروعة وعمليات التهريب الواسعة النطاق الحصول على امتيازات مجحفة على غيرهم من التجار، وهكذا تمكنوا من إفلاسهم وإخراجهم من ساحة العمل"[1]. وفي العصر الحاضر سيطر اليهود تقريباً على الموارد الإقتصادية لبلدان أوربا، يقول "وليم غاي كار": "وانتشرت السيطرة اليهودية على التجارة والمبادلات الشرعية منها وغير الشرعية،

---

(١) أحجار على رقعة الشطرنج، ص٥٣.

واتسع نطاقها حتى وصلت إلى درجة أصبحت معها اقتصاديات كل قطر من أقطار أوربا بأيديهم على درجات متفاوتة. ونستطيع أن نلمس بوضوح آثار تلك السيطرة اليهودية المطلقة حين نرى مثلاً قطع عملة قديمة بولونية وهنغارية تحمل نقوشاً يهودية، ويكشف لنا إلحاح اليهود بهذه الصورة للسيطرة على النقد وجعل إصدار العملة في أيديهم أن المرابين اليهود اعتنقوا منذ تلك الأزمنة الشعار الذي اشتهر به بعد ذلك بردح طويل آمشل ماير باور وهو: دعنا نتولى إصدار النقد في أمة من الأمم والإشراف عليه ولايهمنا بعد ذلك من الذي يسن القوانين لهذه الأمة"[١].

أما في أمريكا فقد تغلغل النفوذ اليهودي في شرايين اقتصادها بشكل مؤثر، يقول "هنري فورى": "وإذا مارغبنا في إعداد قائمة عن التجارات التي يمارسها اليهود في الولايات المتحدة، فإن هذه القائمة تضم معظم صناعات البلاد الحيوية، وهي حيوية حقاً من ناحية، أو أن العادات المتبعة هي التي جعلت منها صناعات حيوية، فالعمل في المسارح مثلاً في أيدي اليهود تماماً، فهم الذين يتولون إخراج المسرحيات وإنتاجها، وهم الذين يتولون أيضاً إدارة المسارح وحجز الأماكن فيها، ولاريب في أن هذه الحقيقة تفسر لنا مايقوم من دعاية اليوم في كل إنتاج مسرحي، وتنصب هذه الدعايات على أعمال الإعلان التجارية وأحياناً على التثقيف السياسي المباشر، ويسيطر يهود الولايات المتحدة إما وحدهم أو بالتعاون مع اليهود في الخارج على صناعة الأفلام المتحركة - السينما - والسكر والتبغ، وعلى خمسين في المائة من صناعة اللحوم المعلبة، وأكثر من ستين في المائة من صناعة الأحذية، وعلى معظم صناعات الأدوات الموسيقية والمجوهرات والحنطة والقطن والزيوت والفولاذ وإصدار الصحف والمجلات وتوزيع الأنباء والمشروبات الروحية ومنح القروض سواء في الحقلين القومي أم الدولي"[٢].

---

(١) أحجار على رقعة الشطرنج، ص٥٥؛ وانظر أيضاً: خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية وذلك من ص ١٨٠ إلى ص ٢٠٩.

(٢) اليهودي العالمي، ص ٢١-٢٢.

ومنح القروض هو ميدان آخر اتجه إليه اليهود فأنشاوا البنوك العالمية والتي مهمتها إقراض الدولة الأممية بالفائدة، بحيث تظل هذه الدولة تحت رحمة دائنيها، فيساهم القرض في إخضاعها لشروط الدائنين بما في ذلك التدخل في شؤون تلك البلدان الخاصة، ومما يساعد في اضطرار البلدان الأممية إلى الاقتراض هو طريقة عمل الميزانية والتي أوحى اليهود لهم بها[1] " لأن نظم الميزانية المعمول بها الآن في بلدان العالم النامي نظم خاطئة، لأنها تقدر على أساس ماهو متوقع تحصيله من أموال وليس على أساس ماهو متحصل بالفعل، ولاشك أن ماهو متوقع تحصيله من موارد لايلزم تحصيله بالفعل طبقاً لما هو مستهدف ومن هنا يحدث العجز في ميزان المدفوعات وتستهلك الميزانية قبل نهاية السنة، وبالتالي تضطر الدولة إلى تعويض النقص عن طريق القروض"[2]، وستكون القروض هي الحل الوحيد أمام الأمميين لتيسير أمور بلدانهم، حيث تضطر إلى دفع فائدة معينة على هذا القرض مما يؤدي إلى مزيد من التدهور الإقتصادي في تلك البلدان فتصل غالباً إلى الإفلاس أو إلى طلب قروض جديدة بفوائد أخرى " لأن القرض هو عبارة عن مضاعفة الدين الأساسي، فلو أننا إقترضنا قرضاً بفائدة ٥٪ مثلاً، ففي عشرين سنة سوف تدفع مبلغاً يعادل القرض، وفي أربعين سنة سوف تدفع ضعفين، وفي ستين سنة ستدفع ثلاثة أضعاف المقدار، وفي الوقت نفسه يبقى الدين كما هو لم يسدد بعد، وبالتالي فالفائدة من القروض إنما تعود أولاً وأخيراً على اليهود من أصحاب البنوك، وأضف إلى ذلك أن القروض قد لاتكون في صورة أموال بل في صورة عدد وعتاد أو مشروعات تحددها الدولة المقرضة، وقد يكون القرض مشروطاً بقيود سياسية تحدد حرية الدولة المستدينة"[3].وهذا نفسه ماصرح به اليهود في " البروتوكولات"، فقد جاء في البروتوكول

---

(١) انظر: البروتوكول العشرون، ص ٢٧١.

(٢) د. سعد الدين صالح، احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، ص٣٣٠.

(٣) نفسه، ص ٣٣٢.

العشرين مايلي: "وبفضل هذا الاجراء الذي اتبعته الحكومات الأممية الغافلة استنفدت أموالهم الاحتياطية عندما حلت مواعيد الديون، وأفرغت بنوك دولتهم وجذبتهم إلى حافة الافلاس"(١).

ثانياً : السيطرة على وسائل الإعلام :

يعتبر الإعلام بكافة فروعه (المقروءة والمسموعة والمرئية)، من أهم العوامل في إيصال الأفكار المختلفة للجماهير، وقد وعى اليهود منذ زمن خطورة هذا الأمر، لذا فإنهم يصرحون في " البروتوكولات" بأهمية هذا الجانب، ويضعون الخطط المناسبة ليصيروا الإعلام تحت سيطرتهم بمختلف قنواته، ومنها:

أ - الصحافة :

عرفت الصحافة منذ زمن قديم جدا، يقول الأستاذ زياد أبوغنيمة: "تعتبر صحافة الامبراطورية الرومانية أقدم صحافة في التاريخ، فقد كان الرومان يصدرون صحفاً مكتوبة تعلق في أماكن مختارة ليطلع عليها الناس، ويقوم موظفون بقراءتها لإيصال محتوياتها إلى الأميين"(٢). وقد تطورت الصحافة خلال عمرها الطويل تطوراً ملحوظاً وذلك قياساً بما تهيأ لها من إمكانيات، ووسائل سريعة للطباعة والنقل والتوزيع فأصبحت تمثل وسيلة هامة لعرض الأخبار المتنوعة، وتبادل الآراء المختلفة، إضافة إلى كونها تزيد من الرصيد المعرفي والثقافي لدى الجمهور بمختلف طبقاته، فساعد ذلك على ازدياد أعداد الصحف الصادرة زيادة ملحوظة فقد " قدرت الموسوعة الأمريكية المطبوعة في عام ١٩٨٠م عدد الدوريات الصحفية التي تصدر في العالم، من صحف ومجلات ونشرات

---

(١) البروتوكول العشرون ، ص ٢٧٢.

(٢) زياد أبوغنيمة، السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، دار عمار - الأردن - عمان، ص ٢١.

إخبارية بحوالي خمسين ألف دورية"[1]، وإيماناً من اليهود بالدور الذي تلعبه الصحافة في عقول الجماهير، سعوا منذ وقت مبكر للسيطرة عليها وذلك بطرق هي:

"– سيطرة يهودية قمة، بامتلاك الدار الصحفية .

– سيطرة يهودية مباشرة، من خلال رئيس التحرير اليهودى للصحيفة .

– سيطرة يهودية صحفية، من خلال محرري ومراسلي الصحيفة الإسرائيليين.

– سيطرة إعلانية يهودية من خلال شراء المساحات الإعلانية للصحيفة، لاستغلالها دعائياً من جهة، ولإجبار دور النشر على مراعاة خاطر المعلنين اليهود فيما ينشر بالصحيفة من أخبار وتعليقات ومقالات .

– سيطرة جماهيرية يهودية، من خلال كثافة عدد القراء الذين يشترون الصحيفة ويناقشون مقالاتها، فيحتجون على ماهو ضد رغباتهم ويستحسنون ماهو لصالحهم"[2].
ومن أشهر الصحف التي يمتلكها اليهود وعرفت بولائها المطلق لأهداف الصهيونية مايلي:

" في أميركا :

١– نيويورك تايمز، ويملكها المليونير اليهودي آرثر أوش سولزبرجر، وشريكه اليهودي الأصل جوليوس آدلر.

٢– واشنطن بوست: ويملكها اليهودي يوجين ماير .

– في بريطانيا :

١– التايمز، ويملكها اليهودي الاسترالي روبرت ميرودخ، ويمتلك معها أيضاً الصنداي تايمز، ومجلة الصن، ومجلة نيوزأوف ذي وورلد.

---

(١) السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام العالمية، ص ٢١.
(٢) أحمد تهامي سلطان، الخديعة الكبرى، مخططات خبثاء صهيون، وخديعة العالم بالأساطير السياسية – مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع – القاهرة، ص٤٠.

- في فرنسا :

توجد مجلة الاكسبريس المشهورة، والتي يمتلكها اليهودي الأصل البريطاني الجنسية: جيمس غولد سميث، ويبرز نفوذ الصهيونية أكثر في صحيفتي لوفيغارو ولوكوتيديان اللتان تبنتا وجهة النظر الصهيونية أثناء غزو لبنان ومذابح صبرا وشاتيلا"[١].

ب - وكالات الأنباء :

وهي التي تتركز فيها الأخبار، ومن ثم تقوم بتوزيعها على الصحف، ولذلك حرص اليهود على السيطرة عليها تماماً، فهم يصرحون في "البروتوكولات" بهذا الأمر قائلين: " ولن يصل طرف من خبر إلى المجتمع من غير أن يمر على إدارتنا، وهذا ماقد وصلنا إليه حتى في الوقت الحاضر كما هو واقع، فالأخبار تتسلمها وكالات قليلة تتركز فيها الأخبار من كل أنحاء العالم"[٢]، وهناك وكالات أنباء مشهورة على المستوى العالمي تعود ملكيتها إلى اليهود مثل :

١- وكالة رُوْيْتَر : وهي من أشهر وكالات الأنباء في العالم ومؤسسها هو: "جوليوس باول رويتر المولود في ١٢ تموز ١٨١٦ في مدينة كاسل بألمانيا، ... وهو في الأصل يهودي اسمه حتى عام ١٨٤٤ إسرائيل بيير جوزافات"[٣].

٢- وكالة أنباء أسوشيتد برس الأميريكية: " قامت خمس صحف يومية بتأسيس وكالة أنباء أسوشيتدبرس في عام ١٨٤٨م، أي في وقت متزامن مع تأسيس وكالة أنباء رويتر، وفي عام ١٩٠٠م اتخذت وكالة أنباء أسوشيتدبرس وضعاً جديداً بتحويلها إلى شركة تعاونية شملت معظم الصحف والمجلات الأميركية الشهيرة آنذاك التي

---

(١) انظر: السيطرة الصهيونية على وسائل الاعلام العالمية، من ص٣٣ إلى ص٤٨ بتصرف.

(٢) البروتوكول الثاني عشر، ص ٢١٧.

(٣) السيطرة الصهيونية على وسائل الاعلام، ص ٢٣.

كان معظمها واقعاً تحت السيطرة الصهيونية"[١].

ج – دور النشر :

تمثل دور النشر أهمية كبرى إذ تتحكم في إصدار الكتب والدوريات، ووعياً من اليهود بأهمية دورها، صرحوا في "البروتوكولات" برغبتهم الجامحة في السيطرة عليها قائلين: " سيكون علينا أن نظفر بإدارة شركات النشر الأخرى، فلن ينفعنا أن نهيمن على الصحافة الدورية بينما لانزال عرضة لهجمات دور النشر"[٢]، وحالياً يمتلك اليهود أكبر دور النشر العالمية، ففي أمريكا مثلاً: " سيطر اليهود سيطرة تامة على أكثر من خمسين بالمئة من دور النشر والطباعة، ولهم نفوذ واضح في ماتبقي من دور نشر، وتعتبر شركة راندوم هاوس للنشر التي أسسها اليهودي بنيث سيرف من أشهر دور النشر في العالم"[٣]، أما في فرنسا فقد كان لليهود سيطرة عظمى على أغلبية دور النشر، وتأتي قصة المفكر الفرنسي "روجيه غارودي" مثالاً صارخاً يبين مدى النفوذ اليهودي على دور النشر هناك، فعندما انتقد غارودي السياسة الإسرائيلية، لم يجد من ينشر له كتبه حتى أنه اضطر إلى نشر كتاب " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية على نفقته الخاصة حيث اعترف بذلك في مقدمة كتابه[٤]، ثم أورد قصته مع دور النشر في فرنسا التي رفضت نشر كتابه هذا قائلاً: " منذ ذلك الحين بدأت عملية الحصار الإعلامي إذ أخذت مقالاتي تقابل بالرفض، ويحال بيني والظهور في برامج تليفزيونية لقد سبق لي أن نشرت أربعين كتاباً في كبريات دور النشر، من"جاليمار" إلى "سوي"، ومن

---

(١) نفسه، ص ٢٤.

(٢) البروتوكول الثاني عشر، ص ٢١٦.

(٣) السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام، ص٩٩.

(٤) انظر: مقدمة كتابه، الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، ترجمة : محمد هشام.

"بلون" إلى "جراسي ولافون"، وتُرجمت هذه الكتب إلى سبع وعشرين لغة، فإذا بجميع الأبواب توصد في وجهي فهاهو ذا أحد كبار الناشرين يقول لمجلس إدارة الدار: إذا نشرتم أي كتاب لجارودي، فلن تحصلوا على حق ترجمة أي كتاب أمريكي فيما بعده ولاغرابة فهو يظن أن نشر كتاب لي يعني تفجير دار النشر التي يملكها، وهاهو ذا ناشر آخر يعنف المسئولة الأدبية في داره، والتي تحمست لنشر كتاب آخر لي، وعاونتني في العمل طيلة ثلاثة أشهر لكي يخرج الكتاب إلى النور، فيقول لها: لاأريد جارودي في داري"[(١)].

- السينما :

لما ظهرت السينما خلال القرن العشرين أدرك اليهود مبلغ ماتؤديه هذه الوسيلة الفعالة لإيصال الأفكار المختلفة لأكبر عدد من الجماهير، ولذلك قام اليهود بإنشاء شركات السينما، واستغلال خدماتها، خاصة في أميركا، يقول زياد أبوغنيمة: " ويسيطر اليهود سيطرة شبه تامة على شركات الانتاج السينمائي في عاصمة السينما الأميركية هوليود، فشركة فوكس يمتلكها اليهودي ويليام فوكس، وشركة يونيفرسال يمتلكها كارل ليمل، وشركة غولدين يمتلكها اليهودي صاموئيل غولدين، واليهودي أدولف زوكور، وشركة مترو يمتلكها اليهودي لويس. ب. ماير، واندمجت الشركتان في شركة واحدة وتعرف الآن باسم مترو غولدين ماير"[(٢)].

وقد نشرت صحيفة " الأخبار المسيحية الحرة " والتي تصدر في لوس أنجلوس، في عددها لشهر نيسان عام ١٩٣٨م، مقالاً جاء فيه : " إن صناعة السينما في أمريكا هي يهودية بأكملها ويتحكم اليهود فيها دون أن ينازعهم في ذلك أحد،

---

(١) روجيه غارودي، الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، ص٢٨٩-٢٩٠.

(٢) السيطرة الصهيونية، ص ٥٢.

ويطردون منها كل من لاينتمي إليهم، وجميع العاملين فيها إما من اليهود، أو من صنائعهم، ولقد أصبحت هوليود بسببهم سدوم العصر الحديث، حيث تنحر الفضيلة، وتنتشر الرذيلة، وتسترخص الأعراض، وتنهب الأموال دون رادع أو وازع وهم يرغمون كل من يعمل لديهم على تعميم ونشر مخططهم الإجرامي تحت ستائر خادعة كاذبة وبهذه الأساليب القذرة أفسدوا الأخلاق في البلاد، وقضوا على مشاعر الرجولة والإحساس وعلى المثل العليا للأجيال الأميركية"[١].

هـ – الإذاعة والتلفزيون :

حينما اخترعت أجهزة الإذاعة والتلفزيون تمكن اليهود من استغلالها مع بقية أجهزة الإعلام الأخرى، فقد تغلغل النفوذ اليهودي في هذين الجهازين، ففي أمريكا مثلاً، والتي تحتضن عدداً من الشبكات التلفزيونية والإذاعية الشهيرة، يسيطر اليهود عليها تماماً مثل: " شبكة التلفزيون المسماة ABC ، يسيطر عليها اليهود من خلال رئيسها اليهودى ليونارد جونسون، ثم مديرها العام اليهودي مارتن روبنشتاين، ثم مساعد المدير العام اليهودي أفرام وايتشتاين، بالإضافة إلى المئات من المحررين والمراسلين والمصورين والفنيين اليهود، ويسيطر اليهود على شبكة تلفزيون CBS ، من خلال مالكها ورئيسها اليهودي ويليام بيلي، وهو حفيد يهودي من أصل روسي هاجر من أوكرانيا في عام ١٨٨٨م، أما شبكة NBC، فيسيطر عليها اليهود من خلال رئيسها اليهودي الفرد سلفرمان الذي خلف رئيسها السابق اليهودي روبرت سارنوف، ... أما الإذاعة فيمتلك اليهود... أهم محطة إذاعية أمريكية وهي محطة صوت أمريكا من خلال اليهودي روبرت فولدمان الذي يشغل منصب مدير الأنباء في المحطة"[٢].

---

(١) السابق نفس الصفحة .

(٢) انظر: السيطرة الصهيونية على وسائل الاعلام، ص ٦٦ .

و – المسرح :

سيقطب المسرح جزءاً لايستهان به من الجمهور، فتعرض عليه الروايات مباشرة، ولتأثيره الكبير على كثير من المشاهدين له، امتدت إليه أيدى اليهود محاولين السيطرة عليه، فأصبحت الروايات التي تعرض على مسارح أوربا وأمريكا في معظمها تبث الفكر والدعاية اليهودية، ففي بريطانيا كانت لهم عدة مسارح من أشهرها " المسرح الملكي التي تمتلكه شركة المسارح البريطانية التي يمتلكها اليهودي اللورد لوغريد الذي يلقبه البريطانيون باليهودي قصير القامة، والذي يسيطر على صناعة البرامج التلفزيونية التجارية في بريطانيا"[١]، وفي أمريكا يسيطر اليهود على أشهر المسارح هناك لاستغلالها كأبواق للدعاية الصهيونية[٢].

وبذلك يكون اليهود قد سيطروا تقريباً على كثير من وسائل الإعلام في الكثير من البلدان الأممية، مضمنين هذه الوسائل أحد أمرين، أو الأمرين معاً، وهما:

أولاً: عرض مايفسد الذوق العام، ويخدش الحياء، بغية تعويد الأمميين على مشاهدته، بحيث تصير هذه المشاهد أمراً مألوفاً متقبلاً من جميع الفئات دون استثناء، وفي هذا لاشك تحطيم للنوازع الأخلاقية عند الشعوب الأممية.

ثانياً: نشر الدعايات الصهيونية المضللة، مثل القول بنقاء الجنس الإسرائيلي، وأن أرض فلسطين هي أرض الموعد، والقيام بمحاصرة من يحاول مناقشة هذه الإدعاءات وتفنيدها، عن طريق التهديد بالقتل، أو تضييق الخناق عليه بواسطة الإعلام وقنواته المتعددة .

---

(١) نفسه، ص ٧٩ .

(٢) انظر: السابق من ص٧٩ إلى ص٨١.

ثالثاً : السيطرة السياسية :

آمن اليهود بأن وصولهم إلى مراكز القوة والتسلط في البلدان الأممية لن يتم بدون إحداث الفرقة والتنازع في صفوف شعوبها، فقاموا بإيجاد بوادر تلك الخلافات عن طريق الثورة على الكنيسة، ومحاولة تغيير بعض المفاهيم المترسخة منذ زمن بعيد، وبخاصة مايتعلق باليهود ووضعهم، واستقرارهم في كيان يلم شملهم، ويضم المتفرقين منهم في أنحاء العالم، فقامت عام ١٥٢٣م حركة " الإصلاح الديني" في أوربا على يد " مارتن لوثر"، الذي أصدر كتابه " عيسى ولد يهودياً" ، ومما جاء فيه : " إن الروح القدس أنزل كل أسفار الكتاب المقدس عن طريق اليهود وحدهم، إن اليهود هم أبناء ا لله، ونحن الضيوف الغرباء. ولذلك فإن علينا أن نرضى بأن نكون كالكلاب التي تأكل مما يتساقط من فتات مائدة أسيادها، كالمرأة الكنعانية تماماً"[(١)] وقد تزعم " مارتن لوثر" هذه الحركة مقابل الكنيسة الكاثوليكية التي "كانت تتمسك باعتقادها بأن مايسمى بالأمة اليهودية قد انتهى، وأن ا لله طرد اليهود من فلسطين إلى بابل عقاباً على صلب المسيح، وكانت الكنيسة تعتقد أيضاً أن النبوءات الدينية التي تتحدث عن العودة تشير إلى العودة من بابل، وأن هذه العودة قد تمت بالفعل على يد الامبراطور الفارسي قورش"[(٢)].

وظل الصراع محتدماً بين الكنيسة الكاثوليكية وبين أنصار حركة الإصلاح، إلا أنه في نهاية الأمر أصبح تفسير العقيدة المسيحية نفسها يعتمد اعتماداً كلياً على أسفار العهد القديم، فدخلت بعض الأفكار اليهودية المهمة والخطيرة إليها وهي التي سميت بعد ذلك بالصهيونية المسيحية، وهذه العقيدة تتناول ثلاثة جوانب:

---

(١) انظر: محمد السماك، الصهيونية المسيحية، دار النفائس، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ص ٣٤.

(٢) الصهيونية المسيحية، ص ٣٥.

"الأول: هو أن اليهود هم شعب ا لله المختار، وأنهم يكونون بذلك الأمة المفضلة على كل الأمم.

الثاني: هو أن ثمة ميثاقاً إلهياً يربط اليهود بالأرض المقدسة في فلسطين، وأن هذا الميثاق الذي أعطاه ا لله لإبراهيم – عليه السلام – هو ميثاق سرمدي حتى قيام الساعة.

الثالث: هو ربط الإيمان المسيحي بعودة السيد المسيح بقيام دولة صهيون،، أي إعادة تجميع اليهود في فلسطين حتى يظهر المسيح فيهم"(١). وقد أثرت هذه الأفكار على وضع اليهود في أوربا في ذلك الوقت إذ " في العام ١٦٤٩م وجه من هولندا عالما اللاهوت البيوريتيان – التطهريان – الإنجليزيان جوانا وأليـنزر كارترايت مذكرة إلى الحكومة البريطانية طالبا فيها: بأن يكون للشعب الإنجليزي ولشعب الأرض المنخفضة شرف حمل أولاد وبنات إسرائيل على متن سفنهم إلى الأرض التي وعد ا لله بها أجدادهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب ومنحهم إياها إرثاً أبدياً.

وتكمن أهمية هذه المذكرة في أمرين :

الأول : أنها تعبر عن مدى التحول في النظرة إلى فلسطين والقدس من كونها أرض المسيح المقدسة إلى كونها وطناً لليهود.

الثاني: أنها كانت أول تعبير عن التحول من الإيمان بأن دعوة المسيح تحتم أن تسبقها عودة اليهود إلى فلسطين، وأن العودتين لن تتحققا إلا بتدخل إلهي، إلى الإيمان بأن هاتين العودتين يمكن أن تتحققا بعمل البشر"(٢).

أما في أميركا فإنه " بلغ من تأثير الصهيونية المسيحية على الرواد الأوائل في أمريكا حداً اقترح معه الرئيس جيفر سون اتخاذ رمز لأمريكا يمثل أبناء إسرائيل تظللهم غيمة في النهار، وعمود من نور في الليل بدلاً من شعار النسر، وذلك توافقاً مع مايتضمنه

---

(١) نفسه، ص ٣٤.

(٢) نفسه، ص٣٩.

سفر الخروج"[١] وفي أمريكا بالذات أصبح لليهود شأن خطير، وخاصة في مجال اختيار الرؤساء، الذين عادة مايكونون من هؤلاء الذين يحملون العقيدة الصهيونية، ويعرفون بولائهم المطلق لليهود والصهيونية، ومن أمثلة هؤلاء في العصر الحاضر:

١- روزفلت : كان من الرؤساء الأميركيين الداعمين لموقف اليهود في فلسطين "ولعل أهم ماقام به الرئيس روزفلت هو ممارسة الضغط على بريطانيا لحملها على التراجع عن الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩م، الذي نص على تحديد الهجرة اليهودية إلى فلسطين، ذلك أن الصهيونية المسيحية التي كان يشارك روزفلت الإيمان بها كانت ترى في هذا التحديد عرقلة لإرادة ا لله وتعطيلاً للنبوءات المقدسة"[٢].

٢- ترومان : وهو الذي خلف روزفلت في رئاسة أميركا، وفي عهده قامت دولة إسرائيل، وقد "اعترف ترومان فعلياً بإسرائيل في ١٩٤٨/٥/١٤م، وحتى قبل أن تطلب منه حكومة إسرائيل المؤقتة ذلك بشكل رسمي، إذ كان لتربيته الدينية الأثر الأساسي في هذا التوجه ...... ولم يكد يصدر الإعلان الرسمي بقيام إسرائيل حتى بادرت الولايات المتحدة إلى تقديم منحة لها قدرها مئة مليون دولار مخصصة لمشاريع التنمية، بالإضافة إلى قرض – تحول إلى منحة – بقيمة ٣٥ مليون دولار"[٣].

٣- كارتر : وقد سار على طريق من سبقه، وفي عهده وقعت اتفاقيات السلام بين مصر وإسرائيل، وينقل روجيه غارودى عن صحيفة التايم في عددها الصادر في ٢١ يونيو١٩٧٦م عن أن كارتر " ظهر في معبد إليزابيث اليهودي في نيوجرسي،

---

(١) الصهيونية المسيحية، ص ٥٦.

(٢) نفسه، ص٦٣.

(٣) نفسه، ص٦٥.

وهو يرتدي رداء القضاة المخملي، ثم قال: إنني أقدس الإله الذي تقدسونه، ونحن كمسيحيين ندرس التوراة التي تدرسونها، واختتم كلمته بالقول: إن الحفاظ على بقاء إسرائيل لايدخل في نطاق السياسة، إنه واجب أخلاقي"(١).

٤- رونالدريجان: " كان ريجان يمثل طرازاً جديداً من الرؤساء الأمريكيين الذين أعلنوا من أول يوم ارتماءهم في أحضان اليهود، ودعمهم اللامحدود لإسرائيل، وريجان ينتمي إلى طائفة الأصوليين الإنجيليين وهؤلاء، كما تقول جريس هالسل في كتابها – النبوءة والسياسة – يعتقدون أن على أمريكا أن تقدم الدعم والمال لإسرائيل لأن ا لله يريد منها أن تفعل ذلك "(٢).

٥- كلينتون : وفي عهده سيطر اليهود على السياسة الأميركية بشكل كبير، فقد سيطروا على "المناصب الأولى والهامة في الإدارة مثل: وزير الخارجية، ووزير الدفاع، ومستشار الأمن القومي، ووزير المالية، وآلاف المناصب الأولى والثانية في الإدارات الهامة المختلفة، مما دفع اليهود أن يخلعوا على الرئيس كلينتون أرفع الألقاب، وتطلق عليه صحيفة – يد يعوت أحرونوت – الإسرائيلية لقب: الصهيوني الأخير"(٣).

وبالإضافة إلى اعتناق هؤلاء للعقيدة المسيحية الصهيونية المؤيدة للممارسات الإسرائيلية، فإن اليهود لم يكتفوا بذلك فقط، بل كانت لهم جماعات ضغط موالية لهم في داخل الجهاز الإداري الأعلى في أمريكا ومهمته ممارسة الضغط على الحكومة فيما يخص القرارات التي تهم إسرائيل وكيانها، يقول روجيه غارودى : " ومأأكثر الأمثلة التي تؤكد

---

(١) الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، ص ٢٦٤.

(٢) أحمد منصور، النفوذ اليهودي في الإدارة الأمريكية، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، ص٥١.

(٣) نفسه، ص٥٦.

أن قوى الضغط الإسرائيلية الصهيونية قد نجحت في دفع الولايات المتحدة إلى اتخاذ مواقف لاتتفق تماماً مع المصالح الأمريكية وإن كانت عظيمة الفائدة للسياسة الإسرائيلية .... ثم يضرب على ذلك مثالاً فيقول: قرر السيناتور "فولبرايت"، رئيس لجنة الشئون الخارجية في مجلس الشيوخ، استدعاء عدد من كبار القادة الصهاينة للمثول أمام لجنة تحقيق، مما أدى إلى إلقاء الضوء على أنشطتهم السرية، وقد لخص "فولبرايت" نتائج التحقيقات التي أجراها ، خلال مقابلة في برنامج – واجه الأمة – بثته القناة التليفزيونية CNS يوم ٧ أكتوبر/ ١٩٧٣م، حيث قال: إن الإسرائيليين يتحكمون في سياسة الكونجرس ومجلس الشيوخ، وأردف قائلاً : إن حوالي ٧٠٪ من زملائنا في مجلس الشيوخ يعترفون بأن المواقف والقرارات التي يتخذونها لاتنبع من رؤيتهم الخاصة لما يرون أنه من مبادئ الحرية والعدالة بقدر ماتنبع من الضغوط التي تمارسها جماعات النفوذ"(١).

ولم يقتصر دور العقيدة الصهيونية المسيحية على الجانب السياسي، بل لقد تعداه إلى المنظمات المسيحية العاملة في الحقل الإجتماعي، والتي يرأسها الأساقفة المسيحيون، فقد نشرت صحيفة المدينة في أحد أعدادها خبراً يقول: " نشرت الصحف الإسرائيلية أن هناك منظمة تطلق على نفسها أصدقاء مسيحيون للمستوطنات في يهودا والسامرة، ومقرها فلوريدا في الولايات المتحدة الأمريكية، تقوم بمساعدة المستوطنين اليهود ويرأس هذه المنظمة الأسقف المسيحي: يتدباركت، حيث يقول: إن عملية السلام في الشرق الأوسط مزيفة ولذلك يجب على المسيحيين أن يتوجهوا لعملية السلام الحقيقية، وهي دعم الشعب اليهودي"(٢). ومن الأمور التي مارسها اليهود في الحاضر وتخدم الظروف الاقتصادية والسياسية، استخدام الجاسوسية .

---

(١) الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، ص ٢٧٦.

(٢) صحيفة المدينة، العدد ١٣٤٧٣ .

الجاسوسية :

في العصر الحديث قام اليهود بالكثير من أعمال الجاسوسية، حيث وصلوا عن هذا الطريق إلى تجميع عدد كبير ووافر من المعلومات التي ساعدت أو ساهمت في تحقيق الاستقرار لكيانهم في فلسطين، وقد بدأ اليهود في التجسس على غيرهم منذ وقت سابق على قيام دولتهم في أرض فلسطين وكان من أهم الأعمال التي قاموا بها في ذلك الوقت:

"١- الحصول على معلومات عن العرب بصفة عامة وعن الفلسطينيين بصفة خاصة.

٢- الحصول على معلومات عن قوات الانتداب البريطاني وعملياتها.

٣- تهريب اليهود وكذلك ثرواتهم وأموالهم من أوربا والأقطار العربية في حركة الهجرة غير الشرعية .

٤- تهريب السلاح إلى داخل فلسطين وتفريغه في مخازن لاستخدامه وقت الحاجة"[١].

ومن أجل تنظيم هذا العمل، قام اليهود بإنشاء جهاز خاص، مهمته تدريب الجواسيس، وتجميع المعلومات للاستفادة منها عند الضرورة، ويطلق عليه اسم "الموساد"، وهذا الاسم " اختصار لكلمة: موساد ليتافياكديم ميوشاريم، بمعنى خدمة المعلومات أو خدمة المخابرات"[٢].

ومن الأمثلة على هؤلاء الجواسيس الذين جندتهم إسرائيل لخدمتها :

---

(١) توحيد مجدي، الفخ، جواسيس إسرائيل في قبضة المخابرات العربية، دار الكتاب العربي، دمشق، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، ص١٥٥.

(٢) السابق، ص ١٥٥.

١- إيلي كوهين :

يهودي "ولد في الإسكندرية بمصر في ١٦ ديسمبر ١٩٢٤م، وفي ديسمبر ١٩٥٦م كان من بين اليهود الذين طردوا من مصر في أعقاب أزمة السويس"، فسافر إلى حيفا وهناك " لقنه خبراء التخريب طريقة صنع المتفجرات والقنابل الموقوتة من أبسط المكونات، وتعلم فنون القتال بلا سلاح وأصبح رامياً من الطراز الأول وضليعاً في فنون السطو على المنازل واكتشف أسرار الكتابة بالرموز وحل الشفرات واستخدام اللاسلكي والحبر السري وإخفاء الرسائل". وقد أعطى اسماً جديداً هو: كمال أمين ثابت، وسافر إلى بيونس أيرس حيث انتحل شخصية تاجر سوري مهاجر، وذهب إلى سوريا بهذه الصفة ثم مالبث أن وصل إلى مكانة مرموقة مكنته من إرسال معلومات مهمة إلى إسرائيل عن سورية، فقد " أتيحت له جولة بصحبة مرافق إلى تحصينات مرتفعات الجولان السورية، وهناك شاهد الدشم المحصنة الخرسانية في عمق الهضبة حيث نصبت المدافع الروسية طويلة المدى، بل إنهم سمحوا له بالتقاط الصور، وهكذا فإنه بعد ساعات من وصول مائتي دبابة روسية من طراز تي ٤٥ إلى سورية، كان كوهين قد أبلغ هذه المعلومات إلى تل أبيت، بل إنه حصل أيضاً على مخطط كامل لاستراتيجية سورية لعزل شمال إسرائيل ، ولم تكن تلك المعلومات تقدر بثمن".

ومع ذلك انكشف أمره " ففي إحدى أمسيات يناير ١٩٦٥م كان إيلي كوهين في غرفة نومه بمسكنه في دمشق ينتظر إرسال رسالة، وبينما كان يضبط جهاز الاستقبال اقتحم شقته ضباط المخابرات السورية"(١) وقد أعدم هذا الجاسوس شنقاً في سوريا، ولأجل خدماته الجليلة التى قدمها لإسرائيل فقد أطلقوا اسمه على

(١) جميع هذه المعلومات أخذت من كتاب جوردن توماس، جواسيس جدعون، والذي عرضته صحيفة الشرق الأوسط ، انظر: الحلقة الخامسة، العدد ٧٥١٨.

أحد الشوارع في تل أبيب، بالإضافة إلى بعض الطوابع البريدية التي تحمل صورته، وإسرائيل الآن تطالب سوريا بإعادة رفاته إليها"(١).

٢- جوناثان بولارد:

من أهم الجواسيس الذين أتقنت إسرائيل تدريبهم وتعليمهم ومن ثم استخدامهم، وهذه المرة كان جاسوساً إسرائيلياً في أمريكا " إذ نقل مايربو على ألف وثيقة سرية، أي ٣٦٠ قدماً مكعباً من الورق إلى إسرائيل "(٢)، ولأجل هذه المعلومات التى قدمها وصفه الإسرائيليون أنه : " الجاسوس الأكثر أهمية في تاريخ الدولة العبرية"(٣).

وقد اكتشف أمره حيث " ألقي القبض عليه خارج السفارة الإسرائيلية في واشنطن وذلك في ١٢ نوفمبر ١٩٨٥م وحكم عليه بالسجن مدى الحياة"(٤).

ولأهميته فإن القادة الإسرائيليين يطالبون القيادة الأميريكية دوماً بالإفراج عنه "ويشير المراقبون إلى أن هذا المطلب كان ضمن التعهدات التى أخذها اليهود على كلينتون قبل دعم ترشيحه إلى البيت الأبيض، إلا أن كلينتون حينما وصل إلى البيت الأبيض وجد تعهده هذا من ضمن التعهدات التى يصعب تنفيذها بسبب موقف البنتاجون الذي كان بولارد أحد خمسة أفراد فيه يعلمون دقائق أسراره ومفاتيح الشفرة لأهم المعلومات فيه، ولذلك حينماطلب كلينتون من وزير دفاعه السابق – لس أسبن – أن يبحث عن مخرج للإفراج عن بولارد لم

---

(١) انظر: صحيفة الشرق الأوسط، العدد ٧٥١١.

(٢) صحيفة الشرط الأوسط، العدد ٧٥٢٣.

(٣) النفوذ اليهودي في الإدارة الأميريكية ، ص ٥٩.

(٤) صحيفة الشرق الأوسط، العدد ٧٥٢٣.

يجد -أسبن- سوى الاستقالة طريقاً لخروجه من هذه الورطة"[١] وأخيراً نقلت صحيفة عكاظ الخبر التالي: " باراك سيطلب إطلاق سراح جوناتان بولارد - أعلن مسؤول إسرائيلي في واشنطن أن رئيس الوزراء الإسرائيلي سيبذل أقصى جهوده من أجل التوصل إلى الإفراج عن جوناثان بولارد المحكوم بالسجن مدى الحياة في الولايات المتحدة بتهمة التجسس لحساب إسرائيل .... يذكر أن المسؤولين الأمنيين الأمريكيين مازالوا يعارضون إطلاق سراح بولارد مؤكدين أن نشاطات التجسس التي قام بها ألحقت أضراراً كبيرة بالمصالح الأميركية"[٢].

---

(١) النفوذ اليهودي، ص ٥٩-٦٠.

(٢) صحيفة عكاظ، العدد ١٢٠١٢.

رابعاً: التشكيك في المعتقدات تحت ستار النظريات والأبحاث العلمية:

تجرأ اليهود عبرغطاء البحث العلمي على إفساد الأمميين، مرتدين ثوب العلم، متظاهرين بسلوك المنهج العلمي الصحيح، فخرجت للعالم أجمع الكثير من النظريات الضالة المفسدة والتي يتحمل اليهود وزر نشأتها ونشرها، كما صرحوا بذلك في البروتوكولات(١)، وماكان لأمثال هذه النظريات أن تجتاح العالم ويقبل عليها الكثيرون لولا سياسة "الهدم والبناء" التي اتبعها اليهود، والتي تتمثل في هدم المعتقدات في قلوب المؤمنين بها، أو على الأقل تشكيكهم في صحتها وسلامة مصادرها، وفي العالم المسيحي (أوربا وأميركا وغيرهما)، كان الأمر سهلاً على اليهود، إذ أصبح هذا العالم بشعوبه وخيراته تحت سيطرتهم خاصة بعد الثورة الفرنسية، وأما في العالم الإسلامي فلن يتم هذا الأمر بدون هدم القواعد التي يرتكز عليها المسلم في حياته، ومن أولى هذه الركائز وأهمها دينه، وقد تم هذا الأمر تدريجياً عن طريق التعليم، وعن طريق مايسمى بالاستشراق الذي يهدف في ظاهره إلى دراسة العلوم الإسلامية دراسة موضوعية، ولكنه يخفي في طياته السم في الدسم.

أ- دور بعض النظريات في إفساد الأمميين :

كان اليهود مسؤولين مسئولية مباشرة عن الترويج للنظريات الفاسدة التي تخدم مصالحهم، يقول الأستاذ أنور الجندي: "أفلحت الدعاية اليهودية في طبع كثير من العقائد والنحل بما يحقق مصلحتها فنرى روح الولاء والتهليل لبني إسرائيل ومقدساتهم تهيمن

---

(١) يقول اليهود في البروتوكولات : " ولقد خدعنا الجيل الناشئ من الأمميين، وجعلناه فاسداً متعفناً بما علمناه من مبادئ، ونظريات معروف لدينا زيفها التام، ولكننا نحن أنفسنا الملقنون لها، ولقد حصلنا على نتائج مفيدة خارقة من غير تعديل فعلي للقوانين السارية من قبل، بل بتحريفها في بساطة، وبوضع تفسيرات لها لم يقصد إليها مشترعوها". انظر: البروتوكول التاسع، ص١٩٩.

على بعض المقدسات المسيحية وماظهر مذهب فكان يؤدي إلى أن يسهم بالأذى من قريب أو بعيد إلا قلبوه أو أولوه بما يفسده هو وينفعهم هم وماكان مؤدياً إلى خير لهم روجوه في كل أنحاء العالم، وكذلك لكل قلم مادامت آثاره عن قصد أو غير قصد تساعد على إفساد الناس ورفع شأن اليهود"(١).

وقد كان دور اليهود في الترويج لهذه النظريات كبيراً ومؤثراً، يقول الأستاذ عباس العقاد: " وأمامنا الحركات الفكرية والإجتماعية والسياسية في الغرب، وأصداؤها هنا وهناك، فإن دراستها على حقيقتها دون عناوينها تدل على عبث الصهيونية بأقدس القيم، وتسخيرها كل حركة ماستطاعت لإفساد العقول والأخلاق"(٢)، ويأتي اعتراف اليهود أنفسهم في "البروتوكولات" بمسؤوليتهم عن نشر هذه النظريات شاهد على مدى الصلة الوثيقة التي تربطهم بها، ومدى الإستفادة من تسميم عقول الأمميين بها، حيث ورد في البروتوكول الثاني: [لاتتصوروا أن تصريحاتنا كلمات جوفاء، ولاحظوا هنا أن نجاح دارون وماركس ونيتشه قد رتباه من قبل والأثر غير الأخلاقي لاتجاهات هذه العلوم في الفكر الأممي سيكون واضحاً لنا على التأكيد](٣). ومن أمثلة هذه النظريات والتي ترتبط ارتباطاً وثيقاً باليهود، وتعود عليهم بالنفع من غير شك :

١- نظرية داروين :

هو " تشارلس روبرت (١٨٠٩-١٨٨٢) عالم طبيعية إنجليزي، تعلم بجامعة كامبردج وأسس نظرية التطور التاريخي للعالم العضوي"(٤) وهذه النظرية "تعتبر أن

(١) المخططات التلمودية، ص ١٥٣.

(٢) عباس محمود العقاد، الصهيونية العالمية، المكتبة العصرية، صيدا، ص٧٠.

(٣) البروتوكول الثاني، ص١٦٧.

(٤) الموسوعة الفلسفية، وضع : لجنة من العلماء والأكاديميين السوفيتيين، بإشراف: م. روزنتال ي.يودين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ترجمة: سمير كرم، الطبعة الثانية، ١٩٨٠م، ص ١٩٢.

كل شيء بدأ ناقصاً شائهاً يثير السخرية والاحتقار ثم تطور فلا قداسة إذن لدين ولاوطنية ولاقانون ولافن ولالمقدس من المقدسات"[١].

وقد أكدت مؤلفات داروين أفكاره فقد " أقام في كتابه – أصل الأنواع عن طريق الانتخاب الطبيعي أو حفظ الأجناس المنفصلة في الصراع من أجل الحياة– القضايا الأساسية لنظرية التطور ....، وفي كتابه – سلالة الإنسان والانتخاب بالنسبة للجنس – قدم عرضاً عملياً لانحدار الإنسان من الأسلاف الحيوانية"[٢]، ويهدف اليهود من خلال تبني هذه النظرية ونشرها بين الأمميين إلى إنكار ثبات القيم الدينية، وأنها عرضة للتطور فلابقاء للثوابت مما يسهم في التشكيك بالدين باعتباره أحد أهم الثوابت في يقين الإنسانية، وهذا بدوره يؤدي إلى رفع القدسية عن الدين وتحطيم النوازع الخلقية، وهو مايريده اليهود ويهدفون إليه تماماً وإلى نشره بين الأمميين .

٢– نظرية فرويد :

هو " سيغموند فرويد (١٨٥٦–١٩٣٩)، طبيب وأخصائي أمراض عصبية، وطبيب أمراض عقلية نمساوي"[٣]، كان يرى أن الرغبات الجنسية هي الدافع للرغبات الإنسانية الأولية ثم تطور به الأمر إلى الزعم بأن جميع القيم العليا لدى الإنسان إنما تقع تحت تأثير الرغبات الجنسية إذ هي الدافع والمحرك القوي لها، ويعلق الأستاذ أنور الجندي على نظرية فرويد ومدى ارتباطها بالفكر اليهودي المفسد قائلاً: "ومن يقرأ فرويد يدرك تماماً أنه ينفذ مخططاً جباراً أراد أن يصم الجنس البشري بأنه جنس متحلل ينطوي على أسوأ النوايا وأخس الرغبات وقد

(١) المخططات التلمودية، ص ١٥٣.
(٢) الموسوعة الفلسفية، ص١٩٣.
(٣) نفسه، ص ٣٣١.

حمل مذهبه الناس إلى الشك في كل فضيلة وكل عاطفة رقيقة ولاريب أن الحضارة بهذا قد وصلت إلى مرحلة الحيرة وعندما ينهك الفكر يكون الوقت أزف لكي يتقدم اليهود للاستيلاء على العالم، وقد أثبت كثير من الباحثين أن جذور الفكر الفرويدي تنبعث أصلاً من التراث الصهيوني والمتجه إلى تقويض الأسس التي تقوم عليها حضارة الغرب والذي يعمل على تقديم هذه المفاهيم التي سيطرت على الأدب والفن على نحو يغري الناس بالتحلل وييسر لهم سبيله"[(١)].

٣- نظرية نيتشه :

فيلسوف ألماني " ولد في روكسن بالقرب من لايسنبرج من أعمال بروسيا بألمانيا ١٥ أكتوبر ١٨٤٤م"[(٢)] ترتكز نظريته على إنكار العقائد فهو يقول: " إملأ حياتك بالخطر، شيد مدائنك على مقربة من بركان فيزوف، ابعث بسفائنك إلى البحار المجهولة، عش في حرب دائمة، تذكر فوق ذلك كله أن تنكر العقائد جميعاً"[(٣)].

وعن وجود الإله يقول:"لو كان هناك إله، فكيف كنت أطيق ألا أكون أنا ذلك الإله"[(٤)]، ويقول: "إن وجود ا لله كان يغدو مستحيلاً لو لم يوجد أناس حكماء، هذا ماقاله لوثر، ولكن وجود ا لله كان يغدو أكثر استحالة لو لم يوجد أناس بلهاء، وهذا مالم يقله صاحبنا لوثر"[(٥)].

---

(١) المخططات التلمودية، ص١٦٧.

(٢) د. رفقي زاهر، أعلام الفلسفة الحديثة، رؤية نقدية. الطبعة الأولى ١٩٧٩م، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة، دار المطبوعات الدولية، ص١٣٤.

(٣) نفسه، ص١٣٢.

(٤) نفسه، ص ١٤٣.

(٥) نفسه ونفس الصفحة.

وتبعاً لمقولته في إنكار العقائد والألوهية، فقد قام اليهود بنشرهذه النظرية مروجين لمبادئها، وقد أثرت نظريات نيتشه على اليهود أنفسهم خاصة فيما يتعلق بمعاملتهم غيرهم، يقول العماد مصطفى طلاس: " كان لنظرية نيتشه في الطموح إلى القوة تأثير بارز على بعض مفكري الحركة الصهيونية وبشكل خاص ميخائيل جوزيف بيرديشفسكي (١٨٦٠-١٩٢١) الذي لم ير إلا التوتر والثورة العنيفة طريقاً لقيام إسرائيل"[١].

٤- نظرية ماركس (١٨١٨-١٨٨٣م):

كارل ماركس يهودي الأصل، وقد نقل الأستاذ عبدالرحمن عميرة عن الحاخام اليهودي "لويزبروتس" قوله: " إن كارل ماركس حفيد الحاخام مردخاي ماركس، كان في روحه واجتهاده وعمله ونشاطه وكل ماقام به وأعد له أشد إخلاصاً لإسرائيل من الكثيرين ممن يتشدقون اليوم بدورهم في مولد الدولة الصهيونية"[٢]، ويدل على ذلك أنه تأثر كثيراً بأفكار اليهودي "موسى هس" الذي "أعلن في كتابه: روما والقدس، بأن على كل يهودي مسئولية إعادة بناء إسرائيل حتى تكون القدس بالنسبة لليهود بمثابة روما للمسيحيين"[٣].

ويتضح هذا التأثر الشديد في حديث كارل ماركس عنه، حيث يقول: "اتخذت من هذا العبقري قدوة لي ومثالاً لما يتحلى به من دقة في التفكير وتوارد في الخواطر وتوافق في الآراء مع عقيدتي ومأومن به"[٤].

---

(١) العماد، مصطفى طلاس، آفاق الاستراتيجية الصهيونية، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٩٨٧، ص١٠١.

(٢) عبدالرحمن عميرة، المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها، دار الجيل، بيروت، ص١٢٧.

(٣) سامي حكيم، إسرائيل والدول الشيوعية، دار الكاتب العربي، ص٧.

(٤) نفسه ونفس الصفحة.

وتتجه الأفكار التي أعلنها كارل ماركس لخدمة اليهود، وتحقيق سيطرتهم على الأمم حيث يزعم أنه لايوجد في العالم أمة أقدر من اليهود لقيادة الناس فقد نادى "باخضاع المجتمع إلى قيادة طليعية ماركسية في يدها جميع المقدرات، ورأى اليهود أنهم أصلح الناس لهذه القيادة باعتبارهم شعب ا لله المختار، ومن ثم انخرطوا في عداد المؤيدين للمبادئ الماركسية لأنها الطريق الذي يحقق أطماعهم في السيطرة، وبالتالي بعث إسرائيل"(١).

وقد نادت الماركسية بالغاء الأديان باعتبارها فكرة لامعنى لوجودها، يقول كارل ماركس عن الدين "أنه الأفيون الذي يخدر الشعب لتسهل سرقته، وأن الدين كان وسيلة الإخضاع الروحي، كما كانت الدولة وسيلة الإخضاع الإقتصادي"(٢) وقد قدر لأفكار كارل ماركس أن تنتشر ويصبح لها سلطة ونفوذ على أماكن كثيرة، حيث اعتنق هذا المذهب كثير من الدول، فخدمت بذلك اليهود، وكان لها دورها الفعال في سيطرة اليهود وتسطلهم على مقدرات تلك الشعوب ومواردها، وساهمت أيضاً في استقرار اليهود على أرض فلسطين وتثبيت الكيان اليهودي هناك .

وهكذا كانت جميع هذه النظريات السابقة تهدف إلى أمرين هما :

١- إفساد الأمميين وإغراقهم في الشهوات عن طريق الترويج للمفاهيم السيئة وتمجيد أصحابها ورفع قدرهم بين الناس لاتخاذهم قدوة ومنهجاً، ومن ثم يسهل على اليهود السيطرة على الأغيار حيث لايعود عندهم مايستطيعون به المواجهة من دين أو خلق أو حتى مبدأ يعتمدون عليه .

٢- خدمة الهدف الأعلى والمطلب الأهم وهو قيام دولة إسرائيل على أرض فلسطين وتثبيت الوجود اليهودي على ترابها باعتباره حقاً مشروعاً لهم على الأمم جميعاً أن تعمل لتحقيقه .

---

(١) نفسه، ص ٥ .
(٢) المذاهب المعاصرة، ص ١٤٥.

ب – الإستشراق ومناهج التعليم :

لما لم يكن لدى اليهود القوة الحربية اللازمة لمواجهة العالم الإسلامي، بسبب مايحمله أبناؤه في صدورهم من عقيدة سليمة، ومنهج راسخ قوي، فقد اتجهوا إلى ميدان الاستشراق الذي برز في العصر الحديث على يد الكثير من العلماء الأوربيين الذين اندس بينهم اليهود بصفتهم علماء ومفكرين .

والاستشراق هو : " حركة دراسة العلوم والآداب والحضارة والثقافة الإسلامية بهدف معرفة عقلية المسلمين وأفكارهم واتجاهاتهم وأسباب تفوقهم وقوتهم"[١].

ومن أهم أهداف المستشرقين خدمة أفكار اليهود ونشرها،يقول د.محمد زغروت: "هناك من الأسباب القوية مادفعت البعض من اليهود إلى الإقبال على الاستشراق وذلك لأسباب دينية وسياسية، فمن الأسباب الدينية أنهم أرادوا إضعاف الإسلام والتشكيك في قيمه العليا وذلك عن طريق تحريف العقيدة وتزييف التاريخ الإسلامي بهدف إثبات فضل اليهودية عليه، أما الأهداف السياسية، فلايغرب عن بالنا أنها أهداف تتصل فيما تتصل بخدمة الصهيونية وإقامة دولة اليهود الكبرى، ولاغرابة في ذلك مطلقاً فإن كراهية اليهود للإسلام واضحة طوال حقب التاريخ، وقد وجدوا في مجال الاستشراق فرصة سانحة لتسريب سمومهم ضد الإسلام والمسلمين، فدخلوا هذا المجال تحت شعار العلم وتقلدوا المناصب العلمية الكبرى في أغلب جامعات الغرب وصاروا من أكبر عمداء الاستشراق مثل – جولد تسيهر – اليهودي الأصل الذي أصبح من أكبر علماء الاستشراق في مجال العلوم الإسلامية"[٢].

---

(١) احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، ص ٩٩ .

(٢) د. محمد زغروت، أثر الفكر اليهودي في كتابة التاريخ الإسلامي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٦م، ص١١٧-١١٨.

ومن مؤلفات المستشرقين التي تساعد على نشر المبادئ التي يروج لها اليهود كالتشكيك في أصول العقيدة الإسلامية، وترسيخ بعض المفاهيم اليهودية مايلي :

"١- دائرة المعارف الإسلامية: وهو معجم ألفه المستشرقون لخدمة النصرانية واليهودية حيث أنهم لم يتركوا شيئاً من عقائد الإسلام ولا شرائعه إلا وصوروه لقرائهم بما يخالف الصورة الصحيحة في كثير من الوجوه ومالم يشوهوه من الحقائق عرضوه بصورة عادية لامزية فيها وفي هذه الدائرة كثير من العيوب العلمية والتاريخية المغرضة.

٢- قاموس المنجد: وهو طافح بالتعصيب والحقد على الإسلام، وبه مايقرب من أربعمائة خطأ تاريخي وعلمي.

٣- الموسوعة العربية الميسرة: وهي تعرض المعلومات الإسلامية بصورة ضعيفة وفاترة بالإضافة إلى عناصر تشويه التاريخ بهدف خدمة المخططات الصهيونية حيث تعبر عن وجهة نظر اليهود في كثير من المسائل"(١).

وهكذا يتبين أن من أهم أهداف الاستشراق خدمة أغراض اليهود الذين إلى يومهم هذا يترسمون خطى أجدادهم السابقين الذين حاولوا تشكيك المسلمين الأول في عقيدتهم، وصدهم عن قبول دعوة الحق والإيمان بها، فلم يستطيعوا في الماضي، ولن يستطيعوا في الحاضر – بمشيئة ا لله –.

واستمراراً لمؤامرة اليهود على كل ماله صلة بالواقع العلمي عند المسلمين،فإن مناهج التعليم لم تخل من بعض التصورات الدخيلة عليها، والتي كان اليهود ولاشك من ورائها. وسأختار شاهداً على ذلك: مناهج التعليم في فلسطين وذلك يعود لسببين في رأيي:

الأول: أن أرض فلسطين محتلة من قبلهم، وبالتالي فأسلوب عرض الآراء التي تخدم الفكر اليهودي في مناهج التعليم ظاهرة وبينة لالبس فيها، ولامجال لانكارها.

---

(١) احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، ص١٠٩-١١٠.

الثاني: أن المتلقن لهذه الأفكار هم أبناء الأرض المحتلة، والذين يعول عليهم كثيراً في محاربة المحتل، واسترداد الأرض، وفي تغيير المناهج التعليمية بما يتوافق وتصور اليهود إضعاف ولاشك لروح المقاومة والصمود لدى هؤلاء، وتعويد على الانهزامية والتبعية المطلقة لليهود.

وتأتي النماذج مؤيدة هذا الأمر فيحاول اليهود تشكيك الناشئة في صحة القرآن الكريم ففي كتاب التاريخ لطلبة الصف العاشر، جاء مايلي: " ففي سنة ٦٥٣ ظهر أهم اختلاف في قراءات القرآن، أثناء غزوة أرمينية بين جيوش الشام وجيوش العراق، ويقال إن هذا الاختلاف أدى إلى اشتباكات بين الجنود نظراً لما كان من التوتر بين سكان هذين القطرين"(١).

وهكذا يوهمون الناشئة من أبناء الأرض المحتلة بأن ثمة اختلافات جوهرية في صحة قراءات القرآن، وهو أمر يهدف اليهود إلى نشره بينهم بطريق غير مباشرة .

– ثم يحاولون أيضاً التشكيك بصحة أحاديث النبي –ﷺ– حيث ورد: "وفي القرون الثلاثة بعد الهجرة، أضيف الكثير من الأحاديث.. الأمر الذي أدى ببعض الفقهاء لجمع الأحاديث الصحيحة حسب رأيهم"(٢).

– ولم يقتصر الأمر على ذلك بل تعداه إلى زعزعة بعض المفاهيم الأصيلة في الإسلام مثل الجهاد، إطفاءً لروح المقاومة وحب الاستشهاد في سبيل ا لله مقاومة للمحتل، وذلك عن طريق غير مباشر.

فقد ورد عنه التالي " الجهاد ومعناه الحرب ضد الكفرة والمشركين، ويرفعه الخوارج إلى مصاف الأركان ويجعلونه ركناً سادساً، إلا أن الإسلام السني لايعترف بسوى

---

(١) ماجد عرسان الكيلاني، التعليم ومستقبل المجتمعات الإسلامية في التخطيط الإسرائيلي، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ–١٩٨٥م، ص١٩.

(٢) السابق، ص٢٣–٢٤.

الأركان الخمسة السابقة"[١].

ولم ينس اليهود محاولات أجدادهم في السابق حينما أثاروا فتنة عظيمة بين المسلمين عند تحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام، ولذلك أوردوا هذه القصة في مناهج التعليم حالياً معلقين عليها بقولهم: " ولكي يجتذب محمد اليهود إليه أمر أتباعه بأن يتوجهوا في صلاتهم نحو القدس بدل الكعبة وأن يصوموا يوم الغفران، ولكن وبمرور الوقت وعندما جوبه بالسخرية من قبل اليهود، وبعد أن أدرك أنهم بعيدون عنه غير موقفه تجاههم وأخذ يقسو عليهم فألغى يوم الغفران وحدد صوماً آخر يستمر شهراً، كما حول القبلة من القدس إلى مكة"[٢].

ويحاول اليهود في مناهجهم التي فرضوها على طلاب الأرض المحتلة أن يخفوا الدسائس التي قاموا بها ومن أجلها تم إجلاؤهم عن المدينة قائلين: " ولما استتب الأمر في المدينة للنبي محمد ووجد أنه لم يستطع استمالة القبائل اليهودية في المدينة، وفي القرى المحيطة بها، انصرف إلى حربهم فحارب قبائل بني النضير وقريظة ثم خيبر واستولى على أراضيهم وأحل المهاجرين من المسلمين مكانهم"[٣].

وخلافاً لهذه الأفكار التي ضمنوها مناهج التعليم بما قد يشكك الطلاب المسلمين في مبادئ عقيدتهم ودينهم، فإنهم حاولوا أن يثبتوا أحقيتهم بأرض فلسطين مبينين حدودها بقولهم: " وفي عصر الازدهار لمملكة إسرائيل التي امتدت من نهر الفرات حتى نهر مصر"[٤]، فيوهمون الناشئة بأحقيتهم التاريخية والدينية بهذه المساحة من الأراضي العربية.

---

(١) نفسه، ص ٢٥ .

(٢) بدر سمرين، مجلة أرض الإسراء، العدد ٥٩، السنة السادسة، جمادى الأولى، ١٤٠٣هـ- شباط ١٩٨٣م.

(٣) التعليم ومستقبل المجتمعات الإسلامية، ص ٤٣-٤٤ .

(٤) مجلة أرض الإسراء، العدد ٥٩.

تلك كانت ملامح ونماذج لسيطرة اليهود الإقتصادية والاعلامية والسياسية على الأمميين في بعض البلدان، ومحاولاتهم الدؤوبة لإفسادهم وإغراقهم في الشهوات، وماكان لتلك المحاولات أن تنجح لولا قيام التنظيمات السرية المتقنة، والتي أنشأها اليهود بهدف السيطرة الشاملة، وإعادة مجد صهيون، وقيام مملكة إسرائيل على الأرض، ومن أشهر هذه التنظيمات التي كان دورها كبيراً ومهماً في سقوط الملكيات في أوربا وقيام الثورة الفرنسية، وسقوط الدولة العثمانية والقضاء على الخلافة في بلاد المسلمين، الماسونية.

الماسونية :

الماسونية كلمة مشتقة من : " فرماسون، المركبة من لفظتين فرنسيتين، من -فرانك- التي تعني في اللغة الفرنسية الصدق، و-ماسون- التي تعني الباني، وتصبح الدلالة اللغوية للفظ الماسون الباني الصادق، والجماعة الماسونية، أي البناة الصادقون أو البناؤون الأحرار أو البناية الحرة"[١].

وقد وردت الماسونية في "البروتوكولات" كتأكيد على صلتها باليهود، ونشأتها اليهودية الصرفة[٢]، وهذه المنظمة أو الجمعية السرية الخطيرة تخفت تحت شعارات زائفة توهم السذج والغافلين بنيتها الطيبة، ومبادئها البراقة (حرية - إخاء - مساواة)، والتي ظاهرها الخير، وباطنها الإفساد والضلال والتخريب والمؤامرات على الدول والشعوب، وتحطيم الأنظمة القائمة من أجل الوصول إلى هدف معين، وقد اجتذبت إلى صفوفها كثيراً ممن آمن بشعاراتها، ومع ذلك لم يسمح لهم بالترقي في أعلى درجاتها، ذاك أنه لايصل لتلك الدرجات سوى اليهود وحدهم.

والماسونية إحدى مساوئ اليهود عبر الزمن، وتعود في تاريخها إلى قرون بعيدة جداً، ومنذ ذلك الوقت وهي تعمل وتنظم وتخطط دون أن يعتريها اليأس والسأم والملل، والماسونيون يرجعون بالماسونية إلى جذور تصل إلى سليمان - عليه السلام -، ولكنها في الحقيقة جمعية نشأت بعد ميلاد المسيح - عليه السلام - إذ كانت تناهض دعوته وتقاومها، وتحاول ماوسعها الجهد صد الناس عن أتباعه، لذا فمن البديهي القول أنها جمعية أسست منذ بدايتها على المقاومة للأديان، وهذا ماسيبدوا واضحاً عند الحديث عنها تفصيلاً -إن شاء الله تعالى-.

---

(١) صابر طعيمة، الماسونية ذلك العالم المجهول، دار الجيل، بيروت، ص ٢٠.

(٢) انظر: البروتوكولات: التاسع، الثاني عشر، الخامس عشر.

الماسونية في التاريخ :

تكونت هذه الجمعية الخطيرة في عصر مابعد المسيح – عليه السلام –، مقاومة لدعوته، وقد تأسست برئاسة الملك " هيردوس اكريبا"[١]، وكان المستشار له "حيرام أبيود"، وذلك في سنة ٤٣ ب.م، وهو صاحب فكرة تأسيس هذه الجمعية "يقول حيرام أبيود مستشار الملك هيردوس اكريبا وهو يكشف عن البداية العملية والممارسة الفعلية لعمل الماسونية المنظم حين تم تأسيس الجمعية الماسونية في أورشليم في اليوم الرابع والعشرين من شهر حزيران في السنة الثالثة والأربعين بعد ميلاد المسيح ... لما رأيت أن رجال الدجال يسوع وأتباعهم يكثرون ويجتهدون بتضليل الشعب اليهودي بتعاليم، مثلت أمام مولاي جلالة الملك هيردوس اكريبا، واقترحت عليه تأسيس جميعة سرية هدفها محاربة أولئك المضلين، على أننا نبذل كل جهد ماعزّوهان، لأجل إحباط مساعيهم الفاسدة وإبادتهم إذا أمكننا"[٢]، وهكذا تأسست هذه الجمعية وانضم إليها آخرون، ومنذ ذلك الوقت بدأت نشاطها، وكان أعضاؤها يطلقون عليها أسماء عدة مثل:

١- القوة الخفية : وسبب إطلاق هذه الاسم هو اعتقادهم أن سريان دعوة المسيح بين الناس بسبب قوة خفية يقول حيرام أبيود: " وكلما ازددنا جهاداً في محاربة أنصاره وأتباع تعاليمه ازداد عدد المؤمنين به والمائلين إلى الديانة التى أنشأها، فكأن هنالك يداً وقوة خفيتين تضرباننا ولاتجدان أمامهما مدافعاً، وكأننا قد حرمنا

---

(١) هيردوس اكريبا: هيردوس: اسم لعدد كبير من حكام وملوك فلسطين أو بعض أجزائها، وهيردوس هذا هو ابن ارستوبولس بن هيردوس الكبير بن انيباس الأدومي الأصل، ويعرف بهيردوس اكريباس الأول، وقد عاش طويلاً في روما، ثم رجع وعُين على بعض فلسطين عام ٣٩م، ويروى أن الدود أكله بعد أن ادعى الألوهية، وكان موته سنة ٤٤م. وعمره ٥٤ سنة. انظر: القاموس، ص١٠٠٨-١٠١١.

(٢) الماسونية ذلك العالم المجهول، ص٥٠.

كل قوة تدفع تلك القوة وتناضل عن ديانتنا وعن كيانها وكياننـا فلما رأيت أن لاحيلة لجمع شتات كلمتنا، وأن لا أمل بقوة تدفع تلك القوة التي هي لاشك خفية إلا بإنشاء قوة خفية مثلها"[١].

٢- الأرملة : وهذا أيضاً مما يطلق عليها، وسبب إطلاقه أن الملك هيردوس أكريبا أراد أن يكرم حيرام أبيود فمنحه لقب المعلم ولم يكتف بهذا بل إنه قال: "ولما كان أخونا حيرام يتيم الأب، لأنه فقد أباه إذ كان طفلاً ولم يعرفه وإنما عرف أمه الأرملة رأيت أن أسمي جمعيتنا باسم الأرملة وأحب أن توافقوا على هذه التسمية فمنذ الساعة ندعى نحن المؤسسين أبناء الأرملة، وكل عضو من الجمعية يلقب بابن الأرملة إلى منتهى الأجيال"[٢].

٣- الشرق الأعظم: لما افتتحت الجلسات رأى هيردوس أكريبا أن يكون هناك مكان خاص للاجتماعات السرية فاقترح أن يؤسس نادياً يسمى محفل أورشليم، والمحفل عبارة عن دهليز يجتمع فيه أولئك بحيث لايراهم ولايسمعهم أحد، وبعد موته، وتولي حيرام أبيود مكانه " اقترح أن يضاف اسم جديد إلى اسم هيكل أورشليم وهو كوكب الشرق الأعظم، وأراد بذلك أن النور الحقيقي الذي ينيركم ويهديكم هو هذا الكوكب"[٣].

وقد حرص المجتمعون الأوائل على إعطاء جمعيتهم الخفية تاريخاً موغلاً في القدم بنسبتهم إياها لسليمان – عليه السلام – وكان السبب في ذلك إعطاؤها بعداً تاريخياً ودينياً لكي تستميل قلوب الناس في ذلك الوقت إليها، يقول هيردوس اكريبا: " على أنه إذا عرف أن هذه الجمعية تأسست في هذه الأيام يتوجس الناس خوفاً منها ولايمكن أن يكون لها شأن ومقام، ويمتنع علينا عند ذلك أن نوجد رغبة فيها وتوقاناً إليها، خاصة في

(١) الماسونية ذلك العالم المجهول، ص ٥١ .
(٢) نفسه، ص ٨٠-٨١.
(٣) نفسه، ص ٩١.

هذه الأيام العصيبة القائمة فيها الثورة التي أثارها ذلك الدجال، مما يجرئني على القول أنه إذا فهم أن جمعيتنا تأسست الآن فقد لاينضم إليها أحد وربما امتنع الكل عن مشاركتنا ولايبعد أن يقوم الخائفون منا فيعملوا لصد الراغبين في الانضمام إلينا بتقبيحهم إيانا في عيونهم وإلباسهم غايتنا ومبدأنا الشريفين أثواباً سوداء حتى ينفروا منا وتحبط بذلك مساعينا"(١).

وعلى إثر ذلك بدأ أعضاؤها المؤسسون لها في محاولة نشرها بين الناس وكان على من يريد الدخول فيها أن يؤدي قسماً قبل أن يشرع بالانتساب إليها والقسم هو: "أنا فلان بن فلان أقسم با لله وبالتوراة وبشرفي بأنني بعدما قبلت ودخلت في جمعية القوة الخفية وصرت عضواً من أعضائها لا أخون إخواني أعضاؤها بشيء يضر بشخصيتهم ولابشيء من مقررات الجمعية، وبأنني أتبع مبادئها وأتمم جميع مايقرره أعضاؤها العاملون وكل ماأؤمر به لدن رؤسائها بكل دقة وطاعة وضبط وبكل غيرة وأمانة، وبأنني اجتهد بتوفير عدد أعضائها، ولا أبوح بأي سر من أسرارها لأي كان، وإن خنت بيميني هذه وثبتت خيانتي فليقطع عنقي أو ينزل بي الموت بأي طريقة كانت"(٢).

وقد توفي الملك هيردوس أكريبا في عام ٤٤م، وخلفه على رئاسة هذه الجمعية حيرام أبيود الذي وجد مقتولاً بعد ذلك، وبعد كانت تلك لمحة تاريخية سريعة عن بداية تكوين هذه الجمعية الخفية والتى عرفت فيما بعد باسم الماسونية(٣).

---

(١) السابق، ص ٦٦-٦٧.

(٢) نفسه، ص٦٩.

(٣) هناك كتب عدة تناولت الماسونية بالبحث والتقصي منها على سبيل المثال لا الحصر:
١- أسرار الماسونية – جواد رفعت آتلخان .
٢- حقيقة الماسونية والماسونية في العراء – محمد علي الزعبي.
٣- الماسونية ذلك العالم المجهول – صابر طعيمه .
٤- الماسونية – أحمد عبدالغفور عطار، وغيرها كثير.

وكما قلت – سابقاً – كانت نشأة الماسونية في الأساس نشأة مناهضة للأديان السماوية لذلك لم يكن غريباً أن تقف موقف المعادي للإسلام ومن الرسول -ﷺ- بجانب مناهضتها للنصرانية، يقول أحد الماسونيين واسمه " لافي موسى لافي": " في أواخر الجيل السادس للدجال يسوع الذي أضنكنا بتدجيلاته، ظهر دجال آخر ادعى التنبؤ بالوحي وأخذ ينادي بالهداية مرشداً العرب الذين كانوا عبدة الأصنام إلى عبادة الإله الحق وسن شرائع مخالفة لسنة ديانتنا اليهودية، فمال إليه كثيرون في مدة قصيرة، فقمنا نناهض دعوته، وإرشاده وسنته ونصرخ بأصواتنا الخفية لنفهم الذين يميلون إليه وإلى رجاله أنه وإياهم دجالون كسابقهم يسوع ..... إلى أن يقول :

أما كفتنا البلابل التى أحدثها الدجال يسوع حتى جاءنا هذا الدجال الآخر الطاغية يزيدنا بلبلة وشغباً؟ إذن لنجعل مقاومتنا واحدة، ذلك صلبناه وهذا لم نحتج لأن نصلبه لأننا أمتناه مسموماً فالواجب الديني والإجتماعي والوطني يقضي علينا بمنأواة تعاليمه بكل مافي الوسع كما نناوئ تعاليم الدجال يسوع الذي هو علة إنشاء جمعيتنا"[١].

وعلى الرغم مما في هذا النص من تجاوز لحدود الأدب مع أنبياء ا لله تعالى إلا أن بيان حقيقة موقف الماسونية من الأديان تقتضي إثباته كما ورد .

وكان من المنظمات التي تفرعت عن الماسونية ولها أثر خطير جماعة النورانيين، فمن هم النورانيون؟ هم جماعة من الماسون يحترمون "ستنائيل" أي الشيطان ويطلقون عليه إله النور[٢]، يقول وليام غاي كار: " وهكذا اجتمع عدد من المرابين وكبار الحاخامين والمديرين والحكماء، وقرروا أن يؤسسوا مجمعاً سرياً يعمل على تحقيق أغراضهم وأسموه المجمع النوراني وكلمة نوراني مشتقة من كلمة لوسيفر التي تعني حامل الضوء أو الكائن

---

(١) الماسونية ذلك العالم المجهول، ص١١٧-١١٩.

(٢) انظر: الماسونية في العراء، محمد علي الزعبي، الطبعة الثانية، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م، ص١٦٩.

الفائق الضياء، وهكذا فإن المجمع النوراني قد أنشئ لتنفيذ الإيحاءات التي يتلقاها كبار الحاخامين من لوسيفر أي إبليس خلال طقوسهم الخاصة"(١).

ويعرفها محمد علي الزعبي فيقول: " النورانية : بنت راشدة من بنات الماسونية الكثيرات ولها جهود متفوقة في إخراج الدولة اليهودية من نطاق التخطيط إلى نطاق الفعل"(٢). فالنورانيون والماسون تجمعهم علاقة وطيدة وأهداف واحدة، وقد كان هؤلاء النورانيين أثر كبير في الثورة الفرنسية التي غيرت كثيراً من ملامح أوربا السياسية والإجتماعية.

لقد أسس الماسون أكبر محفل لهم في بريطانيا عام ١٧١٧م برئاسة " اندرسن" وعنه تفرع محفل الأخوات التسع في فرنسا عام ١٧٢١م والذي كان دوره كبيراً في التخطيط لهذه الثورة وقيامها والتي أزاحت نظام الملكية وألغت دور الكنيسة، مكلفة الفرنسيين في سبيل ذلك أنهاراً من الدم، ولم يستفيدوا منها سوى أن تسلط عليهم اليهود سياسياً واقتصادياً وإجتماعياً، يقول صاحب كتاب المفسدون في الأرض: " إن اليهود خططوا لهذه الثورة منذ أمد بعيد وسخروا الماسون وأفراد الجمعيات التي كانت في خدمتهم لتنفيذ مراحل مخططها وفي مقدمتها إطلاق الشعارات المزيفة التى ترمز إليها فلما سمعها الشعب اعتقد بإخلاص المنادين بها، فناصرهم حتى النهاية وانهار الحكم المطلق في البلاد، وأصبح الأمر والنهي بين أيدي غلاة المتطرفين، الذين كانت تنقصهم المؤهلات اللازمة لممارسة الحكم، فكان من البديهي أن يقعوا فريسة سهلة في أحابيل اليهود الذين احتاطوا مسبقاً لكل عقبة تعترض طريقهم"(٣).

ويعترف اليهود بمسؤليتهم المباشرة عن هذه الثورة وبالذات مسؤولية الماسونية عن ذلك فقد "صرحوا في مؤتمرهم الذي عقدوه في بروكسل عام ١٩١٠م بأن الثورة

---

(١) أحجار على رقعة الشطرنج، ص ٨٩.
(٢) الماسونية في العراء، ص ١٧٣.
(٣) المفسدون في الأرض، ص ١٥٩.

الفرنسية قامت على أكتافهم وأن حلفاؤهم الماسون عملوا لتثبيت أقدامهم في الأرض الإفرنسية كما أعلن اليهود في هذا المؤتمر بأن الماسونية ليست سوى مؤسسة يهودية وضعت قواعدها ومبادئها في المعابد اليهودية وهي دائماً وأبداً في ركابهم"[١].

وهذا مثال فقط على دور الماسونية واليهود في إحداث الفتن والقلاقل في كثير من البلدان الأوربية مما ليس هو مجاله في هذا البحث، فاليهود من خلال السيطرة على أوربا وأمريكا ومسك زمام السلطة فيهما استطاعوا أن يصلوا للبلدان الإسلامية وفي مقدمتها الدولة العثمانية آنذاك، والتي كانت تقف حصناً منيعاً أمام تنفيذ مخططهم الرامي لاحتلال فلسطين وأخذها بالقوة من أهلها، لذلك كان الدور الأكبر والمهم بعد ذلك لليهود هو إسقاط الخلافة العثمانية .

---

(١) نفسه، ص ١٦٠.
وللاستزادة من أخبار الثورة الفرنسية وفظائع اليهود التي ارتكبوها في فرنسا إبان هذه الثورة ينظر مثلاً: ١- أحجار على رقعة الشطرنج، ص ٧٥ إلى ص ١١٩ .
٢- المفسدون في الأرض، ص١٤٦ إلى ص ٢٢٢.

دور اليهود في إسقاط الخلافة العثمانية :

كانت الدولة العثمانية قد استقبلت اليهود الفارين من اضطهاد الأوربيين، وكان السلطان في ذلك الوقت هو " مراد الثاني"، الذي عطف عليهم حينذاك وسمح لهم بالاستيطان في الدولة العثمانية مما سهل لهم أن يحيكوا المؤامرات وهم في مأمن من عواقب ذلك، فقد تظاهر الكثير منهم بالإسلام شأنهم شأن أسلافهم في الملة على عهد الرسول ﷺ ممن تظاهر بالإسلام ليكيد له من الداخل، ولقد اقتفى هؤلاء أثر أولئك فأطلق عليهم الشعب التركي اسم الدونمة(١)، وقد أنشأوا في سالونيك محفلاً ماسونياً كان له أثره بعد ذلك.

وقد كان من أهداف هذا المحفل إنشاء ورعاية الأحزاب المعارضة للسلطان العثماني "عبدالحميد العثماني" رحمه الله، ومن أشهرها حزب تركيا الفتاة أو حزب الإتحاد والترقي ويطلق على أتباعه الاتحاديون .

وأسباب النقمة على السلطان "عبدالحميد الثاني" هي أنه كان يمثل دولة الإسلام في ذلك الوقت والتي تضم تحت لوائها قسماً شاسعاً وكبيراً من الأراضي الإسلامية ومن ضمنها أرض فلسطين المقدسة بالإضافة إلى رفضه القاطع بالتنازل ولو عن شبر من فلسطين لصالح اليهود الذين أغروه بالمال والذهب وسداد ديون الدولة فكان رده قاطعاً ومخرساً لألسنة هؤلاء الذين ظنوا أنه سيضعف أمام سلطة الذهب ويرضى بإعطائهم فلسطين، وقد جرت عدة محاولات من قبلهم في ذلك ففي المرة الأولى كان هرتزل هو الذي عرض على السلطان " عبدالحميد " رحمه الله المال، مقابل فلسطين ولكن السلطان

---

(١) الدونمة : كلمة تركية تطلق على فريق من اليهود تظاهروا باعتناق الإسلام واحتفظوا بيهوديتهم بالسر، وسكنوا مدينة سلانيك، وقاموا قبل الحرب الأولى بنشاط هدام كبير وانضموا إلى الجمعيات الماسونية ولعبوا أخطر الأدوار في خلع عبدالحميد وإلغاء الخلافة الإسلامية، انظر: أسرار الماسونية، هامش ص٦٢.

عبدالحميد رحمه الله قال له: " بلغوا الدكتور هرتزل ألا يبذل بعد اليوم شيئاً من المحاولة في هذا الأمر فإني لست مستعداً لأن أتخلى عن شبر واحد من هذه البلاد لتذهب إلى الغير، فالبلاد ليست ملكي، بل هي ملك شعبي روى ترابها بدمائه، فليحتفظ اليهود بملايينهم من الذهب"[١].

ولكن اليهود لم ييأسوا وكرروا المحاولة مرة أخرى وذلك بإرسال وفد آخر يتكون من: " مزراحي قراصو، جاك، ليون، وقد جاء هؤلاء الثلاثة يريدون مقابلة جلالة السلطان عبدالحميد ولكنه رفض استقبالهم، وأمر بأن يقابلوا أحد الموظفين بقصره وهو تحسين باشا، فذكر هؤلاء اليهود مرادهم من المقابلة بأن تسمح الدولة العلية، بدخول اليهود إلى فلسطين بقصد الزيارة للأماكن المقدسة وبإنشاء مستعمرة قرب القدس ولقد تعهدوا في مقابل ذلك للسلطنة بالأمور الآتية :

١- بوفاء جميع الديون المستحقة على الدولة العثمانية .

٢- بناء أسطول لحماية الامبراطورية العثمانية .

٣- تقديم قرض بخمسة وثلاثين مليون ليرة ذهبية، دون فائدة لانعاش مالية الدولة وإنماء مواردها.

ولما نقل رجل الحاشية إلى جلالة السلطان ماسمعه من اليهود، حتى أجابه السلطان بالعبارات الآتية: تحسين : قل لهؤلاء اليهود الوقحين مايلي:

١- أن ديون الدولة ليست عاراً عليها، لأن غيرها من الدول مثل فرنسا، هي الأخرى مدينة وذلك لايضيرها.

٢- أن بيت المقدس الشريف قد افتتحه المسلمون أول مرة بخلافة سيدنا عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- ، ولست مستعداً لأن أتحمل في التاريخ وصمة بيع الأراضي

---

(١) حقيقة اليهود والمطامع الصهيونية، ص ٤٣.

المقدسة لليهود وخيانة الأمانة التى كلفني المسلمون بحمايتها.

٣- ليحتفظ اليهود بأموالهم، فالدولة العلية لايمكن أن تحتمي وراء حصون بنيت بأموال أعداء الإسلام، وأخيراً: مرهم أن يخرج هؤلاء من عندي، وأن لايحاولوا بعدها مقابلتي أو الدخول إلى هذا المكان"(١).

وقد تحدث السلطان عن هذا العرض في مذكراته قائلاً: "وانتظم يهود العالم وسعوا عن طريق المحافل الماسونية للعمل في سبيل الحصول على الأرض الموعودة، وجاؤوا إليَّ بعد فترة وطلبوا منى أرضاً لتوطين اليهود في فلسطين مقابل أموال طائلة وبالطبع رفضت"(٢).

ولم يكن يدور في خلد السلطان أن هذا الرفض معناه نهاية الدولة العثمانية وزوال سلطانه، إذ رفض وبشدة بقاء أي يهودي داخل الأرض الإسلامية، ويعرض الجنرال جواد آتيلخان أوامر من السلطان – رحمه الله – إلى اللجنة العسكرية السلطانية بطرد اليهود وعدم السماح لهم بالمكوث في فلسطين وهذه الأوامر هي: "١-٢١ من شهر ذي القعدة سنة ١٣٠٨ – لايسمح بمعاملة ينتج عنها قبول اللاجئين اليهود المطرودين من كل بلد يترتب عليها إنشاء حكومة موسوية في القدس مستقبلاً، وبما أن هؤلاء ليسوا من مواطني امبراطوريتنا الحالية فيتم إرسالهم إلى أمريكا، ويرفض قبولهم وقبول غيرهم في البلاد، بل يجب تهجيرهم إلى بلاد أمريكا بوضعهم في السفن دون أي تأخير، ويعرض الموضوع علينا بعد اتخاذ قرار حازم في مجلس الوزراء بشأن تفاصيله، لماذا نقبل نحن في بلادنا من طردهم الأوربيون المتحضرون، وأخرجوهم من ديارهم؟ لامحل لقبولهم عندنا إطلاقاً مادامت عندنا فتنة أرمنية فنطلب إلى مقام الصدارة اتخاذ قرار عام في هذا الموضوع

---

(١) السابق، ص ٤٣، ٤٤.

(٢) مذكرات السلطان عبدالحميد، تقديم وترجمة: د.محمدحرب، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة، ص ١٤١.

دون ماحاجة لعرض الموضوعات فيما بعد متفرقة"(١). ثم أصدر قراراً بعد ذلك بسبعة أيام قال فيه " في ٢٨ من شهر ذي القعدة سنة ١٣٠٨ - إلى اللجنة العسكرية السلطانية، بما أن قبول هؤلاء الموسويين ومنحهم الجنسية العثمانية وإسكانهم أمر ضار، وبما أن هذا التسامح تنتج منه مستقبلاً إقامة دولة يهودية، فيتعين عليه عدم قبولهم في البلاد، وعلى اللجنة العسكرية أن تقوم على ضوء هذا بعرض القرار سريعاً على مقام الصدارة"(٢).

ثم أصدر بعد ذلك بيوم واحد فقط قراراً آخر هو: "للدول أن تقدم إلينا احتجاجات عتاب بحجة عدم قبولنا الموسويين الذين أخرجوا مطرودين من دولة متحضرة، ورفضت الدول الأخرى قبولهم؟ ولو أنها ترى في نفسها حق الاحتجاج فلتتقدم به إلى الدول التي طردتهم ورفضت قبولهم، هؤلاء الموسويون أينما أسكنوا ومهما اتخذ ضدهم من التدابير فإن الذي يلاحظ عليهم هو النزوح التدريجي إلى فلسطين، ومقصودهم الأصلي أن يقيموا فيها حكومة يهودية فيما بعد بتشجيع الأوربيين وحماياتهم لهم، وبما أنهم قوم لايشتغلون بالزراعة والفلاحة وثابت عليهم أنهم سوف يضرون الأهالي مثل ماضروهم في البلاد التي طردوا منها وكانوا يهاجرون قبلاً إلى أمريكا فإن الأنسب لهم أن يتوجهوا إليها، ونطلب مناقشة هذه المشكلة في اللجنة العسكرية مستوفاة"(٣).

وقد وصلت الأمور في ذلك الوقت بين السلطان "عبدالحميد" رحمه الله والماسون إلى درجة إصدار تلك المحافل الماسونية لأتباعها في السلطنة وهم كثر بخلع السلطان عن العرش، فقد نقل محمد علي الزعبي عن مجلة ماسونية سرية في العدد الثاني منها الصادر في كانون الثاني من عام ١٩٣٩م والتي تصدر بحمص .

---

(١) الإسلام وبنو إسرائيل، ص٢٠٦.

(٢) السابق، ص ٢٠٦.

(٣) السابق، ص٢٠٧.

قائلاً : " في ص ٤٧ منها صورة ضبط إحدى جلسات محفل سلانيك الأكبر الذي يضم أقطاب جمعية تركيا الفتاة، وهذا نصه الحرفي: الكلمة الآن للأخ ١٩.

قال الأخ ١٩ : طفح الكيل وبلغ استبداد الغاشم مبلغاً يتعذر احتماله وحداً يصعب على الحر أن يرضى به، حتى متى نخضع لهذا الحكم الجائر؟ اقترح اتخاذ قرار باعلان المقاومة والبدء بالحركات السرية والجهرية .

عضو : أويد اقتراح الأخ .

الرئيس : أؤيد اقتراح الأخ من حيث البدء بالمقاومة السرية، مع طلب إرجاء الجهرية والعصيان العلني إلى أن تستكمل أسباب النجاح .. إن الأخوان ٩ و ١١٢ و ١٤٠ قد ألقي عليهم القبض كما أخبرني أحد كتبة المحققين وهو الأخ رقم ٨ .

الأخ ٨ : اقترح على الإخوان حوالة الأمر إلى لجنة الدعاية والنشر مع لجنة القيادة، لتتولى الأولى معرفة المصير وتتولى الثانية وضع خطة الانقاذ"(١).

وهم يقصدون بالغاشم "السلطان عبدالحميد"، وبالفعل تم خلعه، وكان أحد أعضاء الوفد الذي أبلغه قرار الخلع " مزراحي قراصو" الذي سبق وأن تقدم ضمن الوفد الذي يطالب بأرض فلسطين الأمر الذي رفضه السلطان عبدالحميد الثاني رحمه الله -تعالى- أما اليهود فإنهم من خلال الإستعمار الغربي للأراضي الإسلامية بعد سقوط الدولة العثمانية، واصلوا هجراتهم إلى أرض فلسطين وارتكاب المذابح بحق الآمنين من أهلها تحت حماية الانتداب البريطاني، حتى جاءت اللحظة التي انسحبت فيها بريطانيا من فلسطين، فقامت دولة إسرائيل على أرضها، التي صارت منذ ذلك الوقت مسرحاً للإرهاب اليهودي بكل تفاصيله، وهذه لمحة تاريخية مختصرة عن مراحل تطور قضية فلسطين مقسمة إلى مرحلتين هما :

---

(١) محمد علي الزعبي، حقيقة الماسونية، دار العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٤م، ص١٧٧-١٧٨.

أولاً: من المؤتمر الصهيوني عام ١٨٩٧م وحتى قيام دولة إسرائيل ١٩٤٨م:

عُقد المؤتمر الصهيوني الأول عام ١٨٩٧م في مدينة " بال " بسويسرا، وكان رئيس المؤتمر اليهودي " تيودورهرتزل"، ومن نتائج هذا المؤتمر العزم على إنشاء دولة لليهود تجمعهم وتحقق أمانيهم، يقول هرتزل عن هذا المؤتمر: " ... لو طلب إليّ تلخيص أعمال المؤتمر فإني أقول بل أنادي على مسمع من الجميع أنني قد أسست الدولة اليهودية، وقد يثير هذا القول عاصفة من السخرية والتهكم هنا وهناك، ولكن سوف يرى العالم بعد خمس سنوات، أو خمسين سنة، قيام الدولة اليهودية حسبما تمليه إرادة اليهود بأن تنشأ لهم دولة"[1]، وكانت فلسطين هي الأرض التي استقر رأي الصهاينة على أن تكون وطناً قومياً لهم للاعتبارات الدينية والتاريخية التي يزعمون .

وعندما قامت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م، ساند العرب فيها بريطانيا وأعلنوا الثورة على الدولة العثمانية، ورغبتهم في التخلص من الحكم العثماني[2]، وانتهت هذه الحرب عام ١٩١٨م، ولكن ليس كما كان يتمنى العرب من استقلال بلادهم عن التبعية التركية وقيام دولة عربية واحدة تضم كثيراً من الأقطار العربية، بل وقعت البلدان العربية تحت الاستعمار البريطاني والفرنسي، وكانت فلسطين من نصيب بريطانيا، التي فرضت عليها الانتداب وذلك في العام ١٩١٨م، وكان أول مندوب سامي بريطاني على فلسطين الصهيوني "هربرت صموئيل"، وقد سبق هذا الأمر، القرار الذي

---

(١) سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين في النصف الأول من القرن العشرين، ص٧٠.

(٢) كان إعلان العرب في ذلك الوقت الحرب على الدولة العثمانية بسبب : أن الاتحاديين -صنائع اليهود- الذين اعتلوا سدة الحكم آنذاك في تركيا أججوا نار العداوة بين العرب والأتراك بممارساتهم الوحشية بحق العرب، ومن هؤلاء كان جمال باشا الملقب بالسفاح، وقد وعدت بريطانيا العرب إن هم ساعدوها وساندوها أن تمنحهم حق إقامة كيان عربي موحد، ولكنها بعد انتصارها في الحرب غدرت بهم، فقُسمت الأراضي العربية بين المحتلين من بريطانيا وفرنسا وإيطاليا.

اتخذته الحكومة البريطانية بخصوص إنشاء دولة يهودية في فلسطين عام ١٩١٧م وهو مايسمى في التاريخ بوعد بلفور ، نسبة لمن أطلقه وهو آرثر بلفور وزير خارجية بريطانيا في ذلك الوقت، ونص هذا القرار يقول: " إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين الارتياح إلى إنشاء وطن قومي في فلسطين للشعب اليهودي، وستبذل أطيب مساعيها لتسهيل بلوغ هذه الغاية، على أن يفهم جلياً أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يلحق الضرر بالحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين، أو يؤثر على الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى"(١).

وبدأت من ذلك الوقت المحاولات لإقامة وطن يهودي في فلسطين تزداد أكثر فأكثر، على أن تلك المحاولات كانت تُقاوم من جهة أهل فلسطين مقاومة لاهوادة فيها، فقامت الثورات على يد أهلها وفي مختلف أرجائها وذلك في مواجهة الاستعمار البريطاني والاحتلال الصهيوني وكان من أبرزها ماحصل في الأعوام ١٩٢٠-١٩٢١-١٩٢٩-١٩٣٣-١٩٣٦(٢)، وعندما انتهى الانتداب البريطاني في ١٥ مايو ١٩٤٨ أعلن اليهود قيام دولتهم المسماة دولة إسرائيل، حيث بادرت دول عدة بالاعتراف بها فور إعلانها، وكان من أبرزها الولايات المتحدة الأميركية وذلك بعد إحدى عشر دقيقة من إعلانها فقط، والجدير ذكره أن الانتداب البريطاني على فلسطين منذ عام ١٩١٨م وحتى عام ١٩٤٨م، ماهو إلا توطئة وتمهيد لإعلان قيام دولة إسرائيل، حيث سهل هذا الانتداب

---

(١) سياسة الاستعمار والصهيونية، ص ٢٠٣-٢٠٤.

(٢) انظر: تفصيل هذه الثورات وغيرها من الأحداث في تلك الفترات بعض الكتب مثل:
١- الموجز في تاريخ القضية الفلسطينية، قسطنطين خمّار.
٢- الثورة العربية الكبرى في فلسطين ٩٣٦-١٩٣٩ - صبحي ياسين.
٣- يوميات أكرم زعيتر، الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩٣٠-١٩٣٩م.
٤- ثورة عزالدين القسام وأثرها في الكفاح الفلسطيني - عوف العبيدي.
٥- بروتوكولات حكماء صهيون، عجاج نويهض، وغيرها من الكتب.

لليهود الهجرة إلى فلسطين بأعداد كبيرة ومن مختلف أنحاء الأرض، وشراء وتشييد المستوطنات، وإقامة الجامعة العبرية، وغير ذلك من الأنشطة التي تستهدف السيطرة على الأراضي الفلسطينية بمختلف الأوجه، وقيام الكثير من العصابات اليهودية المنظمة والمدربة بعمل المجازر الفظيعة بحق أهل فلسطين بهدف قتل من يستطيعون منهم، وإخافة الباقين وترويعهم ليتركوا مدنهم وقراهم وأراضيهم فيحتلها اليهود ويقيمون عليها مستعمراتهم.

ثانياً: من قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ حتى حرب ١٩٧٣م :

صارت إسرائيل من ذلك العام دولة معترفاً بها دولياً، لذلك اتجهت أنظار قادتها لتثبيت أمر الاحتلال، وذلك بالاستيلاء على مزيد من الأراضي العربية بطريق القوة والإرهاب، ولقد تميزت تلك الفترة بأحداث تاريخية جسيمة أثرت على الصراع العربي الإسرائيلي، من ذلك قرار التقسيم الصادر عام ١٩٤٧، والذي رفضه العرب، وقيام حرب عام ١٩٤٨، والتي على إثرها عقدت الهدنة بين إسرائيل والدولة العربية المشتركة في الحرب، يقول الدكتور حسن الخولي: " كان فرض هذه الاتفاقيات تأكيداً لهزيمة الدول العربية في حرب سنة ١٩٤٨م، وأطلقت الأقلام العربية على هذه السنة عام النكبة، في حين أطلق عليها الكتاب الإسرائيليون سنة التحرير وسنة الاستقلال وسنة إعادة الحقوق إلى ذويها، وما إلى ذلك من مسميات الدعاية الصهيونية، وفي هذه الاتفاقيات لم تفرض إسرائيل على الدول العربية مبدأ التقسيم فحسب، بل استطاعت أن تحصل على مزيد من الأراضي المخصصة لها في قرار التقسيم الذي أصدرته الجمعية العامة للأمم المتحدة في التاسع والعشرين من شهر نوفمبر سنة ١٩٤٧م، كان هذا القرار قد خص إسرائيل بنحو ٥٥٪ من أراضي فلسطين، وفي حرب سنة ١٩٤٨ استطاعت إسرائيل – بالغدر والخيانة ومعاونة الاستعمار – أن تحتل ٧٧٪ من أراضي فلسطين"(١).

---

(١) سياسة الاستعمال والصهيونية ، ص ٧٨٤.

وجاء عدوان عام ١٩٥٦م، والذي يسمى بالعدوان الثلاثي لاشتراك إسرائيل مع فرنسا وبريطانيا في الاعتداء على مصر، ثم نكسة عام ١٩٦٧م، لتلتهم بذلك إسرائيل المزيد من الأراضي العربية فسقطت سيناء والقدس والجولان بأيديهم، ثم جاءت حرب ١٩٧٣م وماأعقبها من نتائج أدت إلى استرجاع مصر لشبه جزيرة سيناء، فيما ترفض إسرائيل حتى الآن العودة لحدود ماقبل عام ١٩٦٧م، بمعنى أنها ترفض إرجاع الأراضي العربية التي صارت في حوزتهم مثل القدس والجولان، ومازالت حتى الآن تحتل جنوب لبنان بداعي إقامة شريط حدودي يضمن الأمن لدولة إسرائيل(١).

وقد كان للإرهاب اليهودي أثره البارز في قيام دولة إسرائيل على أرض الإسراء والمعراج، فقد عمل اليهود قبل قيام دولتهم وحتى الآن على تنظيم العصابات الإرهابية المتعددة، وجعلها تعمل في صورة منتظمة على تنفيذ المجازر وترويع الآمنين ، وهذه المنظمات تؤمن بأن القتل والتخريب جزء لايتجزأ من العقيدة اليهودية، يقول " جابوتنسكي"(٢) أستاذ "مناحيم بيغن"(٣):-

---

(١) للمزيد من التفاصيل، انظر مثلاً:
١- أيام لاتنسى، الأردن في حرب ١٩٤٨ - سليمان موسى .
٢- اليوميات الفلسطينية - مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية .
٣- الاحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية - تيسير النابلسي .
٤- حرب فلسطين ١٩٤٧-١٩٤٨.
٥- تاريخ التسوية للقضية الفلسطينية ١٩٤٧-١٩٨٢م، منير الهور- طارق الموسى.
٦- الحرب الفلسطينية الإسرائيلية في لبنان، بدر عبدالحق - غازي السعدي.
٧- مذكرات الشاذلي - حرب أكتوبر ١٩٧٣م، وغيرها كثير.

(٢) فلاديمير جا بوتنسكي، من يهود أودسا ... ولد سنة ١٨٨٠، نشأ صحافياً كما نشأ هرتزل، وأتقن عدة لغات، واتخذ توقيعه القلمي "ألتاليا"، توفي سنة ١٩٤٠، وهو من المنادين بأن الوصول بالمملكة اليهودية من النيل إلى الفرات، إنما يتم عن طريق التجمع والاقتحام أي القوة المسلحة، وهو أستاذ مناحيم بيغن في الإرهاب، وإليه تعزى روح التنظيمات والتخطيطات الإرهابية، انظر في ترجمته : عجاج نويهض، بروتوكولات حكماء صهيون، من ص ٨٣-٨٥.

(٣) مناحيم بيغن: متطرف وإرهابي يهودي ولد عام ١٩١٣م في بولندا، والتقى بالزعيم الصهيوني المتطرف فلاديمير جابوتنسكي عام ١٩٣٨م، تولى قيادة منظمة الأرجون عام

=

إن التوراة والسيف أنزلا علينا من السماء، أما "مناحيم بيغن" فيؤمن بنظرية البقاء للأقوى، يقول: " إننا نحارب ولذلك فنحن كائنون"(١).

ومن المنظمات التي قامت بارتكاب العديد من المجازر على أرض فلسطين منظمة الهاغانا والهاشومير، البالماخ، الأرجون، عصابة شتيرن، كاخ .

وقد أشارت الموسوعة الفلسطينية إلى هذه المنظمات بشيء من التفصيل فقد جاء فيها:

" أولاً: منظمة الهاغانا: وردت روايات مختلفة عن نشأتها وأصولها:

أ - يقول "ماردور" في كتابة " الهاغانا" أنها نشأت في منتصف الثلاثينات كتدبير دفاعي ضد قوى النهب والسلب العربية .

ب - ويقول مناحيم بيغن في كتابه " الثورة " أن الهاغانا حلت عام ١٩١٩ محل فرق الحرس التي تأسست أثناء الحكم التركي لحماية المستعمرات اليهودية من سطو العرب وقطاع الطرق.

ج - ويذهب " إسرائيل غاليلي" في كتابه "البالماخ" أن بذور الهاغانا، بدأت في الشتات خلال العهد العثماني مع فرق الحرس الليلي وتطورت في ظل الانتداب البريطاني، وأصبحت منظمة سرية تحمل هذا الإسم .

د - أما " إيغال آلون" فيقول في كتابه " تكوين الجيش الإسرائيلي" أنها نشأت قبل ٧٠ سنة كمجموعات من زمر صغيرة من الحراس وتطورت إلى أن أصبحت

= ١٩٤٢م، وقام بالعديد من المجازر الفظيعة في حق الفلسطينيين، وكان آخرها مجزرة صبرا وشاتيلا عام ١٩٨٢م، تولى رئاسة الوزراء في إسرائيل عام ١٩٧٧م.
انظر: عنه مقدمة كتاب: " التمرد، قصة الأرجون"، تقديم اللواء: حسن البدري، ص ص ١٠-١٦.

(١) التمرد، قصة الأرجون، مناحيم بيغن، تقديم لواء: حسن البدري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨م، ص٩٣.

الجيش الحديث .... وأدى تطور الهاغانا إلى إقامة قيادتين سريتين: قيادة مدنية عليا، وأخرى عسكرية عليا لها رئاسة أركان وتخضع القيادتان إلى التنظيم الصهيوني المتمركز في الوكالة اليهودية"(١).

ثانياً: فرقة الهاشومير – فرق الحرس :

" إن أولى قوى الدفاع اليهودية تشكلت في الشتات في أواخر القرن ١٩، وإن حزب بوعالي صهيون هو الذي شكلها من أجل الدفاع عن الأحياء اليهودية، وكانت فرق الهاشومير في بدايتها لاتشكل مجموعة متماسكة من الصهيونيين بل مزيجاً من الصهاينة من شرقي أوربا وأوكرانيا والقفقاس، ثم انضم إليها يهود ماركسيون، وكانت فرق الهاشومير تعمل كنواة تآمرية تغلغلت في معظم المنظمات الاشتراكية الصهيونية في فلسطين"(٢).

ثالثاً: البالماخ – الصاعقة :

" كانت تشكل القوة الضاربة للهاغانا وانتخب الذين انخرطوا في صفوفها من أقوى عناصر الهاغانا وشباب المستعمرات، وكان الإرهابي الصهيوني إسحق سعده هو الذي أدت جهوده إلى تشكيل فرق البالماخ، وكان قد تمكن من إقناع قائد الهاغانا ورئيس أركانها بمخططه فعين هو قائداً لها على أن يكون مقره في رئاسة أركان الهاغانا، فشكل ست فرق دعيت باسمه تعمل كل واحدة منها في جهة من جهات فلسطين ، وفي سنة ١٩٤١/٥/٥١م، أدمجت بالهاغانا على أنها القوة الضاربة لها، وهكذا أصبحت البالماخ أول وحدات عسكرية محترفة لها هدف هو الإشراف على الوضع العسكري في فلسطين بكاملها، وفي الفترة بين ١٩٤١م– ١٩٤٨م، تطورت وتشعبت وأصبح لها تنظيماتها العسكرية، وفي

(١) الموسوعة الفلسطينية، تأليف العميد متقاعد: عبدالرزاق محمد أسود، الطبعة الأولى ١٩٧٨م، نشر وتوزيع الدار العربية للموسوعات، ١/١١٧-١١٨.
(٢) السابق، ١/١١٨.

الحرب العربية – الإسرائيلية عام ١٩٤٨م، كانت فرق البالماخ هي التي احتلت النقب وكانت تقاتل في الجبهة الجنوبية، ومن الأدوار الرئيسية التي قامت بها إخراج الأكثرية العربية من فلسطين عندما أعلنوا على سكان القرى العربية قبل خمسة أيام من إعلان الدولة اليهودية أن جيشاً يهودياً قوياً يتقدم ويحرق في طريقه جميع القرى العربية وليس أمام العرب إلا النجاة بأنفسهم.

وقد تخرج من البالماخ الكثير من العسكريين الإرهابيين أمثال: موشى دايان وإسحق رابين وحاييم بارليف والكولونيل موشى كرمل وإسرائيل غاليلي وغيرهم"[(١)].

ثالثاً: الأرغون – زفاي ليؤمي :

ومن أشهر زعمائها: مناحيم بيغن، واسمها يعني : " المنظمة العسكرية لشعب إسرائيل ويعتبر جابوتنسكي الأب الفكري لمنظمة الأرغون ويعود قيامها إلى زمن تأسيس الفرقة اليهودية أثناء الحرب العالمية الأولى "[(٢)].

رابعاً: عصابة شتيرن :

" زمرة أسسها إبراهام شتيرن عام ١٩٤٠م بعد أن انشقت عن الأرغون، ووصف البيان البريطاني هذه العصابة أنها انشقت عن الأرغون عندما قررت الأرغون إيقاف عملياتها عام ١٩٣٩م، ويقدر رجال الشتيرن من ٢٠٠-٣٠٠ متعصبين خطرين لايتورعون عن أية جريمة وقد تعاونوا لمدة مع جماعة الأرغون لأن كلتا العصابتين تؤمنان بالتطرف الذي لاحدود له"[(٣)].

---

(١) الموسوعة الفلسطينية، ١١٨/١.
(٢) نفسه، ١١٩/١.
(٣) نفسه، ١١٩/١.

خامساً: كاخ :

" ومعناها : هكذا، وفي شهر تموز ١٩٧٦م، أعلن عن تشكيلها الحاخام: مئيركهانا، زعيم رابطة الدفاع اليهودي، وهي منظمة إرهابية صهيونية تعمل على ممارسة الإرهاب، ضد العرب في المناطق العربية المحتلة، ومما جاء في برنامجها: قيامها بتهجير ٤٠٠ ألف عربي يعيشون في الجزء المحتل من فلسطين منذ عام ١٩٤٨م، وفي هذا الصدد يقول الحاخام: سنعمل بشتى الوسائل على تهجير أبناء الأقلية العربية إلى أقطار ماوراء البحر وسنعرض عليهم تعويضات لقاء تنازلهم عن ممتلكاتهم، أما إذا رفضوا فإننا سوف لانتردد في استخدام العنف بما في ذلك إقامة المجازر الجماعية، إننا نريد أن نحقق دولة يهودية لامكان فيها لأي عنصر غير يهودي"(١).

كانت تلك أهم التنظيمات اليهودية التي قامت بتنفيذ مجازر مروعة ضد السكان العرب في فلسطين، وكان لتعليمات " التوراة و التلمود" أثرها المباشر في هذه المجازر، ومن أهم المذابح التي ارتكبت منذ تنظيم تلك العصابات، وحتى الآن على يد القوات الإسرائيلية مايلي :

١- مجزرة دير ياسين :

كانت هذه المجزرة من أكثر المجازر التي ارتكبتها العصابات اليهودية المسلحة دموية ووحشية وراح ضحيتها أكثر من ٢٥٤ شخصاً كثير منهم من النساء والأطفال وكبار السن والتي نفذت هذه المجزرة هي عصابتي: الأرغون مع الهاغانا والبالماخ.

تقول الموسوعة الفلسطينية عن هذه المجزرة : " اتفق السفاح : مردخاي كوفمن، قائد قوات عصابة الأرغون في القدس مع ديفيد شالتائيل، قائد قوات عصابة

---

(١) الموسوعة الفلسطينية، ١/١١٩.

الهاغانا والبالماخ في المنطقة على القيام بعمل مشترك ضد قرية : دير ياسين، وبعض القرى المجاورة لتحقيق الغايات الثلاثة التالية :

أ – فك الحصار عن اليهود المطوقين في القدس عن طريق الاستيلاء على جميع القرى الواقعة على الجانبين .

ب – فتح طريق المواصلات بين تل أبيت والقدس .

ج – ترويع السكان الآمنين وحملهم على مغادرة قراهم مما يسهل لليهود عملية الاستيلاء على الأراضي العربية .

وفي الساعة ١٦[1] من السبت ١٤/٤/١٩٤٨م، تحركت قوة من أفراد عصابتي الأرجون وشتيرن اليهوديتين قوامها ١٢٠ رجلاً مزودين بـ١٢ رشاشة، وحدة مدافع من البالماخ، فوجيء سكان القرية بمكبرات الصوت وهي تعلن وجوب إخلاء القرية حالاً وإلا تعرضوا لنيران المدفعية، وجد السكان العرب أنفسهم أمام أمرين لاثالث لهما:

١– إما الانصياع لأوامر اليهود والتخلي عن دورهم وممتلكاتهم.

٢– أو الدفاع عن قريتهم حتى آخر فرد منهم، اتخذ سكان القرية الحل الثاني وكان عدد الموجودين في القرية لايزيد عن ٣٠٠ فرد أكثرهم من النساء والشيوخ والأطفال مؤكدين عزمهم على الدفاع عن قريتهم، دارت معركة رهيبة بين قوتين غير متكافئتين، استمات أهل القرية في الدفاع وتكالب اليهود في الهجوم، وكانت النهاية أن دخل اليهود إلى القرية وكان أكثرهم من: اغودات إسرائيل، الدينية اليهودية المتطرفين في تعصبهم وحقدهم على العرب، وبدأوا أكبر مذبحة عرفتها المنطقة وأكثرها وحشية وإجراماً، انقض اليهود على النساء والأطفال دون رحمة وأخذوا يبقرون بطون الحبالى ويقطعون الأجنة بحرابهم وهم

---

(١) الرابعة صباحاً.

يطلقون صيحات الظفر والانتصار، استمرت المجزرة ثلاثة عشر ساعة تمكن فيها العدو من قتل (٢٥٤) شخصاً منهم (٢٥) امرأة حبلى و(٥٢) طفلاً دون العاشرة قطعت أوصالهم أمام أمهاتهم و(٦٠) امرأة وفتاة أخرى، وبقية العدد كان من الشيوخ والعجزة وبعض الشبان بالإضافة إلى عدد كبير من طلبة المدارس بما فيهم معلمتهم، أما من بقي من النساء العربيات فقد جردوهن من ملابسهن ووضعوهن في سيارات نقل مفتوحة وطافوا بهن الأحياء اليهودية في القدس ثم ألقوا بهن خارج الحدود، إن كارثة دير ياسين تحولت إلى نقطة سلبية أحدثت رد فعل في القرى المجاورة التي هجرها سكانها خوفاً من مصير مماثل، وهذا ماأراده اليهود وسعوا إليه"[١].

ويقول الدكتور توفيق الواعي في تعليقه على هذه المجزرة بأن اليهود كانوا: "فرحين مهللين مدعين أنهم ينفذون مشيئة الرب إله إسرائيل الذي يأمر شعبه أن يقتل بحد السيف كل من في البلدة رجالاً ونساءً وأطفالاً وشيوخاً"[٢].

٢- مذبحة قبية :

" وهي قرية عربية، تقع على بعد كيلو مترين شمال القدس في المنطقة العربية، ومع ذلك فقد هاجمها اليهود، بفوج مشاة كامل التسليح ليلة ١٤ تشرين الأول ١٩٥٣م، ونسفوا منازلها بالمدافع الثقيلة وبالديناميت، وفتكوا بالسكان الآمنين العزل من السلاح، وقتلوا النساء والأطفال"[٣].

---

(١) الموسوعة الفلسطينية، ١/١١٩-١٢٠.

(٢) د. توفيق الواعي، اليهود تاريخ إفساد وانحلال ودمار، دار ابن حزم، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، ص١٨٧.

(٣) معين محمود، الصهيونية والنازية، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧١م، ص٢٢٩.

هذان نموذجان للمجازر التي ارتكبتها العصابات الصهيونية في السابق[١]، أما حديثاً فهناك مجزرة الإبراهيمي والتي ارتكبها اليهودي جولد شتاين .

وقد تمت هذه الجريمة في المسجد الإبراهيمي في مدينة الخليل في يوم ١٩٩٤/٢/٢٦م، وراح ضحيتها حوالي (٦٠) شهيداً و(١٧٠) جريحاً[٢].

ولم تقتصر المذابح الإرهابية على المواطنين في أرض فلسطين فقط بل تعدى ذلك إلى قيام إسرائيل بالاعتداء على أرض لبنان في عملية سميت " عملية سلام الجليل" وذلك في يوم ١٩٨٢/٦/٦م ، وكان الهدف من هذه العملية كما ادعت إسرائيل: "تطهير المنطقة من حدودها مع لبنان وحتى مسافة (٤٠) كيلو متراً من القوات الفلسطينية لكي يزول التهديد الذي يشكله الفدائيون في منطقة الجليل"[٣].

ومن أفظع المجازر التى ارتكبها الإسرائيليون بمساعدة عملائهم من "حزب الكتائب" في لبنان بحق الفلسطينيين مجزرة: صبرا وشاتيلا، وقد تمت هذه المجزرة البشعة يومي ١٧ و١٨/٩/١٩٨٢م، وراح ضحيتها أكثر من (١٥٠٠) من السكان المخيمات العزل الذين لاذنب لهم.

ومن المذابح التي ارتكبتها إسرائيل أيضاً بحق الآمنين العزل: عملية "عناقيد الغضب"، وذلك في ١١/ نيسان/١٩٩٦م، والتي استمرت حوالي ستة عشر يوماً ذهب ضحيتها (١٧٥) قتيلاً و(٣٥١) جريحاً، وكان من بين القتلى (١٠٥) قضوا أثناء قصف إسرائيل معسكراً للقوة الدولية العاملة في لبنان حينما التجأوا إليه.

وفي يوم ١٦ ديسمبر١٩٩٩م قامت إسرائيل بقصف مدرسة في قرية " عرب صاليم" في لبنان مما أدى إلى إصابة عشرين طفلاً تتراوح أعمارهم بين (٥) و(١٢) سنة،

---

(١) انظر: تفصيل لهذه الأعمال: الموسوعة الفلسطينية، ١/١١٩-١٢٣، وكتاب الصهيونية والنازية من ص٢٢٤ إلى ص ٢٤٦.

(٢) انظر: دراسة أعدها د. وحيد هاشم، صحيفة عكاظ، العدد ١٢٠٤٦.

(٣) انظر: صحيفة عكاظ، العدد ١٢١٧٧ .

كان منهم أربعة إصاباتهم خطيرة[1]، وهكذا كانت هذه المجازر تنفيذاً واقعاً وعملياً لنصوصهم، فقد قال التلمود: "من العدل أن يقتل اليهودي بيده كل كافر لأن من يسفك دم الكافر يقرب قرباناً إلى الله"[2].

فاليهود الآن يسيرون على خطى هذه التعليمات المقدسة، وينفذونها تعصباً لجنسهم وتطبيقاً لتعاليمهم وكرهاً لغيرهم.

وبوحي من هذه التعاليم أيضاً جرى تنفيذ الاغتيالات للعناصر التي لايرغب الإسرائيليون في وجودها ومن أبرز من تم تنفيذ جريمة الاغتيال بحقهم:

"١- محمود الهمشري، اغتيل في باريس ١٩٧٢م، بواسطة تفجير في جهاز الهاتف.

٢- غسان كنفاني، اغتيل في بيروت في ٨ يوليو ١٩٧٢م ، بواسطة عبوة ناسفة تحت سيارته .

٣- اغتيال أبويوسف النجار، كمال ناصر، كمال عدوان، وهم من قادة المنظمة في بيروت في ١٠ إبريل ١٩٧٣م.

٤- اغتيال موسى أبوزيد في العاصمة اليونانية أثينا في ابريل ١٩٧٣م.

٥- اغتيال محمد أبودية في باريس، عام ١٩٧٣م.

٦- اغتيال وائل زعيتر في روما ، عام ١٩٧٦م.

٧- اغتيال عزالدين القلق وخالد حماد، في باريس، ١٩٧٨م.

٨- في اكتوبر ١٩٨١م ، تم اغتيال ماجد أبو شرار في روما.

٩- في يونيو ١٩٨١م، تم اغتيال نعيم خضر في بروكسل .

١٠- في ١٦ ابريل ١٩٨٨م، تم اغتيال خليل الوزير (أبوجهاد).

---

(١) انظر الصحف الصادرة يوم ١٧ ديسمبر ١٩٩٩م .
(٢) الكنز المرصود، ص٩١.

١١- ٢٦ اكتوبر ١٩٩٥م، تم اغتيال فتحي الشقاقي في مالطا.

١٢- ٥ يناير ١٩٩٦م ، تم اغتيال يحيى عياش بالقرب من مخيم جباليا.

١٣- ٢٩ مارس ١٩٩٨م ، تم اغتيال محيى الدين الشريف"(١).

وهكذا كان الوجود الإسرائيلي على أرض فلسطين منذ بدايته وحتى اليوم قائماً على سفك الدماء بقتل الأبرياء الذين لاذنب لهم سوى دفاعهم عن أرضهم وممتلكاتهم، فقامت إسرائيل بتنفيذ المجازر والاغتيالات لترويع السكان وإرهابهم حتى يخلوا مدنهم وقراهم للقادمين من المستجلبين اليهود، أما من يقاوم فإن مصيره الموت، وبهذه الأعمال تمكن اليهود من إقامة دولتهم وتأسيسها على الأرض الإسلامية في فلسطين تمهيداً لإقامة ماهو أكبر من الدولة على أرض فلسطين، وهو السيطرة الكلية على العالم والتصرف بمقدراته، متخذين فلسطين قاعدة ومنطلقاً لبلوغ هذا الهدف مؤملين أنفسهم بقيام الحكومة العالمية القوية، التي يرأسها ملك من نسل داود، ولن يتم هذا الأمر مادام الأقصى المبارك موجوداً لذلك وجّهوا أنظارهم صوبه، في محاولات لهدمه وإقامة هيكل سليمان مكانه.

محاولات اليهود لإزالة وجود المسجد الأقصى :

المسجد الأقصى يمثل رمزاً إسلامياً عظيماً، وهو أهم أثر إسلامي في فلسطين، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم، يقول الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ ءَايَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(٢)، فهو مسرى رسول الله -ﷺ- وأولى القبلتين وثالث الحرمين الذين تشد

(١) انظر: صحيفة عكاظ، العدد ١٢٠٤٦، وانظر تفصيلات أكثر عن عمليات الاغتيال التى قام اليهود بتنفيذها بحق خصومهم، كتاب النشاط السري اليهودي في الفكر والممارسة من ص٢٥٢ إلى ٢٦٧ .

(٢) سورة الإسراء، آية ١ .

إليهم الرحال، فهو بهذا يعتبر مكاناً مقدساً بالنسبة للمسلمين، وقد احتله الصهاينة اليهود عام ١٩٦٧م، ومنذ ذلك الوقت وهو أسير لديهم، ومن ثم بدأت المحاولات الجادة من قبل اليهود في إزالته، حتى يقيموا الهيكل مكانه، ولأنهم لايستطيعون إزالته مباشرة، فقد قاموا ببعض العمليات الغرض منها هدمه بطريقة غير مباشرة، وكان من أولى هذه العمليات محاولة إحراقه وذلك في يوم ٧/جمادى الآخرة/١٩٨٩هـ - الموافق ٢١/٨/١٩٦٩م، وهذه المحاولة قام بها أكثر من شخص، وفي مكانين مختلفين من المسجد بغرض الإزالة الشاملة للمسجد، يقول الشيخ عبدالحميد السائح: "وقد تبين من تقرير المهندسين أن الذي وقع حريقان لاحريق واحد، أحدهما في منطقة المحراب ومنبر صلاح الدين، وهو الذي أتى على المنبر، والآخر في سقف الجناح الجنوبي الشرقي ومحراب زكريا، وقد نتج عنه تدمير سقف الجناح الجنوبي الشرقي ومحراب زكريا بأكمله، الذي يبلغ مجموع مساحته حوالي أربعمائة متر مربع، بما في ذلك الزخارف والنقوش كما أحدث إصابات وأضراراً أخرى، والذي يعرف الموقع، وبُعد مكان الحريق في السقف، عن مكان الحريق الآخر يتأكد أن الذي باشر عملية الإحراق أكثر من شخص واحد، خصوصاً أن السقف لابد أن يصعد إليه بواسطة أخشاب لولبية، موضوعة في خارج بناء الأقصى، وهذا يدل على ترتيب محكم بقصد القضاء على المسجد الأقصى بكامله"(١).

ولما لم تفلح هذه الطريقة، اتخذ اليهود طريقاً آخر يوصلهم للهدف المنشود وهو طريق الحفريات، فقد قام مايسمى بزعيم أمناء الهيكل "بوضع حجر الأساس للهيكل الثالث بالقرب من مدخل المسجد الأقصى، وكان ذلك في ١٥/١٠/١٩٨٩م، وقال وقتها: إن وضع حجر أساس الهيكل يمثل بداية حقبة تاريخية جديدة، نريد أن نبدأ عهداً جديداً من الخلاص للشعب اليهودي"(٢)، ثم قامت الحكومة الإسرائيلية بأعمال الحفريات

---

(١) عبدالحميد السائح، ماذا بعد إحراق المسجد الأقصى، دار الشعب، القاهرة ١٩٧٠م، ص ٥١-٥٢.

(٢) مجلة المجتمع، العدد ١٣٧٤.

تحت المسجد وذلك " لأغراض متعددة مثل : البحث عن آثار يهودية مقدسة، وشق الأنفاق والطرق السفلية، وأخطر من ذلك كله تهديد أساسات المسجد، وتفريغ التربة من تحته ليكون عرضة للانهيار عند أي عارض طبيعي أو صناعي من الاهتزازات العنيفة، مما حدا بخبير الآثار الإسرائيلي جوزيف سيرج أن يدلي بتصريح يوم ١٨/٨/١٩٩٠م، قال فيه: سنقوم بإعادة بناء الهيكل الثالث على أرض المسجد الأقصى الذي تستطيع إسرائيل تصديعه بإستخدام الوسائل الحديثة"(١).

وهكذا يتضح أن إسرائيل تستعد إستعداداً جاداً لنسف الأقصى المبارك وإقامة الهيكل وتهويد القدس، وطرد سكانها، ولايقتصر الأمر على ذلك فقط بل إن اليهود يحلمون بتقطيع أجزاء الدول الإسلامية، فقد نقل "روجيه غارودي" عن مجلة "كيفونيم" التي تصدرها المنظمة الصهيونية العالمية في القدس عن خطط إسرائيل الإستراتيجية في عقد الثمانينات مانصه :

" لقد غدت مصر، باعتبارها كياناً مركزياً، مجرد جثة هامدة، لاسيما إذا أخذنا في الاعتبار المواجهات التي تزداد حدة بين المسلمين والمسيحيين وينبغي أن يكون تقسيم مصر إلى دويلات منفصلة جغرافياً هو هدفنا السياسي على الجبهة الغربية خلال سنوات التسعينات وبمجرد أن تتفكك أوصال مصر وتتلاشى سلطتها المركزية، فسوف تتفكك بالمثل بلدان أخرى مثل ليبيا والسودان وغيرهما من البلدان الأبعد.

ومن ثم فإن تشكيل دولة قبطية في صعيد مصر، بالإضافة إلى كيانات إقليمية أصغر وأقل أهمية، من شأنه أن يفتح الباب لتطور تاريخي لامناص من تحقيقه على المدن البعيد، وإن كانت معاهدة السلام قد أعاقته في الوقت الراهن، وبالرغم مما يبدو في الظاهر، فإن المشكلات في الجبهة الغربية أقل من مثيلتها في الجبهة الشرقية، وتعد تجزئة لبنان إلى خمس دويلات ... بمثابة نموذج لما سيحدث في العالم العربي بأسره، وينبغي أن

---

(١) السابق.

يكون تقسيم كل من العراق وسوريا إلى مناطق منفصلة على أساس عرقي أو ديني أحد الأهداف الأساسية لإسرائيل على المدى البعيد، والخطوة الأولى لتحقيق هذا الهدف هي تحطيم القدرة العسكرية لهذين البلدين، فالبناء العرقي لسوريا يجعلها عرضة للتفكك، مما قد يؤدي إلى قيام دولة شيعية على طول الساحل، ودولة سنية في منطقة حلب، وأخرى في دمشق بالإضافة إلى كيان درزي قد ينشأ في الجولان الخاضعة لنا، وقد يطمح هو الآخر إلى تشكيل دولة خاصة، ولن يكون ذلك على أي حال إلا إذا انضمت إليه منطقتا حوران وشمالي الأردن، ويمكن لمثل هذه الدولة، على المدى البعيد، أن تكون ضمانه للسلام والأمن في المنطقة، وتحقيق هذا الهدف في متناول أيدينا، أما العراق، ذلك البلد الغني بموارده النفطية والذي تتنازعه الصراعات الداخلية، فهو يقع على خط المواجهة مع إسرائيل، ويُعد تفكيكه أمراً مهماً بالنسبة لإسرائيل، بل إنه أكثر أهمية من تفكيك سوريا، لأن العراق يمثل على المدى القريب أخطر تهديد لإسرائيل"[1].

وبعد، كان هذا عرضاً للوصايا التي التزم بها اليهود وقاموا بتنفيذها على أرض الواقع، خاصة مايتعلق بالمسلمين الآن، محاولين استكمال الوعود الواردة في مصادرهم المقدسة، مما يبين أنهم إنما يسيرون على هدى من هذه المصادر المقدسة لايحيدون عنها، والتي تعطيهم الحق في قتل الأغيار ومعاملتهم معاملة وحشية واستخدام كافة الوسائل للإيقاع بهم وإيذائهم، باعتبار أن الجنس الإسرائيلي جنساً متفوقاً على غيره، حيث ينظر اليهود إلى غيرهم نظرة الاحتقار والدونية، والى الأديان الأخرى وخاصة الإسلام نظرة الكره والحقد، منذ أن أرسل ا لله تعالى نبيه محمداً -ﷺ- وحتى الآن .

---

(١) الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، ص ٢٧٠-٢٧١.

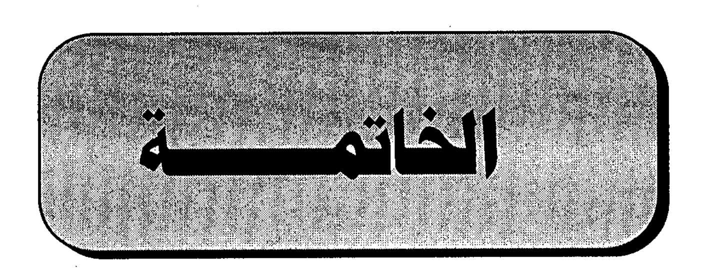
خاتمة الفصل:

ومن خلال عرض الحقائق والوقائع السابقة يتضح التالي :

١- أودع اليهود في "البروتوكولات"، خططهم ومؤامراتهم على الشعوب لإخضاعها لحكمهم وسلطتهم عن طريق تدابير اتخذوها وقد تم لليهود ماأرادوا إذ أصبح الكثير من دول العالم، وخاصة الكبرى منها تحت سيطرتهم، اقتصادياً وسياسياً وإعلامياً، فاستخدموا تلك الوسائل في ترجمة الحلم القديم بإقامة الدولة إلى واقع صريح.

٢- أوصت التعاليم بقتل الأغيار، وعدم التسامح في تنفيذ هذه الأوامر، وقد نفذ اليهود هذه التعاليم، فظهرت للعالم صور من المجازر البشعة، التي راح ضحيتها الكثير من الأبرياء.

٣- يحاول اليهود الآن بناء الهيكل على أنقاض المسجد الأقصى المبارك، تمهيداً لمجيء المخلص، وإقامة الدولة اليهودية الكبرى، ثم هم يحاولون إثارة النزاعات بين الطوائف والأقليات في البلدان العربية حتى تصبح عرضة للتفكك، ومن ثم تكون فريسة سهلة لإسرائيل تلتهمها، محققة بذلك مخططات قديمة للخلاص من هذه الدول .


الخاتمـــة

خاتمـة :

يتضح من خلال ماسبق أن صفات العدوان والإفساد والتخريب والتضليل التي اشتهر بها اليهود خلال مراحل تاريخهم الطويل، تكتسب معنى الاستمرارية والحركية، ذلك أنهم مخلصون لعقيدتهم التي تحضهم دوماً على البغي والظلم، فعقيدتهم ونصوصهم المقدسة في التوراة والتلمود تجعل من اليهودي إنساناً متميزاً ذو صفات خاصة لايصل إليها غيره من الناس، وهي إضافة لذلك توجب عليه ألا ينظر لغيره من البشر إلا من خلال هذه النظرة العنصرية.

والنصوص عندهم إذ تخاطبهم بهذا لتلزمهم في الوقت نفسه بأن تكون علاقتهم بغيرهم علاقة قائمة على التمايز العرقي، وحب الاعتداء بالقتل وسفك الدماء، وعدم الإخلاص في مجال التعاملات، فمن الغدر، والخيانة إلى السرقة ونقض العهد، وغيرها مما اتضح سابقاً.

وهذا دأب اليهود لايكادون يحيدون عنه، وا لله تعالى يقول عنهم: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لايُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[1]، مما جعل اليهودي في نظر الناس جميعاً مفسد ومضلل، وماكان له أن يكتسب هذه الصفة لولا الإلتزام الحرفي بنصوص التلمود خاصة، ومانصوص البروتوكولات إلا مثال حي وواقعي على التآمر على الأمم في الحاضر .

والهدف من ذلك أن يكون لليهود كيان قوي مسيطر، يحكمه ملك من ذرية داود، يصبح فيه اليهود السادة، وغيرهم خدماً مسخرين .

وإن حال اليهود لن يصلح مادامت كتبهم التي بأيديهم على صورتها الحالية، وفي استعراض نصوصها بيان لمنهجهم الذي يسيرون عليه، وهو أمر لايُقصد منه تهويل

---

(١) سورة المائدة، الآية ٦٤ .

قدراتهم، بقدر مايقصد منه التوضيح والتنبيه فقط على أن الواقع يشهد علـى نتـائج هـذا التخطيط خاصة في احتلال أرض المسجد الأقصى، وتشريد أهله وقتـل مـن يبقـى منهـم، وتهديد الشعوب العربية المسلمة المجاورة في احتلال أراضيهم، إضافة إلى محاولة غزو الأمة الإسلامية فكرياً وعقديـاً عـن طريـق الشـبهات الـتي أثاروهـا سـواءً في عهـد رسـول الله -ﷺ- أم في العصر الحاضر.

لذا أرى أن الواجب على المسلمين أن يقوموا بترجمة كتبهم والشـروحات عليهـا، ودراستها واستخراج نظرياتهم المبثوثة فيها، وتقديم ذلـك بصـورة مباشـرة للنـاس، حتـى يعلم الجميع طرق تفكيرهم، وعقائدهم ومبادئهم التي يسيرون عليها .

ومن أهم ماتوصلت إليه من نتائج مايلي :

١- يعتبر موقف كل من العهد القديم والتلمود والبروتوكولات في مسألة مصير الأمم الأخرى موقفاً موحداً، فهي تنظر إليهم من خلال زاويتين :

الأولى : أن الأمم الأخرى أقل شأناً من اليهود، فهي لاترقى لمستوى اليهود سـواءً في اساس الخلقة أم في طرق التفكير.

الثانية : أن هذه المصادر وضحـت المصـير الـذي ينتظر هـذه الأمـم، وهـو القتـل والإبادة، ومن يبقى منها فمأله التسخير والعبودية.

٢- إن أي معاملة ليهودي مـع غيره مـن النـاس، تتـم وفـق تصـور تعاليمـه المقدسـة، وبالتالي فإن أي معاملة من غير اليهود يجب أن تأخذ في الحسبان مـايعتقده اليهـود عن غيرهم من الناس.

٣- طريقـة اليهـود في جميـع الأحـوال، قديمـاً وحديثـاً، لاتتغـير فهـم في حـال قوتهـم وجبروتهم لايترددون في القضاء على غيرهم حتى ماسنحت الفرصة، أما إن كانوا في حال لاتمكنهم من المواجهة فإنهم لايتورعـون عـن اسـتخدام النفـاق والتحـايل والتلون وصولاً لأهدافهم .

٤- ضرورة البحث العلمي الجاد في كل ماله علاقة باليهود، وعقـائدهم، وأخلاقهـم، وذلك بترجمة كتبهم ماأمكن، وتقديم الشروح والتعليقات عليهـا، وإبـراز ذلـك، ولن يتم هذا بدون تعلم لغتهم وإتقانها .

٥- إقامة مراكز إسلامية ومعـاهد متخصصـة لرصـد ودراسـة كـل مـايتصل بـاليهود، ونفسياتهم وثقافتهم، فإن هذا أصبح ضرورياً.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم .

ثانياً : كتب التفسير:

١- تفسير ابن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

٢- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، مؤسسة الريان للطباعة والنشر.

٣- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، الطبعة الثالثة، دار الكتب المصرية.

ثالثاً : كتب السنة :

٤- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ-١٩٨٩م، دار الكتب العلمية، بيروت .

٥- صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، تحقيق: خليل مأمون، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، دار المعرفة - بيروت.

رابعاً: الكتب المقدسة عند اليهود :

٦- الكتاب المقدس، طبع دار المشرق، بيروت ١٩٨٣م.

٧- الكتاب المقدس، كتب الشريعة، الرهبانية اليسوعية .

خامساً: مصادر ومراجع أخرى :

٨- أبحاث في الفكر اليهودي، د.حسن ظاظا، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ-١٨٩٧م، دار القلم - دمشق .

٩- أثر الفكر اليهودي في كتابة التاريخ الإسلامي، د. محمد زغروت، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

١٠- أحجار على ورقة الشطرنج، وليم غاي كار، الطبعة الثالثة عشرة ١٤١٢هـ-١٩٩١م، دار النفائس .

١١- احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، د.سعدالدين صالح، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع.
١٢- الأديان في القرآن، د.محمود بن الشريف، الطبعة الثالثة ١٩٧٩م، دار عكاظ للطباعة والنشر.
١٣- الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، روجيه غارودى، ترجمة: محمد هشام، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، دار الشروق، القاهرة.
١٤- إسرائيل والتلمود، إبراهيم خليل أحمد، دار المنار، القاهرة ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
١٥- إسرائيل والدول الشيوعية، سامي حكيم، دار الكاتب العربي.
١٦- الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، د.علي وافي، دار نهضة مصر للطبع والنشر.
١٧- الإسلام وبنو إسرائيل، الجنرال: جواد آتيلخان، ترجمة: يوسف ولي شاه أور الكيري، الرياض ١٤٠٤هـ.
١٨- إظهار الحق، رحمة الله الهندي، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، دار الجيل.
١٩- أعلام الفلسفة الحديثة، رؤية نقدية، د. رفقي زاهر، الطبعة الأولى ١٩٧٩م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، دار المطبوعات الدولية .
٢٠- آفاق الاستراتيجية الصهيونية، العماد - مصطفى طلاس، الطبعة الثانية ١٩٨٧م، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق .
٢١- الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام، عبدالله التل، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي.
٢٢- البداية والنهاية، ابن كثير، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٣- بروتوكولات حكماء صهيون، عجاج نويهض، الطبعة الأولى ١٩٩٦م، دار الاستقلال للدراسات والنشر، بيروت .
٢٤- بلادنا فلسطين، مصطفى الدباغ، منشورات دار الطليعة، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.
٢٥- تاج العروس، الزبيدي، تحقيق: إبراهيم الترزي، ١٣٩٣هـ-١٩٧٢م.

٢٦- تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، محمد عزة دروزة، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م، المكتبة العصرية، بيروت.

٢٧- تاريخ سوريا ولبنان، فيليب حتى، دار الثقافة ، بيروت .

٢٨- تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، أبوجعفر الطبري، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم، دار المعارف ١٩٦٣م.

٢٩- تاريخ اللغات السامية، إسرائيل ولفنسون، دار القلم، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٠م.

٣٠- التعليم ومستقبل المجتمعات الإسلامية في التخطيط الإسرائيلي، ماجد عرسان الكيلاني، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة.

٣١- التلمود، تاريخه، تعاليمه، ظفر الإسلام خان، الطبعة السابعة، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م، دار النفائس.

٣٢- التلمود شريعة بني إسرائيل، حقائق ووقائع، ترجمة وإعداد: محمد صبري، مطابع دار الهلال.

٣٣- التمرد، قصة الأرجون، مناحم بيغن، تقديم اللواء: حسن البدري، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨م.

٣٤- تهذيب اللغة، الأزهري، دار الكاتب العربي ١٩٦٧م.

٣٥- جواسيس إسرائيل في قبضة المخابرات العربية، توحيد مجدي، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، دار الكتاب العربي، دمشق - القاهرة.

٣٦- حقيقة الماسونية، محمد علي الزعبي، الدار العربية للطباعة والنشر، بيروت ١٩٧٤م.

٣٧- حقيقة اليهود والمطامع الصهيونية، محمد نمر الخطيب، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

٣٨- حكمة الأديان الحية، جوزيف كاير.

٣٩- الخديعة الكبرى، مخططات خبثاء صهيون، وخديعة العالم بالأساطير السياسية، أحمد تهامي سلطان، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع - القاهرة ١٩٩٣م.
٤٠- الخطر اليهودي، بروتوكولات حكماء صهيون، محمد خليفة التونسي، مكتبة دار التراث - القاهرة - الطبعة الثانية.
٤١- خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية، عبدا لله التل، دار القلم، ١٩٦٤م.
٤٢- دائرة المعارف، بطرس البستاني، دار المعرفة، بيروت .
٤٣- دفائن النفسية اليهودية، من خلال الكتب المقدسة، محمد علي الزعبي، بيروت، ١٩٦٨م.
٤٤- الديانة اليهودية وتاريخ اليهود وطأة ٣٠٠٠عام، إسرائيل شاحاك، ترجمة: رضى سليمان، الطبعة الثالثة ١٩٩٧م، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت ، لبنان.
٤٥- الساميون في العصور القديمة، محمد عبدالقادر محمد.
٤٦- السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، مجمع الكنائس في الشرق الأدني، بيروت، ١٩٧٣م.
٤٧- سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين، د. حسن صبري الخولي، مطابع دار المعارف - مصر ١٩٧٣م.
٤٨- السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الابياري، عبدالحفيظ شلبي، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة.
٤٩- السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام العالمية، زياد أبوغنيمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، دار عمار، الأردن.
٥٠- الشخصية الإسرائيلية، د. حسن ظاظا، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، دار القلم - دمشق .
٥١- شريعة الحرب عند اليهود، د.حسن ظاظا - السيد محمد عاشور، الطبعة الأولى ١٩٧٦م، دار الاتحاد العربي للطباعة.

٥٢- الصهيونية أعلى مراحل الاستعمار، فتحي الرملي، الطبعة الأولى ١٩٥٦م، حقوق النشر والتوزيع لوكالة الصحافة الأفريقية .

٥٣- الصهيونية بين الدين والسياسة، عبدالسميع الهراوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م.

٥٤- الصهيونية العالمية، عباس محمود العقاد، المكتبة العصرية، صيدا .

٥٥- الصهيونية وقضية فلسطين، عباس محمود العقاد، المكتبة العصرية، بيروت .

٥٦- الصهيونية واللغة، د. فاروق جودي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٧م .

٥٧- الصهيونية المسيحية، محمد السماك، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، دار النفائس، لبنان.

٥٨- الصهيونية والنازية، محمد كمال الدسوقي، عبدالتواب سليمان، دار المعارف بمصر، ١٩٦٨م.

٥٩- الصهيونية والنازية، معين محمود، الطبعة الأولى ١٩٧١م، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت .

٦٠- عروبة فلسطين والقدس أصيلة منذ عشرات الآلاف من السنين، أحمد عبدالغفور عطار، الطبعة الأولى ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت.

٦١- العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، د.سعدالدين صالح، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ- مكتبة التابعين، القاهرة.

٦٢- الفرق بين الفرق، عبدالقاهر البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٦٣- الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، تحقيق د.محمد إبراهيم نصر، د.عبدالرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، لبنان.

٦٤- فضح التلمود، الآب . آي . بي. برانايتس، إعداد : زهدي الفاتح، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، دار النفائس، بيروت.

٦٥- فقه السيرة، محمد الغزالي، الطبعة الخامسة ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، دار القلم، دمشق.

٦٦- الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه، د.حسن ظاظا، الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

٦٧- فلسطين بين الحقائق والأباطيل، م. أحمد عبدالوهاب، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م، مكتبة وهبه.

٦٨- قاموس الكتاب المقدس، تأليف: نخبة من الأساتذة وذوي الاختصاص، الطبعة الثانية، صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى.

٦٩- القدس، د.حسن ظاظا، منشورات مجلة الفيصل، العدد ٢٣٢.

٧٠- القدس عربية إسلامية، د. سيد فرج راشد، ١٤٠٦-١٩٨٦م، دار المريخ للنشر، الرياض.

٧١- القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، موريس بوكاي، دار المعارف.

٧٢- قصص الأنبياء، ابن كثير، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ، المكتبة التجارية، مكة .

٧٣- قصة الأديان دراسة تاريخية مقارنة، د.رفقي زاهر، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ- دار المطبوعات الدولية .

٧٤- الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف، د. يحي محمد علي ربيع، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، دار الوفاء للطباعة، المنصورة.

٧٥- الكنز المرصود في قواعد التلمود، ترجمة: د.يوسف نصرا الله، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م، دار القلم - دمشق .

٧٦- لسان العرب، ابن منظور، دار إحياء التراث العربي، بيروت .

٧٧- ماذا بعد إحراق المسجد الأقصى، عبدالحميد السائح، دار الشعب، القاهرة، ١٩٧٠م.

٧٨- الماسونية ذلك العالم المجهول، صابر طعيمة، دار الجيل، بيروت .

٧٩- الماسونية في العراء، محمد علي الزعبي، الطبعة الثانية، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.

٨٠- المخططات التلمودية اليهودية الصهيونية، أنور الجندي، دار النصر للطباعة الإسلامية، القاهرة ١٩٧٧م.

٨١- مدخل لدراسة مطامع اليهود في فلسطين قديماً وحديثاً، د. محمد بديع شريف، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ١٩٧٣م.

٨٢- المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها، عبدالرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت.

٨٣- مذكرات السلطان عبدالحميد الثاني، تقديم وترجمة: د.محمد حرب، الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ-١٩٩١م، دار القلم - دمشق .

٨٤- معجم ألفاظ القرآن الكريم، الطبعة الثانية، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر.

٨٥- معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، محمد إسماعيل إبراهيم، الطبعة الثانية، دار الفكر العربي.

٨٦- معركة الوجود بين القرآن والتلمود، د.عبدالستار فتح الله، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ، مكتبة المنار، الأردن.

٨٧- مفاتيح كنوز الأسفار الإلهية، متى بهنام، الطبعة الثانية، مكتبة الأخوة، مصر.

٨٨- المفسدون في الأرض، سليمان ناجي، الطبعة الثانية، العربي للإعلان والنشر والطباعة - دمشق .

٨٩- مفصل العرب واليهود في التاريخ، د.أحمد سوسة، الطبعة الخامسة ١٩٨١م، دار الحرية للطباعة .

٩٠- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د.جواد علي، الطبعة الثانية ١٩٧٨م، دار العلم للملايين، بيروت .

٩١- مقارنة الأديان، التوراة دراسة وتحليل، د. محمد شلبي شتيوي، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، مكتبة الفلاح .

٩٢- مقارنة الأديان ، اليهودية، د. أحمد شلبي، الطبعة الخامسة ١٩٧٨م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة .

٩٣- مكائد يهودية عبر التاريخ، عبدالرحمن حسن حبنكـه، الطبعـة الأولى ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، دار القلم - بيروت .

٩٤- الملل والنحل، الشهرستاني، تحقيـق: عبدالأمـير مهنـا، علـي فـاعور، الطبعـة الأولى ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، دار المعرفة - بيروت .

٩٥- مؤامرة الصهيونية على العالم، أحمد عبدالغفـور عطـار، الطبعـة الأولى ١٣٩٦هـ، مكة المكرمة .

٩٦- موجز تاريخ العالم، هـ. ج. ويلز، ترجمة: عبدالعزيز جاويد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة .

٩٧- الموسوعة العربية الميسرة، إشراف: محمد شفيق غربال، دار إحياء التراث العربي.

٩٨- الموسوعة الفلسطينية، تأليف العميد متقاعد: عبدالرزاق محمد أسود، نشر وتوزيع: الدار العربية للموسوعات، الطبعة الأولى ١٩٧٨م.

٩٩- الموسوعة الفلسـفية، وضـع: لجنـة مـن العلمـاء والأكـاديميين السـوفيتيين، إشـراف م.روزنتـال، ترجمـة: سمـير كـرم، الطبعـة الثانيـة ١٩٨٠م، دار الطليعـة للطباعـة والنشر، بيروت .

١٠٠- موسوعة المفاهيم الصهيونية، د. عبدالوهاب المسيري، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام .

١٠١- النشاط السري اليهودي في الفكر والممارسة، غازي محمـد فريـج، الطبعـة الأولى ١٤١١هـ-١٩٩١م، دار النفائس .

١٠٢- النفاق والمنـافقون في عهـد رسـول ا لله ﷺ ، إبراهيـم علـي سـالم دار الشـعب- القاهرة.

١٠٣- النفوذ اليهودي في الإدارة الأميركية، أحمد منصور، الطبعـة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، دار القلم - دمشق .

١٠٤- نقـد التـوراة، أسـفار موسـى الخمسـة، السـامرية، العبرانيـة، اليونانيـة، د.أحمـد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة .

١٠٥- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ابن القيم .

١٠٦- هداية المرشدين الى طرق الوعظ والخطابة، علي محفوظ، الطبعة السابعة، الناشر: المكتبة المحمودية التجارية .

١٠٧- همجية التعاليم الصهيونية، بولس حنا مسعد، تقديم: محمد خليفة التونسي، الطبعة الأولى ١٩٦٩م، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان .

١٠٨- وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ﷺ ، نور الدين السمهودي، مطبعة الآداب - مصر١٣٢٦هـ.

١٠٩- اليهود أعداء الإنسانية من كتابهم المقدس، كمال عون، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، دار البشير، طنطا.

١١٠- اليهود تاريخ إفساد وانحلال ودمار، د. توفيق الواعي، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، دار ابن حزم، بيروت، لبنان .

١١١- اليهود تاريخ وعقيدة، د.كامل سعفان، دار الاعتصام .

١١٢- اليهود في موكب التاريخ، صابر طعيمة، مكتبة القاهرة الحديثة .

١١٣- اليهودي العالمي، هنري فورد، تعريب: خيري حماد، منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر - بيروت .

١١٤- اليهودية عرض تاريخي، تأليف وترجمة د. عرفان عبدالحميد فتاح، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، دار عمار، عمان .

سادساً : صحف ودوريات :

١١٥- مجلة أرض الإسراء، العدد ٥٩ .

١١٦- صحيفة الشرق الأوسط، الأعداد ٧٥١١ - ٧٥١٨ - ٧٥٢٣ .

١١٧- صحيفة عكاظ، الأعداد: ١٢٠١٢ - ١٢٠٤٦ - ١٢١٧٧ .

١١٨- مجلة المجتمع، العدد ١٣٧٤ .

١١٩- صحيفة المدينة ، العدد ١٣٤٧٣.

فهرس الموضوعات